

مَقَالَةُ التَّشْبِيهِ

وَمَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهَا

تَأَلَّفَ

د. كَوْنُ حَبِيبِ بْنِ عَلِيٍّ

الجزء الأول

أضواء السلف

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢م - ٢٠٠٢م

هذا الكتاب في الأصل رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه) من قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ونوقشت من قبل اللجنة العلمية المكونة من أصحاب الفضيلة الأساتذة :

الأستاذ الدكتور : أحمد بن عطية الغامدي مشرفاً

الأستاذ الدكتور : ناصر بن عبد الكريم العقل عضواً

الأستاذ الدكتور : عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر عضواً

ومنح المؤلف بها درجة العالمية (الدكتوراه) بتقدير مرتبة الشرف الأولى وذلك بتاريخ ٥ / ٨ / ١٤٢١ هـ

مكتبة أضواء السلف - لصالحها علمي الخيري

الرياض - شارع بقرية أبي وقاص - بجوار بئرة - ص.ب ١٢١٨٩٢ - الرياض (١١٧١)

تلفون وفاكس: ٤٥٠٠٢٣٢١ - محمول ٥٥٤٩٤٣٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١] .

أما بعد : فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله عز وجل ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار (١) .

(١) هذه الخطبة تسمى « خطبة الحاجة » وهي تشرع بين يدي كل خطبة : الجمعة ، أو عيد ، أو محاضرة أو نكاح ، أو درس ، أو مؤلف روى الإمام مسلم جزءا منها في كتاب الجمعة ٢/ ٥٩٢ ح ٨٦٧ وأبو داود في كتاب النكاح ٢/ ٥٩١ ح ٢١١٨ والترمذي في كتاب النكاح ٣/ ٤١٣ ح ١١٠٥ والنسائي في كتاب الجمعة ٣/ ١١٦ ح ١٤٠٣ وكتاب النكاح ٦/ ٣٩٧-٣٩٨ ح ٣٢٧٧ وابن ماجه في كتاب النكاح ١/ ٦٠٩ ح ١٨٩٢ وأحمد في مسنده ١/ ٣٩٢-٣٩٣ وصححها الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في تخريج المشكاة كتاب النكاح ٢/ ٩٤١-٩٤٢ ح ٣١٤٩ وله فيها رسالة مستقلة .

وبعد : فقد بعث الله عز وجل نبيه محمد ﷺ على حين فترة من الرسل ففتح به أعينا غُميا ، وآذانا صُما ، وقلوبا غلقا ، وهدى به الناس من الضلالة ، وأنقذهم به من الشرك والتشبيه والتعطيل بالدعوة إلى توحيد الله تعالى ووصفه بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص والعيوب والتشبيه والتمثيل ، وقد سار أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين على ذلك فآمنوا بكل ما جاء به ﷺ لاسيما فيما يتعلق بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله الباهرة وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى فاتفقت كلمتهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته وأفعاله لم يسوموها تأويلا ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ولم يمثلوها بصفات المخلوقين ولم يخوضوا في كیفياتها المفضية إلى التمثيل والتعطيل بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإيمان والتعظيم^(١) وقد سلك منهجهم هذا كل من اقتفى أثرهم ووسعه ما وسعهم من التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

غير أنه تحقيقا لسنة الله عز وجل التي لا تبديل لها بإيجاده أهل السعادة والشقاوة وأهل السنة والبدعة وُجدت طوائف من أهل البدع والأهواء خاضت بعقولها الفاسدة في ذات الله وصفاته وأفعاله ، فقالوا بمقالات فاسدة تقشعر منها الأبدان لهولها وفضاعتها ، وكان رأس هذه الطوائف السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي دخل في الإسلام نفاقا ، طلبا لتفريق المسلمين وإفساد عقائدهم فأخذ يدعو إلى مقالات يهودية كافرة ومنها مقالة التشبيه ، بتأليهه هو وطائفته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ووصفه بصفات الخالق عز وجل ، وقولهم بالحلول المتضمن للتشبيه ، فنهاهم أمير المؤمنين عن ذلك إلا أنهم تبادوا في غيهم وكفرهم ، فأمر بإحراقهم ، وقد نجا ابن سبأ من ذلك وأخذ يبيث أفكاره فنجمت عن ذلك

(١) اقتبست هذا الكلام من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله انظر كتابه : أعلام الموقعين ١/٤٩ .

طوائف الرافضة الغلاة ، وأخذوا يتكلمون في ذات الله وصفاته وكيفية ذلك بعقولهم ، ويرفعون المخلوق من منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية ، ويصفونه بصفات الخالق عز وجل وقد اتبعهم على ذلك الرافضة إلى يومنا هذا ، فمقالاتهم كلها دائرة بين التعطيل والتشبيه لا توجد لهم مقالة متوسطة بينهما ، فهم أهل شرك وتشبيه وتعطيل ورفع للمخلوق إلى منزلة الألوهية ووصفه بصفات الله عز وجل وقد اتبعهم على ذلك طوائف أهل البدع من غير الشيعة لاسيما غلاة المتصوفة الذين غلوا فيمن ادَّعوا فيهم الولاية والكرامة فوصفهم بصفات الله تعالى وأعطوهم ما للرب تعالى من صفات وأفعال وإنَّ القارئ في مصنفات هؤلاء القوم ليتعجب مما يذكرونه من المقالات التي سموها كرامات ، ألهوا بها مشائخهم وأعطوهم فيها ما للرب تعالى من صفات وأفعال فشبهوهم بذلك بالخالق عز وجل وليس هذا بغريب على قوم يعتقدون عقيدة الحلول والاتحاد تلك العقائد الفاسدة التي صارت سببا في ضلال من ضلَّ بتأليه المخلوق وإعطائه ما للرب تعالى من صفات وأفعال !

والأدهى من ذلك أن يُوجد من المشبهة من يستدل لمقالاته التشبيهية بالقرآن الكريم ويضع أحاديث في التشبيه ، زاعما أنَّ ذلك مما خاطب الله به عباده ويدَّعي أنه لا يفهم من نصوص الصفات إلا التشبيه فحسبنا الله ونعم الوكيل .

بل من الأدهى التقاء أهل التشبيه والتعطيل - رغم ما يظن من تباين المدرستين - في الاستدلال بالأدلة الكلامية كاستدلالهم بدليل الجواهر والأعراض الذي أدَّى بالمشبهة المتكلمين إلى التمثيل ، وبالمعطلة إلى التعطيل ، وفي القول بشبهة « بأنَّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث » و« بامتناع حوادث لا أول لها » فمنعوا نتيجة لذلك اتصاف الله ببعض الصفات أزلا ، وزعموا اتصاف الله بصفات لم يكن متصفا بها من قبل ، فوقعوا بذلك في مقالة التشبيه ، كما استدلوا بأقيسة فاسدة لا

يجوز استعمالها في حق الله تعالى كقياس الغيب على الشاهد ، وقياس التمثيل والشمول ، فقاموا الخالق على المخلوق ، وقالوا بذلك بالتشبيه ، وأطلقوا على الله أنه جسم ، وخاضوا في كفيات صفات الله تعالى فأفضى بهم ذلك إلى التشبيه ووصفوه بصفات مضادة لوصفه عز وجل بصفات الكمال ، خاصة بالمخلوق الناقص ! .

ونتيجة لخوضهم في الكلام المذموم اعتبروا الاتفاق في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق هو التشبيه فالترزم ذلك أهل التشبيه ، وقالوا بسببه بمقالة التشبيه ، واجتهد أهل التعطيل في رد ذلك بكلامهم الفاسد ، فعملوا الله بذلك عن صفات الكمال ظنا منهم أن إثبات الصفات تشبيه وتمثيل ، واضطربت أقوالهم فيما يُنفى عن الله تعالى ، مما أدعوه من التشبيه ، أو يثبت من الصفات ، ومع هذا فقد تسلطوا على أهل السنة ورموهم بالتشبيه والتجسيم رغم وصفهم الله تعالى بصفات الكمال ، وتنزيههم الباري عز وجل عن صفات النقص والتشبيه ، الذي هو وصف الله عز وجل بما يخص المخلوق من الصفات ، ونفيهم أن يُوصف المخلوق بما هو خاص بالخالق عز وجل من الصفات والأفعال . ١

وقد قيص الله تعالى للزد على مقالات أهل الأهواء والبدع ومنهم أهل التمثيل أئمة أهل السنة والجماعة الأعلام فنقوا عن الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ونزهوا الله تعالى عن تشبيه المثليين ، وتعطيل المعطلين ، وكان من أهم مقاصدهم في توحيد الأسماء والصفات بعد إثباته كما ورد تنزيههم الخالق عز وجل عن التشبيه والتمثيل ، وعن كل ما يُؤدي إلى وصفه سبحانه وتعالى بصفات النقص الخاصة بالمخلوقين مسترشدين في ذلك بهدي الكتاب والسنة ، لذا كان موقفهم من مقالة التشبيه التي قال بها أهل التمثيل ، وتوهمها في صفات الله أهل التعطيل واضحا جليا ، إذ قرروا بطلانها لما فيها من وصف الله عز وجل بما ينتزه عنه من التشبيه

والتمثيل المناقض لصفات الكمال الثابتة لله تعالى أزلا وأبدا .
فكان من الواجب عندهم صيانة توحيد الأسماء والصفات مما يُضاده ، ولعقيدة المسلم من أن يتطرق إليها ما يُناقضها من الاعتقاد الفاسد في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ، لأن من الواجب في حق المسلم أن يقدر الله تعالى حق قدره ويعظمه حق تعظيمه ، ولا يتأتى ذلك إلا بإثبات صفات الله تعالى كما وردت من غير تشبيه ولا تمثيل ، ولا تكيف ولا تعطيل ، والابتعاد عن وصفه بمالم يصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ، والحذر من الأمور المفضية إلى التشبيه والتعطيل ، من تحريف مفضٍ إلى التعطيل ، وتكيف مفضٍ إلى التمثيل . !
فموقف أهل السنة من مقالة التشبيه نابع من تنزيههم الله عز وجل عما يضاد صفات كماله عز وجل من التشبيه والتمثيل ، وعن كل نقص وعيب خاص بالمخلوقين ، لذا حذروا ونهوا عن كل ما يفضي إلى مقالة التشبيه كالبحث عن كيفية ذات الله تعالى وصفاته ، وعن التفكير في ذات الله عز وجل ، والسؤال عن ذلك بما يخالف الشرع ، واستعمال الأقيسة الفاسدة المفضية إلى التشبيه ، وقد ناقشوا شبهات أهل التمثيل وأدلتهم النقلية والعقلية وفندوها وبينوا بطلانها ونزهوا الله تعالى عما تضمنته من التكيف والتشبيه . !
كما وضحوا بالأدلة السمعية والعقلية بطلان دعوى المشبهة إنَّ الاشتراك في اللفظ والمعنى العام يقتضي التشبيه ، فبينوا أنَّ إثبات المعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق على الوجه اللائق بجلال الله تعالى وعظمته لامحذور فيه بل يُثبت لله تعالى على وجه لا يماثل فيه صفات خلقه ، وأن من نفاه لإطلاقة على المخلوق فقد أهدى في أسماء الله عز وجل وجحد صفاته ، ومن أثبته على وجه يُماثل فيه خلقه كما فعل أهل التمثيل فقد شبه الله بخلقهم ، ومن شبه الله بخلقهم فقد كفر ، ومن أثبته على وجه لا يماثل فيه خلقه بل كما يليق بجلال الله وعظمته فقد برئ من

مقالة التشبيه والتعطيل وهذا طريق أهل السنة والجماعة أهل العلم والإيمان !
ونفي النقائص عن الله تعالى عند أهل السنة من لوازم وصفه عز وجل بصفات
الكمال ، لأنَّ عدم النفي مناقض لما عُلم من وصفه تعالى بصفات الكمال الثابت له
تعالى شرعا وعقلا .

والمنهج المستقيم في التنزيه عند أهل السنة بعد إثبات الصفات يقوم على أمرين :
الأمر الأول : تنزيه الله عز وجل عن الأمور المناقضة لكماله تعالى من الصفات
الخاصة بالمخلوقين وهذا يُحتم الامتناع عن وصفه بصفات النقص المضادة لوصفه
تعالى بصفات الكمال ، فلا يجوز وصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ، لأنَّ
ذلك قول عليه تعالى بلا علم والحادث في أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى .

الأمر الثاني : تنزيهه سبحانه وتعالى في صفاته عن أن يكون له مثل وشبيه !
ولم يكن موقفهم من مقالة التشبيه فيما يخص تشبيه الخالق بالمخلوق فقط ، بل بينوا
أنَّ التشبيه كما يكون في ذلك ، يكون أيضا بتشبيه المخلوق بالخالق بإعطائه ما
للرب تعالى من صفات وأفعال ، وصرف أنواع من العبادة للمخلوق ، مما يحتم
النهي عن ذلك ، وبيان وجوب إخلاص العبادة لله تعالى ، والنهي عما يُضاد ذلك
من الشرك والتمثيل !

بخلاف أهل الكلام المذموم فإنهم قد أغفلوا هذا الجانب تبعا لإهمالهم توحيد
العبادة وما يُضاده من الشرك والتشبيه ، وشغلوا أنفسهم بما ظنوه تشبيها للخالق
بالمخلوق ، ورموا سلف الأمة وأئمتها بما ادَّعوه تشبيها ، وزعموا أنهم يردون على
المشبهة ، وهم في غاية التشبيه نتيجةً وصفهم الله تعالى بصفات الجماد والمعدوم
والممتنع حسب قولهم بالتعطيل !

وإنَّ من أعظم ما يدل على براءة أهل السنة من مقالة التشبيه وسطية منهجهم في
صفات الله تعالى بين مذهب أهل التعطيل والتمثيل ، وبيانهم أنَّه مبني على وحي الله

تعالى ، وأنه حق بين مذهبين وهدى بين ضلالتين ، إثبات الصفات كما وردت ونفي مقالات أهل التشبيه والتعطيل عن ذلك .

واستدلّاهم لإبطال مقالة التشبيه بالأدلة السمعية والعقلية ، الدالة على تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ، وعن جميع صفات العيوب والنقائص المناقضة لصفات الكمال !

وإنكارهم على المشبهة ، واعتبار مقاتلتهم مقالة سوء محقّوة منكّرة يجب تنزيه الله عنها ، وإعلانهم موقفهم ممن يقول بها بالتبديع والهجران ، والحكم بالكفر والضلال !

فرمى المعطلة أهل السنة بالتشبيه مبني على سوء الفهم حيث لم يفهموا من نصوص الصفات إلا التشبيه ، ثم رموا بذلك أهل السنة ، ومبني من بعضهم على سوء القصد المتمثل في عداوتهم لأهل السنة بسبب مخالفتهم لمذهبهم الكلامي المذموم ، فلا يُلتفت إلى أقوالهم في أهل السنة ، بل يجب التحذير منهم ومن مقالاتهم الفاسدة ، وتقرير مذهب أهل السنة في صفات الله المبني على الإثبات والتنزيه المستنبط من وحى الله ، الموافق للفِطْرِ المستقيمة ، والعقول الصريحة !



أهمية الموضوع وأسباب اختياره

يعتبر موضوع بيان موقف أهل السنة من مقالة التشبيه من أهم الموضوعات التي يلزم الكتابة فيها ، وبيانها للأمر التالية :

١ - فيه صيانة لتوحيد الله تعالى مما يُفسده بتنزيهه سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته وأفعاله وألوهيته عن التشبيه والتمثيل ، وعن جميع صفات العيوب والنقائص ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال ، ووجوب إخلاص العبادة له تعالى .

٢ - وفيه بيان منهج أهل السنة في التنزيه المستنبط من وحي الله تعالى ، وذكر أدلتهم السمعية والعقلية في ذلك ، والآثار المنقولة عنهم في التنزيه ، وبيان منهجهم في صفات الله تعالى المبني على الجمع بين الإثبات والتنزيه ، الذي انحرف عنه أهل الأهواء البدع فوقع من وقع منهم بالغلو في الإثبات وترك التنزيه في مقالة التشبيه ، أو الغلو في التنزيه وترك الإثبات في مقالة التعطيل ، فمعرفة منهج أهل السنة في ذلك والتمسك به يجنب المسلم من الوقوع في مناهج أهل البدع والضلال في توحيد الأسماء والصفات .

٣ - كما أن فيه بيان موقف أهل السنة في أخطر مقالة من المقالات الكفرية خاض فيها أهل الأهواء البدع بقولهم فقالوا بالتكليف والتمثيل في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله وألوهيته ، فتصدى لمقالاتهم أهل السنة والجماعة فنزهوا الله تعالى عن ذلك وأبطلوا مذهبهم وفندوا شبهاتهم ودحضوا أباطيلهم حفاظا على عقيدة المسلمين - المبنية على هدي الكتاب والسنة - من الفساد ، وبيانا للحق الذي عليه مدار النجاة في الدنيا والآخرة .

٤ - وفيه التوضيح أن من انحرف عن منهج أهل السنة في الصفات إنما كان منشأه من فهمه للتشبيه فهما يخالف فهم أهل السنة ، حيث صار لفظ التشبيه مجملا أدرج فيه المبتدعة في صفات الله من أهل التشبيه والتعطيل باطلهم حيث

زعموا أن الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق هو التشبيه ، وبناءً على هذا المفهوم المنحرف وقع المشبهة في التشبيه ، والمعطلة في التعطيل ، فلا بُدَّ والحال هكذا من بيان الحق في هذه المسألة التي هي أصل ضلال مَنْ ضَلَّ في توحيد الأسماء والصفات ، مما يُحتم معرفة مفهوم أهل السنة للتشبيه المنفي عن الله تعالى ، ودحض شبهات من خالفهم في ذلك من أهل الأهواء والبدع .

٥ - وفيه الدفاع عن أهل السنة والجماعة وإظهار بهتان وكذب من رماهم بالتشبيه والتجسيم من الجهمية المعطلة ، الذين صدوا كثيرا من الناس عن سلوك منهج السلف في صفات الله - وخصوصا في عصرنا الحاضر - بزعمهم أنهم مشبهة مجسمة يجب الحذر منهم ومن مصنفاتهم^(١) فلا بُدَّ والحال هكذا من بيان براءة أهل السنة من وصمة التشبيه ، وبيان بهتان من يرميهم بذلك بإظهار موقف أهل السنة من مقالة التشبيه ، وبيان منهجهم في نصوص الصفات المستمد من وحي الله تعالى ، وذكر أقوالهم في التنزيه ، وبيان موقفهم من المشبهة ، وبيان وسطية منهجهم في صفات الله تعالى بين مذاهب أهل البدع في الصفات أهل التعطيل والتشبيه !

٦ - حاجة المكتبة الإسلامية إلى مثل هذا الموضوع حيث لم أجد مصنفا مستقلا - حسب إطلاعي القاصر . فيه بيان موقف أهل السنة من مقالة التشبيه وبراءتهم من وصمة التشبيه ، ومن يدعي في نصوص الصفات التشبيه ، وبيان وجود مقالة التشبيه في هذا العصر في أفضع صورها ونقدها وتنزيه الباري عز وجل عنها .

٧ - كما أن الموضوع قد تناوله أهل الكلام وأخطئوا فيه فضلوا وأضلوا حيث عدوا إثبات الصفات تشبيها ، ونزوا أهل السنة بذلك ، ومعلوم أن لأهل الكلام

(١) وقد سماها بعضهم كتب الشرك والتشبيه والتجسيم كما سيأتي انظر : ١٦٦ / ٢ - ١٦٧ و

مصنفات ومقالات كثيرة ضمنوا فيها أباطيلهم ولهم جامعات ومدارس في معظم البلاد الإسلامية يُدرس فيها مذهب الأشاعرة والماتريدية في مسائل الاعتقاد المبني على المذهب الكلامي المذموم ويتخرج منها أفواج من الطلاب يدعون الناس إلى مذهب أهل الكلام الباطل وقد صدوا كثيرا من الناس عن منهج أهل السنة في صفات الله المبني على وحي الله بسبب التشويه والتشنيع فلا بد والحال هكذا من بيان مفهوم التشبيه عند أهل السنة وموقفهم من مقالة التشبيه وممن يدعي في صفات الله التشبيه دحضا لباطل أهل الكلام ومزاعمهم الفاسدة ، ونصرة للحق الذي عليه منهج أهل السنة والجماعة في صفات الله عز وجل .

٨ - وفي دراسة الموضوع بيان منهج أهل السنة في نصوص الصفات وتحرير القول في أحاديث الصفات التي فيها تحقيق الوصف والتي اجتمع فيها الإشارة مع القول وبيان موقف أهل السنة من ذلك الدال على براءتهم من مقالة التشبيه ، والرد على من استدل من المعطلة لتقرير منهجهم في التعطيل الذي سموه توحيدا ببعض مقالات بعض الأئمة في نهيهِ عن الإشارة عند ذكر أحاديث الصفات خشية الوقوع في التشبيه المذموم^(١) .

٩ - وفي الموضوع بيان وجود مقالة التشبيه في العصر الحديث في أفطع صورها عند الرافضة والصوفية والقاديانية وغيرهم ، وليس كما يقول البعض إنها انتهت بانقراض طوائف المشبهة القدامى !

١٠ - لاحظت أثناء تحضيري لرسالة الماجستير^(٢) أن المتكلمين قد جعلوا موضوع تنزيه الله عما اعتبروه تشبيها وتجسيما ذريعة لتعطيل الله عن صفات الكمال بحجة

(١) كما نقل ذلك عن الإمام مالك وستأتي مناقشة المعطلة وبعدهم عن الصواب في الاستدلال

بذلك انظر : ٢ / ٥٥٢ - ٥٦٣ .

(٢) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة .

التنزيه المزعوم بعد زعمهم عدم موافقة العقل للنقل ، ومعارضتهم لنصوص الصفات بأقيستهم الكلامية الفاسدة فكان والحال هكذا لا بد من أفراد مصنف في الرد عليهم ، ودحض شباهم فيما سموه تشبيها ، كما دحضت شباهم - بتوفيق الله - في موضوع العقل والنقل فلا بُدَّ من بيان موقف أهل السنة من مقالة التشبيه ، كما بينت منهجهم في موافقة العقل للنقل نصره للحق الذي عليه أهل السنة ، ودحضا لشبهات أهل الأهواء والبدع !

لهذه الأسباب وغيرها اخترت موضوع رسالتي لنيل درجة العالمية العالية الدكتوراه بعنوان : « مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها » .

* * * * *

خطة الرسالة

جعلت خطة رسالتي التي سرت عليها في : مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة .

* أما المقدمة :

فقد اشتملت على الافتتاحية وبيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره وعرض عام لخطة الرسالة وذكر بعض الضوابط المنهجية التي سرت عليها في كتابة البحث وكلمة الشكر والتقدير .

* أما التمهيد :

فيشتمل على ثلاثة مباحث تحت كل مبحث مطالب .
 المبحث الأول : التعريف بأهل السنة وبيان بعض ألقابهم . وفيه ثلاثة مطالب :
 المطلب الأول : معنى السنة في اللغة والاصطلاح .
 المطلب الثاني : التعريف بأهل السنة .
 المطلب الثالث : نشأة التسمية بأهل السنة .
 المطلب الرابع : بيان بعض أسماء أهل السنة وألقابهم .
 المبحث الثاني : التعريف بالتشبيه وبيان الألفاظ المرادفة له في المعنى .
 وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالتشبيه في اللغة .
 المطلب الثاني : مفهوم التشبيه عند أهل السنة .
 المطلب الثالث : مفهوم التشبيه عند المتكلمين ونقده .
 المطلب الرابع : بيان الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى .
 المطلب الخامس : بيان سبب استعمال لفظ التشبيه في عنوان الرسالة بدلا من التمثيل .
 المبحث الثالث : منهج أهل السنة في صفات الله على سبيل الإجمال .

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : التعريف بالمنهج في اللغة والاصطلاح .
- المطلب الثاني : منهج أهل السنة في صفات الله على سبيل الإجمال .
- المطلب الثالث : بيان بعض القواعد التي استبطنها أهل السنة من وحي الله لتقرير منهجهم في صفات الله تعالى .

أما الباب الأول فهو بعنوان : « مقالة التشبيه أنواعها نشأتها أسبابها مصدرها التعريف بطوائف المشبهة » وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التعريف بمقالة التشبيه وبيان أنواعها . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التعريف بمقالة التشبيه .

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : التعريف بالمقالة .
- المطلب الثاني : التعريف بمقالة التشبيه .
- المبحث الثاني : بيان أنواع مقالة التشبيه .

الفصل الثاني : نشأة مقالة التشبيه في الإسلام وبيان أسبابها ومصدرها وجذورها التاريخية . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشأة مقالة التشبيه في الإسلام .

المبحث الثاني : ذكر بعض أسباب ظهور مقالة التشبيه في الإسلام .

المبحث الثالث : مصدر مقالة التشبيه في الإسلام وبيان جذورها التاريخية .

وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : مقالة التشبيه عند اليهود .
- المطلب الثاني : مقالة التشبيه عند النصارى .

المطلب الثالث : مقالة التشبيه في الديانات المجوسية .

المطلب الرابع : مقالة التشبيه في التيارات الفلسفية .

الفصل الثالث : التعريف بطوائف المشبهة . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بطوائف المشبهة من الشيعة . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بطوائف مشبهة الشيعة القدامى ومقالاتهم في التشبيه على سبيل الإجمال .

المطلب الثاني : الشيعة المتأخرون وبيان مقالاتهم في التشبيه على سبيل الإجمال .

المبحث الثاني : التعريف بطوائف المشبهة من غير الشيعة . وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الصوفية وقولهم بمقالة التشبيه .

المطلب الثاني : التعريف بطائفة الكرامية ومقالتهم في التشبيه .

المطلب الثالث : التعريف بمن قال بالتشبيه من المعتزلة والخوارج .

المبحث الثالث : تحقيق القول فيمن عُدوا من طوائف المشبهة . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تحقيق القول في عُدِّ مقاتل وطائفته من طوائف المشبهة .

المطلب الثاني : تحقيق القول فيمن يُقال عنهم أنهم مشبهة الحشوية .

* أما الباب الثاني : فبعنوان « مذهب المشبهة في صفات الله وبيان مقاتلتهم إنَّ

الله جسم وذكر بعض أدلتهم وشبهاتهم وموقف أهل السنة من ذلك »

وفيه فصلان :

الفصل الأول : مذهب المشبهة في صفات الله ، وذكر بعض مقالاتهم في

صفات الذات والأفعال وموقف أهل السنة منها . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في بيان مذهبهم في صفات الله تعالى على سبيل الإجمال وموقف

أهل السنة من ذلك

وفيه ثمانية مقاصد :

المقصد الأول : في بيان مذهب المشبهة في صفات الله على سبيل الإجمال .
المقصد الثاني : مدخل في بيان موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات الله تعالى .

المقصد الثالث : بيان أهل السنة الأصل الذي انحرف به المشبهة إلى القول بالتشبيه ونقضه .

المقصد الرابع : في بيان موقف أهل السنة من مقالة المشبهة إن الله خاطبنا بما نعقل ولا نعقل من نصوص الصفات إلا التشبيه .

المقصد الخامس : في بيان موقف أهل السنة من قول المشبهة بحدوث جنس بعض الصفات على سبيل الإجمال .

المقصد السادس : موقف أهل السنة من وصف بعض المشبهة الله تعالى بالصفات الخاصة بالمخلوقين .

المقصد السابع : بيان موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات الله بذكر بعض أدلتهم في تنزيه الله تعالى عن مقالة التشبيه .

المقصد الثامن : نهي أهل السنة عن الأمور المفضية إلى التشبيه الدال على موقفهم من مقالة التشبيه .

المبحث الثاني : في بيان مقالة المشبهة في الصفات الفعلية بذكر أمثلة منها وموقف أهل السنة منها .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مقالة المشبهة في صفة الاستواء وموقف أهل السنة منها .

المطلب الثاني : مقالة المشبهة في صفة الكلام وموقف أهل السنة منها .

المطلب الثالث : مقالة المشبهة في صفة النزول وموقف أهل السنة منها .

المطلب الرابع : مقالة المشبهة في صفة الإتيان والجميء وموقف أهل السنة منها .
المبحث الثالث : مقالة المشبهة في الصفات الذاتية بذكر أمثلة منها وموقف أهل السنة منها
وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : مقالة المشبهة في صفة العلم وموقف أهل السنة منها .
- المطلب الثاني : مقالة المشبهة في صفة الإرادة وموقف أهل السنة منها .
- المطلب الثالث : مقالة المشبهة في صفة اليدين وموقف أهل السنة منها .
- المطلب الرابع : مقالة المشبهة في صفة السمع والبصر وموقف أهل السنة منها .

الفصل الثاني : في بيان مقالة المشبهة إنَّ الله جسم وذكر بعض أدلتهم
وشبهاتهم وموقف أهل السنة من ذلك .

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : في بيان مقالة المشبهة إنَّ الله جسم وموقف أهل السنة من ذلك .
 - المبحث الثاني : في ذكر بعض أدلة المشبهة النقلية وموقف أهل السنة منها .
- وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : ذكر بعض أدلتهم من القرآن الكريم وموقف أهل السنة منها .
- المطلب الثاني : ذكر بعض الأحاديث الموضوعة التي استدلت بها المشبهة وموقف
أهل السنة منها .

- المبحث الثالث : في ذكر بعض شبهات المشبهة العقلية وموقف أهل السنة منها .
- وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : استدلالهم بدليل الأعراض وحدوث الأجسام وموقف أهل السنة
من ذلك .

- المطلب الثاني : استدلال المشبهة ببعض الأقيسة الفاسدة وموقف أهل السنة منها .

أما الباب الثالث : فبعنوان براءة أهل السنة من وصمة التشبيه وبيان موقفهم
من نصوص الصفات وممن يدعى فيها التشبيه

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه والحشو والتجسيم

ونقدتها وبيان براءتهم من ذلك على سبيل الإجمال .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه ونقدتها .

المبحث الثاني : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتجسيم ونقدتها .

المبحث الثالث : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالحشوية ونقدتها .

المبحث الرابع : براءة أهل السنة من وصمة التشبيه والتجسيم والحشو .

الفصل الثاني : أمثلة ونماذج ممن وُصموا من أهل السنة بالتشبيه والتجسيم وبراءتهم

من ذلك ، وبيان أسباب ذلك ونقده . وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : براءة الإمام ابن قتيبة من وصمة التشبيه .

المبحث الثاني : براءة الإمام الدارمي من وصمة التشبيه .

المبحث الثالث : براءة الإمام ابن خزيمة من وصمة التشبيه .

المبحث الرابع : براءة الإمام أبي يعلى من وصمة التشبيه .

المبحث الخامس : براءة شيخ الإسلام الأنصاري الهروي من وصمة التشبيه .

المبحث السادس : براءة شيخ الإسلام ابن تيمية من وصمة التشبيه .

المبحث السابع : ذكر بعض الأسباب التي اتخذها المعطلة لنبز أهل السنة بالتشبيه

والحشو والتجسيم ونقدتها . وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : وجود بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة في بعض كتب أهل السنة .

المطلب الثاني : اعتبارهم أن الاشتراك في اللفظ والمعنى العام يقتضي التشبيه وأن الأجسام متماثلة .

المطلب الثالث : اعتبارهم أن لازم المذهب هو المذهب .

المطلب الرابع : سوء الفهم والقصد .

الفصل الثالث : وسطية أهل السنة في صفات الله الدالة على براءتهم من التشبيه وذكر بعض أدلتهم السمعية ومقالاتهم في إبطال التشبيه . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وسطية أهل السنة في صفات الله الدالة على براءتهم من التشبيه . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ذكر بعض مقالات أهل السنة في بيان وسطية منهجهم في صفات الله .

المطلب الثاني : ذكر بعض الصور من وسطية أهل السنة في صفات الله الدالة على براءتهم من التشبيه .

المبحث الثاني : ذكر بعض النصوص التي يستدل بها أهل السنة لتزويه الله تعالى عن التشبيه الدالة على براءتهم من وصمة التشبيه .

المبحث الثالث : ذكر بعض مقالات أهل السنة في تزويه الله عن مقالة التشبيه الدالة على براءتهم من وصمة التشبيه .

الفصل الرابع : موقف أهل السنة من نصوص الصفات وممن يدعي فيها التشبيه وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : موقف أهل السنة من نصوص الصفات على سبيل الإجمال .

المبحث الثاني : مقالة المعطلة ظواهر نصوص الصفات موهمة للتشبيه وموقف أهل السنة منها .

المبحث الثالث : ذكر أمثلة من أحاديث الصفات التي فيها تحقيق الوصف وموقف أهل السنة ممن يدعي فيها التشبيه .

* أما الباب الرابع فبعنوان : وقوع طوائف أهل البدع المعاصرة في مقالة التشبيه عرض ونقد . وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : في بيان وقوع الرافضة المعاصرين في مقالة التشبيه عرض ونقد . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : صلة الرافضة المعاصرين بغلاة الشيعة الدالة على قولهم بمقالة التشبيه .
المبحث الثاني : موقفهم من مصنفات أسلافهم المشتملة على مقالة التشبيه الدال على قولهم بالتشبيه .

المبحث الثالث : ذكر أمثلة من مقالات الرافضة المعاصرين بالتشبيه ونقدها . وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : بيان قولهم بمقالة البداء التشبيهية ونقدها على سبيل الإجمال .
المطلب الثاني : الرافضة المعاصرون وقولهم بالحلل والاتحاد الدال على قولهم بالتشبيه .
المطلب الثالث : إعطاءهم الأئمة ما للرب تعالى من صفات وأفعال وتشبيههم في ذلك بالخالق عز وجل .

المطلب الرابع : قولهم إن الأئمة لا يطرد عليهم السهو والنسيان ، وتشبيههم في ذلك بالخالق عز وجل .

المطلب الخامس : إعطاءهم لأئمتهم ومشائخهم حق التشريع وتشبيههم في ذلك بالخالق عز وجل .

المطلب السادس : صرفهم أنواعا من العبادات لأئمتهم وتشبيههم في ذلك بالله تعالى .

الفصل الثاني : في بيان وقوع الصوفية المعاصرين في مقالة التشبيه عرض ونقد .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وقوعهم في مقالة التشبيه بقولهم بعقيدة الحلول والاتحاد ونقده .

المبحث الثاني : تشبيههم المخلوق بالخالق بإعطائه ما للرب تعالى من صفات وأفعال ونقده .
وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : ادعاؤهم أن لأو ليائهم معرفة علم الغيب وتشبيههم في ذلك بالخالق ونقده .

المطلب الثاني : ادعاؤهم أن لأو ليائهم حق التصرف في الكون وتشبيههم في ذلك بالخالق ونقده .

المطلب الثالث : تشبيههم المخلوق بالخالق بادعائهم أن لأو ليائهم حق الهداية وضمان الجنة لأتباعهم .

المطلب الرابع : نقد ادعائهم أن لأو ليائهم حق التصرف في أمور الدنيا والآخرة .

المبحث الثالث : تشبيههم المخلوق بالخالق بصرفهم له أنواعا من العبادات ونقده .
وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تشبيههم المخلوق بالخالق بدعائهم له من دون الله والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ونقده .

المطلب الثاني : موقف العلماء من المتصوفة في دعائهم غير الله واستغاثتهم به فيما لا يقدر إلا الله .

المطلب الثالث : اتخاذهم واسطة بين الله وخلقه في قضاء الحوائج ووقوعهم بذلك في التشبيه ونقده .

الفصل الثاني : في بيان وقوع القاديانية المنتسبين إلى الإسلام في مقالة التشبيه عرض ونقد . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في ذكر بعض مقالاتهم في تشبيههم الخالق بالمخلوق ونقدها .

- المبحث الثاني : في ذكر بعض مقالاتهم في تشبيههم الخلق بالخالق ونقدها .
- المبحث الثالث : في بيان موقف العلماء من القاديانية ومقالاتهم في التشبيه .
- الفصل الثالث : في بيان وقوع المعطلة في مقالة التشبيه عرض ونقد .
- وذكر أمثلة على ذلك ونقدها الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث ، وذكر بعض التوصيات والاقتراحات .
- وقد ذيلت الرسالة بفهارس ليسهل الاستفادة منها ، وهي كالتالي :

- ١- فهرس الآيات القرآنية .
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣- فهرس الآثار .
- ٤- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- ٥- فهرس الطوائف والفرق .
- ٦- فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة .
- ٧- فهرس الأماكن والبلدان .
- ٨- فهرس الآيات الشعرية .
- ٩- فهرس المصادر والمراجع .
- ١٠- فهرس الموضوعات .



بعض الضوابط المنهجية التي سرت عليها في كتابة البحث

١ - حرصت على نقل الأقوال من مصادرها الأصلية مباشرة فأقول أهل السنة ومذهبهم أنقله من كتبهم ، وأقول المتكلمين ومذهبهم أنقلها من كتبهم ، وأقول الرافضة والصوفية أنقله من كتبهم في الغالب ، ولعدم وجود كتب الكرامية وغلاة الشيعة المشبهة القدامى كالهشامية واليونسية والمغيرية وغيرهم أنقل أقوالهم بالواسطة من كتب أهل السنة فإن لم أجد فمن كتب الفرق والمقالات بعد تحري ما أنقله هل ما نقلوه عن المشبهة فيه تشبيه أو تكليف مفضٍ إلى التمثيل أم لا وذلك على ضوء مفهوم أهل السنة للتشبيه لأنه هو الضابط في معرفة مقالة التشبيه والمشبهة ، فإن لم يكن فيه تشبيه ولا تكليف مفضٍ إلى التشبيه فلا أنقله ، نظرا لأن معظم مؤلفي كتب الفرق أشاعرة أو ماتريدية يعتبرون إثبات الصفات التي نفوها تشبيهاً ! وقد نقلت بالواسطة فيما يخص القاديانية نظرا لعدم وجود كتبهم حيث أنني لم أجد منها ولا مرجعا واحدا ، وحرصت على نقل أقوالهم من كتب علماء الهند والباكستان الموثوقين كالشيخ ثناء الله الأمرتسري^(١) ، والشيخ إحسان إلهي ظهير^(٢) ، والشيخ أبي الحسن الندوي^(٣) وغيرهم ، لأنهم أعرف بهم من غيرهم كما نقلت بالواسطة في أماكن وهي قليلة فيما يخص الرافضة والصوفية المعاصرين من كتب الباحثين الموثوقين كالدكتور : ناصر بن عبد الله القفاري^(٤) ، والشيخ

(١) وله كتب كثيرة في ذلك ومعظمها باللغة الأردنية ترجم لي منها الأخ عبد اللطيف شيخ عبد الرشيد الطالب بقسم العقيدة بمرحلة الدكتوراه ما يخص موضوع البحث ومن تلك الكتب : تعليمات مرزا ، وعقائد مرزا ، ومشاهدات مرزا ، والصحيفة المحبوبة في الرد على الصحيفة الأصفية . وغيرها .

(٢) من كتابه : القاديانية دراسات وتحليل .

(٣) من كتابه : القادياني والقاديانية دراسة وتحليل .

(٤) من كتابه : أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد .

عبد الرحمن الوكيل^(١) والشيخ علي بن بخت الزهراني^(٢) حيث لم أجد بعض الكتب التي نقلت عنها بالواسطة ، ولعلي استدرك ذلك فيما بعد إن شاء الله ! .
٢ - حرصت على الرجوع إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة ما استطعت إلى ذلك سبيلا حرصا على الفائدة وقد أرتب المراجع حسب قدمها مع الاستفادة من المراجع الحديثة .

٣ - إذا ذكرت عدة أقوال في المسألة الواحدة ، أو ذكرت أمثلة لبيان منهج أو مذهب من المذاهب فإني أذكر الأقوال أو المذهب في الغالب بذكر التسلسل التاريخي حسب وفيات من قال بذلك أو ذهب إليه من أهل السنة أو غيرهم من أهل البدع ، وذلك رغبة في معرفة مدى تطور المنهج أو المذهب عند أهل البدع ، واتفاق اللاحق على ذلك مع السابق لأنها تتطور إلى الغلو أو التفريط بخلاف مذهب أهل السنة فإنه ثابت لا يتغير ولا يتبدل لأنه مستنبط من وحي الله تعالى متفق عليه اللاحق منهم مع السابق !

٤ - ليس كل من ذكرت شيئا من كلامه - من الصوفية أو غيرهم - مستشهدا أو رادا بقوله يعني أنني أو افقه في جميع ما يقوله أو يعتقد ، لكنني أو ردت قوله للاحتجاج وإبطال مقالات من يتبعونه أو يعترفون بفضله وإمامته ، كما فعلت في نقل بعض مقالات أئمة التصوف الذين كان لهم اتباع للكتاب والسنة في بعض مسائل الاعتقاد ، كسهل بن عبد الله التستري ، وعمرو بن عثمان المكي ، ومعر بن أحمد الأصفهاني شيخ الصوفية في زمانه وغيرهم ممن نطقوا بالحق فنزهوا الله تعالى عن الحلول والتشبيه ، وأثبتوا الصفات لاسيما صفة الاستواء كما وردت ، ولذا نقل

(١) من كتابه : هذه هي الصوفية .

(٢) من كتابه : الانحرافات العقيدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة .

الأئمة أقوالهم كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن قيم الجوزية ، لأنَّ النقل عنهم حجة على أتباعهم القائلين بالحلول والتشبيه ، والحق يقبل ممن تكلم به ويحتج به !
 ٥ - عند التعريف بطوائف المشبهة بدأت بأشدهم غلوا في التشبيه ، فقدمت الشيعة لأنهم من أعظم الفرق قولا بمقالة التشبيه ، ومن قال به في الإسلام فهو تابع لهم في ذلك ، ثم عرفت بالصفوية وبمقالاتهم في التشبيه لأنهم سائرون على أثر الراضية في ذلك ، ثم عرفت بطائفة الكرامية لأنهم ليسوا كالراضية والصفوية في ذلك ، ثم ذكرت من قال بالتشبيه من المعتزلة والخوارج لأنَّ المشهور عنهم التعطيل وليس كل طوائفهم قالت بذلك ، ثم ذيلت التعريف بطوائف المشبهة بتحقيق القول فيمن يُقال عنهم مشبهة كالمقاتلية وليسوا كذلك^(١) ، وما يُقال عن طائفة الحشوية من التشبيه^(٢) . ١

٦ - إذا أضفت مقالة أو مذهباً إلى طائفة ما وأطلقت ، فهذا لا يعني أنَّ جميع أفراد هذه الطائفة يقولون به ويعتقدونه^(٣) ، وإنما هو المشهور عنهم ، أو أنه صار شعاراً لهم !

٧ - إذا نقلت النص بدون تصرف أضعه بين قوسين ، وأذكر المرجع الذي أنقل عنه بدون أن أقول : انظر .

كما أنني إذا ذكرت مذهباً ، ونقلت بالمعنى لا أضع ذلك بين قوسين بل أقول :

(١) سيأتي براءة مقاتل بن سليمان من مقالة التشبيه ، وأنه لا توجد طائفة مشبهة منسوبة إليه بهذا الاسم انظر : ٣٣٠/١ - ٣٤٠ .

(٢) سيأتي بيان ما حصل في ذلك من الخلط بأهل السنة بسبب بعض كتاب الفرق المعطلة وبيان أنهم طائفة مستقلة كانوا يقولون بالتشبيه انظر : ٣٤١/١ - ٣٤٦+ .

(٣) كالصفوية مثلاً فإنَّ المشهور عنهم أنهم يقولون بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود لكن عوامهم ممن ينتسب إليهم أو غير المغالي منهم قد لا يقول بذلك ، ولذلك قيدت ذلك في البحث بغلاة

انظر وأذكر المراجع التي استفدت منها .

٨ - قد يحصل تكرار في بعض الأمثلة والأدلة إذا كان مناسباً لما ذكر له كما حصل الاستشهاد ببعض صفات الله مثل صفة الاستواء والكلام فقد تكرر ذلك في بيان منهج المشبهة وموقف أهل السنة من ذلك ، وفي بيان وسطية منهج أهل السنة بين منهج المشبهة والمعطلة ، وفي بيان وقوع المعطلة المعاصرين في مقالة التشبيه ، وهذا تكرار لفوائد مهمة حيث حصل في مواضيع متغايرة فصار بحمد الله مناسباً لما ذكر له لبيان الحق من الباطل !!

٩ - إذا تكرر ذكر المرجع كثيراً أقصر على اسم الكتاب مختصراً مثل قولي : « انظر : درء التعارض » لابن تيمية وعنوانه : « درء تعارض العقل والنقل » . بعد ذكر اسم المرجع قبل ذلك كاملاً في أول موضع يرد في الرسالة .

كما أذكر اسم الكتاب بما اشتهر به منسوباً إلى مؤلفه مختصراً مثل « تفسير ابن كثير » واسمه : « تفسير القرآن العظيم » للحافظ : أبي الفداء إسماعيل بن كثير .
١٠ - عند نقل قول أو ذكر مذهب أو مسألة أورد عن عالم فإنني قد أذكر ما اشتهر به من لقب أو كنية أو بلد فأقول مثلاً « شيخ الإسلام » فإذا أطلقت فأعني به « شيخ الإسلام ابن تيمية » وأقول : « ابن كثير » وأعني به أبي الفداء الإمام إسماعيل ابن كثير الدمشقي . وأقول : « الطبري » وأعني به الإمام « أبي جعفر محمد بن جرير الطبري » !

١١ - بينت في الحاشية الكلمات الغريبة التي أرى أنها في حاجة إلى بيان ، كما عرفت بمعظم الطوائف والفرق التي ورد ذكرها في البحث ، وكذا بالأماكن والبلدان .

١٢ - ترجمت لمعظم الأعلام الواردة في الرسالة إلا من رأيت أنه مشهور كمشاهير الصحابة ، والأئمة الأربعة ، وبعض الأئمة المشهورين كالإمام البخاري

ومسلم وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام محمد بن عبد الوهاب ، ومن لم أجد ترجمة له - ك بعض الأعلام الذين يذكرهم كتاب الفرق كالعزيزي مثلا ، أو ك بعض أعلام الكرامية - . فأقول في هذه الحالة لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه . لعله قد يقف عليه غيري فيتحفني بذلك مشكورا !

١٣ - ذكرت مواضع الآيات القرآنية من سورها بذكر اسم السورة ، ورقم الآية من المصحف ، في متن الرسالة رغبة في تخفيف الحاشية !

١٤ - إذا كان الحديث في الصحيحين وأحدهما اكتفيت بعزوه إليهما ، أما إذا كان في غير الصحيحين أو ردت كلام أهل العلم - قديما وحديثا - في الحكم عليه ، وطريقة عزوي للأحاديث بذكر اسم الكتاب ، والجزء ، والصفحة ، ورقم الحديث وذلك في الكتب التي التزمت ذكر هذه المعلومات ، وإلا ذكرت ما وقفت عليه . كما عزوت الآثار من مصادرها الأصيلة^(١) ، وما لم أجد في المصادر الأصيلة بعد البحث عنه أذكر المرجع الذي نقلت منه ، وهي قليلة ومعدودة مثل بعض الآثار التي نقلتها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكتاب : « أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات » للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي !

١٥ - التزمت العزو في المجاميع مثل مجموع الفتاوى ، ومجموعة الرسائل والمسائل ومجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ومجموعة الرسائل المنيرية ، التزمت في الإحالة إلى ذلك بذكر اسم الكتاب ، أو الرسالة ، ثم الإحالة داخل هذه المجاميع ، لأن من المعلوم أن هذه المجاميع تضم تحتها عشرات الكتب والرسائل ، ومجرد العزو إليها بدون اسم الكتاب ، أو الرسالة المطبوعة فيها يفيد فائدة علمية ناقصة ، فكم من باحث وقارئ في حاجة ماسة إلى معرفة هذه الرسائل

(١) أعني بذلك الكتب التي تروي الآثار بالسند كتفسير الطبري ، والأسماء والصفات للبيهقي ، وكتاب الصفات للدارقطني وغيرها .

والكتب لمعرفة مسألة ما ، فيتعب في البحث عنها ، فبذكر الرسائل والكتب ، ثم الإحالة إلى المجاميع تتم الفائدة !

١٦ - تعاملت مع نسختين في العزو إلى كتاب « نقض تأسيس الجهمية » لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المطبوعة ، والمخطوطة ، وذلك لنقصان المطبوعة ، وميزت بينهما بقولي : « المطبوع » أو « المخطوط » .

١٧ - قمت بعمل فهرس توضيحية ذيلت بها الرسالة تيسر للاستفادة منها وهي : فهرس الآيات ، والأحاديث ، والآثار ، وذكرت اسم صاحب الأثر أمامه بوضعه بين قوسين ، كما وضعت فهرسا للأعلام ، والمصطلحات والكلمات الغريبة ، والأماكن والبلدان والآيات الشعرية ، والمراجع ، ورتبتها على حروف المعجم إلا فهرس الآيات فرتبتها حسب ترتيب ورودها في المصحف ، كما قمت بعمل فهرس تفصيلي للموضوعات يكشف عن أبوابه وفصوله ومباحثه وأهم مسأله مع ذكر مواضعها من البحث .



كلمة الشكر والتقدير

أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأشكره على مزيد نعمه عليّ التي لا تحصى ولا تعد ، ومن أعظمها بعد نعمة الإسلام ، نعمة طلب العلم في مدينة رسول الله ﷺ منبع الإسلام والنور والإيمان ، وتيسيره لي على إنجاز هذا البحث من غير حول ولا قوة مني بل بتوفيقه وفضله ومنته .
فאלلهم لك الحمد وحده لا شريك لك ، حمدا كثيرا طيبا مباركا ، وشكري لك من نعمك .

ثم أتوجه بالشكر الجزيل للقائمين على الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وعلى رأسهم معالي مديرها شيخي الدكتور : صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود على ما شرفوني به من الانتساب لهذه الجامعة المباركة ، ولقسم العقيدة على وجه الخصوص ، وتلقي العلم النافع في رحابها ، على يد مشائخ أجلاء ابتداءً من المرحلة المتوسطة إلى هذه المرحلة ، فشكر الله لهم سعيهم ذلك ، وجزاهم الله عني وعن إخواني طلبة العلم خير الجزاء .

كما أُرْجِي عظيم الشكر والتقدير لفضيلة شيخي الدكتور : أحمد بن عطية الغامدي - حفظه الله - المشرف على رسالتي على ما أولاني به من رعاية ومودة وقد استفدت من توجيهاته الكريمة ، وملاحظاته النافعة ، واستدراكاته القيمة ، مع رحابة الصدر والتواضع ، الأمر الذي كان له أكبر الأثر على إنجاز هذه الرسالة ، رغم صعوبة موضوعها وطوله فجزاه الله خيرا .

كما أشكر فضيلة الدكتور عبد الرزاق بن الشيخ عبد المحسن العباد - وفقه الله - الذي أشار عليّ باختيار موضوع الرسالة وعنوانه وذكر لي فائدته وأهميته وقد كنت أصرف نفسي عنه لصعوبته ولظني أنني لا أجد فيه مادة علمية تكفي لبناء رسالة علمية إلا أنه بعد القراءة فيه سنة كاملة تبين لي طول الموضوع حيث أنه يصلح لأن

يكتب فيه رسائل متعددة فضلا عن رسالة واحدة !
وأشكر فضيلة شيخي الدكتور : صالح بن سعد السحيمي - وفقه الله - الذي
أعتبره كالوالد لتقديره طلبه العلم وحرصه على إفادتهم والسعي على راحتهم ،
وتقديم النصح لهم ، وكم وقف معي في صعاب فجزاه الله خيرا ، وجعل ذلك في
موازن حسناته .

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميدها ووكيلها
ووكيل الدراسات العليا بالكلية ، والقائمين على قسم العقيدة على وجه الخصوص
وعلى رأسهم رئيس قسم العقيدة فضيلة الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي وفقه الله .
كما أشكر المناقشين الفاضلين العالمين الجليلين فضيلة الأستاذ الدكتور : ناصر بن
عبد الكريم العقل رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية بالرياض ، وفضيلة الأستاذ الدكتور : عبد الرزاق البدر أستاذ
العقيدة بالجامعة الإسلامية على قبولهما مناقشة رسالتي وقراءتها في الوقت المناسب
مع طولها وكثرة أعمالهما وقد استفدت من ملاحظتهما وتوجيهاتهما فجزاهما الله
خيرا .

ولا أنسى أن أشكر كل من قدم لي نصيحة ، أو توجيهها ، أو إعارة كتاب ، أو دعوة
خالصة من مشائخي الأجلاء ، وأساتذتي الفضلاء الذين يصعب ذكر أسمائهم في
هذا المقام لكثرتهم فبارك الله فيهم وجزاهم خير الجزاء .

كما أشكر إخواني طلبه العلم الزملاء لاسيما طلاب قسم العقيدة الذين أمضيت
معهم سنوات عديدة مباركة في تلقي العلم المستمد من الكتاب والسنة ، واستفدت
منهم فجزاهم الله خيرا .

وفي الختام فإنني لا أدعي أنني وفيت الموضوع حقه ، وذلك بسبب صعوبته ، وكثرة
طوائفه وتشعب مسائله وطوله ، ولما يعتريني من ضعف البشر ، وقصر النظر ، فما

كان فيه من صواب فهو بمحض فضل الله عليّ ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي
واستغفرا لله من ذلك ، ولأعدمت أختا ناصحا يدلني على ذلك لاستدراكها ، فإنني
أشكره ، وأدعو له أن يجزيه الله خيرا .
والحمد لله أو لا وآخرا ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم
أجمعين .



التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بأهل السنة وبيان بعض ألقابهم

المبحث الثاني : التعريف بالتشبيه وبيان الألفاظ المشاركة له في

المعنى

المبحث الثالث : منهج أهل السنة في صفات الله على سبيل

الإجمال

المبحث الأول التعريف بأهل السنة وبيان بعض ألقابهم

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى السنة في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني : التعريف بأهل السنة

المطلب الثالث : نشأة التسمية بأهل السنة

المطلب الرابع : بيان بعض أسماء أهل السنة وألقابهم

المطلب الأول

معنى السنة في اللغة والاصطلاح

أولا : السنة في اللغة

يدور معنى السنة في اللغة على الطريقة والسيرة حسنة كانت أو سيئة محمودة أو مذمومة ، فهي بالضم وفتح النون المشددة : الطريقة والسيرة حميدة كانت أو ذميمة وجمعها سُنَنٌ^(١).

ذكر ابن فارس^(٢) أن السنة السيرة ، وسنة رسول الله ﷺ سيرته .
قال الهذلي^(٣) :

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راضٍ سنةٌ من يسيرها^(٤)
وفي لسان العرب السنة : السيرة والطريقة حسنة كانت أو قبيحة^(٥). وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها ومنه قوله ﷺ : « من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فَعْمِلْ بها بعده ، كُتِبَ له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيءٌ . ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة ، فَعْمِلْ بها بعده ، كُتِبَ عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شيءٌ »^(٦).

(١) انظر : الصحاح للجوهري ٢١٣٨-٢١٣٩/٥ مادة « سَنَنٌ » .

(٢) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني من أئمة اللغة من مؤلفاته : « المجمل في اللغة »

و « معجم مقاييس اللغة » توفي سنة ٣٥٩ هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي ٨٠/٤ ومعجم

المؤلفين لعمر رضا كحالة ٤/٢ .

(٣) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه .

(٤) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦٠/٣-٦١ مادة « سَنَنٌ » .

(٥) انظر : لسان العرب : لابن فارس ٢٢٥/١٤ مادة « سَنَنٌ » .

(٦) روه مسلم في كتاب العلم ٢٠٥٩/٤ ح ١٠١٧ .

فمعنى السنة في اللغة عام يطلق على الطريقة والسيرة حسنة كانت أو سيئة وقد يقيد بما يدل على أحدهما فيميز بالوصف كما في الحديث السابق ، أو بالإضافة كما إذا أضيفت إلى ممدوح فهي سنة حسنة كقول الله تعالى : ﴿ سُنَّةٌ مِّن قَدِّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٧] أو شيء سيئ مذموم كما في قوله ﷺ : « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، فقلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ، قال : فمن » (١) !!

فمعنى السنة في اللغة عام لكنه يعرف من سياق الكلام سواء كان حسنا أو مذموما .

ثانيا : معنى السنة في الاصطلاح

للعلماء تعريفات للسنة حسب العلم الذي يُبحث فيه مثل الحديث والفقه والأصول فالسنة عند المحدثين : ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة تخلقية أو خلقية أو سيرة ، سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها . (٢) إذ غرضهم معرفة ما كان عليه النبي ﷺ في أحواله كلها ، سواء أفاد حكما شرعيا أو لم يفد (٣) .

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٦/

٥٧١ ح ٣٤٥٦ ومسلم في كتاب العلم انظر : صحيح مسلم ٤/٢٠٥٤ ح ٢٢٦٩ .

(٢) انظر : فتح الباري ١٣/٢٥٩ وقواعد التحديث للقاسمي ص/٦١-٦٢ وتوجيه النظر إلى أصول

أهل الأثر لطاهر بن صالح الجزائري ص/٢ والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور :

مصطفى السباعي ص/٤٧ . وأصول الحديث علومه ومصطلحاته للدكتور : محمد عجاج

الخطيب ص/١٩ ولحات في أصول الحديث للدكتور : محمد أديب صالح ص/٣١ .

(٣) تدريب الراوي ١/٤٠-٤١ أصول الحديث لمحمد عجاج الخطيب ص/١٩ ومنهج الاستدلال على

مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي حسن ١/٨٢-٨٣ .

والسنة عند الفقهاء : ماثبت عن النبي ﷺ من حكم هو دون الواجب والفرض وهي ما يُرادف المستحب^(١) فهي تُقابل عندهم الواجب . قال الخطيب البغدادي رحمه الله^(٢) : « وقد غلب على ألسنة الفقهاء أنهم يطلقون السنة فيما ليس بواجب ، فينبغي أن يُقال في حد السنة : إنها ما رُسم ليحتذى به استحباباً »^(٣) وقال الحافظ ابن حجر^(٤) في تعريف السنة عند الفقهاء : « وفي إصطلاح بعض الفقهاء ما يرادف المستحب »^(٥) .

والسنة عند الأصوليين : ما نُقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير^(٦) . وذلك لأنهم عُنوا بمصادر الشريعة ، ومناهج استنباط الأحكام وأخذها من النصوص ،

(١) انظر : العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى ١٦٦/١ وفتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٤٥-٢٤٦ وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ص/٦٧ والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور : مصطفى السباعي ص/٤٨ وأصول الحديث للدكتور : محمد عجاج الخطيب ص/١٩ .

(٢) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المعروف بالخطيب البغدادي ، الإمام المحدث المؤرخ الأصولي ، صاحب التصانيف الكثيرة منها : « تاريخ بغداد » و « الكفاية في علم الرواية » و « شرف أصحاب الحديث » توفي سنة ٤٦٣ هـ . انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٩٢-٩٣ ومعجم المؤلفين لعمرضا كحالة ٣/٢ .

(٣) كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١/٨٦ .

(٤) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني العلامة الحافظ من مصنفاته : « فتح الباري شرح صحيح البخاري » و « لسان الميزان » وغيره توفي سنة ٨٢٥ هـ . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٧/٢٧١ والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ١/٧٨ .

(٥) انظر كتابه : فتح الباري ١٣/٢٥٩ .

(٦) انظر : الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١/١٥٦ ، وإرشاد الفحول للشوكاني ص/٦٧ والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور : مصطفى السباعي ص/٤٧ وأصول الحديث للدكتور : محمد عجاج الخطيب ص/١٩ ولحقات في أصول الحديث للدكتور : محمد أديب صالح ص/٣١ .

فنظروا إلى السنة من جهة كونها مصدرًا أو دليلاً ولهذا يطلقون عليها اسم الدليل^(١)، والذي يهمننا في هذا المقام معرفة السنة كدلالة على اتجاه معين في الاعتقاد إذ السنة قد أُطلقت بعد نشأة البدع وأريد بها ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في مسائل الاعتقاد. ويدل على ذلك ما ذكره الأئمة كالإمام ابن الصلاح^(٢) رحمه الله أن السنة ضد البدعة^(٣). وكذلك ما ذكره الإمام الشاطبي^(٤) رحمه الله بأنه يُقال: فلان على السنة إذا عمل على وفق ما كان عليه النبي ﷺ، كما يقال: فلان على البدعة إذا عمل على خلاف ذلك^(٥)!! فالسنة كما ذكر الإمام ابن رجب^(٦) رحمه الله هي: الطريقة التي كان عليها

- (١) انظر: الأحكام في أصول الأحكام للآمدي ١٥٦/١-١٥٧-١٥٩ ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي بن حسن ٨٣/١.
- (٢) أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن بن موسى النصيري الكردي المعروف بابن الصلاح الفقيه الشافعي قال عنه الإمام الذهبي: «وكان سلفياً حسن الاعتقاد كافاً عن تأويل المتكلمين مؤمناً بما ثبت من النصوص غير خائض ولا متعمق» توفي سنة ٦٤٣هـ انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٤٣/٣ وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٣٠/٤.
- (٣) انظر: فتاوى ابن الصلاح ص/٧٣ وضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٣٦/٤.
- (٤) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الفرناطي المالكي المشهور بالامام الشاطبي الفقيه الأصولي من مصنفاته: «المواقفات في أصول الأحكام» و«الاعتصام» توفي سنة ٧٩٠هـ انظر: معجم المؤلفين ١١٨/١.
- (٥) انظر كتابه: «المواقفات في أصول الشريعة ٤/٤» وراجع: إرشاد الفحول للشوكاني ص/٦٧ وأصول الحديث للدكتور: محمد عجاج الخطيب ص/٢٤-٢٥ ولحاح في أصول الحديث للدكتور: محمد أديب صالح ص/٣٢.
- (٦) أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الشهير بابن رجب الإمام الحافظ المحدث الفقيه، من مصنفاته: «ذيل طبقات الخنابلة» و«فضل علم السلف على الخلف» توفي سنة ٧٩٥هـ انظر: شذرات الذهب ٣٣٩/٦ ومعجم المؤلفين ١١٨/٥.

النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال ، وكان السلف قديما لا يطلقون السنة إلا على ما يشمل ذلك كله (١).

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن أبي الحسن الكرجي (٢) أن السنة هي : طريقة رسول الله ﷺ والتسنن بسلوكها وإصابتها وهي أقسام ثلاثة : أقوال وأعمال وعقائد (٣) فلفظ السنة في كلام السلف عام يتناول السنة في العبادات ، وفي الاعتقادات (٤).

وقد أطلق بعض علماء السلف المتقدمين السنة فيما يخص مسائل الاعتقاد من ذلك ما روي عن سفيان بن عيينة رحمه الله (٥) أنه قال : « السنة عشرة فمن كنَّ فيه استكمل السنة ، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة : إثبات القدر ، وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة ، والميزان ، والصراط ، والإيمان قول وعمل ، والقرآن كلام الله ، والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم » (٦).

فهذه الأمور التي ذكرها سفيان بن عيينة رحمه الله وأطلق عليها السنة كلها من مسائل الاعتقاد .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : « القول في السنة التي أنا عليها ، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث ، الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك

(١) انظر كتابه : جامع العلوم والحكم ١٢٠/٢

(٢) أبو الحسن محمد بن أبي طالب عبد الملك بن محمد الكرجي الإمام المحدث انظر : الأنساب للسمعاني ٤٧/٥ .

(٣) انظر : نقض المنطق ضمن مجموع الفتاوى ١٨٠/٤

(٤) انظر : رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ص/١٠٩ .

(٥) أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ثم المكي قال عنه الامام ابن حجر : ثقة حافظ إمام حجة توفي سنة ١٩٠ هـ انظر : تقريب التهذيب لابن حجر ٣١٢/١ .

(٦) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٠٥٠-١٠٦ رقم ٣١٦/

وغيرها ، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف يشاء ...»^(١) وذكر بعض مسائل الاعتقاد .

وذكر الامام أحمد رحمه الله أصول السنة ومنها التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاعتداء بهم ، وترك البدع وكل بدعة ضلالة ، وترك الخصومات ، والجلوس مع أهل الأهواء وترك المرء والجدال ، والخصومات في الدين ، ثم ذكر الإيمان بالقدر خيره وشره والإيمان بالميزان ، والحوض وعذاب القبر ، وشفاعة النبي ﷺ ، وذكر عدداً من مسائل الاعتقاد^(٢) .

فالسنة في عرف كثير من علماء أهل السنة والجماعة كما ذكر الإمام ابن رجب رحمه الله عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكذا في مسائل القدر ، فضائل الصحابة وغيرها من مسائل الاعتقاد ، ولذا صنفوا في هذه المسائل تصانيف وسموها كتب السنة^(٣) ، وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا هلكة^(٤) !!



(١) ذكره الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٥٩ .

(٢) المرجع نفسه ١/١٥٦-١٥٧ رقم/٣١٧ .

(٣) مثل كتاب : السنة لكل من الإمام أحمد ، وابن أبي عاصم ، وعبد الله بن الإمام أحمد ، والحلال ، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وغيرها .

(٤) انظر كتابه : كشف الكربة ص/٥٨-٥٧ وجامع العلوم والحكم ٢/١٢٠ .

المطلب الثاني

التعريف بأهل السنة

أهل الشيء هم أخص الناس به يُقال في اللغة : أهل الرجل أخص الناس به وأهل البيت سكانه ، وأهل الأمر ولاته ، وأهل المذهب من يدين به^(١) .
فمعنى أهل السنة هم : أخص الناس تمسكاً بها ، واتباعاً لها اعتقاداً ، وقولاً وفعلاً .
وإذا أُطلق مصطلح أهل السنة فالمراد به أحد معنيين :

المعنى الأول : معنيّ عاماً فيدخل فيه كل ما سوى الرفضية^(٢) من الطوائف المنتسبة إلى الإسلام .

فيقال المنتسبون للإسلام قسمان : أهل السنة والشيعة كما بين شيخ الإسلام رحمه الله وهذا هو المعنى المشهور عند العامة ، فإنهم لا يعرفون ضد السني إلا الرفضية ، فإذا قال أحدهم : أنا سني فإنما معناه عندهم : لست رافضياً^(٣) .
وقد ورد عن بعض السلف ما يشير إلى هذا المعنى ، فقد سئل سفيان

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٥٠/١ ولسان العرب لابن منظور ٢٩/١١ مادة « أهل » .
(٢) سموا بذلك كما ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري لرفضهم إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وذكر شيخ الإسلام أنهم سموا بذلك لما خرج زيد بن علي بن الحسين من الكوفة في خلافة هشام بن عبد الملك ، فسأله الشيعة عن الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فترحم عليهما ، فرفضه قوم ، فقال : رفضتموني رفضتموني فسموا رافضة ، وتولاه قوم فسموا زيدية . ولاخلاف بين القولين فشيخ الإسلام رحمه الله راعى الناحية التاريخية ، وذلك لأن رفض إمامة الشيخين قد وجد عند بعض فرق الشيعة كالسبئية ونحوها قبل خلافتهم على زيد بن علي ، ولم يُوجد اللقب إلا بعد إعلانهم مفارقة زيد ، وقوله لهم رفضتموني ، فسموا بذلك رافضة . انظر : مقالات الإسلاميين ٨٩/١ ومنهاج السنة النبوية ٩٦/٢ وأصول مذهب الشيعة الإمامية ١٠٨/١ .

(٣) انظر : مجمل الاعتقاد لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٣٥٦/٣ ومنهاج السنة النبوية ١٢١/١ .

الثوري^(١) رحمه الله : يا أبا عبد الله ما موافقة السنة ، فقال « القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود من قال غير هذا فهو كافر ، والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ولا يجوز القول إلا بالعمل ، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية ، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة .

قال شعيب^(٢) نقلت له : يا أبا عبد الله وما موافقة السنة : قال : تقدمت الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما » .^(٣)

فأخرج بإجابته الأخيرة الروافض من موافقة السنة الذين يرفضون إمامة الشيخين فضلا عن تقديمهما ، فدل ذلك على أن غير الروافض من الطوائف المنتسبة إلى الإسلام يطلق عليهم أهل السنة في مُقابل الرافضة !!

المعنى الثاني : معنى أخص وهو ما يُقابل المبتدعة وأهل الأهواء وهو الأكثر استعمالا وعليه كتب الجرح والتعديل ، فإذا قالوا عن الرجل إنه من أهل السنة فالمراد بذلك ليس من الطوائف المبتدعة من أهل الكلام^(٤) وغيرهم ، فمن خاض في علم الكلام المذموم فليس من أهل السنة حتى يضع الجدل والأقيسة الفاسدة الكلامية

(١) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، ثقة حافظ فقيه توفي سنة ١٦١ هـ انظر :

تقريب التهذيب ٣١١/١ ومعجم المؤلفين ٢٣٤/٤ .

(٢) أبو صالح شعيب بن حرب المدائني نزيل مكة ثقة عابد توفي سنة ١١٧٩ هـ انظر : تقريب

التهذيب ٤١٩/١ .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٥٢/١ رقم ٣١٤ .

(٤) هم الطوائف الذين ارتضوا علم الكلام المذموم وقواعده الفلسفية منهجا في الاستدلال على

مسائل الاعتقاد ومن أشهرهم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ، فكل من ارتضى الأصول الكلامية

كما ذكر شيخ الإسلام سواء من انتسب إلى هذه الفرق أو غيرها صحح أن يطلق عليه أنه متكلم

وهو مشارك لهم في الذم على قدر موافقته لهم انظر : مجموع الفتاوى ٨-٧/٢ . ورسالتني منهج

السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ٣٧-٣٦/١ .

والمصطلحات الفلسفية التي عارض بها المتكلمون وحي الله ، ويسلم للوحي معتزليا^(١) كان أو أشعريا^(٢) ، أو ماتريديا^(٣) !!

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن أهل السنة يُراد بهم جميع الطوائف إلا الرافضة بمعناه العام ، وقد يُراد به بمعناه الخاص أهل الحديث والسنة المحضة ، فلا يدخل فيهم إلا من يثبت الصفات لله تعالى ، ويقول : القرآن غير مخلوق ، وأن الله يُرى في

(١) سمي المعتزلة بذلك نسبة إلى واصل بن عطاء الذي اعتزل حلقة الإمام الحسن البصري رحمه الله وقال : بالمنزلة بين المنزلتين في حكم مرتكب الكبيرة فسمي هو وأتباعه المعتزلة ، وهم من أشهر الفرق الكلامية غلوا في تقديم ماسموه العقل على صحيح المنقول ، ونفي صفات الله تعالى وهم فرق وطوائف يجمعهم القول بالأصول الخمسة التي جعلوها أصول دينهم وعارضوا بها الوحي . قال الجاحظ المعتزلي : « وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا اكتملت في الإنسان هذه الخصال فهو معتزلي » انظر : الانتصار للخياط ص/ ١٢٦ ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ٢٣٥/١ والفرق بين الفرق للبغدادي ص/ ٩٣ والملل والنحل للشهرستاني ٤٣/١ .

(٢) الأشاعرة : طائفة من أهل الكلام ينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري الذي كان معتزليا ، ثم انتقل إلى مذهب ابن كلاب ، ثم من الله عليه بالرجوع إلى مذهب السلف ، فلقب الأشاعرة كما ذكر الشيخ محمد أمان رحمه الله ينصرف عند الإطلاق إلى الذين إتبعوا أبا الحسن الأشعري في فترة انتسابه إلى مذهب ابن كلاب ، ولذا يطلق عليهم أحيانا « الأشاعرة الكلامية » وقد اتفقوا مع المعتزلة في كثير من الأصول الكلامية وتعطيل معظم الصفات انظر : الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ص/ ٣٥ .

(٣) الماتريديّة : من طوائف أهل الكلام ، أتباع أبي منصور الماتريدي ، ويتفقون مع الأشاعرة في معظم الأصول الاعتقادية ، والخلاف بينهم قليل ومحصور . ولمعرفة الفرق بينهم وبين الأشاعرة راجع : نظم الفوائد وجمع الفوائد في بيان مسائل الخلاف بين الماتريديّة والأشاعرة في العقائد لعبد الرحيم بن علي الشهير بالشيخ زاده . والماتريديّة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات لشمس الدين الأفقاني ٣٧٧/١-٣٩٤ .

الآخرة ويثبت القدر ، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة^(١) .
وعلى هذا فلا يدخل في هذا المعنى الخاص من لم يسلك منهج أهل السنة
والجماعة في جميع أمور الدين علما وعملا واعتقادا ، وينبذ منهج أهل البدع
لاسيما في مسائل الاعتقاد وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته
إثباتا وتنزيها ولا يكفي في الدخول في معنى أهل السنة بمعناه الخاص رواية الحديث
وشرحه ما لم يلتزم بما فيه على منهج أهل السنة علما وعملا واعتقادا .

سئل الإمام ابن الصلاح^(٢) رحمه الله عن معنى ما وصف به الإمام مالك رحمه الله
من أنه جمع بين السنة والحديث ، وعن الفرق بين السنة والحديث ، فأجاب رحمه الله
بقوله « السنة ضد البدعة ، وقد يكون الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع ،
ومالك رضي الله عنه جمع بين السنتين ، فكان عالما بالسنة أي الحديث ، ومعتقدا
السنة . أي : كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة ، والله أعلم . »^(٣) !!
فأهل السنة هم : المتمسكون بسنة رسول الله ﷺ الذين اجتمعوا على ذلك وهم
الصحابة والتابعون وأئمة الهدى المتبعون لهم ، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد
والقول والعمل بإحسان إلى يوم الدين ، الذين استقاموا على الاتباع وجانبوا الابتداع
في أي زمان ومكان^(٤) .

فكل متمسك بالكتاب والسنة وبما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين
والأنصار فهو من أهل السنة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه قال الله تعالى في

(١) انظر : منهاج السنة النبوية ٢/٢٢١ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٤٢/١ .

(٣) انظر فتاوى ابن الصلاح ص/ ٧٣ وضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٤/٣٦ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص/ ٣٣٠ ورسائل في العقيدة للشيخ محمد

صالح العثيمين ص/ ١٣-١٤ .

وصفهم : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .. ﴾ [التوبة : ١٠٠]
فمن وافق منهجه منهج أصحاب رسول الله ﷺ في جميع أمور الدين ولاسيما مسائل الاعتقاد فهو من أهل السنة ، ومن خالفهم فهو من أهل الأهواء والبدع فيما خالف فيه ، وليس من أهل السنة المحضة .

وذكر الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي^(١) رحمه الله الفرقة الناجية التي استثناهما النبي ﷺ في الحديث من الفرق الهالكة ، وهي أهل السنة والجماعة المتبعة للسنة المجانبة للبدع فقال : « فأهل السنة المحضة السالمون من البدع - هم - الذين تمسكوا بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في الأصول كلها أصول التوحيد والرسالة والقدر ، ومسائل الإيمان وغيرها ، وغيرهم من خوارج ومعتزلة وجهمية وقدرية ورافضة ومرجئة ومن تفرع عنهم كلهم من أهل البدع ... »^(٢) .
وقد دأب الأشاعرة والماتريدية على تسمية أنفسهم أهل السنة^(٣) وهذا صحيح إذا

(١) أبو عبدالله عبد الرحمن بن ناصر بن حمد السعدي التيمي ، العلامة الإمام المفسر الفقيه الأصولي المحقق من مصنفاته : « تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان » و « الإرشاد إلى معرفة الأحكام » توفي سنة ١٣٧٦هـ انظر : معجم المؤلفين ٣٩٦/١٣ والأعلام للزركلي ٣/٣٤٠ وترجم له الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد ترجمة وافية في كتابه : الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة ص/١٣-١٦ .

(٢) الفتاوى السعدية للشيخ عبد الرحمن السعدي ص/٧٤ .

(٣) كما فعل الإمام أبو بكر الباقلاني في كتابه الإنصاف فيما يجب إعتقاده ولايجوز الجهل به انظر : ص/١٠٨ وأبو منصور البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق ص/٢٦ والجويني في كتابه لمع الأدلة ص/٧٥ والرازي في كتابه معالم أصول الدين ص/٦٥ والبيجوري في كتابه تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص/٣٠-٣١ والدكتور البوطي في كتابه كبرى اليقينيات الكونية ص/١٢٥ والدكتور الشكعة في كتابه إسلام بلا مذاهب ص/٤٩٤ و٤٩٦ والدكتور جلال محمد موسى في كتابه نشأة الأشعرية وتطورها ص/٩٥ وألف الدكتور : علي عبد الفتاح مغربي =

كان في مقابل الرافضة كما تقدم ، لأنهم في موضوع الصحابة والخلفاء ، وبعض مسائل الاعتقاد موافقون لأهل السنة ، لكن في مسائل الصفات ليسوا من أهل السنة بل هم من أهل الكلام المذموم في هذا الجانب ، وكذا في طريقتهم في إثبات وجود الله ووحدانيته وإهمالهم توحيد العبادة الذي هو أساس دين الإسلام^(١) ! ويجعل بعض الكتاب أهل السنة ثلاثة أصناف : السلف ، والأشاعرة والماتريدية^(٢) . وأغرب من هذا من يجعل أهل السنة ثمانية أصناف كما فعل عبدالقاهر^(٣) البغدادي^(٤) وتبعه بعض الكتاب المعاصرين كعمر رضا كحالة^(٥) والدكتور راجح الكردي^(٦) حيث أدخلوا في ذلك بعض الفرق المبتدعة

= كتابا سماه : « إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي » فجعل الماتريدي إماما لأهل

السنة وهو من كبار أئمة أهل الكلام المذموم !!!

(١) وقد بينت ذلك في رسالتي منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل انظر : ١ / ٣٥٦-٣٥٩ و٤٣٧ وما بعدها .

(٢) كما فعل : الإمام السفاريني انظر كتابه : لوامع الأنوار البهية ٧٣/١ وجعل القاضي عضد الدين الإيجي أهل السنة الفرقة الناجية ثلاثة أصناف : الأشاعرة ، والسلف المحدثون ، وأهل السنة والجماعة انظر كتابه : المواقف في علم الكلام ص / ٤٢٩ وتبعه على ذلك العلامة زين العابدين الكوراني في كتابه : اليمانيات المسلوطة انظر ص / ١٤١-١٤٢ وقسم الدكتور : راجح الكردي أيضا أهل السنة إلى ثلاث فرق كما فعل السفاريني في كتابه : علاقة صفات الله بذاته انظر : ص / ٣٠ .

(٣) أبو منصور عبد القاهر بن محمد البغدادي الفقيه الشافعي المتكلم الأشعري من مصنفاته : « أصول الدين » و « الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم » توفي سنة ٤٢٩ هـ انظر : وفيات الأعيان ٢٠٣/٣ وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٧٢ .

(٤) انظر كتابه : الفرق بين الفرق ص / ٢٧٦ .

(٥) في كتابه الفلسفة الإسلامية وملحقاتها ص / ١٤٦ .

(٦) في كتابه : علاقة صفات الله بذاته انظر : ص / ٣٠ .

المخالفة لأهل السنة في المسائل العلمية والعملية كالأشاعرة والصوفية^(١) وهذا كله مجاني للصواب فإن أهل السنة جماعة واحدة لاجتماعات ، ومنهجهم في جميع أمور الدين لاسيما مسائل الاعتقاد منهج واحد مستمد من الوحي المبين .

علق الشيخ عبد الله بابطين^(٢) على تقسيم السفاريني^(٣) لأهل السنة إلى سلف وأشاعرة وماتريدية بقوله : « تقسيم أهل السنة إلى ثلاث فرق فيه نظرفالحق الذي لا ريب فيه أن أهل السنة فرقة واحدة ، وهي الفرقة الناجية التي بينها النبي ﷺ حين سُئِلَ عنها بقوله : « هي الجماعة »^(٤) وفي رواية : « من كان على مثل ماأنا عليه اليوم وأصحابي »^(٥) . وبهذا عُرف أنهم هم المجتمعون على ماكان عليه النبي ﷺ وأصحابه ولا يكونون سوى فرقة واحدة »^(٦) .

ثم ذكر أن السفاريني نفسه لما ذكر في المقدمة هذا الحديث قال في منظومته :

- (١) سيأتي التعريف بالصوفية وبيان قولهم بمقالة التشبيه على وجه التفصيل انظر : ص/١٨٨ و٨٣٢ .
- (٢) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله الباطنين العلامة ، ولي قضاء الطائف والوشم والقصيم من مصنفاته : « اختصار بدائع الفوائد لابن القيم » و « تأسيس التقديس في الرد على ابن جرجيس » توفي سنة ١٢٨٢هـ انظر : علماء نجد للسام ٥٦٧/٢-٥٧٥ .
- (٣) أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، كان عالماً بالحديث والأصول والأدب من مصنفاته : « لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدررة المضية في عقيدة الفرقة المرضية » توفي سنة ١١٨٨هـ انظر : الأعلام ١٤٠/٦ ومعجم المؤلفين ٢٦٢/٨ .
- (٤) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن ١٣٢٢/٢ ح ٣٩٩٣ وصححه الألباني انظر : صحيح ابن ماجه ٣٦٤/٢ .
- (٥) رواه الترمذي في كتاب الإيمان ٢٦٥/٥ ح ٢٦٤١ وقال عنه شيخ الإسلام : « الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم . . . » انظر كتابه : مجمل إعتقاد السلف ضمن مجموع الفتاوى ٣/٣٤٥ وحسنه الشيخ الألباني انظر : صحيح الترمذي ٢/٣٣٤ ح ٢١٢٩ .
- (٦) انظر : تعليقاته على لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/٧٣ الهامش رقم ٤/ .

وليس هذا النض جزماً يُعتبر في فرقة إلا على أهل الأثر^(١).
يعني بذلك : الأثرية ، وبهذا عُرف أنَّ أهل السنة والجماعة هم فرقة واحدة^(٢).
متمسكون في جميع أمور الدين العلمية والعملية بما كان عليه النبي ﷺ ، وليس
لهم شخص يجعلونه أسوة لهم إلا رسول الله ﷺ ، وبهذا سلموا من البدع ونجوا
من الضلال وفازوا برضوان الله تعالى .

وذكر السفاريني في كتابه « لوائح الأنوار السننية ... » في معرض بيانه الفرقة
الناجية على أن بعض الأئمة قالوا : « هم أهل الحديث يعني : الأثرية ، والأشعرية ،
والماتريدية » ثم رد على هذا الكلام بقوله : « وجوهر الحديث ولفظه وهو قوله فرقة
واحدة ينافي التعدد » .

لكن عاد مرة أخرى فنقض رده هذا حيث ذكر أن الفرقة الناجية أهل السنة المراد
بهم : الأثرية والأشعرية والماتريدية ذكر ذلك في مواضع من كتابه المذكور^(٣).
وهذا مجانِب للصواب إذ كيف يمكن أن تكون الفرقة الناجية ثلاث فرق !



(١) المرجع نفسه ٧٦/١ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٧٣/١ هامش رقم ٤ .

(٣) انظر : لوائح الأنوار السننية ١/١٤١-١٤٢ و ٢٦٠ و ٢/١٥ و ١٧٨-١٧٩ .

المطلب الثالث

نشأة التسمية بأهل السنة

تطلق هذه التسمية على جماعة معينة ذات اتجاه واعتقاد متميز تُقابلها فرق أُخرى مبتدعة خارجة على منهجها المستمد من الوحي ، فقد كان ظهور هذا الاسم بعد ظهور الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، حيث ظهرت الخوارج والشيعية والقدرية ومما يدل على ذلك قول الإمام ابن سيرين^(١) رحمه الله : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سمو لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم »^(٢)

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله سبب تميز طائفة أهل السنة بهذا الاسم بعد ظهور الفرق بقوله : « وطريقتهم هي دين الإسلام ، لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة^(٣) صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة »^(٤).

فَعَلِمَ بهذا أن التمييز باسم أهل السنة وإطلاق هذا الاسم على جماعة معينة متمسكة بالكتاب والسنة ، خالصة من البدع ظهر لما حدث الافتراق الذي أخبر عنه النبي ﷺ في عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن أغرب الآراء في نشأة التسمية بأهل السنة ما ذكره الدكتور مصطفى الشكعة من أن لقب أهل السنة أُطلق أول ما أُطلق على جماعة الأشاعرة ومن نحا نحوهم

(١) أبو بكر محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء من كبار التابعين أدرك نحو ثلاثين صحابياً ،

توفي سنة ١١٠ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٦/٤ و٦/٦ والأعلام ٦/١٥٤ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في المقدمة على صحيحه ١٥/١ . .

(٣) تقدم تخريجه قريباً .

(٤) العقيدة الواسطية لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٣/١٥٩ .

ثم اتسعت دائرته فشملت أصحاب المذاهب والفقهاء من أمثال الشافعي ومالك وأبي حنيفة والأوزاعي^(١) وأهل الرأي والقياس والإجماع^(٢)!!
وهذا الرأي مجانب للصواب نابع من محاولة الأشاعرة اعتبار مذهبهم هو مذهب أهل السنة وقد سبق تفنيد ذلك وبيان بطلانه قريبا ، كما اتضح مما تقدم أن لقب أهل السنة ظهر في زمن ظهور الفرق المنحرفة عن منهج الصحابة في زمن علي ومعاوية رضي الله عنهما .

وأیضا فإن الدكتور الشكعة قد ذكر ما يناقض ما ذكره فإن مذهب الأشاعرة متأخر الظهور بعد الأئمة الذين ذكرهم ، فكيف دخلوا في دائرة اسم لم يطلق إلا بعد ظهور جماعة الأشاعرة في القرن الرابع الهجري^(٣)!!

بل كان التسمي بأهل السنة معروفا في عهد الصحابة كما تقدم ، وأن أهل السنة ومذهبهم كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله قديمٌ قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالك والشافعي وأحمد فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة^(٤).

وقد تقدم بيان عدم دخول الأشاعرة وغيرهم من أهل الكلام المذموم في لقب أهل السنة المحضة ، وتقدم أن أهل السنة طائفة واحدة متبعون للنبي ﷺ في جميع أمور دينهم لاسيما مسائل الاعتقاد ولذا سمو أهل السنة والجماعة .

(١) أبو عمر عبد الرحمن بن عمر بن محمد الأوزاعي إمام أهل الشام في عصره من التابعين حافظ فقيه توفي سنة ١٧٥هـ انظر : وفيات الأعيان ١٢٧/٣ و معجم المؤلفين ١٦٣/٥ .

(٢) انظر كتابه : إسلام بلا مذاهب ص/٤٩٦

(٣) لأن أبا الحسن الأشعري الذي تنتسب إليه الأشاعرة في طوره الكلابي توفي سنة ٣٣٠هـ . وهؤلاء الأئمة الذين ذكرهم توفوا قبله . !!!

(٤) انظر : منهاج السنة ٤٨٦/٢ .

المطلب الرابع

بيان بعض أسماء أهل السنة وألقابهم

ذكرت فيما تقدم المراد بأهل السنة ، وفي هذا المطلب سأبين بعض أسمائهم وألقابهم الأخرى كالجماعة ، وأهل الحديث ، والأثر ، والسلف ، وغيرها من الأسماء الشرعية المستنبطة من دلالة الكتاب والسنة وسلوك منهجها في العلم والعمل .

١- الجماعة

من الأسماء التي تطلق على أهل السنة « الجماعة » ومعناه في اللغة من الاجتماع وضده التفرق ، ويطلق في اللغة على القوم المجتمعين على أمر وهدف واحد^(١). وهذا الاسم من الأسماء التي يعرف بها أهل السنة ويأتي في الغالب مقرونا « بالسنة » فيقال : « أهل السنة والجماعة » .

قال شيخ الإسلام رحمه الله في مقدمة كتابه العقيدة الواسطية : « أما بعد : فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة »^(٢). وقد يُكتفى بأحدهما فيقال : « أهل الجماعة »^(٣) أو « أهل السنة » وهو المشهور فيدخل فيه معنى الجماعة لأنهم مجتمعون على الكتاب والسنة .

ولفظ « الجماعة » مأخوذ من قول النبي ﷺ في بيان الفرقة الناجية كما ورد في الحديث الذي رواه معاوية بن أبي سفيان وأنس بن مالك رضي الله عنهما وفيه : « ... وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ثنتان وسبعون في النار ،

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ٤٧٩/١-٤٨١ ولسان العرب ٦٠-٥٣/٨ مادة « جمع » والعقيدة

الواسطية لابن تيمية مع شرح الهراس ص/١٦٣ وضمن مجموع الفتاوى ١٥٧/٣ .

(٢) العقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرح الهراس ص/١٦ وضمن مجموع الفتاوى ١٢٩/٣ .

(٣) انظر /المرجع نفسه ١٥٧/٣

وواحدة في الجنة وهي الجماعة» (١).

وكما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إماماً ميتة جاهلية » (٢) وغيرهما من الأحاديث الواردة في الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الخروج عليها . وقد اختلف العلماء في المراد بالجماعة الواردة في الأحاديث على أقوال أهمها : أ - إن الجماعة هم الصحابة على الخصوص فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده ، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أبداً (٣).

قال الإمام الشاطبي (٤) رحمه الله : « فعلى هذا القول فلفظ « الجماعة » مطابق للرواية الأخرى في قوله ﷺ : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » (٥) . (٦)

ب - وقيل المراد هم السواد الأعظم من أهل الإسلام ، واستدلوا بقول النبي ﷺ في بعض روايات الحديث الذي أخبر فيه النبي ﷺ عن افتراق الأمة وفيه : « كلها في النار إلا السواد الأعظم » (٧) . (٨)

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب السنة عن معاوية بن أبي سفيان « ٥/٥٠٦ ح ٤٥٩٧ والإمام أحمد في

مسنده عن أنس بن مالك « ٣/١٢٠ وصححه الألباني انظر : السلسلة الصحيحة ١/٥٨١ ح ٣٠٤ . ٢٠٤ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الفتن ١٣/٥٠٤ ح ٧٠٥٤ وفي كتاب الأحكام ١٣/١٢١ ح ٧١٤٣ ومسلم

في كتاب الإمارة ٣/٤٧٧ ح ١٨٤٩ .

(٣) انظر : الاعتصام للشاطبي ٢/٧٧٢-٧٧٣ وفتح الباري ١٣/٤٠-٤١ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٤٢/١ .

(٥) تقدم عزوه انظر ١/٥١ .

(٦) الاعتصام للشاطبي ٢/٧٧٣ .

(٧) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١/١٠٣-١٠٤ ح ١٥٢ وذكر المحقق أنه ضعيف انظر :

الهامش رقم ٣ من ص ٤١/ج ١ .

(٨) انظر : الاعتصام ٢/٧٧٠ وفتح الباري ٤٠ .

ذكر الإمام ابن الأثير^(١) رحمه الله أن قوله ﷺ : « عليكم بالسواد الأعظم » المراد به جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك المنهج القويم^(٢) فذكر رحمه الله أمرين هامين في تفسير الجماعة بالسواد الأعظم وهما : سلوك المنهج الذي سلكه النبي ﷺ ومن إتبعه المستمد من وحي الله ، وطاعة ولي الأمر على هذا المنهج فهذين الأمرين يتم الاجتماع !!

ج - وقيل المراد بالجماعة هم : العلماء المجتهدون ، لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين^(٣) . قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه : « باب : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ وما أمر به النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم »^(٤) .

وذكر الإمام الترمذي^(٥) رحمه الله أن المراد بالجماعة عند أهل العلم هم : أهل الفقه والعلم والحديث^(٦) .

د - وقيل المراد بالجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع فيجب لزوم هذه الجماعة ، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها^(٧) . ويدل على

(١) أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري المحدث الفقيه من مصنفاته : « النهاية في غريب

الحديث والأثر » توفي سنة ٦٠٦ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٤٨٨/٢١ وشذرات الذهب ٢٢/٥ .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٤١٩/٢ .

(٣) انظر : الاعتصام للشاطبي ٧٧١/٢ وفتح الباري ٤١/١٣ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٣٢٨/١٣ .

(٥) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي ، من أئمة أهل الحديث

وحفاظه ، كان يضرب به المثل في الحفظ من مصنفاته : « سنن الترمذي » و « الشمائل النبوية »

توفي سنة ٢٧٩ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٣ والأعلام ٣٢٢/٦ .

(٦) انظر : سنن الترمذي ٤٠٥/٤ .

(٧) انظر : الاعتصام للشاطبي ٧٧٤/١ وفتح الباري ٤١/١٣ .

ذلك ماورد في حديث حذيفة بن اليماني^(١) رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم »^(٢).

هـ - وقيل إن المراد بالجماعة : موافقة الحق ولزومه كما قال عبد الله بن مسعود : « إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك »^(٣).

فهذه مجمل الأقوال في معنى الجماعة الواردة في الأحاديث والتي هي من أسماء أهل السنة ، والاختلاف الحاصل في ذلك بين العلماء اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ويمكن حصر الأقوال في أمرين :

أحدها : أمرٌ منهجي وهو ما عليه أهل السنة من الاتباع وترك الابتداع ، وهو المنهج المستقيم الواجب إتباعه والسير على منهجه ، وهذا هو تفسير الجماعة بالسواد الأعظم ، أو الصحابة ، أو أهل العلم والحديث ، أو الإجماع وموافقة الحق ولزومه ، فهذه الأمور كلها ترجع إلى معنى واحد وهو : ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فيجب الاتباع حيثئذ ولو كان المتمسك به قليلا .

والثاني : الاجتماع على أمير على مقتضى الشرع ليحكم بالمنهج المستقيم الذي سلكته طائفة أهل السنة والجماعة فيجب لزوم هذه الجماعة ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها^(٤).

ويدل على ذلك قول الإمام ابن الأثير الذي سبق ذكره في تفسير السواد الأعظم

(١) أبو عبد الله حذيفة بن حنبل بن جابر العبسي اليماني ، صحابي جليل كان صاحب سر رسول الله ﷺ « في المناقير ، توفي في المدائن سنة ٣٦ هـ انظر : الأعلام ١٧١/٢ .

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب التوحيد ٣٨/١٣ ح ٧٠٨٤ .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٠٩/١ رقم ١٦٠ . وراجع : الباحث إلى إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ١٩ .

(٤) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور : عبد الرحمن بن صالح المحمود ٣١/١ .

من أنهم معظم الناس المجتمعين على طاعة السلطان ، وسلوك المنهج القويم إذ بهذين الأمرين يقوم أمر الدين والدنيا .

وذكر الإمام أبو بكر بن العربي^(١) ما يدل على ذلك حين قال : « قوله - ﷺ - : « عليكم بالجماعة » يحتمل معنيين : يعني أن الأمة إذا اجتمعت على قول فلا يجوز لمن بعدهم أن يحدث قولاً آخر ، والثاني ، إذا اجتمعوا على إمام فلا تحل منازعته ولا خلعه »^(٢) . ومعنى ذلك أن الجماعة هم : المجتمعون على منهج واحد وهو الوحي يصدر من أمور دينهم العلمية والعملية ، فيجب التمسك بمنهجهم ولا يجوز إحداث قول أو منهج مخالف لهم .

كما أنهم إذا اجتمعوا على إمام وبايعوه ليحكم فيهم بهذا المنهج الذي سلكوه على مقتضى الشرع فيجب حينئذ طاعة هذا الإمام ، لأن بطاعته يستقيم أمر الدين والدنيا ويحرم الخروج عليه ، لأن في الخروج عليه فساد أمر الدين والدنيا .

٢- أهل الحديث

ومن الأسماء التي تُطلق على أهل السنة « أهل الحديث » والمراد بذلك المعنيون بحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية علما وعملا ، إذ لا يكفي للانتساب إلى أهل السنة مجرد رواية الحديث مالم يُهتدى به في جميع أمور الدين لاسيما مسائل الاعتقاد ، كما ذكر الإمام ابن الصلاح عندما سُئل عن الإمام مالك رحمه الله من أنه جمع بين السنة والحديث ، فأجاب رحمه الله : السنة ضد البدعة ، وقد يكون

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الأندلسي الإشبيلي من أئمة المالكية ، العلامة الفقيه رحل إلى المشرق وتلمذ على أبي حامد الغزالي ، وكان يقول : « شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر » من مصنفاته : « أحكام القرآن » توفي سنة ٥٤٣ هـ انظر : معجم المؤلفين ١٠/٢٤٢ وراجع درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٥/١ .

(٢) عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذي لابن العربي ١٠/٩ .

الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع ، ومالك رحمه الله جمع بين السنتين ، فكان عالماً بالسنة أي : الحديث ، ومعتقداً للسنة أي : كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة^(١) .

فالمقصود من أهل الحديث هم المهتدون بحديث رسول الله ﷺ علماً وعملاً باطناً وظاهراً كما بين ذلك شيخ الإسلام رحمه الله بقوله : « ونحن لانعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته ، بل نعني بهم كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً ، واتباعه باطناً وظاهراً »^(٢) .

فأهل الحديث بهذا المعنى هم أهل السنة المتمسكين بهدي نبيهم ﷺ المفارقين للبدع وأهلها وهم الذين على الحق المستوصى بهم قال أحمد بن سنان^(٣) كان الوليد الكرايسي^(٤) خالي ، فلما حضرته الوفاة قال لبيه : « تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ، قالوا : لا . قال : فتتهمونني ، قالوا : لا . قال : فإني أو صيكم أتقبلون ، قالوا : نعم . قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم »^(٥) . وروي عن هارون الرشيد^(٦) أنه قال : « طلبت أربعة فوجدتها في أربعة : طلبت

(١) انظر : فتاوى ابن الصلاح ص/٧٣ وضمن مجموعة الرسائل المنيرة ٣٦/٤ .

(٢) نقض المنطق لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٩٥/٤ .

(٣) أبو جعفر أحمد بن سنان بن أسد بن حبان الإمام الحافظ المجود الواسطي القطان قال فيه أبو حاتم رحمه

الله : « ثقة صدوق » توفي سنة ٢٥٨ هـ توفي سنة ٢٥٩ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ١٢/٢٤٤-٢٤٥ .

(٤) الوليد بن أبان الكرايسي المتكلم . انظر ترجمته : في سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٨ .

(٥) ذكره الخطيب البغدادي في كتابه شرف أصحاب الحديث ص/٥٦-٥٥ والذهبي في سير أعلام

النبلاء ١٠/٥٤٨ .

(٦) أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد الهاشمي

العباسي كان من أتبل الخلفاء ، وأحشم الملوك ، ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي توفي سنة

١٩٣ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٩/٢٨٦-٢٩٥ .

الكفر فوجدته في الجهمية ، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة ، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة ، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث ^(١) .
وتسمية أهل السنة بأنهم أهل الحديث أمر مستفيض عن السلف لأنه على مقتضى النصوص ، ووصفٌ للواقع والحال .

وقد ثبت ذلك عن أئمة السلف كابن المبارك ^(٢) ، وابن المديني ^(٣) ، وأحمد بن حنبل ، والبخاري ، وأحمد بن سنان وغيرهم رحمهم الله ، فقد قالوا في تفسير الطائفة المنصورة الواردة في الحديث هم أصحاب الحديث ^(٤) .
وسمى الإمام الصابوني ^(٥) رحمه الله كتابه : « عقيدة السلف أصحاب الحديث » وقال : « أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم ... » ^(٦) وذكر جُمَل اعتقادهم .

٣- أهل الأثر .

ومن الأسماء التي تطلق على أهل السنة « أهل الأثر » .

- (١) ذكره البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص/٥٥ .
- (٢) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح التميمي بالولاء الإمام الحافظ الفقيه القدوة المجاهد توفي سنة ١٨١هـ نظر : تهذيب التهذيب ٣٨٢/٥ وشذرات الذهب ٢٩٥/١ .
- (٣) أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم البصري الإمام المحدث الحافظ توفي سنة ٤٨٣هـ انظر : تهذيب التهذيب ٣٤٩/٥ وشذرات الذهب ٢٩٥/١ .
- (٤) انظر : شرف أصحاب الحديث ص/١٢٣ وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٨٠/١-٤٨١ ومباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل ص/١٥ .
- (٥) أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري الإمام الفقيه المحدث من تصانيفه : « الأربعين في الحديث » و « عقيدة السلف أصحاب الحديث » توفي سنة ٤٤٩هـ انظر : شذرات الذهب ٢٨٢/٣ ومعجم المؤلفين ٢٧٥/٢ .
- (٦) انظر : عقيدة السلف أصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٠٦/١ .

والمراد بذلك كما قال الإمام السفاريني : « ... الذين يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله جل شأنه في كتابه أو في سنة النبي ﷺ أو ما ثبت وصح عن السلف الصالح من الصحابة الكرام ، والتابعين الفخام دون زبالات أهل الأهواء والبدع ، ونخالات أصحاب الآراء ... »^(١).

وهو بمعنى أهل السنة والحديث ويدل على ذلك ما رواه الإمام أبو القاسم اللالكائي^(٢) عن أبي حاتم الرازي رحمه الله^(٣) أنه قال : « وعلامة أهل البدع الوقعية في أهل الأثر ... وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة ... ، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ، ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء »^(٤).
فاستعمل أهل الأثر بمعنى أهل السنة .

وكذلك ورد إطلاق اسم « أهل الأثر » على « أهل السنة » في كلام الإمام أبي نصر السجزي^(٥) .^(٦) وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٧) وغيرهما ، وربما جعل بعضهم هذا اللفظ علما على مصنفاتهم في العقيدة مثل تسمية العلامة محمد صديق حسن

(١) لوامع الأنوار البهية ٦٤/١ .

(٢) أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور اللالكائي المحدث الحافظ من مصنفاته : « شرح أصول اعتقاد

أهل السنة والجماعة » توفي سنة ٤١٨ هـ انظر : تذكرة الحفاظ ٣/٨٣ ، وشذرات الذهب ٣/١٧٩

(٣) أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي أحد الأئمة الأعلام الحافظ الأئمة

المشهود لهم بالعلم والفضل ، كان من أقران الإمام البخاري ومسلم من مصنفاته : « طبقات

التابعين » توفي سنة ٢٧٧ هـ انظر : تاريخ بغداد ١٠/٧٣ ووطبقات الحنابلة ١/٨٤ والأعلام ٦/٢٧ .

(٤) رواه اللالكائي انظر كتابه : شرح أصول الاعتقاد ١/١٧٩

(٥) أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الإمام المحدث الفقيه من مصنفاته : « الإبانة

الكبرى في أن القرآن غير مخلوق » و « الرد على من أنكر الحرف والصوت » توفي سنة ٤٤٤ هـ

انظر : سير أعلام النبلاء ١٧/٦٥٤ وشذرات الذهب ٣/٢٧١ .

(٦) انظر كتابه : الرد على من أنكر الحرف والصوت ص/١٧٥ و١٧٧-١٧٨ و١٩٥ و٢٠٠ و٢٢٣ .

(٧) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٦/٢٦٦ .

خان^(١) كتابه : « قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر »^(٢) ويعني بذلك أهل السنة المتمسكين بالكتاب والسنة .

٤- الطائفة المنصورة

ومن أسماء أهل السنة وألقابهم « الطائفة المنصورة » وهذا الاسم مستنبط من قول النبي ﷺ فيما رواه معاوية بن قره^(٣) عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة »^(٤) . وروى المغيرة بن شعبه^(٥) « عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون »^(٦) .

وهذه الطائفة المنصورة الظاهرة هم أهل السنة والحديث وقد ذكر ذلك أئمة أهل السنة قال الإمام عبد الله بن المبارك^(٧) رحمه الله : « هم عندي أصحاب

(١) أبو الطيب محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله القنوجي البخاري العلامة المحقق من مصنفاته : « فتح البيان في مقاصد القرآن » والدين الخالص « في التوحيد توفي سنة ١٣٠٧هـ انظر : مشاهير علماء نجد ص/٤٥١-٤٥٧ وترجم له الدكتور : عاصم القريوتي في مقدمته على كتاب قطف الثمر ص/٢٥-١١ .

(٢) راجع : وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور : محمد باكريم باعبد الله ص/١١٩-١٢٠ .

(٣) أبو إياس معاوية بن قره بن إياس بن هلال المزني البصري ثقة عالم توفي سنة ١١٣هـ انظر : تقريب التهذيب ١٩٧/٢ .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٥٦٣/٤ و الترمذي في كتاب الفتن وقال : « حسن صحيح » انظر : سنن الترمذي ٤٣٠/٤ ح ٢١٩٢ واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١١٢/١ ح ١٧٢ . وصححه الألباني انظر : صحيح ابن ماجه ٦/١ .

(٥) المغيرة بن شعبه بن مسعود بن معتب الثقفي ، صحابي مشهور ، أسلم قبل الحديبية ، وولي إمرة البصرة ثم الكوفة توفي سنة ٥٠هـ انظر : تغريب التهذيب ٢٠٦/٢ .

(٦) رواه البخاري في كتاب الاعتصام ٢٩٣/١٣ ح ٧٣١١ ومسلم في كتاب الإمارة ٣/١٥٢٣ ح ١٩٢١ .

(٧) تقدمت ترجمته انظر : ٦١/١ .

الحديث «^(١) وكذا قال بذلك ابن المديني ، ويزيد بن هارون^(٢) وغيرهما^(٣) .
وقال الإمام أحمد : « إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم »^(٤) وقال القاضي
عياض^(٥) معلقا على كلام الإمام أحمد : « إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن
يعتقد مذهب أهل الحديث »^(٦) .

فأهل السنة والجماعة بفضل تمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم كتب الله لهم
النصر والظهور ، فهم الطائفة المنصورة والأمة الظاهرة وقد تحقق فيهم وعد الله لهم
بقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ... ﴾ [النور : ٥٥] وأهل السنة
والجماعة هم الذين يعبدون الله ويجتنبون الشرك وكل وسيلة تؤدي إليه ، وظهور
أهل السنة ونصر الله لهم على أعدائهم أمر بين يشهد له التاريخ ، فقد جعل الله
لهم الغلبة والظهور وعز الإسلام بهم من عهد الصحابة إلى يومنا هذا فكلما ظهر

(١) ذكره الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص/٢٦ .

(٢) أبوخالد يزيد بن هارون بن رازي السلمي مولا هم الواسطي الإمام القدوة الحافظ قال عنه الذهبي :

« وكان رأسا في العلم والعمل ، ثقة حجة ، كبير الشأن » توفي سنة ٢٠٦ هـ انظر : سير أعلام النبلاء

٣٧١-٣٥٨/٩ .

(٣) انظر : شرف أصحاب الحديث ص/٢٦-٢٧ .

(٤) ذكره الحاكم في معرفة علوم الحديث ص/٢ والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص/

٢٧ والنووي في شرحه على صحيح مسلم ١٣/٦٦-٦٧ وابن حجر في فتح الباري ١٣/٣٠٦ .

(٥) أبو الفضل القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي الحافظ ، ولي القضاء

في كل من سبتة ثم قرناطة بالأندلس ، من مصنفاته : « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » توفي

سنة ٥٤٤ هـ انظر : شذرات الذهب ٤/١٣٨ .

(٦) ذكره النووي في شرحه على صحيح مسلم ١٣/٦٦-٦٧ .

أمر السنة وصار الحكم والسلطان في يدهم اتحدت كلمة المسلمين وظهر أمرهم . فالدول التي قامت على السنة والتوحيد كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله هي التي جمعت شمل المسلمين وقام بها الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعزَّ بها الإسلام منذ عهد الخلفاء الراشدين ، والدلة الأموية ، والدولة العباسية لاسيما في عهد الخليفة المتوكل^(١) رحمه الله الذي نصر السنة وأهلها فاجتمعت حوله كلمة المسلمين وفي عهد مملكة محمود بن سبكتكين^(٢) رحمه الله عزَّ الإسلام والسنة ونشر العدل فكانت السنة وأهلها في أيامه ظاهرين والبدع وأهلها مقموعون ، وكذلك السلطان نور الدين محمود^(٣) الذي كان بالشام عزَّ أهل الإسلام والسنة في زمانه ، وذلَّ الكفار وأهل البدع ممن كان بالشام ومصر وغيرهما من الرافضة والجهمية ونحوهم^(٤) . وكذلك الدولة العثمانية في أول عهدها ، وعهد صلاح الدين الأيوبي^(٥) ، وعهد الدولة السعودية السنية ، التي نصرت السنة وأهلها ودعت إلى التوحيد ، وحاربت

-
- (١) أبو الفضل المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد بن هارون الرشيد القرشي الخليفة العباسي البغدادي أظهر السنة وتكلم بها في مجلسه ، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وبسط السنة ونصر أهلها أغتاله الجند الأتراك سنة ٢٤٦هـ انظر : سير أعلام النبلاء ١٢/٣٠-٤١ .
- (٢) أبو القاسم محمود بن سبكتكين القزويني من السلاطين الفاتحين صاحب خراسان والهند كان من الفقهاء والبلغاء توفي سنة ٤٧١هـ انظر : سير أعلام النبلاء ١٧/٤٨٣ والأعلام ١٧١/٧ .
- (٣) نور الدين محمود بن إقسنقر الملقب بالملك العادل كان مداوما على الجهاد يباشر القتال بنفسه توفي سنة ٥٦٩هـ انظر : شذرات الذهب ٤/٢٢٨ والأعلام ٧/١٧٠ .
- (٤) انظر : نقض المنطق ضمن مجموع الفتاوى ٤/٢٣-٢٠ .
- (٥) أبوالمظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الكردي المشهور بصلاح الدين الأيوبي من أشهر ملوك الإسلام كان من أعظم المحاربين والفاتحين في وقته ، تصدى للحملات الصليبية في الشام ، وكان أعظم انتصار حققه عليهم في فلسطين والساحل الشامي في غزوة حطين المشهورة ، ثم افتتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ ووحده مصر والشام توفي سنة ٥٨٩هـ انظر : الأعلام ٨/٢٢٠ .

البدع والشركيات وطهرت البلاد المقدسة منها فعز الإسلام^(١) وظهر أهل السنة وقمع أهل الشرك والبدع ولا يزال أمر أهل السنة ظاهراً وخصوصاً في المملكة العربية السعودية وفق الله القائمين عليها لكل خير ، وسيزال كذلك إن شاء الله لا يضر أهل السنة من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهم ظاهرون .

٥- الفرقة الناجية .

ومن الأسماء التي تُطلق على أهل السنة « الفرقة الناجية » وهي التي بشرها النبي ﷺ بالنجاة من النار باتباعها سنته ﷺ حيث قال : « وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة وهي الجماعة »^(٢) وفي رواية لما سُئل عنها قال ﷺ : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي »^(٣) وهذا الوصف الذي علق عليه النبي ﷺ النجاة من النار لا ينطبق إلا على أهل السنة والجماعة فهم أحق الناس بذلك كما قال شيخ الإسلام رحمه الله : « ... أحق الناس بأن تكون الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله ... »^(٤).

وقد أصبح هذا الاسم علماً على أهل السنة وذكره كثير من الأئمة ، قال الشيخ عبد القادر الجيلاني^(٥) رحمه الله : « ... وأما الفرقة الناجية فهي أهل السنة

(١) انظر : مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل ص/٣٣ .

(٢) تقدم عزوه انظر : ٥٥/١ .

(٣) سبق عزوه انظر : ٥١/١ .

(٤) مجمل الاعتقاد لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٣٤٧ .

(٥) أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست الحسيني الجيلاني أو الجيلي الحنبلي قال عنه الذهبي : « وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن وعليه مأخذ في بعض أقواله ودعاويه » وسماه في بداية الترجمة شيخ الإسلام وعلم الأولياء ت ٥٦١ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣٩-٤٥١ وذيل طبقات الحنابلة ١/٢٩٠ والأعلام ٤/٤٧ .

والجماعة»^(١) وقال شيخ الإسلام في مقدمة كتابه الواسطية : « أما بعد : فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة »^(٢) وقال الشيخ حافظ حكيمي^(٣) في بيان الفرقة الناجية : « وقد أخبر الصادق المصدوق أن الفرقة الناجية هم من كان على مثل من كان عليه هو وأصحابه ... وإنما تصلح هذه الصفة لحملتها وحفاظها ونقادها المنقادين لها المتمسكين بها ... أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة »^(٤).

وقد أصبح اسم الفرقة الناجية علما على أهل السنة حتى صَدَّرَ به بعض الأئمة مؤلفاتهم ، فعنون الإمام ابن بطة العكبري^(٥) رحمه الله كتابه : ب « الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة » وعنون به الإمام ابن القيم قصيدته النونية ب : « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » .

٦- السلفيون

ومن أسماء أهل السنة والجماعة « السلفيون أو السلف » .
ومعنى السلف في اللغة : السبق والتقدم .
قال ابن فارس : « سلف السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق من ذلك

(١) الغنية لطالبي طريق الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني ص/٨٥ .

(٢) العقيدة الواسطية مع شرح الهراس ص/١٦ وضمن مجموع الفتاوى ١٢٩/٣ .

(٣) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي من علماء جيزان فقيه أديب من مؤلفاته : « معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد » توفي بمكة سنة ١٣٧٧ هـ .
انظر : الأعلام ١٥٩/٢ .

(٤) معارج القبول للحكمي ٦١/١ .

(٥) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن حميدان العكبري المعروف بابن بطة ، الإمام الفقيه المحدث من مؤلفاته : الإبانة الكبرى والصغرى في السنة . توفي سنة ٣٨٧ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١/١٦ .
٢٩ وشنرات الذهب ١٢٢/٣ .

السلف الذين مضوا ، والقوم السلاف : المتقدمون «^(١) .

وذكر ابن منظور^(٢) أن للسلف معنيين :

أحدهما : كل شيء قدمه الإنسان من عمل صالح أو ولد صالح .

والثاني : الذي يتقدم الإنسان من آبائه وذوي قرابته الذين هم فوقه في السن^(٣) .

وإذا كان مفهوم السلف في اللغة يدور حول معنى السبق والتقدم سواءً بالزمن أو

العمل فإن معناه في الاصطلاح يدور حول مفهومين أيضا .

أحدها : السلفية الزمنية ، والثاني السلفية المنهجية .

أما السلفية الزمنية فتطلق على المجموعة المتقدمة من الأمة الإسلامية التي عاشت

في القرون الأولى من الإسلام وقد حصل خلاف في تعيين ذلك وملخصه :

١ - قيل : المراد بالسلف هم الصحابة فقط ، فهو وصف لازم لهم يختص بهم

عند الإطلاق ولا يشاركونهم فيه غيرهم ، وهذا القول لعدد من شراح الرسالة لابن

أبي زيد القيرواني^(٤) رحمه الله^(٥) .

(١) معجم مقاييس اللغة ٩٥/٣ مادة « سَلَفَ » .

(٢) أبو القاسم محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري المشهور بابن منظور الأفرقي ، الأديب

اللغوي الناظم من مصنفاته : « لسان العرب » و « مختصر تاريخ بغداد لابن عساكر الدمشقي »

توفي سنة ٧١١ هـ انظر : شذرات الذهب ٢٦/٦ ومعجم المؤلفين ٤٦/٢ .

(٣) انظر : لسان العرب ١٥٩/٩ مادة « سَلَفَ » .

(٤) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفراوي القيرواني المالكي ، كان إماما فقيها مفسرا

صاحب سنة وإتباع من مصنفاته : « إعجاز القرآن » و « الرسالة في الفقه المالكي » وفيها مقدمة

جيدة في بيان وتقرير مذهب أهل السنة في الاعتقاد . توفي سنة ٣٨٦ هـ انظر : معجم المؤلفين

٧٣/٦ وترجمة الشيخ عبد الله الغنيمان على مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص ٥٣ .

(٥) انظر : حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني لعلي الصعدي

العدوي ١١٢/١ وراجع : المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للمغراوي ١٨/١ .

٢ - وقيل : المراد بالسلف عند الإطلاق هم : الصحابة والتابعون . وبه قال أبو حامد الغزالي^(١) بقوله : « واعلم أن الحق الذي لامراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني : مذهب الصحابة والتابعين »^(٢).

٣ - إن المراد بالسلف هم : الصحابة ، والتابعون ، وتابعو التابعين ، وهو قول جمهور أهل العلم^(٣) وهو الراجح لما يلي :

أ - إن الرسول ﷺ قد مدح القرون التي عاش فيها الصحابة ، والتابعون وتابعو التابعين وشهد لهم بالخيرية كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته »^(٤).

ب - وهو القول الجامع للأقوال السابقة فصار موافقا للحديث المذكور ، قال الدكتور محمود خفاجي : « فإني أرى أن من يحدد السلف بالصحابة ، والتابعين ، وتابعي التابعين هو الصواب ، وذلك لموافقته الأثر من ناحية ، ولما نجده من الاتفاق

(١) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي من كبار متكلمي الأشاعرة ، ومن سلك مناهج متعددة بدء بعلم الكلام ، ثم بالفلسفة ، ثم بتعليمات الباطنية ، ثم بالتصوف الذي سماه المنقذ من الضلال وألف فيه كتباً كثيرة ، لكنه في آخر عمره إقترب من مذهب السلف ، ومن الله عليه كما ذكر شيخ الإسلام بالإقبال على مطالعة كتب الحديث ومات وهو يشتغل في صحيح البخاري . من مصنفاته الكثيرة : « إحياء علوم الدين » و « الاقتصاد في الاعتقاد » توفي سنة ٥٠٥ هـ انظر كتابه : المنقذ من الضلال ٨٠٣ ودرء تعارض العقل والنقل ١/١٦٢ و مجموع الفتاوى ٤/٧٢ والصواعق المرسله ٣/٨٤٢ وراجع ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٢ .

(٢) إجماع العوام عن علم الكلام لأبي حامد الغزالي ص/٥٣ وضمن مجموعة رسائل ص/٣ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل ٧/١٣٤ ولوامع الأنوار البهية ١/٢٠ والتحف في مذاهب السلف ص/٧ والإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل للدكتور الجليلند ص/٥٢ .

(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ٧/٢٠٣ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ٤/

بين من يذكرون السلف بطريقة الاسم من عدّ تابعي التابعين من ناحية أخرى ...»^(١) .
 ج - إنه قول جمهور أهل العلم المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام
 السفاريني ، والشوكاني^(٢) وغيرهم وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله « ... ولما
 أجمع عليه سلف الأمة وخيار قرونها »^(٣) أي : القرون الثلاثة التي ذكرت في الحديث
 السابق . وقال الإمام السفاريني : « المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام
 رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له
 بالإمامة ، وعُرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف ... »^(٤) .
 وقال الإمام الشوكاني : « ... وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا تعرف أن مذهب
 السلف من الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين ، وتابعيهم وهو : إيراد أدلة
 الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل »^(٥) .
 ويرى الدكتور محمد السيد الجليلند أن تحديد السلف زمنياً بالقرون الثلاثة هو
 الحاسم للموقف والخلاف فيقول : « ... وحسماً للخلاف أرى ألا تتخط القرون
 الثلاثة خاصة وأن تراثنا الإسلامي قد تعرض لهزات عنيفة ابتداءً من القرن الثالث
 الهجري وعبثت به الأهواء ... »^(٦) .

(١) العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة للدكتور : محمود خفاجي ص/٢١ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني الإمام العالم المحدث الفقيه

الأصولي من مصنفاته : « فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير » و « نيل الأوطار

شرح منتقى الأخبار » توفي سنة ١٢٥٠ هـ . انظر : معجم المؤلفين ١١/٥٣ وترجم له الدكتور :

عبد الله نومسوك ترجمة واسعة انظر كتابه : منهج الإمام الشوكاني في العقيدة ١/٧١-١١٦ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٧/١٣٤

(٤) لواعج الأنوار البهية ١/٢٠

(٥) التحف في مذاهب السلف للشوكاني ص/٧ وضمن الرسائل السلفية له ص/٥ .

(٦) الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل للجليلند ص/٥٢

وإذا كان الراجح في مفهوم السلف زمنيا القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها الرسول ﷺ بالخيرية فهل يعتبر كل من عاش في تلك القرون سلفيا يُقتدى به ، والجواب : بالنفي لامحالة لأنه قد عاش في تلك الفترة طوائف مبتدعة خرجوا عن منهج السلف في مسائل الاعتقاد العلمية والعملية كالخوارج ، والشيعية ، والقدرية ، والجهمية فلا بد إذاً أن يُضاف إلى السبق الزمني موافقة الكتاب والسنة نصا وروحا ، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفي وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين^(١).

قال الإمام السفاريني : « المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف ، دون من رُمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج ، والروافض ، والقدرية والمرجئة ، والجبرية والجهنمية ، والمعتزلة ، والكرامية ، ونحو هؤلاء ... »^(٢).

وعلى هذا فإن السلفية ليست زمنية فقط ، بل لا بد من أن تقترب بالسلفية المنهجية وهو : المنهج الذي كان عليه السلف الصالح من أهل القرون المفضلة من إتباع للكتاب والسنة ، وفهمهما الفهم الصحيح النقي غير المشوب بشائبة البدع والهوى ، وكل من اقتدى بهم وسار على طريقهم فهو على منهجهم ، ويمكن أن يُقال له سلفي « وأن يقول : أنا على مذهب السلف الصالح ، أو يقول هذا الذي أقول به قال به السلف الصالح ، أو هو مذهب السلف ونحو ذلك .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « ... لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فإن مذهب السلف

(١) انظر : المرجع نفسه ص/٥٢ .

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢٠/١ .

لا يكون إلا حقا ...» (١).

فمدلول السلفية كما ذكر الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله أصبح اصطلاحاً معروفاً يطلق على طريقة الرعيل الأول ومن يقتدون بهم في تلقي العلم ، وطريقة فهمه وطبيعة الدعوة إليه ، فلم يعد إذا محصوراً في دور تاريخي معين ، بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة (٢).

ونستخلص مما تقدم أن السلف هم أهل السنة وسموا بذلك لاتباعهم سنة رسول الله ﷺ وهم الجماعة لاجتماعهم على الحق ، وهم أهل الحديث والأثر لاتباعهم حديث رسول الله ﷺ وما أثر عنه ، ولذلك كتب الله لهم الظهور والنصر والفوز بالجنة والنجاة من النار ، فحق لهم أن يكونوا هم الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية الذين استثناهم النبي ﷺ من فرق أهل الأهواء والبدع الهالكة في النار ، وهذه الأوصاف لا تنطبق إلا عليهم ومن اتبع منهجهم واقتفى آثارهم نسأل الله أن يجعلنا منهم .



(١) نقض المنطق ضمن مجموع الفتاوى ١٤٩/٤ .

(٢) انظر : الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية للشيخ محمد أمان الجامي ص/١٦٤ .

المبحث الثاني

التعريف بالتشبيه وبيان الألفاظ المرادفة له في المعنى

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالتشبيه في اللغة

المطلب الثاني : مفهوم التشبيه عند أهل السنة

المطلب الثالث : مفهوم التشبيه عند المتكلمين ونقده

المطلب الرابع : بيان الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى

المطلب الخامس : بيان سبب استعمال لفظ التشبيه في عنوان

الرسالة بدلا من التمثيل

المطلب الأول

التعريف بالتشبيه في اللغة

ذكر ابن فارس أن الشين والباء والهاء أصل يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا^(١) وهو مصدر شَبَّه يُشَبِّهُه تشبيها^(٢)، وشَبَّهه وشَبَّهه لغتان بمعنى واحد، يُقال: هذا شَبَّهه بسكون الباء، وبينهما شَبَّه بتحركهما أي: شبيهه، وجمعه أشباه، ويجمع على مَشَابِه على وزن محاسن على غير القياس^(٣).

وتصارييف كلمة « شبه » جميعها تدل على مشابهة الشيء للشيء من بعض الوجوه. يقال في اللغة: فلان فيه شَبَّة من فلان^(٤) أي: بينهما تشابه في بعض الصفات. ويقال في الرجل إذا عجز وضعف: أشبه أمه. أي: شابهها في بعض صفاتها كالعجز والضعف.

وأنشد الشاعر:

أصبح فيه شبه من أمه من عظم رأسه ومن خرطومه^(٥)
وورد في الحديث أن النبي ﷺ نهى أن تسترضع الحمقاء، فإن اللبن يتشبه^(٦).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ٢٤٣/٣ مادة « شبه ».

(٢) انظر: القاموس المحيط ص/ ١٦١٠ ولسان العرب ١٣/١٣/٥٠٤-٥٠٥ مادة « شبه » والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ٣٠٦/١.

(٣) انظر: الصراح للجوهري ٢٢٣٦/٦ ولسان العرب ١٣/٥٠٣ مادة « شبه ».

(٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٩٠/٦ ولسان العرب ١٣/٥٠٤.

(٥) انظر: لسان العرب ١٣/٥٠٣.

(٦) رواه الإمام البيهقي وذكر أنه مرسل، انظر: السنن الكبرى للبيهقي ١٦٦/٧ وروى عن عمر بن

الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما أنهما قالوا: « فإن اللبن يُشَبِّه عليه » انظر: المرجع نفسه وكذا الجزء والصفحة.

وذلك لأن المرضعة إذا أرضعت غلاما فإنه ينزع إلى أخلاقها فيكتسب بعض صفاتها الحسنة أو السيئة فيشبهها ، وكذا يكتسب منها بعض الصفات الجسمية كصحة الجسم وقوته أو ضعفه ولذا يختار للرضاعة المرأة العاقلة الحسنة الأخلاق ، الصحيحة البدن^(١).

وإذا اشترك شيان في بعض الصفات فاختلفا فقد اشتبها يُقال : شبهت هذا بهذا ، وأشبهت فلانا وشابته^(٢) أي : اشبه علي بفلان لاشتراكهما في بعض الصفات ولذا يُقال للأمور إذا أشكلت فاحتاجت إلى تمييز مُشَبَّهات^(٣) ، ومنه الشَّبَهة بالضم الالتباس ومن ذلك الأمور المتشابهة التي يُشبه بعضها بعضا لاشتراكها في بعض المعاني قال تعالى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] فالآيات المتشابهات هي : التي تحتل بعض المعاني لاشتراكهما في ذلك ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجرد ما حتى تضم إلى المحكم^(٤).

ويُقال : فيه شَبَهٌ من هذا إذا أشبهه من بعض الوجوه ، وإن كان مخالفا له في الحقيقة قال تعالى : ﴿ وَأَتَوَاتٍ بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة : ٢٥٠] ذكر الأزهرى^(٥) أن أهل اللغة يقولون في المتشابه المذكور في الآية : يُشبه بعضه بعضا في الجودة والحسن^(٦).

- (١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٤٤٢ وتهديب اللغة ٩١/٦ مادة « شبه » .
- (٢) انظر : الصحاح للجوهري ٦/٢٢٣٦ مادة « شبه » .
- (٣) انظر : القاموس المحيط ص/١٦١٠ مادة « شبه » .
- (٤) انظر : تفسير السعدي ١/٣٥٧ .
- (٥) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٢/٢٣٣-٢٣٤ .
- (٦) أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح الأزهرى الهروي الشافعي اللغوي الأديب ، من مصنفاته : « تهديب اللغة » ومن قرأ فيه يعلم أنه سلفي الاعتقاد ، وكتاب « علل القراءات » توفي سنة ٣٧٠ هـ انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٧/١٦٤ .
- (٧) انظر كتابه : تهديب اللغة ٩١/٦ .

ويقول المفسرون « متشابهها » يُشبهه بعضه بعضا في الصورة ويختلف في الطعم^(١). وهذا مروى عن أبي العالية^(٢). رحمه الله^(٣).

ودليلهم أول الآية : ﴿ هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ لَأَنَّ صورته الصورة الأولى ولكن اختلاف الطعم مع اتفاق الصورة أبلغ وأغرب على الخلق ، لو رأيت تُفاحا فيه طعم كل الفاكهة لكان نهاية في العجب^(٤).

ويطلق التشبيه في اللغة مع تقييده بمعنى المثل ويعرف ذلك من سياق الكلام وذلك لأن المثل في اللغة هو المشابه للشيء من كل الوجوه^(٥).

وذكر ابن فارس أنَّ المثل هو الذي يدل على مناظرة الشيء للشيء ، يقال هذا مثله أي : نظيره^(٦)، والمماثلة لا تكون إلا في المتفقين يقال : نحوه كنحوه ، وفقهه كفقعه ولونه كلونه وطعمه كطعمه ، فإذا قيل : هو مثله على الإطلاق بدون تقييد فمعناه أن يسد مسده فإذا قُيِّدَ فقيل : هو مثله في كذا فهو مساو له في هذه الجهة^(٧).

ولذا فالتمثيل قد يراد به التشبيه وهو قليل^(٨)، مثل أن يقال : « هذا عبد الله مثلك وهذا رجل مثلك^(٩) أي : يشبهك في بعض الصفات ، أما إذا أُطلق بدون تقييد

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٦٦/١ وتفسير السعدي ٦٣/١ .

(٢) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة كثير الإرسال » توفي

سنة ٩٣ هـ أو بعدها انظر : تقريب التهذيب ٢٥٢/١ .

(٣) ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره ٦٣/١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ٩٢-٩١/٦ .

(٥) انظر : لسان العرب ٦١٠/١١ وراجع نقض تأسيس الجهمية « المطبوع » لابن تيمية ٤٧٧/١ .

(٦) انظر : معجم مقاييس اللغة ٢٩٦/٥ مادة « مثل » .

(٧) انظر : لسان العرب ٦١٠/١١ مادة « مثل » .

(٨) انظر : معجم مقاييس اللغة ٢٩٦/٥ مادة « مثل » .

(٩) انظر : تهذيب اللغة ٩٥/١٥ .

فالمراد به مشابهة الشيء للشيء ومشاركته له في جميع الصفات^(١)، وبدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ [البقرة : ١٣٧] . أي : فإن آمنوا بمثل إيمانكم فقد صاروا مسلمين مثلكم ، يعني : أن هؤلاء إن آمنوا بمثل ما آمنتم به أيها المؤمنون من الإيمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم وأسلموا لله وحده فقد إهتدوا وأصابوا الحق^(٢) . فأطلق « المثل » في الآية وأريد به المساواة من كل الوجوه في الاتصاف بالصفات التي تحصل بها الهداية التي آمن بها المؤمنون .

فَيَبِّغُ لَفْظَ الشَّبَهِ وَالْمِثْلِ فِي اللُّغَةِ اشْتِرَاكٌ فِي مِشَابَهَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ وَيَخْتَلِفُ التَّمَاثُلُ بِأَنْ تَكُونَ فِيهِ الْمِشَابَهَةُ فِي جَمِيعِ الْوُجُوهِ ، فَمَعْنَاهُمَا يَخْتَلِفُ كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ ، وَإِنْ كَانَ مَعَ التَّقْيِيدِ وَالْقَرِينَةِ يُرَادُ بِأَحَدِهِمَا مَا يُرَادُ بِالْآخَرَ^(٣) وَسَيَأْتِي مَزِيدٌ بَيَانٌ لَذَلِكَ بِالْأَدْلَةِ النَّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ عِنْدَ نَقْدِ مَفْهُومِ التَّشْبِيهِ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ^(٤) !

وأيضا فمن الفروق بين التشبيه والتمثيل فإن التمثيل قد دل القرآن الكريم على نفيه دلالة صريحة فقال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ . أما التشبيه فلم يتعرض له القرآن الكريم أو السنة النبوية بنفي أو إثبات ، وقد ورد في كلام السلف نفيه وذمه وأرادوا به التمثيل المنفي عن الله عز وجل كما سيأتي^(٥) !



(١) انظر : نقض تأسيس الجهمية « المخطوط » لابن تيمية ٢/٢٠٥ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/١٩٣ وتفسير السعدي ١/١٤٨ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح ٢/٢٣٣ .

(٤) انظر : ١/٨٩ - ٩٦ .

(٥) انظر : ١/١١٣ .

المطلب الثاني

مفهوم التشبيه عند أهل السنة

التشبيه عند أهل السنة هو : وصف الله بشيء من خصائص المخلوقين ، وذلك بأن يُثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته وأفعاله من الخصائص مثل ما يُثبت للمخلوق من الصفات^(١) ، مثل أن يُقال : إن يد الله مثل أيدي المخلوقين ، وإستواءه كاستوائهم ونحو ذلك^(٢) أو يُعطى لمخلوق من خصائص الرب تعالى التي لا يماثلها فيها شيء من المخلوقات^(٣) !

ولما أدخل المعطلة^(٤) في معنى التشبيه معنى باطلا وأرادوا به نفي الصفات بين الأئمة رحمهم الله معنى التشبيه عند أهل السنة ، وضربوا لذلك أمثلة ذكروا فيها أن التشبيه إنما يكون بإعطاء الخالق ما يخص المخلوق من الصفات بتمثيله بهم لا بنفي صفات الله تعالى^(٥) !!

ومن أقوالهم في ذلك ما رواه الترمذي عن إسحاق بن راهويه^(٦) أنه قال : « إنما

(١) انظر : المختار في أصول السنة لابن البنا الحنبلي ص/ ٨١ وتحريم النظر في كتب أهل الكلام لموفق الدين بن قدامة المقدسي ص/ ٥٩ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦ / ٣٥-٣٦ ودرء تعارض العقل والنقل ٤ / ١٤٦ و ٧ / ٧٢٣ ومنهاج السنة ٢ / ٥٩٤-٥٩٦ ونقض التأسيس « المطبوع » ١ / ١٠٠ و ٥٨٨ وفتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل في العقيدة للشيخ محمد صالح العثيمين ص/ ٥٥-٥٦ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/ ٥٦-٥٥ .

(٣) انظر : منهاج السنة النبوية ٢ / ٥٩٦ .

(٤) سيأتي ادعواؤهم التشبيه في نصوص الصفات وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ٢ / ٧٨٧ - ٤٩٣ .

(٥) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ١ / ١٠٠ و ١٠٧-١٠٩ و منهاج السنة ٢ / ٥٩٦ .

(٦) أبو محمد إسحاق بن راهويه بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله الحنظلي الروزي إمام ثقة =

يكون التشبيه إذا قال : يدٌ كيدي ، أو مثل يدي ، أو سمع كسمعي أو مثل سمعي ، فهذا تشبيه أما إذا قال كما قال الله تعالى : يد وسمع وبصر ، ولا يقول كيف ، ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهاً عنده قال الله تعالى - : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(١) [الشورى : ١١]

فبين الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله بما ذكره معنى التشبيه المنفي عن الله تعالى وهو : تمثيل الله بخلقه بجعل صفاته كصفات المخلوق أو تكييفها بكيفية مفضية إلى التمثيل^(٢) ، أما إثبات الصفات مع نفي التمثيل فليس تشبيهاً بل هو جمع بين الإثبات والتنزيه الموافق لوحي الله تعالى^(٣) .

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن المشبهة ما يقولون ، فقال : « من قال : : بصر كبصري ، ويد كيدي ، وقدم كقدمي فقد شبه الله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٤) [الشورى : ١١]

= حافظ مجتهد توفي سنة ٢٣٨هـ انظر : تقريب التهذيب ١/٥٤١ و شذرات الذهب ٢/٨٩ .

(١) ذكره الإمام الترمذي في سننه في كتاب الزكاة ٣/٥١١ والذهبي في كتابه العلو للعلوي الغفار ص/

١٢٠-١٢١ وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٩٦ ومع تحقيق الدكتور : عواد بن

عبد الله المعتق ص/٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) سيأتي أن من أسباب القول بالتشبيه البحث عن الكيفية في ذات الله وصفاته وبيان موقف أهل

السنة من ذلك انظر : ١/٣٩٠ - ٣٩٩ .

(٣) سيأتي بيان ذلك انظر : ١/١٢٨ - ١٣٣ .

(٤) رواه أبو يعلى في إبطال التأويلات ١/٤٣ و٥٥ وابن البنا الحنبلي في المختار في أصول السنة ٨١

وابن تيمية في نقض التأسيس « المطبوع » ١/٤٧٦ وفي درة تعارض العقل والنقل ٢/٣٢٢ وابن

القيم في الصواعق المرسلات انظر : مختصر الصواعق المرسلات ١/٣٧ ومدارج السالكين ٣/

٣٥٩ وراجع المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة للدكتور : عبد الإله بن سليمان

الأحمدي ١/٣٦٤ رقم ٣٣٩ .

وبين الإمام الدارمي^(١) رحمه الله معنى التشبيه المنفي عن الله تعالى في صدد رده على بشر المريسي^(٢) الذي ادعى أن إثبات الصفات ومنها صفة الاستواء تشبيهاً فرد عليه الدارمي أن التشبيه هو الذي يقول فيه المشبه في صفات الله كذا على كذا ، أو كمخلوق على مخلوق ولكن ملك كريم خالق غير مخلوق على عرش عظيم مخلوق^(٣).

فمن جعل الله تعالى في استوائه على عرشه كاستواء المخلوق على مخلوق فقد شبهه ومثله بمخلوقه^(٤).

وقد بين شيخ الإسلام معنى التشبيه المنفي عن الله عند أهل السنة وضرب لذلك أمثلة وضح فيها أن من قال بها فهو مشبه ممثل لله بالحيوان وفي ذلك يقول رحمه الله : « ومن قال : له علم كعلمي ، أو قوة كقوتي ، أو حب كحبي ، أو رضا كرضائي ، أو يدان كيدي ، أو استواء كاستوائي ، كان مشبهاً لله بالحيوان بل لا بد من إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل »^(٥).

فالتشبيه المنفي عن الله تعالى كما بين هؤلاء الأئمة الأعلام في إصطلاح أهل

(١) أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي العلامة الحافظ الناقد من مصنفاته : « الرد على الجهمية »

توفي سنة ٢٨٠هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٣١٩/١٣ وشذرات الذهب ١٧٦/٢ .

(٢) بشر بن غياث بن أبي كريمة بن عبد الرحمن المريسي المعتزلي المبتدع الضال ، كان أبوه يهودياً ،

تنسب إليه طائفة المريسية من المعتزلة مات ببغداد سنة ٢١٨هـ انظر : ميزان الاعتدال ١/

٣٢٢ ووفيات الأعيان ٢٧٧/١ والأعلام ٤١/٢ .

(٣) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٧٧-٧٨ .

(٤) سيأتي مذهب المشبهة في صفة الاستواء وبيان موقف أهل السنة من ذلك انظر : ١ / ٤١٦ -

٤٥٨ .

(٥) الرسالة التدمرية ص/ ١١ وضمن مجموع الفتاوى ١٦/٣ وكتاب التصوف ضمن مجموع

الفتاوى ٤٨٢/١١ .

السنة يطلق على وصف الله تعالى بشيء من خصائص المخلوقين وصفاتهم الخاصة بهم !!

والمشبه عندهم هو : من مثَّلَ الله بخلقه ، وقاس صفاته بصفات خلقه^(١) بحيث لم يفهم من صفات الله تعالى إلا ما عند المخلوقين من الصفات^(٢) . فحمل صفات الله سبحانه وتعالى على صفات المخلوقين^(٣) !

ويدخل في معنى التشبيه أيضا وصف الله تعالى بصفات النقص الخاصة بالمخلوق التي يتزهد عنها الباري عز وجل كوصفه بضد صفات الكمال كالسنة والنوم واللغوب والعجز ونحو ذلك من صفات النقص التي يجب تنزيه الله عنها لما فيها من النقص المضاد لاتصافه تعالى بصفات الكمال الواجبة له تعالى^(٤) .

وقد بين أهل السنة أيضا معنى تشبيه المخلوق بالخالق^(٥) وذكروا أنه يكون بإعطاء المخلوق بعض خصائص الرب عز وجل التي لا يماثله فيها أحد من المخلوقات وبينوا أنه حقيقة الشرك^(٦) بالله تعالى الذي لا يغفره الخالق عز وجل^(٧) !!
فمن أثبت لمخلوق ما يختص به الخالق من الصفات والأفعال كاتخاذ شريك مع

(١) سيأتي ذكر بعض الأقيسة التي يستدل بها المشبهة في صفات الله وموقف أهل السنة منها انظر :

١ / ٤٠٦ - ٤٠٩ .

(٢) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ١٦٥/٢ وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص/١٥٤ والرد

على الطوائف الملحدة له ضمن الفتاوى الكبرى ٣٨٧/٦ .

(٣) انظر : تحريم النظر في كتب أهل الكلام للإمام ابن قدامة المقدسي ص/٥٩ .

(٤) انظر : منهاج السنة ٥٩٥/٢-٥٩٦ و كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/

١١٧ و١١٩ و١٢٢ .

(٥) سيأتي بيان أنواع التشبيه على وجه التفصيل انظر : ١ / ١٦٣ - ١٦٦ .

(٦) سيأتي بيان معنى الشرك ومشاركته للتشبيه في المعنى انظر : ١ / ١٠٦ .

(٧) انظر : منهاج السنة ٥٩٥/٢-٥٩٦ و كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/

١١٧ و١١٩ و١٢٢ .

الرب تعالى في الربوبية ، أو إعطاء المخلوق بعض حقوق الله تعالى بصرف بعض أنواع العبادة له ، أو وصفه ببعض الصفات الخاصة بالله تعالى فقد شبهه بالله تعالى (١).

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن من جعل مخلوقاً مثلاً للخالق في شيء من الأشياء فأحبهه مثل ما يحب الله ، أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق ، فقد شبهه بالخالق وهو مشرك سوى بين الله وبين المخلوق ، فعدل بربه عز وجل والرب تعالى لا مثيل له ولا كفو (٢).

فمن أشرك مع الله تعالى في ربوبيته بإعطاء المخلوق ما للرب تعالى من صفات فقد جعله شريكاً مع الله في ربوبيته و شبهه بالخالق (٣). كما أن من أعطى بعض خصائص الألوهية للمخلوق ، وصرف له أي نوع من أنواع العبادة فقد أشرك مع الله في ألوهيته ، وشبهه في ذلك بالخالق عز وجل (٤) وسيأتي بيان وقوع أهل البدع في ذلك ونقده على سبيل التفصيل (٥)!!

وإذا عُرف معنى المشبه والتشبيه والتمثيل الذي يجب تنزيه الله عنه عند أهل السنة فما هو التجسيم الذي يجب تنزيه الله عنه ، وما الفرق بين التشبيه والتجسيم ؟

(١) انظر : فتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل في العقيدة للشيخ محمد صالح العثيمين ص/٥٥-٥٦ .

(٢) انظر : الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ١٦٣/١٣-١٦٤ .

(٣) سيأتي بيان وقوع المبتدعة من الرافضة والصوفية وغيرهم في ذلك على وجه التفصيل في الباب الرابع .

(٤) انظر : إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان لابن القيم ٢٢٦/٢-٢٢٧ والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي له ص/٢٠٢ وتجريد التوحيد المفيد للمقرئ ص/١٨ والدين الخالص لمحمد صديق حسن خان ٣١٥/١ .

(٥) انظر : ٣ / ٨٦ - ٩٩ و ٣ / ١٩٥ - ٢٣١ .

والجواب : أن التجسيم هو وصف الله تعالى بأنه جسم^(١) و لفظ التجسيم كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله لفظ مجمل لذا لا بُدُّ من معرفة مقصود من يطلق على الله تعالى أنه جسم^(٢) فقد يريد به أحد معنيين :

أحدهما أن يريد به أنه تعالى مماثل لكل جسم فيما يجب ويجوز ويمتنع عليه عز وجل .

والثاني : وقد يريد به أنه تعالى مماثل لها في القدر المشترك بينها كلها ، بحيث يجب ويجوز ويمتنع على ما حصل فيه القدر المشترك منها كوصف الله تعالى بالافتقار والحدوث ونحو ذلك من الصفات الخاصة بالخلق المحدث ا

وكلا النوعين كما ذكر شيخ الإسلام معلوم الفساد وهو التشبيه والتمثيل الذي يجب تنزيه الله عنه ، فمن وصف الله بأنه جسم وفسره بما يتضمن قوله إثبات شيء من خصائص المخلوقين لله تعالى فهذا هو التمثيل والتشبيه المذموم ، والقائل بذلك مشبه ممثل مذموم^(٣) .

أما من يصف الله بأنه جسم ويفسر معناه بأنه جسم لا كالأجسام ، وأنه أراد به بأنه موجود قائم بنفسه^(٤) فصنيعه هذا ليس تشبيها ولا تمثيلا ، ولا يقال له مشبه مجسم ، وإنما هو كما سيأتي مبتدع أطلق على الله تعالى لفظا لم يرد في الكتاب والسنة .

ولذا ذكر شيخ الإسلام عقب توضيحه متى يُقال لمن يطلق على الله تعالى أنه جسم مشبه ممثل ، بأن من فسر إطلاقه على الله بأنه جسم بإثبات معنى آخر مع

(١) انظر : إبطال التأويلات لأبي يعلى ٤٣/١ و٤٥ .

(٢) سيأتي إطلاق المشبهة على الله تعالى بأنه جسم وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ٢ / ٩ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل ٤٣/٤-١٤٦ .

(٤) كما فعل بعض الكرامية انظر : ٢ / ٩ .

تنزيه الله الرب عز وجل عن خصائص المخلوقين لا يُقال له مشبه ، وإنما يكون الكلام معه في إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى ، وثبوت المعنى الذي فسره به وانتفائه !! فلا بُدُّ أن يُلاحظ في هذا المقام : إثبات شيء من خصائص المخلوقين أولاً^(١) .

فمن وصف الله تعالى بأنه جسم وتضمن كلامه وصف الله تعالى بشيء من خصائص المخلوقين فهو مشبه ممثل ، وإلا فلا !!

فعلم مما تقدم بأن كل من وصف الله تعالى بأنه جسم وإن كان مبتدعاً فلا يُقال له مشبه ، إذ لا يُعد صنيعه هذا تشبيهاً وتمثيلاً حتى يتضمن وصف الله بشيء من خصائص المخلوقين !

وفي الجملة كما ذكر شيخ الإسلام فإن الكلام في التمثيل والتشبيه ونفيه عن الله تعالى مقام ، والكلام في التجسيم ونفيه عن الله تعالى مقام^(٢) . وقد تقدم بما ذكرت بيانه !!

فالتجسيم يلتقي معناه مع التشبيه والتمثيل كما تقدم في وصف الله تعالى بأنه جسم وتضمن ذلك إثبات شيء من خصائص المخلوقين لله تعالى ، ويُقال لمن يفعل ذلك مشبه ممثل ، وعلى هذا فكل من يطلق عليه بأنه مجسم قد لا يكون مشبهاً كإطلاق بعض المبتدعة على الله تعالى بأنه جسم ، وتفسيرهم ذلك بأنه الموجود القائم بنفسه كما فعل الكرامية كما سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل^(٣) !



(١) انظر : درء تعارض العقل ٤/١٤٧-١٤٨ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٤/١٤٥ .

(٣) انظر : ٢ / ٩ وما بعدها .

المطلب الثالث

مفهوم التشبيه عند المتكلمين ونقده

التشبيه في اصطلاح المتكلمين^(١) صار له معنى مردودا يخالف ما ذكره أهل السنة^(٢) حيث أدرجوا في مفهومه ما ليس منه فجعلوا إثبات الصفات كلها^(٣)، أو بعضها^(٤) تشبيها ، وظنوا أن هذا هو التشبيه الذي يجب نفيه عن الله تعالى ، وأن إثبات صفة للخالق عز وجل مما فيها اشتراك بين صفات الخالق والمخلوق في اللفظ والمعنى العام هو التشبيه^(٥) على اختلاف بينهم فيما يثبت لله من الصفات ، أو يؤول خشية الوقوع في التشبيه المتوهم المحذور^(٦)!

وقد حكى الإمام أحمد رحمه الله مفهوم التشبيه عند زعيم المعطلة جهم بن صفوان^(٧) ومن سار على منهجه حيث زعم أن وصف الله بشيء مما وصف به نفسه

- (١) تقدم التعريف بالمتكلمين انظر : ١ / ٤٦ .
- (٢) تقدم مفهوم التشبيه عند أهل السنة انظر : ١ / ٧٩ .
- (٣) كما فعل الجهمية والمعتزلة الذين اعتبروا إثبات الصفات كلها تشبيها .
- (٤) كما فعل الأشاعرة والماتريدية فإنهم اعتبروا إثبات الصفات الخيرية تشبيها .
- (٥) انظر : الانتصار للخياط ص/٤٣ و٥٥ ومنتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص/٧٤ وشرح الأصول الخمسة له ص/٧٢٥ و٢٣٧ والكشاف للزمخشري ٢/٩٢ والشامل للجويني ص/٥١١ ومقالات الكوثري ص/٣٥٧ و٣٦٠ و٣٦٣ وتكملة الرد على السيف الصقيل له ص/٩٣ وابن تيمية ليس سلفيا لمنصور عويس ص/١٨ و٢١٦ ومقدمة حسن السقاف على دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص/٥٦ و٧٥ .
- (٦) الأشاعرة والماتريدية كما سيأتي تناقضوا فيما يكون في إثباته تشبيه مما فيه الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق ، فأثبتوا سبع صفات مع أن فيها نفس الشبهة التي منعتهن من إثبات الصفات فحججهن أهل السنة بذلك كما سيأتي انظر : ص/٦٢٨ و٧٠١-٧٠٢ .
- (٧) أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي قال عنه الإمام الذهبي : « الضال المتبدع ، رأس =

في كتابه أو حدث عنه رسوله ﷺ كان كافراً وكان من المشبهة ، وتبعه على قوله هذا رجال من أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد ، وعلى هذا الأساس وضع دين الجهمية^(١) !!

واعتبر بشر المريسي زعيم طائفة المريسية من المعتزلة إثبات الصفات لله تشبيها ، فقد حكى الإمام الدارمي عنه أنه اعتبر إثبات صفة الاستواء تشبيها وأن الله على عرشه كاستواء مخلوق على مخلوق^(٢) !!

ورد الإمام الدارمي على مفهومه هذا بقوله : « أيها المريسي لا يقال لله : إنه على العرش كمخلوق على مخلوق ، ولكن ملك كريم خالق غير مخلوق على عرش عظيم مخلوق »^(٣).

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن لفظ التوحيد والتنزيه والتشبيه ألفاظ دخلها الاشتراك بسبب اختلاف اصطلاحات المتكلمين وغيرهم^(٤) فكل طائفة تعني بهذه

= الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيقاً ولكنه زرع شراً عظيماً « قتله

سلم بن الأحوز سنة ١٢٨هـ انظر : ميزان الاعتدال ٤٢٦/١ والأعلام ١٤٢/٢ .

(١) انظر : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص/٢٤-٢٥ .

(٢) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي : ص/٧٧-٧٨ .

(٣) المرجع نفسه ص/٧٨ .

(٤) كالفلاسفة الذين زعموا أنه لا يطلق على الباري من الأسماء والصفات إلا ما طريقه السلب

فقالوا : نحن لانقول إنه موجود ، بل نقول : إنه ليس بمعدوم ، ولانقول : إنه حي عالم قادر

ولكن نقول : إنه ليس بميت ولا جاهل ولا عاجز ، وذلك لأن إثبات أوصاف الإثبات عندهم

تشبيهه !

ومن الباطنية من زعم أن الله لا يوصف بالإثبات والسلب ، فلا يقال له : إنه عالم ولا ليس بعالم ،

فرفعوا بذلك النقيضين ، لأن إثبات ذلك على زعمهم هو التشبيه المنفي عن الله « فكابروا الحس

والعقل . انظر : تبصرة الأدلة لأبي معين النسفي ص/١٤٦ والرسالة التدمرية لابن تيمية ص/٢١

وضمن مجموع الفتاوى ٣/٣٩ .

الأسماء مالا يعنيه غيرهم ، فالجهمية من المعتزلة وغيرهم يريدون بالتوحيد والتنزيه نفي جميع الصفات ، وبالتجسيم والتشبيه إثبات شيء منها .
وكثير من متكلمي الصفاتية^(١) يريدون بالتوحيد والتنزيه نفي الصفات الخبرية أو بعضها ، وبالتشبيه إثباتها أو بعضها^(٢)!!!

وبناءً على هذا المفهوم المنحرف في مفهوم التشبيه اعتبر هؤلاء المبتدعة كل من أثبت لله صفة من الصفات التي نفوها مما يتصف به الخلق فهو مشبه^(٣)!!
والسبب في انحراف هؤلاء المتكلمين في معنى التشبيه هو : اعتبارهم التشبيه هو التمثيل ثم تفسيرهم التمثيل بأنه هو الذي يسد أحدهما مسد صاحبه ويقوم مقامه وقد يعبرون عن هذا بقولهم هو : ما يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، ويجب له ما يجب له^(٤) ، وبناءً على هذا المفهوم الذي فسروا به التشبيه منع بعضهم المشابهة والمخالفة بين صفات الخالق والخلق حيث جعلوهما من المتقابلين المتضادين اللذين لا يتصور اجتماعهما ، فكان من ضرورة ثبوت المخالفة عندهم انتفاء المشابهة ولو من بعض الوجوه ، وانتفاء الاتفاق بين صفات الخالق والخلق ولو في اللفظ والمعنى العام فجعلوا هذا هو التشبيه الذي يجب نفيه عن الله تعالى^(٥)!

- (١) المراد بهم الأشاعرة والماتريدية لأنهم يثبتون بعض الصفات التي نفاها الجهمية والمعتزلة !
(٢) انظر : نقض المنطق لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ١٥٠/٤-١٥١ والفتاوى الحموية الكبرى ص/٦٤-٦٥ وضمن مجموع الفتاوى ١١٠/٥-١١١ والرسالة التدمرية ص/٣٦-٣٧ وضمن مجموع الفتاوى ٧٠/٣-٧٢ .
(٣) سيأتي ذكر مقالاتهم في وصم أهل السنة بالتشبيه وبيان براءتهم من ذلك في الباب الثالث انظر : ١٧٧ / ٢ .
(٤) انظر : الإرشاد للجويني ص/٥٥-٥٦ وتبصرة الأدلة لأبي معين النسفي ص/١٤٤-١٣٤ وشرح المقاصد للفتنزاوي ٤٨/٢ والنشر الطيب على شرح الشيخ الطيب لإدريس الوزان ٩/٢ وشرح العقيدة الطحاوية للغنيمي الحنفي ص/٤٨ .
(٥) انظر : ما ذكره أبو معين النسفي عن المتكلمين في ذلك في كتابه تبصرة الأدلة ص/١٤٣ .

نقد مفهوم التشبيه عند المتكلمين

انحراف المتكلمين في مفهوم التشبيه هو الذي أدى بهم إلى نفي الصفات كلها أو بعضها ، ولذا فإن نقد مذهبهم في مفهوم التشبيه سيكون بيان التفريق بين التشبيه والتمثيل اللذين جعلوا معناهما واحدا ، وبيان جواز اجتماع المخالفة والمشابهة في وجه من الوجوه ، وأن ذلك غير ممتنع لغة وعقلا ، بل الأدلة السمعية تدل على ذلك ونفي ذلك هو التعطيل .

فأقول : إن الذي تشهد له اللغة والسمع والعقل والذي عليه أهل السنة ومن وافقهم أن التشبيه والتمثيل مختلفان عند الإطلاق ، وإن كان مع التقييد والقرينة يُراد بأحدهما ما يُراد بالآخر ، وأن الشيء يجوز أن يشبه الشيء من وجه دون وجه فتحصل بينهما الموافقة من وجه أو أكثر ، وكذا المخالفة ومن الأدلة على ذلك :
١ - أما دليل ذلك من اللغة فإنه يجوز أن يقال في اللغة : هذا يشبه هذا ، وفيه شبه من هذا إذا أشبهه من بعض الوجوه كما تقدم^(١)!!

وقد بين أهل اللغة ذلك فعده قدامه بن جعفر^(٢) التمثيل نوعا مخالفا للتشبيه وذكر أن من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبهه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات لأن الشيعين إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغيرا ألبتة اتحدا فصار الاثنين واحدا ، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين اشتركا في مكان تعمهما ويوصفان بها واقتربا في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفته^(٣) .

(١) في تعريف التشبيه في اللغة انظر : ٧٥ / ١ .

(٢) أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ، الكاتب الأديب ، كان من البلغاء والفصحاء ، وكان نصرانيا فأسلم على يد المكتفي بالله الخليفة العباسي ، من مصنفاته : « نقد الشعر » و « صناعة الكتابة » توفي سنة ٣٣٧ هـ انظر : معجم الأدباء ١٣/١٧-١٤ والأعلام ١٩١/٥ .

(٣) انظر : نقد الشعر لقدامه بن جعفر ص/١٢٤ .

وذكر الخفاجي^(١) بن سنان أن التشبيه هو الذي يقال فيه إن أحد الشيئين بينهما تشابه في بعض المعاني والصفات ، ولن يجوز أن يكون أحد الشيئين مثل الآخر من جميع الوجوه ، لأن هذا لو جاز لكان أحد الشيئين هو الآخر بعينه وذلك محال وإنما التشبيه أن يكون أحد الشيئين يشبه الآخر في أكثر صفاته ومعانيه^(٢) .
فالتشبيه عند أهل اللغة عند الإطلاق ليس هو التمثيل ، وإن كان عند التقييد قد يُراد بأحدهما ما يُراد بالآخر^(٣) .

مثل أن يقال : « محمد كالبدر » أي : في الحسن والضياء مع الاختلاف في الحقيقة عند جميع العقلاء .

ويقال : « زيد يشبه أحمد » إذا كان يتصف ببعض صفاته الحسية أو المعنوية كالطول أو القصر أو الحسن أو الدمامة أو الشجاعة أو الجبن وغير ذلك من الصفات وإن كان بينهما مخالفة من أوجه كثيرة .

ويقال : إن السلطان ولى رجلا لحماية ثغر ثم عزله بمن يقوم مقامه في الحماية والقدرة على دفع الأعداء فلا يتمتع عند أهل اللغة أن يقال : « عزل السلطان فلانا بمن هو مثله أي : شبيهه وإن كانت بينهما مخالفة في أسباب كثيرة وصفات حمة^(٤) .

وذكر شيخ الإسلام أن المتشابه في اللغة قد يُقال بدون التماثل في شيء من الحقيقة كما يقال للصورة المرسومة في الحائط إنها تشبه الحيوان ، ويُقال : هذا يشبه

(١) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الحلبي شاعر أديب مات مسموما سنة ٤٦٦ هـ من مصنفاته « سر الفصاحة » انظر : قوات الوفيات ١ / ٢٣٣ والأعلام ٤ / ١٢٢ .

(٢) انظر : سر الفصاحة للخفاجي بن سنان ص / ٢٣٧ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢ / ٢٣٣ .

(٤) انظر : تبصرة الأدلة لأبي معين النسفي ص / ١٤٩ .

هذا في كذا ، وإن كانت الحقيقتان مختلفتين .

وأما التماثل فهو الذي تكون فيه مشابهة الشيء للشيء من جميع الوجوه^(١) .
فالتشبيه في اللغة عام والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل^(٢) وذلك لأن التشبيه منه ما هو ممتنع وهو : وصف الشئين بما يخص أحدهما الآخر ، وهذا لا يجوز شرعا ولا عقلا ، وهو الذي نفاه أهل السنة عن الله تعالى وذكروا أنه هو التمثيل كما تقدم^(٣) .

ومنه ما هو جائز إثباته للمشتركين في بعض الصفات^(٤) ونفيه عن أحدهما تعطيل له عن الصفات ، بل هو وصف للعدم ، ولهذا كان أئمة أهل السنة ومحققوا أهل الكلام يمنعون أن يقال : « لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه ، فإن مقتضى هذا كونه معدوما »^(٥) !

وهو الذي ضلَّ بسببه المتكلمون حيث جعلوا الاشتراك بين صفات الخالق والمخلوق في اللفظ والمعنى العام هو التشبيه الذي يجب نفيه عن الله تعالى كما سيأتى توضيحه وبيان موقف أهل السنة من ذلك على وجه التفصيل^(٦) .
أما كون التمثيل أخص فإنه إنما يكون فيما يجب نفيه عن الله تعالى من الصفات الخاصة بالمخلوق الملازمة للنقص المنفي عن الله تعالى كما تقدم^(٧) .

(١) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٤٧٧/١ ومذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٤٠٧/٣ .

(٢) انظر : أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ص/١٩٨ ونقض التأسيس « المخطوط » ١٦١/٢ .

(٣) انظر : ٧٩ / ١ .

(٤) والمراد بالجواز هنا المقابل للممتنع وقد يكون بعد ذلك واجبا .

(٥) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٢٥٥/٣ .

(٦) انظر : ١ / ٣٥٨ - ٣٦٧ .

(٧) انظر : ١ / ٧٩ .

٢ - وأيضا فإن مشاركة الشيء للشيء من بعض الوجوه ومخالفته من بعض الوجوه وأن التمثيل غير التشبيه عند الإطلاق هو الذي تدل عليه الأدلة السمعية ومنها قول الله تعالى في وصف طعام أهل الجنة : ﴿ كَلِمًا زُرْقًا مِنْ ثَمَرَةٍ زُرْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي زُرَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوبًا بِمِثَابِهَا ﴾ [البقرة : ٢٥] أي : متشابهها في الصورة والشكل ، ومختلفا في الطعم والحقيقة^(١) . وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة : ١١٨] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « فوصف القولين بالتمائل والقلوب بالتشابه لا بالتمائل ، فإن القلوب وإن اشتركت في هذا القول فهي مختلفة لامتثالة »^(٢) . وقول النبي ﷺ : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس »^(٣) . فدل الحديث على أنه يعلمها بعض الناس وهي في نفس الأمر ليست متماثلة ، بل بعضها حرام وبعضها حلال^(٤) . وقول النبي ﷺ : « الحنطة بالحنطة مثلا بمثل »^(٥) أراد النبي ﷺ الاستواء في الكيل دون الوزن وعدد الحبات والصلابة والرخاوة وأشباه ذلك^(٦) .

٣ - وهذا الذي دلت عليه الأدلة السمعية من جواز مشاركة الشيء للشيء من

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/٩٣ وتفسير السعدي ١/٤٨ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٢/٢٣٣ .

(٢) المرجع نفسه ٢/٢٣٣-٢٣٤ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان ١/١٢٦ ح ٥٢ وفي البيوع ٤/٢٩٠ ح ٢٠٥١ ومسلم في كتاب المساقات ٣/١٢١١ ح ١٥٩٩ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح ٢/٢٣٣-٢٣٤ .

(٥) جزء من حديث رواه الإمام مسلم في كتاب المساقات ٣/١٢١١ ح ١٥٨٨ عن أبي هريرة .

(٦) انظر : تبصرة الأدلة لأبي معين السفني ص/١٤٩ .

بعض الوجوه هو الذي يدل عليه العقل الصريح الموافق للنقل الصحيح فإن العقل كما ذكر شيخ الإسلام يعلم أن الأعراض^(١) مثل الألوان تشبیه في كونها ألوانا مع أن السواد ليس مثل البياض ، وكذلك الأجسام والجواهر عند العقلاء تشبیه في مسمى الجسم^(٢) والجوهر^(٣) وإن كانت حقيقتهما ليست متماثلة فليست حقيقة الماء مماثلة لحقيقة التراب ، ولا حقيقة النبات مماثلة لحقيقة الحيوان ، ولا حقيقة النار مماثلة لحقيقة الماء ، وإن اشتركا في أن كلا منهما جوهر وجسم وقائم بنفسه^(٤) .

وأیضا فإن العقل الصريح لم يفهم من تفسير المتكلمين للتشبيه بأنه هو الذي يجوز على الآخر ما يجوز عليه ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، ويجب له ما يجب له ، ومنعهم التشابه من بعض الوجوه لا يفهم العقل امتناعه ، وذلك لأن كل موجودين فلا بد أن يكون بينهما نوع مشابهة ولو من بعض الوجوه البعيدة ورفع ذلك رفع للوجود^(٥) .

وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله في صدد رده على الجهمية المعطلة أن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لاشيء ، فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء ، ولكن يدفعون بالشنعة بما يقرون في العلانية^(٦) .

(١) الأعراض جمع غرض وهو الذي يحتاج في وجوده إلى محل ليقوم به ، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يقوم به ويطلق العرض على الألوان والحركة والسكون . انظر : التعريفات للجرجاني ص/١٤٨ .

(٢) الجسم هو : المركب المؤلف من الجواهر . انظر : المرجع نفسه ص/٧٦ .

(٣) الجوهر مختلف فيه عند المتكلمين فقليل هو : الجزء الذي لا يتصور تجزؤه عقلا ولا تقدير تجزئه وهما ، وقيل هو : الذي لا شكل له ، وقيل هو : الجزء الذي لا يتجزأ . انظر : الغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي ص/٥٠ والشامل للجويني ص/٦٢ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص/٥٠ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح ٨٢/٢ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ٢٨/٢ .

(٦) انظر : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص/٢٥-٢٦ .

وذكر شيخ الإسلام أن الإمام أحمد قد يئى بقوله هذا أنه يُعلم بالمعقول الصريح الذي يشترك فيه العقلاء أن مالا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه لاشيء ، كما نقل الناس أن جهما يقوله ولهذا قال الإمام أحمد : فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئاً أي : لجميع العقلاء فإن هذا لا يختص به أهل السمع والكتاب ، بل يشترك فيه العقلاء كلهم لأنه سؤال عن كون الله موجوداً^(١).

وبهذا يعرف بطلان مفهوم التشبيه عند المتكلمين وأنه مامن شيئين إلا وبينهما مشابهة من بعض الوجوه ونفي هذا التشبيه نفي لوجودهما ، وأن التشبيه عند الإطلاق ليس هو التمثيل ، بل لكل منهما معنى وإن كان يطلق على أحدهما ما يطلق على الآخر عند التقييد وهذا يعرف من سياق الكلام .

وهذا الذي قرره أهل السنة قد اعترف به حذاق المتكلمين حيث ذكره أبو معين النسفي^(٢) في كتابه « تبصرة الأدلة في أصول الدين » فقرر أن الراجح إثبات المشابهة بين الشيئين من بعض الوجوه مع اختلافهما من وجوه ، واستدل على ذلك باللغة وبعض الأدلة النقلية ، وكلامه في هذه المسألة في غاية النفاسة ، لولا اعتباره التشبيه هو التمثيل^(٣) ، فالخلاف معه في هذه المسألة لفظي مادام قد نصر الحق الذي عليه أهل السنة في مفهوم التشبيه الذي ضل فيه معظم المتكلمين ، لكن بسبب الكلام المذموم لم يطبق ما أقره ، بل قد نفى كثيراً من الصفات واعتبر إثباتها تشبيهاً^(٤) !!

(١) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٢٦٣/٣-٢٦٤ .

(٢) أبو معين ميمون بن محمد بن معبد بن مكحول النسفي الحنفي ، من كبار متكلمي الماتريدية ، من أشهر مصنفاته « بحر الكلام » و « تبصرة الأدلة » توفي سنة ٥٠٨ هـ . انظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا ص / ٧٨ والأعلام ٣٤١/٧ .

(٣) انظر كتابه : تبصرة الأدلة في أصول الدين ص / ١٥٠-١٥١ . والتمهيد في أصول الدين ص / ١٣ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص / ١٨-١٩ .

وقد أقرَّ كذلك الإمام أبو المعالي الجويني كما ذكر شيخ الإسلام بأن القول بنفي التشبيه مطلقاً يُؤدي إلى إنكار صفات الله تعالى ، وذكر أن طائفة غلت في النفي فعطلت حيث قالوا : إن الاشتراك في صفة من صفات الإثبات يُوجب الاشتباه ، وقالوا على هذا : القديم سبحانه لا يوصف بالوجود ، بل يقال : ليس بمعدوم وكذلك لا يوصف بأنه قادر عالم حيي ، بل يقال : إنه ليس بعاجز ولا جاهل ، ولا ميت ، وهذا مذهب الفلاسفة^(١) والباطنية^(٢) ، ثم ذكر أن من أوجه الردِّ على هؤلاء أن يقال : الاتفاق على أن السواد يُشارك البياض في بعض صفات الإثبات من الوجود والعرضية واللونية ، ثم هما مختلفان ، وكذلك الجوهر والعرض ، والقديم والحادث لا يمتنع اشتراكهما في صفة واحدة مع اختلافهما في سائر الصفات ، ويُقال لهم : أتبتون الصانع المدير أم لا تثبتونه ، فإن أثبتموه لزمهم من الحكم بإثباته ما حذروه ، فإن الحادث ثابت فاستويا في الثبوت^(٣) .

(١) الفلاسفة جمع فيلسوف مركب من مقطعين « فيلا » و « سوبا » والمراد بذلك : محب الحكمة . والفلاسفة كما ذكر أبو حامد الغزالي ثلاثة أصناف : الدهريون وهم : طائفة جحدوا الصانع وزعموا أن العالم قديم موجود بنفسه ، والطبيعيون وهم : قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان فاضطروهم ذلك إلى الاعتراف بوجود الله ، والإلهيون وهم : المتأخرون منهم سقراط ، وأفلاطون وأرسطاطاليس وهو الذي رتب علم المنطق . انظر : المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي ص/١٣-١٦ والملل والنحل للشهرستاني ٥٨/٢ .

(٢) الباطنية سموا بذلك : لأنهم يقولون إن للنصوص الشرعية ظاهراً وباطناً ، وإن الباطن يجري من الظاهر مجرى اللب من القشر ، وإن لكل تنزيل تأويلاً ، ففسروا الشريعة حسب أهوائهم وعقولهم الفاسدة ، واستباحوا المحرمات والفواحش ، واعتقدوا بوجود إلهين قديمين لأول لوجودهما وسموها العقل والروح واتفقوا على إنكار القيامة وأمور الآخرة ، وهم فرق متعددة ومنهم : القرامطة ، والإسماعلية ، والمزدكية ، والسبعية وغيرهم . انظر : مذهب الباطنية ويطلانه لمحمد بن الحسن الديلمي ص/٣ وما بعدها .

(٣) ذكره شيخ الإسلام في درء التعارض ١٨٨/٥-١٨٩ وعزاه للجويني ، ولم أجد فيما اطّلت عليه من كتبه المطبوعة !

والمقصود أن بعض المتكلمين قد اعترفوا في مقام ردهم على مخالفهم من الفلاسفة أو المعتزلة ، فيما نفوه من الأسماء أو الصفات التي أثبتها الأشاعرة والماتريدية قد اعترفوا وبينوا أن التشابه من بعض الوجوه ليس هو التشبيه المنفي عن الله ، لأن نفي ذلك تعطيل^(١).

وليتهم ساروا على هذه الطريقة فيما نفوه من الصفات التي اعتبروا إثباتها تشبيها مما يدل على أنهم متناقضون مضطربون وهذه نتيجة من ترك وحي الله واكتفى عنه بزبالات عقول البشر !!



(١) كما سيأتي انظر : ٢ / ٣٦٥ - ٣٦٩ .

المطلب الرابع

بيان الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى

وردت ألفاظ مشاركة للفظ التشبيه في المعنى مثل الند ، والعدل ، والسَمِيّ والمساوي أو السّوي ، والكفو ، والنظير ، والشريك ونحوها من الألفاظ المتقاربة المعنى التي جاء القرآن الكريم بنفيها عن الله تعالى مطلقاً ومقيداً .

فهي مثل لفظ التمثيل المنفي عن الله عز وجل مطلقاً ومقيداً ، ووجه مشاركة هذه الألفاظ للتشبيه في المعنى أن التشبيه في أحد معنیه كما تقدم يراد به وصف الله بشيء من خصائص المخلوق ، ونفي أن يُعطى المخلوق شيئاً من خصائص الرب عز وجل ! وهذه الألفاظ ورد نفيها وتنزيهه الله عنها ، وإثبات أضدادها من الكمال الثابت لله تعالى الذي هو من لوازم ذاته عز وجل ، فإنه تعالى لاندله ولاضد ، ولاسَمِيّ ولانظير ولاكفو ولاشريك ولا مساوي ولا مئيل له بوجه من الوجوه بل هو أحد فرد صمد : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

فمن الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى :

١ - النِدُّ .

يطلق الند ويُراد به : المئيل ، والنظير ، والعدل ، والشبيه .

يُقال : فلانٌ نِدُّ فلانٍ ونديده ، أي : مثيله وشبيهه وجمعه أنداد^(١) .

قال الجوهري^(٢) : « النِدُّ بالكسر المئيل والنظير . . . »^(٣) .

(١) انظر : تهذيب اللغة ٧٠/١٤ ولسان العرب ٣/٤٢٠-٤٢١ والقاموس المحيط ص/٤١١ مادة « ندد » .

(٢) أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي الجوهري إمام في اللغة صاحب كتاب « الصحاح » وله

مقدمة في النحو . توفي سنة ٣٩٣هـ . انظر : معجم الأدباء ١٥١/٦ وسير أعلام النبلاء ٨٠/١٧ .

(٣) الصحاح للجوهري ٥٤٣/٢ مادة « ندد » .

وفي لسان العرب : النِّد بالكسر هو : مثل الشيء الذي يضاده في أمره^(١) . ومنه قوله تعالى ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢]
 ذكر الإمام ابن جرير الطبري^(٢) أن قوله تعالى : ﴿ أَنْدَادًا ﴾ في الآية : جمع نِد وهو : العِدْل والمثل ، وكل شيء كان له نظيرٌ لشيءٍ وله شبيهة فهو له نِدٌ^(٣) .
 وروى بسنده عن ابن عباس « أنه قال : ﴿ أَنْدَادًا ﴾ : أشباها^(٤) . وروى ذلك عن جماعة من السلف^(٥) .

وذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي أن قوله تعالى : ﴿ أَنْدَادًا ﴾ أشباها ونظراء من المخلوقين ، تعبدونهم كما تعبدون الله ، وتحبونهم كما تحبونهم ، وهم مثلكم مخلوقون مرزوقون مربوبون لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء^(٦) .
 ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] قال الإمام ابن القيم رحمه الله : « فهؤلاء جعلوا المخلوق مثلاً لله »^(٧) وذكر أن الند هو المثل والشبيه^(٨) !!

(١) انظر : لسان العرب ٣/٤٢٠-٤٢١ مادة : « ندد » وراجع : تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد

للشيخ : عبد الهادي بن محمد البكري تحقيق : أبو أسامة حسن العواجي ١٦٦/١ و٢/٤١٥ .

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الحافظ المقرئ المفسر الفقيه المؤرخ الأصولي

المجتهد ، من مصنفاته تفسيره « جامع البيان في تأويل آي القرآن » و « تاريخ الأمم والملوك » توفي

سنة ٣١٠ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ١٤/٢٦٧ ومعجم المؤلفين ٩/١٤٩ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١/١٩٨ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ١/١٩٨-١٩٩ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ١/١٩٨-١٩٩ .

(٦) انظر : تفسير السعدي ١/٥٨ .

(٧) إغائة اللهقان ٢/٢٢٩ .

(٨) انظر : المرجع نفسه ٢/٢٢٩ .

٢ - العدل .

ومن الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى العَدْلُ بكسر العين وفتحها لغتان . وهي بكسر العين المثل من الجنس ، وفتحها المثل من غير الجنس . وذكر الزجاج^(١) أنهما بمعنى واحد في المثل سواء كان المثل من الجنس أو غير الجنس^(٢) .

وقال ابن الأعرابي^(٣) : « عَدْلُ الشَّيْءِ وَعَدْلُهُ سِوَاءُ أَي : مِثْلُهُ »^(٤) . والشَّيْءُ الَّذِي يَسَاوِي الشَّيْءَ يُقَالُ لَهُ هُوَ : عِدْلُهُ^(٥) يُقَالُ : عِنْدِي عِدْلُ غَلَامِكَ أَي : مِثْلُهُ ، وَيُطْلَقُ الْعَدْلُ وَيُرَادُ بِهِ النَّظِيرُ ، وَقِيلَ الْمِثْلُ وَلَيْسَ بِالنَّظِيرِ عَيْنَهُ^(٦) . وَالْعَادِلُ هُوَ : الْمَشْرُكُ الَّذِي يَعْدِلُ بَرَبِهِ^(٧) وَمِنَهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] أَي : يَشْرِكُونَ . قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « أَي : عَدَلُوهَا بِاللَّهِ وَلَيْسَ لِلَّهِ عِدْلٌ وَلَا نِدٌّ ، وَلَيْسَ مَعَهُ آلِهَةٌ وَلَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا »^(٨) .

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري بن سهل الزجاج ، النحوي اللغوي المفسر ، أقوم أصحاب الميرد قراءة عليه ، من مصنفاته : « معاني القرآن » ، « والاشتقاق » . توفي سنة ٣١١ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٦٠ ومعجم المؤلفين ١ / ٣٣ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٢ / ٢٠٨ ولسان العرب ١١ / ٤٣٣ مادة « عدل » .

(٣) أبو عبد الله محمد بن زياد المشهور بابن الأعرابي الهاشمي مولاهم إمام في اللغة ، وانتهد إليه الرئاسة في زمانه بالحفظ وعلم اللغة ، وكان صاحب سنة وإتباع . توفي سنة ٢٣١ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٨٧ وشذرات الذهب ٢ / ٧٠ .

(٤) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة ٢ / ٢٠٨ - ٢٠٩ مادة « عدل » .

(٥) انظر : لسان العرب ١١ / ٤٣٢ - ٤٣٣ مادة « عدل » .

(٦) انظر : المرجع نفسه ١١ / ٤٣٣ .

(٧) انظر : الصحاح ٥ / ١٧٦٠ مادة « عدل » .

(٨) تفسير الطبري ٥ / ٥٨ .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : « أي : يعدلون به فيجعلون له من خلقه عدلا وشبيها »^(١). والعدل كالمثيل متضمن للمساوات بين الأمور من جميع الوجوه ومنه قوله تعالى ﴿ وَكَانَ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء : ١٢٩] . ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله أن معنى الآية لن تستطيعوا أن تساوا بين النساء من جميع الوجوه ، فإنه إن وقع القسم الصوري ليلة وليلة فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع ، وذكر أن هذا المعنى مروى عن جماعة من السلف منهم ابن عباس^(٢) .

فعلم مما تقدم أن لفظ العدل مرادف للفظ المثل في المعنى ، وأنه المساواة بين الشيئين أو الأشياء من جميع الوجوه ، ومشارك للفظ الشبيه في معناه الخاص الذي هو المثل المنفي عن الله تعالى من الاتصاف بخصائص المخلوق ، فالله تعالى لا مثيل له ولا شبيه له ولا عدل له بل هو الواحد المعبود ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

٣ - السَّمِيَّ .

ومن الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى السَّمِيَّ ، يقال : هذا سمي فلان إذا وافق اسمه^(٣) ومنه قوله تعالى عن يحيى عليه السلام : ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مریم : ٧] .

ذكر الإمام الطبري رحمه الله أن بعض المفسرين قالوا : لم تلد مثله عاقر^(٤) . وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « لم تلد العواقر مثله ولدا قط »^(٥) وروى عن

(١) إغاثة اللهفان ٢/٢٢٩ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/٥٧٥-٥٧٦ .

(٣) انظر : الصحاح ٦/٢٣٨٣ ولسان العرب ١٤/٤٠٢-٤٠٣ مادة « سما » .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٨/٣٠٩-٣١٠ .

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره ٨/٣٠٩-٣١٠ .

مجاهد^(١) رحمه الله أنه قال : « سميا : شبيها » وفي رواية : « مثلا » ومنه قوله تعالى ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « هل تعلم للرب مثلا أو شبيها »^(٢).

وذكر الإمام ابن القيم قول ابن عباس السابق فقال : « وذلك نفي عن المخلوق أن يكون مشابها للخالق وممثلا له بحيث يستحق العبادة والتعظيم »^(٣).

وقال الشيخ السعدي : « هل تعلم لله مساويا ومشابها وممثلا من المخلوقين ، وهذا استفهام بمعنى النفي المعلوم بالعقل أي : لاتعلم له مساميا ولا مشابها لأنه الرب وغيره مربوب ، الخالق وغيره مخلوق ، الغني من جميع الوجوه وغيره فقير بالذات من كل وجه »^(٤)!

فعلم مما تقدم أن لفظ السمي كلفظ المثل والشبيه في المعنى .

٤ - السُّوِّيُّ أَوْ الْمُسَاوِي .

ومن الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى : « السُّوِّيُّ أَوْ الْمُسَاوِي » يقال : استويا وتساويا . تماثلا ، وسويت بينهما ، وهما سواءان : مثلان . وسِيَّان : مثلان . ويقال : لاسيما زيد . أي : مثل زيد^(٥).

ذكر ابن فارس أن أصل « سوي » يدل على استقامة واعتدال بين شيئين ، يقال : هذا لا يساوي كذا أي : لا يعادله ، ومنه السِّي أي : المثل . وقولهم سيان . أي :

(١) أبو الحجاج مجاهد بن جبر الخزومي مولا هم المكي إمام في التفسير ثقة توفي سنة ١٠٢ هـ انظر :

سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩ وتقریب التهذيب ٢/٢٢٩ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٨/٣١٦ .

(٣) انظر : إغائة اللفهان ٢/٢٣٠ .

(٤) تفسير السعدي ٥/١٢٦-١٢٧ .

(٥) انظر : القاموس المحيط ص/١٦٧٣ مادة « سَوِي » .

مثالان^(١) . ومنه قول الله تعالى عن المشركين المشبهين المخلوق بالخالق أنهم يقولون في النار لآلهتهم : ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [الشعراء : ٩٧ - ٩٨] . قال الإمام ابن القيم : « فاعترفوا أنهم كانوا في أعظم الضلال وأبينه إِذْ جعلوا لله شُبُهًا وَعِدْلًا من خلقه سووهم بهم في العبادات والتعظيم »^(٢) .

٥ - الكفو .

ومن الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى الكفو وأصله كما ذكر ابن فارس يدل على التساوي بين الشيئين ، يقال : كافأت فلانا إذا قابلته بمثل صنيعه^(٣) . وذكر الإمام ابن جرير أن الكفو ، والكفيء ، والكفاء في كلام العرب واحد وهو : المثل والشبيه^(٤) . والتكافؤ : أي : التساوي بين الأمور ومنه قوله ﷺ : « المسلمون متكافؤا دماؤهم »^(٥) أي : تتساوى^(٦) . وفي حديث العقيقة : « عن الغلام شاتان متكافتان »^(٧) .

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ١١٢/٣ مادة « سَوِي » .

(٢) إغاثة اللهفان ٢٣٠/٢ .

(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة ١٨٩/٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧٤٤/١٢ - ٧٤٥ .

(٥) رواه أبوداود في كتاب الجهاد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ١٨٣/٣ .

١٨٣ ح ٢٧٥١ وصححه الألباني انظر : صحيح سنن أبي داود ٥٢٥/٢ ح ٢٣٩٠ ورواه ابن ماجه

في كتاب القسامه عن ابن عباس « ٨٩٥/٢ ح ٢٦٨٣ وانظر : صحيح ابن ماجه ١٠٥/٢ ح ٢١٧٣ .

(٦) انظر : معجم مقاييس اللغة ١٨٩/٥ مادة « سَوِي » .

(٧) جزء من حديث رواه أبو داود في كتاب الأضاحي عن أم كرز الكعبية ٣/

٢٧٥ ح ٢٨٧٤ و٢٨٣٥ وصححه الألباني انظر : صحيح سنن أبي داود ٢٤٥/٢ ح

٢٤٥٨ ورواه النسائي كذلك عن أم كرز ١٨٥/٣ ح ٤٢٢٧ وانظر : صحيح سنن النسائي ٣/

٨٨٥ ح ٣٩٣٢ و٣٩٣١ .

ذكر الأزهري أنه « يريد بذلك : شاتين متساويتين ، وكل شيء ساوى شيئاً حتى يكون مثله فهو مكافئٌ له والمكافأة بين الناس من هذا ، يقال : كافأت الرجل . أي : فعلت به مثل ما فعل بي ، ومنه الكفء من الرجال للمرأة يُقال : إنه مثلها في حسبها^(١) . ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] .

قال ابن جرير الطبري في تفسيرها : « لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثلها شيء »^(٢) . وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسيرها : « ليس كمثلها شيء فسبحان الله الواحد القهار »^(٣) . ففسر الكفو بالمثل . وعن أبي العالية^(٤) أنه قال : « لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثلها شيء »^(٥) ففسر الكفو بالشبيه والعديل والمثيل .

وقال أبي بن كعب^(٦) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ : « لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثلها شيء »^(٧) .

(١) انظر : تهذيب اللغة ٣٨٥-٣٨٦/١٠ مادة « كَفَى » .

(٢) تفسير الطبري ٧٤٤/١٢ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ٧٤٥/١٢ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٧٧ / ١ .

(٥) رواه الطبري في تفسيره ٧٤٤/١٢ .

(٦) أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد الأنصاري النجاري سيد القراء المقرئ ، شهد العقبة الثانية وبدرا والمشاهد كلها وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ ، وعرضه على النبي ﷺ ، وحفظ عنه علما مباركا ، وكان رأسا في العلم والعمل ، سأل رسول الله عليه السلام عن أعظم آية في القرآن الكريم فقال : « آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم . . . » فقال له صلى الله عليه وسلم : « ليهنك العلم أبا المنذر » مات في خلافة عثمان بن عفان سنة ثلاثين من الهجرة . انظر : الإصابة ١٩٠-١٩١/٢ وسير أعلام النبلاء ٣٨٩/١-٤٠٢ .

(٧) رواه الحاكم في المستدرک ٥٨٩/٢ . وقال : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

وقال حسان بن ثابت^(١) رضي الله عنه يهجو أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب^(٢) قبل إسلامه :

أتهجوه وليست له بكفى فشر كما لخير كما الفداء^(٣) أي : ولست له بمثل .
وروي : ولست له بند^(٤) . قال الأزهري : « لست له بمثل في شيء من معانيه »^(٥) .
فعلم مما تقدم أن لفظ الكفى يطلق ويراد به : المثل والشبيه والعديل والند .

٦ - النظير .

ومن الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى النظير وهو بمعنى المثل والشبه يقال : فلان نظيرك أي : مثلك ، إذا نظر إليهما الناظر جعلهما سواء^(٦) والنظائر جمع نظيرة وهي كما ذكر ابن منظور : المثل والشبيه في الأشكال والأخلاق والأفعال^(٧) .

(١) أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن مالك الخزرجي الأنصاري من بني النجار شاعر رسول الله ﷺ وكان شاعر الأنصار في الجاهلية توفي سنة ٥٤ هـ انظر : الإصابة ١ / ٣٢٦ والأعلام ٢ / ١٧٥ .

(٢) أبو سفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي القرشي ابن عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاع وأحد الأبطال كان شاعرا في الجاهلية والإسلام ، أسلم قبل فتح مكة وشهد مع النبي عليه السلام فتح مكة ، ووقعة حنين وأبلى فيها بلاء حسنا فرضي عنه رسول الله ﷺ . وتوفي في المدينة سنة ٢٠ هـ انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٦ / ١٤٤ وسير أعلام النبلاء ١ / ٢٠٢ والأعلام ٧ / ٢٧٦ .

(٣) انظر : ديوان حسان بن ثابت ص / ٢٠ .

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ١ / ١٩٨-١٩٩ والأزهري في تهذيب اللغة ١٤ / ٧٠ . وابن القيم في

إغاثة اللهفان ٢ / ٢٢٩ وابن منظور في لسان العرب ٣ / ٢٢١ .

(٥) تهذيب اللغة ١٤ / ٧٠ مادة « نَدَدَ » .

(٦) انظر : المرجع نفسه ١٤ / ٣٧٠ - ٣٧١ ولسان العرب ٥ / ٢١٩ مادة « نظر » .

(٧) انظر : المرجع نفسه ٥ / ٢١٩ مادة « نظر » .

والنظر والنظير بمعنى واحد مثل الند والنديد ، وأنشد عبد يغوث بن وقاص الحارثي (١) :

ألا هل أتى نظري مليكة إنني أنا الليث معدو علي وعاديا (٢)
أي : مثلي .

وجعل ابن فارس المثل والنظير بمعنى واحد حيث قال : « ... مثل يدل على مناظرة الشيء للشيء ، وهذا مثل هذا أي : نظيره (٣) . ويقال : ما كان هذا نظيرا لهذا أي : مثله (٤) . ومنه كما ذكر الأزهري أن يقال : لاتناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله ﷺ أي : لاتجعلهما مثلا للشيء يُعرض به ، وكان السلف يكرهون أن يذكروا الآية من كتاب الله عند الشيء يعرض من أمر الدنيا ، مثل قول البعض عندما يأتيه أحد كان يطلبه : وجئت على قدر يا موسى (٥) .

وفسر الإمام ابن كثير الكفو في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] بمعنى : النظير . فقال : « لاصحابة له وهذا كما قال تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء ... ﴾ أي : هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساويه أو قريب يُدانيه ، تعالى وتقدس وتنزه (٦) .

(١) عبد يغوث بن وقاص بن ربيعة من بني الحارث بن كعب القحطاني ، شاعر جاهلي يمني ، وكان سيد قومه بني الحارث ، وقائدهم . مات قبل الهجرة بأربعين سنة . انظر : الأعلام ١٨٧/٤ .

(٢) ذكره الجوهري في الصحاح ٢٩٦/٥ مادة « نظر » والشيخ أحمد الحملاوي في كتابه شد العرف في فن الصرف ص/١٥٣ . .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٢٩٦/٥ مادة « مثل » .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٣٧٠/١٤ مادة « نظر » .

(٥) انظر : المرجع نفسه ٣٧١/١٤-٣٧٢ مادة « نظر » .

(٦) تفسير ابن كثير ٦١٠/٤ .

فعلم مما تقدم أن لفظ النظرير يطلق ويراد به المثل والشبيه .

٧ - الشرك .

ومن الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى الشرك وهو : أن يتخذ العبد لله ندا يحبه كحب الله ، أو يدعو كما يدعو الله أو يخافه كخوفه من الله ويصرف له أي نوع من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة^(١) . والند كما تقدم بمعنى المثل والشبيه والعدل^(٢) . وأصل الشرك في اللغة كما ذكر الأزهري من الشركة التي هي مخالطة الشريكين . يقال : اشركنا بمعنى : تشاركنا . وجمعه شركاء ، وأشراك^(٣) . ويراد بالشرك العدل فمعنى لا تشرك بالله كما ذكر الأزهري لا تعدل به غيره فتجعله شريكا له ومنه قوله تعالى : ﴿ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] معناه : عدلوا به ، ومن عدل بالله شيئا من خلقه فهو مشرك لأن الله واحد لا شريك له ولانداً له ولا عدل ولا مثل^(٤) .

وقد ذكر الأئمة المحققون كالإمام ابن القيم أن حقيقة الشرك : تشبيه المخلوق بالخالق بإعطائه بعض خصائص الإلهية ، ومن أشرك مع الله غيره فقد شبهه بغيره ، وكل مشرك فهو مشبه لإلهه ومعبوده بالله سبحانه وتعالى^(٥) !

(١) انظر : الحق الواضح المبين للشيخ السعدي ص/١١٥ والرياض الناضرة له ص/٢٥٦ والشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للدكتور : عبد الرزاق العباد ص/١٨١-١٨٢ وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية للدكتور : صالح العبود ص/٤٢٣ و٤٣٠ .

(٢) انظر : ص/٦٥-٦٦ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٠/١٦-١٧ مادة « شرك » .

(٤) انظر : المرجع نفسه ١٠/١٦ مادة « شرك » .

(٥) انظر : إغاثة اللهفان ٢/٢٢٦-٢٢٧ وتجريد التوحيد المفيد للمقرئ ٢٧/٢ وفتح المنان تمة منهاج

التأسيس للعلامة محمود شكري الألوسي ص/٤٦١-٤٦٢ .

فعلم مما تقدم أن لفظ الند ، والعدل ، والنظير ، والسوي ، والكفو ، والسمي والشرك ألفاظ متقاربة المعنى ومشاركة للفظ المثل والشبيه في المعنى ، والله تعالى منزه عن ذلك كله فهو عز وجل لا ند له ولا عدل ، وليس له نظير ولا سوي ولا كفو ، ولا سمي يساميه ، ولا شريك معه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته كما لا مثل له ولا شبيه في ذلك ، بل هو الواحد القهار المنزه عن سمات الحدوث المتفرد بالربوبية والألوهية والعبادة : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .



المطلب الخامس

بيان سبب استعمال لفظ التشبيه في عنوان الرسالة بدلا من التمثيل

لفظ التمثيل هو الذي ورد ذكره في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في المناظرة على العقيدة الواسطة أنه عدل عن لفظ التشبيه إلى استعمال لفظ التمثيل ، لأنه المنفي بنص الكتاب ولأن التشبيه قد أدرج المتكلمون في معناه معنى باطلا ، حيث اعتبروا إثبات الصفات التي عطلوا الله تعالى عنها تشبيها ، ووصموا من أثبتها بأنه مشبه مجسم (١) .
وذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله (٢) أن الأولى استعمال لفظ

(١) انظر : المناظرة في العقيدة الواسطية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/٤١٦ وضمن مجموع الفتاوى ٣/١٦٧ .

(٢) توفي الشيخ العلامة المجتهد الورع محمد بن صالح العثيمين رحمة الله عليه في مساء يوم الأربعاء ١٥/١٠/١٤٢١هـ وُصلي عليه في المسجد الحرام في يوم الخميس بعد صلاة العصر وقد حضر جنازته خلق كثير ، كما صلي عليه في يوم الجمعة في المسجد النبوي الشريف بعد صلاة الجمعة وصلي عليه في جميع مساجد المملكة وفي كثير من المساجد في العالم الإسلامي .
وقد أصاب الناس بموته جلال حظيم كيف لا وموت العالم مصيبة عظيمة ، فقد كان رحمه الله إمام عظيم وعلامة جليل قد بلغ مرتبة الاجتهاد وانتفع بعلمه القاضي والداني وكان رحمة الله عليه حريصا على نفع الناس بتعليمهم أمور دينهم بكل وسيلة شرعية ممكنة بالتدريس والإفتاء والتأليف مع التواضع والزهد وحب الخير لجميع المسلمين فكان رحمه الله بحق من أئمة أهل السنة في هذا العصر بعد الإمام عبد العزيز ابن باز والعلامة المحدث ناصر الدين الألباني اللذين توفيا في العام الماضي رحمهما الله فتركا ثلما في العالم الإسلامي ثم لحق بهما الشيخ في هذا العام فلاحول ولاقوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون فنسأل الله عزوجل أن يعرض المسلمين خيرا ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم !!

التمثيل لوروده في القرآن ، ولأنَّ بعض الناس قصدوا بالتشبيه إثبات الصفات وسموا من أثبتها مشبها^(١) .

وهنا يريد سؤل مفاده إذا كان الأمر كذلك فلماذا استعملت في عنوان رسالتك لفظ التشبيه ولم تستعمل لفظ التمثيل !

والجواب :

أولا : إنَّ مفهوم التشبيه كما تقدم أعم من التمثيل^(٢) ، ولذا صار لفظا مجملا أدرج فيه المعطلة معاني باطلة حيث اعتبروا الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق هو التشبيه الذي يجب نفيه عن الله تعالى^(٣) .

وبناءً على هذا المفهوم المنحرف عطلوا الله عن صفات الكمال ورموا مثبتيتها بأنهم مشبهة ، فلا بد والحال هكذا من بيان الحق في هذه المسألة التي هي أصل من ضل في توحيد الأسماء والصفات ، وبيان زيف باطل المعطلة ، وتنزيه الله عن تعطيلهم بإثبات صفاته كما وردت مع تنزيهه في ذلك عن التشبيه والتمثيل ، وبطلان نيزهم لأهل السنة بالتشبيه ، ولا تتأتى مناقشة هذه المسائل وبيانها إلا باستعمال لفظ التشبيه !!

ثانيا : إنَّ المتكلمين قد شغلوا أنفسهم بنفي التشبيه في مسائل الصفات التي أدرجوا فيها التعطيل ، وأغفلوا النوع الآخر من التشبيه الذي يجب نفيه والنهي عنه والذي هو تشبيه المخلوق بالخالق باعطائه بعض خصائص الخالق الذي هو حقيقة الشرك المضاد للتوحيد ، ولا يتأتى بيان ذلك ونقده إلا باستعمال لفظ التشبيه !!

ثالثا : إنَّ لفظ التشبيه قد جرى على استعماله كثير من أئمة أهل السنة والجماعة

(١) انظر : شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/١١٢-١١٣ .

(٢) انظر : ١ / ٧٩ .

(٣) كما تقدم انظر : ١ / ٧٥ - ٧٨ .

وأرادوا به نفي التمثيل عن الله تعالى^(١)، وأن من يستعمل لفظ التشبيه كما ذكر شيخ الإسلام له قدوة من السلف^(٢)، وقد ذم أهل السنة المشبهة وبينوا أن الذين ذمهم هم : الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه^(٣).

ومن استعمال سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان لفظ التشبيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ [البقرة : ٢٢] أشباها^(٤). وفسر قول الله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] أي : مثيلاً أو شبيهاً^(٥). ومن ذلك قول الإمام نعيم بن حماد^(٦) رحمه الله : « من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ... »^(٧) وقول الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله : « ... إنما التشبيه إذا قال : يد كيدي ... »^(٨) وقول الإمام أبي حنيفة رحمه الله : « أتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطل

(١) انظر : نقض المنطق ص/١٢٥ وضمن مجموع الفتاوى ١٥٣/٤ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/١٢٠ وضمن مجموع الفتاوى ١٤٦/٤ .

(٣) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ١٠٩/١ .

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٩٨/١-١٩٩ .

(٥) رواه ابن جرير الطبري انظر : المرجع نفسه ٣٦١/٨ .

(٦) أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية الخزازي الإمام العلامة الحافظ ، كان كما ذكر الإمام أحمد

رحمه الله شديد الرد على الجهمية وأهل الأهواء ، حُجِل من مصر إلى العراق في محنة القول

بخلق القرآن ، فأبى أن يجيبهم على ذلك ، فسجن حتى مات في السجن رحمه الله سنة ٢٢٨ هـ .

انظر : ميزان الاعتدال ٢٦٧/٤ وتقريب التهذيب ٣٠٥/٢ .

(٧) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٣٢/٢ وذكره الإمام الذهبي في العلو ص/١٧٢ وفي

كتابه العرش ٢٣٩/٢ وذكر أنه صحيح . وذكر الشيخ الألباني أن إسناده صحيح ، ورجاله ثقات

معروفون . انظر : مختصر العلو ص/١٨٤ .

(٨) تقدم عزوه انظر : ٧٩ / ١ .

ومقاتل^(١) مشبه^(٢) . وقول الإمام الشافعي رحمه الله : « ... وثبت هذه الصفات وينفي عنه التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٣) . ففسر نفي التشبيه بنفي التمثيل المنفي في الآية ! وسئل الإمام أحمد رحمه الله من هم المشبهة ، فأجاب : « من قال بصر كبصرى ، ويد كيدي وقدم كقدمي فقد شبه الله بخلقه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٤) ففسر التشبيه بالتمثيل الوارد نفيه في الآية وجعل المثلة هم المشبهة !

وقال الإمام ابن خزيمة^(٥) رحمه الله : « جل ربنا عن أن ... يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه »^(٦) وقال الإمام الخطيب البغدادي^(٧) رحمه الله : « أما الكلام في الصفات فإن ماروي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها ، وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها »^(٨) وقال الإمام

- (١) تقدمت ترجمة الجهم بن صفوان في ١ / ٨٦ وستأتي ترجمة مقاتل بن سليمان وبراءته من مقالة التشبيه انظر : ١ / ٣٢٣ .
- (٢) ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٣ / ١٦٤ .
- (٣) ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ١٣ / ٤١٨ والإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص / ٥٥ وبتحقيق المعتق ص / ١٦٥ . وقال الإمام الذهبي : « ورواه الهكاري وغيره بإسناد كلهم ثقة » انظر : مختصر كتاب العلو ص / ١٧٧ .
- (٤) تقدم ذكره انظر : ١ / ٨٠ .
- (٥) أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمى النيسابوري ، إمام الأئمة ، قال عنه الإمام الذهبي : « الحافظ الكبير إمام الأئمة » من مصنفاته « كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل » توفي سنة ٣١١ هـ انظر : تذكرة الحفاظ ٥ / ٧٢٠ وشذرات الذهب ٢ / ٢٦٢ .
- (٦) كتاب التوحيد لابن خزيمة ١ / ١٧٨ .
- (٧) تقدمت ترجمته انظر : ١ / ٤١ .
- (٨) رسالة الخطيب في الصفات المطبوعة في مجلة الحكمة العدد ص / ٢٩٦ وذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨ / ٢٨٣-٢٨٤ .

البغوي^(١) رحمه الله : « أسماء الله تعالى لا تشبه أسماء العبد »^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وفي الجملة الكلام في التمثيل والتشبيه ونفيه عن الله مقام ، والكلام في التجسيم ونفيه مقام آخر ، فإن الأول قد دل على نفيه الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة »^(٣).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته :

لسنا تشبهه وصفه بصفاتنا إن المشبه عابد الأصنام^(٤).

وأقوال السلف التي يتبين بها استعمالهم للفظ التشبيه أعظم من تحضر ، وإنما المقصود بيان أن لفظ التشبيه أطلقه السلف وأرادوا به نفي التمثيل ، فلا محذور في استعماله ، وليس كل لفظ استعمله أهل البدع يترك ، بل يستعمل ما لم يكن في استعماله محذور شرعا ، فقد استعمل المتكلمون ألفاظا كثيرة حرفوا معانيها ، ولبسوا بها على من لا يعرف اصطلاحاتهم كلفظ التوحيد والتنزيه اللذين أدرجوا في معناها تعطيل الله عز وجل عن صفاته بحجة تنزيه الله تعالى عن التشبيه المتوهم ، فهل تترك هذه الألفاظ لمجرد استعمال المتكلمين لها ، أم تبين معانيها الشرعية ويرد على من انحرف فيها بالكتاب والسنة وكلام سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان ؟ إن بيان هذه الألفاظ على منهج أهل السنة والجماعة ، والرد على من انحرف فيها وكشف زيف باطله ونقضه وتحذير الناس من ذلك ، وبيان الحق لهم بوحي الله من

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي العلامة الحافظ الملقب بمحبي السنة ، من مصنفاته : تفسيره « معالم التنزيل » و « شرح السنة » توفي سنة ٥١٦ هـ . نظر : سير أعلام النبلاء . ٤٣٩/١٩ .

(٢) شرح السنة للبغوي ١٧٩/١-١٨٠ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١٤٥/٤-١٤٦ .

(٤) القصيدة النونية لابن القيم مع شرح الهراس ٦٢/٢ .

الجهاد في سبيل الله ، كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله^(١)، وخصوصا إذا لبسوا بها على الناس ، فلا بد من إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وشيخ الإسلام ابن تيمية الذي رجح استعمال لفظ التمثيل كما تقدم استعمل لفظ التشبيه وأراد به التمثيل ، وقد نقل في كتبه استعمال السلف للفظ التشبيه ، وبين - كما تقدم - أنهم أرادوا به التمثيل المنقي عن الله تعالى ، وليس في كلامه رحمه الله تهويًا من شأن التشبيه ولا تناقضا كما ذكر الكوثري^(٢) .^(٣) حين نقل ما رد به شيخ الإسلام على أبي عبد الله الرازي^(٤) من أنه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ولا في كلام أحد من الصحابة والتابعين ولا الأكابر من أتباع التابعين ذم التشبيه والمشبهة ونفي مذهب التشبيه ، وإنما اشهر ذلك من جهة الجهمية^(٥) قال الكوثري معلقا على ذلك : « كأنه لم يتل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ !^(٦) .

(١) انظر : نقض المنطق ص/١١-١٢ وضمن مجموع الفتاوى ١٣/٣ .

(٢) محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري الجركسي الحنفي كان فقيها جدليا ، عُرف بالتعصب والعداء للدعوة السلفية ومن يتسبون إليها ، وقد تناوله بعض العلماء بالنقد فألف في الرد عليه الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله كتابه : « التنكيل لما في تأنيب الكوثري من الأباطيل » . من مصنفاته « مقالات الكوثري » توفي سنة ١٣٧١هـ انظر : الأعلام ١٢٩/٦ ومعجم المؤلفين ١٠/٤١٠-٥ .

(٣) انظر كتابه : تكملة الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/٩٣ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي ويُقال له ابن خطيب الري ، من كبار أئمة الأشعرية ، ندم في آخر عمره لخوضه في الكلام المذموم وله وصية مشهورة رجح فيها مذهب أهل السنة في الصفات ، من مصنفاته الكثيرة : « معالم أصول الدين » و « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين » و « أساس التقديس » توفي سنة ٦٠٦هـ انظر : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص/٤٦٦-٤٦٧ والأعلام ٦/٣١٣ .

(٥) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٢/٢٣٦-٢٦٤ .

(٦) تكملة الرد على نونية ابن القيم ص/٩٣ .

وهذه التهمة باطلة^(١) لأن التشبيه الذي يذكر شيخ الإسلام عدم وجوده في الكتاب والسنة وكلام السلف إنما هو التشبيه الذي فهمه المتكلمون وتعارفوا عليه من أنه إثبات الصفات لله تعالى التي فيها اشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق ووضموا من أثبتها بأنهم مشبهة ، فالتشبيه بهذا المعنى كما ذكر شيخ الإسلام لم يرد في الكتاب والسنة وكلام أحد من السلف ، بل لم يقل به إلا أهل البدع ممن إتبع منهج المتكلمين وعارض به وحي الرحمن كالكوثري وأضرابه الذين يلبسون على الجهال بالكلام المجمل المتشابه ويصمون أئمة أهل السنة بالتشبيه والتناقض ، والحال أنهم مشبهة معطلة متناقضون قد اجتمع فيهم سوء القصد والفهم^(٢) .

فعلم مما تقدم أن لفظ التشبيه قد استعمله أهل السنة وأرادوا به نفي التمثيل عن الله تعالى الذي هو وصف الله تعالى بخصائص المخلوقين وتمثيله بهم ، أو إعطاء المخلوق بعض خصائص الخالق عز وجل وتشبيهه بالرب تعالى ، فهذا مما يجب نفيه وتنزيه الله عنه إذ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .



(١) سيأتي براءة شيخ الإسلام من وصمة التشبيه انظر : ٢ / ٣١٦ - ٣٦٨ .

(٢) سيأتي بيان أن من أسباب رمي المعطلة لأهل السنة بالتشبيه سوء القصد والفهم . انظر : ٢ /

المبحث الثالث

منهج أهل السنة في صفات الله على سبيل الإجمال

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالمنهج .

المطلب الثاني : منهج أهل السنة في صفات الله على

سبيل الإجمال .

المطلب الثالث : بيان بعض القواعد التي استنبطها أهل

السنة من وحي الله لتقرير منهجهم في

صفات الله تعالى

المطلب الأول

التعريف بالمنهج

أولاً : معنى المنهج في اللغة :

المنهج من مادة « نَهَجَ » الدال على الطريق الواضح البين .
والنهج في اللغة : الطريق . يقال : نهج الطريق أبانه وأوضحه ، ونهج لي الأمر :
أوضحه . ونهجه سلكه وهو مستقيم المنهج ، الذي هو الطريق الواضح .
ويقال : فلان نهج سبيل فلان أي : سلك مسلكه . والجمع : مناهج^(١) .
والمنهاج كالمنهج ومنه قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً
وَمِنْهَاجًا ﴾^(٢) [المائدة : ٤٨] . قال ابن عباس رضي الله عنه : « سبيلا
وسنة »^(٣) وهو مروى عن جماعة من السلف كمجاهد ، وعكرمة^(٤) وقنادة^(٥) والحسن
البصري^(٦) وغيرهم^(٧) . وقال الإمام الطبري : « وأما المنهاج فإن أصله : الطريق البين

(١) انظر : الصحاح ٣٤٦/١ ومعجم مقاييس اللغة ٣٦١/٥ والقاموس المحيط ص/٢٦٦ مادة « نهج » .

(٢) انظر : لسان العرب ٣٨٣/٢ مادة « نهج » .

(٣) ذكره الإمام البخاري في صحيحه تعليقا في كتاب الإيمان انظر : صحيح البخاري مع الفتح ١/

٦٠ ورواه الطبري في تفسيره ٦١١/٤ ورجحه الإمام ابن كثير في تفسيره ٦٩/٢ .

(٤) عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس ، ثقة ثبت ، عالم بالتفسير ، قال عنه الحافظ ابن حجر : « لم

يثبت تكذيبه عن ابن عمر ، ولا يثبت عنه بدعة » توفي سنة ١٠٧ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٥/

١٢ وتقريب التهذيب ٦٨٥/١ .

(٥) أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، إمام حافظ مفسر ثقة ثبت توفي سنة ١١٧ هـ

انظر : سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ وتقريب التهذيب ٦٢/٢ .

(٦) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري ، كان من سادات التابعين وعلمائهم ثقة فقيه

فاضل مشهور توفي سنة ١١٠ هـ انظر : وفيات الأعيان ٦٩/٢ وتقريب التهذيب ١٠٢/١ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٦١٠-٦١٢/٤ وتفسير ابن كثير ٦٨/٢-٦٩ .

الواضح ... ثم يستعمل في كل شيء كان بينا واضحا سهلا»^(١). وقال الإمام ابن كثير^(٢): «... أي : جعلناه يعني القرآن شرعة ومنهاجا أي : سبيلا إلى المقاصد الصحيحة وسنة أي : طريقا ومسلكا واضحا بينا»^(٣).

وذكر الإمام ابن حجر أن المنهج السبيل وهو : الطريق الواضح^(٤). فعلم مما تقدم أن كلمة المنهاج التي ذكرت في الآية كالمنهج وكلاهما في اللغة بمعنى الطريق الواضح البين الموصل إلى المطلوب .

معنى المنهج في الاصطلاح :

إذا كان المنهج في معناه اللغوي العام يطلق على الطريق الواضح البين كما تقدم فإن معناه الاصطلاحي قريب من هذا المعنى ويقيده كل قوم حسب اصطلاحهم في منهجهم الذي يسلكونه ، فيكون معناه خاصا بالتقييد سواءً بالإضافة أو الوصف ، ولذا قيد ابن رشد^(٥) كتابه بقوله : « مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة » وأورد فيه بعض الطرق التي سلكها أهل السنة ، والطوائف الأخرى كالمتكلمين والفلاسفة في الاستدلال على مسائل الاعتقاد . ويُقال : « منهج أهل السنة في الصفات » يعني : طريقتهم التي سلكوها في مسائل الصفات إثباتا وتنزيها وهي : طريقة القرآن والسنة الواضحة البينة .

(١) تفسير الطبري ٦٠٩/٤ .

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الإمام الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه من مصنفاته « تفسير القرآن العظيم » و « البداية والنهاية » في التاريخ ، توفي سنة ٧٧٤هـ انظر : شذرات الذهب ٢٣١/٦ . ومعجم المؤلفين ٣٨٣/٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦٩/٢ .

(٤) انظر : فتح الباري ٦٤/١ .

(٥) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي المشهور بابن رشد الحفيد ، عالم فقيه ، فيلسوف مشارك في الفقه والطب والمنطق من مؤلفاته : « بداية المجتهد » في الفقه و « مناهج الأدلة في عقائد الملة » توفي سنة ٥٩٥هـ انظر : شذرات الذهب ٣٢٠/٤ ومعجم المؤلفين ٣١٣/٨ .

ومن هنا فإن تعريف المنهج في الاصطلاح هو : الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة الموصلة إلى النتيجة المطلوبة^(١) ! وتختلف المناهج باختلاف العلوم فلكل علم منهج يناسبه مع وجود حد مشترك بين المناهج المختلفة في الغالب^(٢).

وذكر محمد بن صامل السلمي أن العلماء المسلمين كانوا يعبرون عن المنهج بالأصول والقواعد ، ولذا وضعوا أصولاً وضوابط للبحث في مختلف العلوم مثل : أصول الحديث - المصطلح - وأصول التفسير ، والفقهاء^(٣).

ولكل علم من العلوم التي يُسلك فيها منهج معين مسائل ودلائل ، إذ لا يقوم أحدهما بمفرده ، فأصول الدين كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها قولاً ، وعملاً كمسائل التوحيد والصفات والقدر والمعاد ودلائل هذه المسائل^(٤) . فمعرفة منهج أي طائفة لا يمكن إلا بذكر أدلتهم وأصولهم وقواعدهم التي يستدلون بها لتقرير مذهبهم في المسائل التي اعتقدوها وعملوا بها ولذا فإنه لبيان معرفة منهج أهل السنة في صفات الله لا بد من بيان الأسس والأصول والقواعد التي يستدلون بها في بيان مذهبهم في مسائل الصفات ، وتقريره والرد بها على من خالفه من المتكلمين الذين عارضوا وحي الله بمقولاتهم وأقيستهم الفاسدة .

(١) انظر : العلم والبحث العلمي - دراسة في مناهج العلوم لحسين بن عبد الحميد ص / ١٤٣-١٤٥ و منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي بن حسن ٢٠/١ .

(٢) انظر : منهج البحث العلمي عند العرب لجلال محمد عبد الحميد ص / ٢٧١ .

(٣) انظر : منهج كتابة التاريخ الإسلامي لمحمد بن صامل السلمي ص / ٨٩ .

(٤) انظر : درء تعارض العقل ٢٧/١-٢٨ .

ولأنه لمن الأهمية بمكان قبل الدخول في تفاصيل موقف أهل السنة من الفرق المنحرفة في صفات الله ، و موقفهم من شبهاتهم وأدلتهم ييان منهج أهل السنة في صفات الله وذكر بعض قواعدهم التي يستدلون بها لتقرير منهجهم المستنبط من وحي الله على سبيل الإجمال ، ليستقر في ذهن القارئ ويتضح له المنهج المستقيم الذي سلكه أهل السنة في مسائل الصفات إثباتا وتنزيها ، ومن هنا فقد اقتضى المقام جعل ذلك في التمهيد قبل الدخول في أبواب الرسالة وفصولها !



المطلب الثاني

منهج أهل السنة في أسماء الله وصفاته على سبيل الإجمال

سلك أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات الطريقة المثلى المستقيمة المبنية على إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الأسماء والصفات إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل وتنزيهاً بلا تحريف ولا تعطيل على وفق قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] (١).

فوصفوا الله تعالى بما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة ، ونزهوه في ذلك عن مماثلة خلقه بلا تعطيل ، وقد قامت حقائق صفات الله في قلوبهم كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله وسكنت إليه نفوسهم ، فأنسوا من صفات كماله تعالى ونعوت جلاله بما استوحش منه الجاهلون المعطلون ، فما جاءهم من الصفات عن نبيهم ﷺ تلقوه بالقبول ، وقابلوه بالمعرفة والإيمان والإقرار ، لعلمهم بأنه صفة من لاشبيه لذاته ولا لصفاته عز وجل (٢).

ولبيان منهج أهل السنة في صفات الله سأذكر بعض أقوالهم مع بيان طريقتهم في ذلك المستنبطة من وحي الله تعالى .

فالصحابة رضوان الله عليهم كان منهجهم في أسماء الله وصفاته الإيمان والتسليم للنصوص الدالة عليها تسليماً مبنياً على الفقه والدراية ، وتنزيه الله فيها عن

(١) انظر : التمهيد لابن عبد البر ١٤٥/٧ والاقتصاد في الاعتقاد لابن قدامة ص/٧٨ و٨٠ ومنهاج السنة ٥٢٢/٢-٥٢٣ والرسالة التدمرية ص/٤ وضمن مجموع الفتاوى ٣/٥ ونقض المنطق ص/٦٢ وضمن مجموع الفتاوى ٤/٦٢ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٥١٥-٥١٦ والصواعق المرسله ١/٢٢٩-٢٣٠ والروح لابن القيم ص/٣٣٤ ولوامع الأنوار البهية ١/٢٢٩ وتفسير القاسمي ١/٢٣٠ .

(٢) انظر : الصواعق المرسله ١/٢٢٩ .

التشبيه والتمثيل وقطع الطمع عن إدراك كيفياتها لمعرفة أنهم أن ذلك مما يعز على العقول إدراكه لعدم وروده في وحي الله فا رتضوا تجنب الخوض في ذلك .
ومما يدل على ذلك ما ذكره الإمام المقريري رحمه الله من منهج الصحابة في أسماء الله وصفاته أن الله تعالى لما بعث العرب نبيه محمدا ﷺ إلى الناس جميعا وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه ﷺ فلم يسأله إنسان من العرب بأسرهم قرويههم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة والزكاة والحج إذ لو سأله أحد منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة في أحكام الحلال والحرام .

ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ، ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم من أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان محمد ﷺ بل كلهم فهموا معنى ذلك ، وسكتوا عن الكلام في الصفات ، وإنما أثبتوا له تعالى صفاته وساقوا الكلام فيها سوقا واحدا مع نفي مماثلة المخلوقين ، فأثبتوا رضوان الله عليهم صفات الله تعالى بلا تشبيه ونزهوه بلا تعطيل ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ولا المسائل الفلسفية فمضى عصر الصحابة على ذلك (١) .

ولذا سلم منهجهم في صفات الله من التحريف والتعطيل والتشبيه والتمثيل فلم يتنازعو كما ذكر الإمام ابن القيم في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات

(١) الخطط للمقريري ٣/٣٠١-٣٠٢ .

والأفعال بل كلهم على ما نطق به الكتاب والسنة من الأسماء والصفات كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم فلم يسوموها تأويلاً ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً ، ولا ضربوا لها أمثالا ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالإيمان والتعظيم^(١) .
وقد سلك منهجهم كل من اقتفى أثرهم ، ووسعه ما وسعهم من التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يومنا هذا ، وسيستمر إن شاء الله تعالى هذا المنهج إلى أن يأتي أمر الله وأهله ظاهرون .

ذكر الإمام الأوزاعي^(٢) رحمه الله إجماع التابعين وتابعيهم المبني على إجماع الصحابة والمستنبط من وحي الله تعالى بقوله : « كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته عز وجل »^(٣) .
قال شيخ الإسلام رحمه الله معلقاً على ما ذكره الإمام الأوزاعي : « وقد حكى الأوزاعي وهو أحد - الأئمة الأربعة - في عصر تابعي التابعين الذين هم : مالك إمام أهل الحجاز ، والأوزاعي إمام أهل الشام ، والليث^(٤) إمام أهل مصر والثوري^(٥) إمام أهل العراق حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله

(١) انظر : أعلام الموقعين لابن القيم ٤٩/١ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ١ / ٥٤ .

(٣) رواه الإمام البيهقي في الأسماء والصفات ٣٠٤/٢ رقم ٨٦٥ وذكر شيخ الإسلام أن إسناده صحيح انظر : الفتوى الحموية الكبرى ص/٢٣ وضمن مجموع الفتاوى ٣٩/٥ وذكره الإمام الذهبي في كتابه العلو ص/١٣٦ وانظر : مختصر العلو ص/١٣٧ .

(٤) أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم الأصبهاني ، فقيه أهل مصر وعالمها ، كان ثقة كثير الحفظ صحيحه توفي سنة ١٧٥ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ٣/١٣ ، وتذكرة الحفاظ ٢٤٤/١ .

(٥) هو سفيان الثوري وقد تقدمت ترجمته انظر : ١ / ٤٦ .

فوق العرش ، وبصفاته السمعية ، وإنما قال الإمام الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه ، والنافي لصفاته ، ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك» (١).

فمنهج أهل السنة في صفات الله يقوم على وصف الله تعالى بما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة ، إثباتاً ونفيًا فيثبت لله ما أثبتته لنفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ مع تنزيه الله تعالى في ذلك عن الشبيه والمثيل ، وعن كل نقص وعيب يُنافي كماله عز وجل ، لأن مدار توحيد الأسماء والصفات عندهم قائم على إثبات الصفات ونفي التشبيه والمثيل وكل نقص وعيب (٢) وفق ما ورد في وحي الله إثباتاً ونفيًا .

قال الإمام أحمد رحمه الله : « لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث » (٣).

ووصف الإمام الصابوني رحمه الله منهج أهل السنة في صفات الله بأنه منهج يقوم على الإثبات والتسليم مع الفقه والدراية ، والابتعاد عن التعطيل والتشبيه وفي ذلك يقول : « أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزله ، وشهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الإخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقة عنه ، ويثبتون له عز وجل ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ... وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكليف وَمَنْ عَلَيْهِم بِالْتَعْرِيفِ وَالتَّفْهِيمِ حَتَّى سَلَكُوا سَبِيلَ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ

(١) الفتوى الحموية الكبرى ص/٢٣-٢٤ وضمن مجموع الفتاوى ٣٩/٥ .

(٢) انظر : مدارج السالكين ٢٥/١ واجتماع الجيوش الإسلامية ص/٢٧ .

(٣) ذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى ١٦ وضمن مجموع الفتاوى ٢٦/٥ .

وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه واتبعوا قول الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١).

وقد أجمعوا على هذا المنهج المستقيم قال الحافظ ابن عبد البر (٢) رحمه الله : « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز » (٣).

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي (٤) رحمه الله : « ... صالح السلف وخيار الخلف وسادة الأئمة وعلماء الأمة اتفقت أقوالهم وتطابقت آراؤهم على الإيمان بالله عز وجل وأنه واحد فرد صمد حي قيوم سميع بصير لاشريك له ولاوزير ولاشبيه ولا نظير ولاعدل ولامثل ... فأمنوا بما قال الله سبحانه في كتابه وصح عن نبيه ، وأمره كما ورد من غير تعرض لكيفية ، أو اعتقاد شبهة أو مثلة ، أو تأويل يفضي إلى التعطيل ، وسعتهم السنة المحمدية ، والطريقة المردية الردية ، ولم يتعدوها إلى البدعة المردية الردية فحازوا بذلك الرتبة السنية والمنزلة العلية » (٥).

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل النيرية ١٠٦/١ .
(٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي القرطبي المالكي ، المحدث الحافظ الفقيه ، كان صاحب ثقة ودين ، من مصنفاته : « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » ، و« الاستيعاب في معرفة الأصحاب » توفي سنة ٤٦٣ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٥٣ وشذرات الذهب ٣ / ٣١٤ .

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٧ / ١٤٨ .

(٤) أبو محمد تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الحنبلي ، كان إماما حافظا قتيها قدوة عابدا أثريا ، من مصنفاته : « المصباح في عيون الأخاديت الصحاح » و« الأربعين في صفات رب العالمين » توفي سنة ٦٠٠ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٣ وشذرات الذهب ٤ / ٣٤٥ ومعجم المؤلفين ٥ / ٢٧٥ .

(٥) عقيدة الحافظ المقدسي تحقيق عبد الله البصري ص / ٣٨-٣٩ .

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله منهج أهل السنة في أسماء الله وصفاته وما أجمعوا عليه من الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه ، التي وصف بها نفسه وسمى بها نفسه ، في كتابه وتنزيله أو على لسان رسوله ﷺ من غير زيادة عليها ، ولانقص منها ، ولا تجاوز لها ، بل أمرها كما جاءت ، وعلموا أن المتكلم بها صادق لاشك في صدقه فصدقوه ، ولم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه ، وأخذ ذلك الآخر عن الأول ، ووصى بعضهم بعضا بحسن الاتباع والوقوف حيث وقف أو لهم ، وحذروا من التجاوز لهم والعدول عن طريقتهم وبينوا سبيلهم ومذهبهم ، ونرجوا أن يجعلنا الله ممن اقتدى بهم في سلوك الطريق الذي سلكوه^(١).

فعلم مما تقدم أن منهج أهل السنة في صفات الله مبني على إثبات الصفات مع نفي التشبيه والتمثيل في ذلك ، وقطع الطمع عن إدراك الكيفية المفضي طلبها إلى التشبيه والتعطيل !

ومن هنا يتضح أن منهجهم مبني على أسس ثلاثة :

الأساس الأول : تنزيه الله عز وجل عن مشابهة المخلوقات في ذاته وجميع أسمائه وصفاته وإلى هذا الأساس الإشارة بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٢).

الأساس الثاني : إثبات جميع أسماء الله الحسنى وصفاته الله العلي كما وردت وعدم التعرض لنفيها أو تعطيلها .

ويدل على هذا الأساس قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ بعد قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

(١) انظر : نقض المنطق ص/٢/ وضمن مجموع الفتاوى ٣-٢/٤ .

(٢) سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل عند ذكر موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات

الله تعالى انظر : ١ / ٣٨٢ - ٣٨٣ .

الأساس الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله تعالى ، لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل ، ومن حاول ذلك فمآله إلى التمثيل ، أو التعطيل ، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾^(١) [طه : ١١٠] .



(١) انظر هذه الأسس في : العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير اليماني ٣٣٨-٣٣٩/٣ ومنهج ودراسات آيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص/٣ وما بعدها والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ص/٦٥ ومقدمة الشيخ حماد الأنصاري على كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص/٢٤-٢٥ .

المطلب الثالث

ذكر بعض القواعد التي استنبطها أهل السنة من
وحي الله لتقرير منهجهم في صفات الله تعالى

اعتنى بعض العلماء بذكر قواعد لتقرير منهج أهل السنة في صفات الله تعالى ،
وتمييزه عن غيره من مناهج المتكلمين .

وقد اعتمد أهل السنة في استنباط هذه القواعد على وحي الله عز وجل الذي من
تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ، وتعتبر هذه القواعد بمثابة الأصول التي يعتمد
عليها منهج أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات .

ولما كانت هذه القواعد كثيرة فإني سأكتفي بذكر ثلاثة منها لزيادة أهميتها
ولتعلقها ببيان منهج أهل السنة في الإثبات والتنزيه اللذين ينبنى عليهما منهج أهل
السنة في صفات الله عز وجل .

القاعدة الأولى : الجمع بين الإثبات والتنزيه

من القواعد التي ينبنى عليها منهج أهل السنة في صفات الله قاعدة الجمع بين
الإثبات والتنزيه في الصفات ، وذلك لأن إثبات صفات الكمال لا يتأتى إلا بنفي
ما يضادها من النقص المتضمن لإثبات الكمال .

والحديث عن الصفات ليس كافيا فيه مجرد نفي التشبيه من غير إثبات أو مطلق
الإثبات من غير تنزيه ، ولذلك جمع الله تعالى في كتابه بين الإثبات والتنزيه في
قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقد طبق أهل السنة هذه القاعدة في تقرير منهجهم في صفات الله ونفي ما
يضادها من التعطيل والتشبيه .

وهذه بعض أقوالهم في ذلك مع بيانها وفق قاعدة الجمع بين الإثبات والتنزيه .
فمن أقوالهم في ذلك :

ما رواه الوليد بن مسلم^(١) أنه قال : « سألت مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا : « أمروها كما جاءت ، وفي رواية : أمروها كما جاءت بلا كيف »^(٢) .
 فقولهم : « أمروها كما جاءت » يقتضي إثباتها كما وردت من غير تعطيل ، وقولهم : « بلا كيف » تنزيها عن التشبيه والتمثيل ، المقضي إليه طلب كيفية الصفات ، فالجملة كلها : « أمروها كما جاءت بلا كيف » جمعت بين الإثبات والتنزيه .

وذكر الإمام الشافعي ت ٢٠٤ هـ رحمه الله ما يدل على قاعدة الجمع بين الإثبات والتنزيه في صفات الله حيث قال : « ... وثبت هذه الصفات ، ويُنفى عنه التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٣) .
 فذكر رحمه الله أن إثبات الصفات إنما يكون بإثباتها ونفي التشبيه عن الله في ذلك ، واستدل على ذلك بآية الإثبات والتنزيه التي ذكرها .

وذكر الإمام الطبري ت ٣١٠ هـ رحمه الله أن الصواب في صفات الله إثبات حقائقها على ما يعرف من جهة الإثبات ، ونفي التشبيه عنها ، وذكر الآية السابقة

(١) أبو الوليد بن مسلم الدمشقي الإمام العالم الحافظ المتوفى سنة ١٩٥ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٢١١/٩ .

(٢) ذكره البغوي في شرح السنة ١٧١/١ والصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢/١ وأبو القاسم التيمي في الحججة في بيان المحجة ١/١٧٥-١٧٦ واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢٩٨/٢ وشيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص/٢٤ وضمن مجموع الفتاوى ٣٩/٥ وذكر أنه رواه الإمام أبو بكر الخلال في كتاب السنة ، وقد بحث عنه في المطبوع فلم أجده !!

(٣) ذكره ابن أبي يعلى في طبقات لحنابلة ١/ ٢٨٢ وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/ ٥٥ والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠-٧٩/٨٠ وابن حجر في فتح الباري ١٣/٤١٨ .

كاستشهاد على وجوب الجمع بين الإثبات والتنزيه في إثبات الصفات^(١).
 وذكر الإمام ابن منده^(٢) ت ٣٩٥هـ رحمه الله أن الله مدح نفسه باتصافه
 بالصفات والوحدانية ، وانتفائه عن المثل والتقدير فقال في ذلك : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ
 شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا
 قَبِضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] . فوصف نفسه
 بالسميع والبصير واليمين وانتفى من التمثيل والتقدير^(٣).

وذكر أبو منصور معمر بن أحمد^(٤) ت ٤١٨هـ في وصيته منهج أهل السنة في
 صفات الله ، وأنه مبني على نفي كل تشبيه وتمثيل فـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ينفي
 كل تشبيه وتمثيل ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ينفي كل تعطيل وتأويل ، فهذا مذهب
 أهل السنة والجماعة والأثر فمن فارق مذهبهم فارق السنة ، ومن اقتدى بهم وافق
 السنة^(٥).

وذكر الإمام أبو عثمان الصابوني ت ٤٤٩هـ رحمه الله قاعدة الجمع بين الإثبات

(١) انظر : التبصير في معالم الدين للطبري ص/١٤٠ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى المعروف بابن منده الإمام الحافظ المحدث ، له
 مؤلفات قيمة في العقيدة منها : « كتاب الإيمان » و « الرد على الجهمية » و « الرد على اللفظية »
 و « كتاب التوحيد » وغيرها ، وقد إعتنى بها شيخنا الدكتور : علي بن محمد ناصر فقيهي
 حفظه الله عناية فائقة دراسة وتحقيقا وتعليقا فجزاه الله خيرا . توفي سنة ٣٩٥هـ . انظر ترجمته في :
 شذرات الذهب ١٤٦/٣ ومعجم المؤلفين ٤٢/٩ وقد ترجم له الدكتور : علي ناصر فقيهي ترجمة
 وافية في مقدمة كتابه التوحيد ٢٥-٩/١ .

(٣) انظر : كتاب التوحيد لابن منده ١٦/٣ .

(٤) أبو منصور معمر بن أحمد بن محمد بن زياد الأصفهاني الزاهد ، شيخ الصوفية في زمانه المتوفى
 سنة ٤١٨هـ . انظر : كتاب العلو للذهبي ص/٢٤٣-٢٤٤ .

(٥) ذكره أبو القاسم التيمي في كتابه الحججة في بيان الحججة ١/٢٤٣-٢٤٤ .

والتنزيه ، وأن أهل السنة يشبتون صفات الله كما وردت ، وأنهم تركوا القول في ذلك بالتعطيل والتشبيه ، واتبعوا قول الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) . وذكر الإمام البغوي ٥١٠ هـ طريقة السلف في إثبات الصفات ، وأن منهجهم يجمع بين الإثبات والتنزيه ، ثم استدل على ذلك بالآية السابقة ، ثم ذكر أن هذا المنهج متفق عليه بين أهل السنة في صفات الله بقوله : « ... وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة تلقوها بالإيمان والقبول ، وتجنبوا فيها التمثيل والتأويل ... » (٢) .

وبين الإمام أبو القاسم التيمي (٣) ت ٥٣٥ هـ رحمه الله قاعدة الجمع بين الإثبات والتنزيه التي يقوم عليها منهج أهل السنة في صفات الله بقوله : « ... قال أهل السنة نصف الله بما وصف به نفسه ... مع تحقيقنا أن صفاته لا يشبهها صفات وذاته لا يشبهها ذوات ، وقد نفى الله عن نفسه التشبيه بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، وأثبت لنفسه صفات فقال : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وليس في إثبات الصفات ما يفضي إلى التشبيه ... » (٤) .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ رحمه الله قاعدة الجمع بين الإثبات والتنزيه في مواضع من كتبه ، وبين أن الله عز وجل موصوف بالإثبات والنفي

(١) انظر : عقيدة السلف أصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٠٦/١-١٠٧ .

(٢) انظر : شرح السنة للبغوي ٧٠/١ .

(٣) أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد التيمي الأصبهاني ، الحافظ الكبير ، الملقب بقوام السنة ، من مصنفاته : « الحججة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة » و « دلائل النبوة » توفي سنة ٥٣٥ هـ انظر : الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٥٣٥ هـ ٥٣٥/٨ وتذكرة الحافظ ١٢٧٧/٤ وشذرات الذهب ١٠٥/٤-١٠٦ وتترجم له الدكتور : محمد ربيع المدخلي

ترجمة وافية راجع مقدمته على كتاب الحججة في بيان المحجة ١/٣١-٥٨ .

(٤) الحججة في بيان المحجة ٢/١٨٦ .

المتضمن للإثبات^(١)، وأن حق الإيمان بالله الإيمان بما وصف به رسوله ﷺ في سنته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يؤمن بأن الله سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٢).

وذكر الإمام ابن القيم ت ٧٥١هـ رحمه الله أن منهج أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات مبني على الجمع بين الإثبات والتنزيه ، وأنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل مع إثبات حقائق الأسماء والصفات ، ونفي مشابهة المخلوقات في ذلك^(٣) . وبين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(٤) ت ١٣٩٣هـ رحمه الله قاعدة الجمع بين الإثبات والتنزيه عند أهل السنة ، والحكمة من ذكر السمع والبصر في الآية فذكر أن من آمن بصفات خالقه فهو مؤمن منزّه وهذا التحقيق هو مضمون : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الإشكاليات حول الموضوع ، ذلك لأن الله قال : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ بعد قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ﴾ ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات ، فكأن الله يشير للمخلوق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره ، بإدعاء أن الحوادث تسمع وتبصر وأن

(١) وسيأتي بيان ذلك عند ذكر القاعدة الثانية .

(٢) انظر : العقيدة الواسطية بشرح الهراس ص/٢٠ وضمن مجموع الفتاوى ١٢٩/٣-١٣٠ والوصية الكبرى لابن تيمية ص/١٥ . والرسالة التدمرية ص/٤ و١٩ وضمن مجموع الفتاوى ٤/٣ و٣٥ .

(٣) انظر : الصواعق المرسله ٢/٤٢٦-٤٢٧ ومدارج السالكين ٣/٤٤٧-٤٤٨ .

(٤) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي العالم المفسر الفقيه الأصولي الأديب من مصنفاته : « أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن » و « منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات » توفي سنة ١٣٩٣هـ انظر : ترجمته في : نهاية الجزء العاشر من أضواء البيان لتلميذه الشيخ عطية محمد سالم .

ذلك تشبيه ، بل عليهم أن يشتوا له صفة سمعه وبصره على أساس : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١).

فعلم مما تقدم أن قاعدة الجمع بين الإثبات والتنزيه من القواعد العظيمة التي يقوم عليها منهج أهل السنة في صفات الله تعالى .

وقد تبين أنه منهج يقوم على إثبات الصفات ونفي التمثيل والتشبيه في ذلك ، ولذا سلم أهل السنة من تعطيل إثبات الصفات ، وبالتنزيه عن التمثيل والتشبيه .

القاعدة الثانية : الإثبات المفصل والنفي المجمل المتضمن لإثبات صفات الكمال

ومن القواعد التي يعتمد عليها منهج أهل السنة في صفات الله تعالى الإثبات المفصل والنفي المجمل لإثبات صفات الكمال .

ومعنى هذه القاعدة : أن يثبت لله جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة على وجه التفصيل ، وينفى عنه تعالى ما نفاه عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ على وجه الإجمال مع إثبات كمال ضده الواجب لله تعالى .

وهذه القاعدة العظيمة مستنبطة من وحي الله فإن الرسل كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله جاءوا بإثبات مفصل ونفي مجمل ، حيث أخبروا بما أخبر به الله تعالى في كتابه الذي بعث به رسوله ﷺ لأنه تعالى بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه عزيز حكيم غفور رحيم ، وأنه سميع بصير ، وأنه يحب المؤمنين ، ويرض عنهم ، ويفضض على الكفار ويسخط عليهم ، وأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وأنه كلم موسى تكليماً ، وأن له يداً ووجهاً ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا حين يقضى ثلث الليل الأخير فيقول : من

(١) انظر : منهج ودراسات آيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص/٤ .

يدعوني فاستجيب له ، من يستغفرني فاغفر له (١) . (٢) !

إلى غير ذلك من أسمائه الحسنی وصفاته العلی التي أثبتتها لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ على وجه التفصيل ، ومن تدبر الكتاب والسنة يجد ذلك واضحا جليا .
وأما النفي والتنزيه فإن طريقة القرآن في ذلك الإجمال كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وقوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] .

فهذه الآيات وغيرها تدل على نفي ما لا يليق به تعالى من صفات النقص على سبيل الإجمال مع إثبات ضده فإن النفي المحض لاكمال فيه إلا إذا تضمن إثباتا ، لأنه عدم والعدم ليس بشيء ، وما ليس بشيء فهو كما قيل ليس بشيء فضلا عن أن يكون مدحا أو كمالا ، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع ، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولاكمال ، فلهذا عامة ما وصف الله به نفسه من النفي جاء متضمنا لإثبات صفات الكمال فإنه مدح له تعالى وثناء أثنى به على نفسه ، والتنزيه عن النقائص بدون إثبات كمال ضده لاحمد فيه ولا مدح ، بل ولا تنزيه ، لأنه وصف بالعدم والعدم لاحمد فيه ولامدح ، وإنما يمدح الله عز وجل بنفي أمور تستلزم أمورا هي حق ثابتة موجودة يستحق الحمد عليها ، وذلك لأن الحق الموجود ينافي ذلك الباطل المنفي ، فيستدل برفع أحدهما على الآخر ، فكما يستدل بثبوت تلك المحامد والكمالات على نفي النقائص ، كذلك يستدل بنفي النقائص على ثبوت الكمالات التي تُناقضها .

ومن الأمثلة على تضمن النفي لإثبات صفات الكمال قول الله تعالى : ﴿ لَا

(١) إشارة إلى الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١/٢١١ ح ٧٥٨ .

(٢) انظر : الرسالة التدمرية ص/٤٠٤ - وضمن مجموع الفتاوى ٤/٣-٤ ودرء التعارض ٦/٣٤٨ والرّد

على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٣٣٧ .

تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴿ [البقرة : ٢٥٥] . لكمال حياته وقيوميته . وقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] لكمال غناه وملكه وربو بيته . وقوله تعالى : ﴿ لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سبأ : ٣] لكمال علمه . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] ﴿ وَمَا اللَّهُ بِرِيدٍ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر : ٣١] لكمال علمه وغناه ورحمته .

وقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص : ٣] لكمال صمديته . وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] لتفرد بالكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه غيره ، وقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] لعظمته وإحاطته بما سواه ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه واسع فيرى ولكن لا يحاط به إدراكا ، كمالا يعلم ولا يحاط ، فيرى ولا يحاط به رؤية^(١) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب مع ثبوت كمال ضدها الواجب الثابت لله تعالى الذي هو من لوازم ذاته عز وجل .

وهذه الطريقة التي سلكها أهل السنة في الإثبات والتنزيه موافقة لصريح المعقول الموافق لصريح المنقول ، فإن العقل السليم ينكر عكسها ، وذلك لأن النفي المفصل عند العقلاء مسببة وإساءة أدب حتى في المخلوق ، فإنه لو قال أحد لسُلطان : أنت لست بزبال ولا كساح ، ولا حجام ، ولا حائك ، ولا كناس ، لأدبه على هذا الوصف وإن كان صادقا وإنما يكون مادحا إذا أجمل النفي ، فقال : أنت لست مثل أحد من رعيتك ، أنت أعلى منهم وأشرف ، ومن أجمل في النفي أجمل في الأدب .

(١) انظر : الرسالة التدمرية ص/١٩-٢٠ وضمن مجموع الفتاوى ٣٥-٣٦ ومنهاج السنة ٢/

٣٢٠-٣١٩ والصواعق المرسله ٣/١٠٢٠-١٠٢٢ و٤/١٤٤٣-١٤٤٥ و١٤٥٢ وابدائع الفوائد ١/

١٤٤ و١٤٦ وشرح العقيدة الطحاوية ص/١٠٨ .

والنفي المحض عند العقلاء لامدح فيه ، بل هو مذمة ومنقصة كما قال الشاعر :
 قَبِيلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلَمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ (١) .
 لما اقترن بنفي الغدر والظلم عنهم ما ذكره قبل هذا البيت وبعده وتصغيرهم بقوله
 « قَبِيلَةٌ » عُلم أن المراد عجزهم وضعفهم ، لاكمال قدرتهم !! وقول الآخر :
 لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشرفي شيء وإن هانا (٢) .
 لما اقترن بنفي الشر عنهم ما يدل على ذمهم عُلم أن المراد عجزهم وضعفهم
 أيضا (٣) . (٤) !

ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله فائدة الاستدلال بقاعدة الإثبات
 المفصل والنفي المحمل المتضمن لإثبات صفات الكمال بقوله : « واعلم أن الصفات
 الثبوتية التي وصف الله بها نفسه كلها صفات كمال ، والغالب فيها التفصيل
 لأنه كلما كثر الإخبار عنها وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها وعُلم
 مالم يكن معلوما من قبل ، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن

- (١) البيت للنجاشي واسمه : قيس بن عمرو بن مالك من قصيدة يهجو بها بني العجلان ، وكانت
 أمه من الحبشة فنسب إليها ، انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ص/٣٢٩-٣١٣ .
 (٢) البيت لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي . انظر : ديوان الحماسة لأبي زكريا التبريزي ١٧/١ .
 (٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص/١٠٨ ويتحقق الدكتور عبد الله التركي وشعيب
 الأرنؤوط ١/٦٩-٧٠ .
 (٤) انظر لقاعدة الإثبات المفصل والنفي المحمل المراجع التالية : الرسالة التدمرية ٥-١١ وضمن مجموع
 الفتاوى ٣/٤١٦ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٣٧-٣٨ و٦٦ ودرء تعارض
 العقل ٥/١٦٣-١٦٤ و٦/٣٤٨ ومنهاج السنة ٢/٢١٩ والصواعق المرسله ٣/١٠٢٠ و٤/
 ١٤٤٣ وشرح العقيدة الطحاوية ص/١٠٨ والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى
 ص/٢٣-٢٤ وفتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن صالح
 العثيمين ص/٥٤ .

نفسه أكثر من الصفات التي نفاها عن نفسه .

وأما الصفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه فكلها صفات نقص ولا تليق به تعالى كالعجز واللغوب والظلم ، ومماثلة المخلوقين ، والغالب فيها الإجمال ، لأن ذلك أبلغ في تعظيم الموصوف ، وأكمل في التنزيه ، فإن تفصيلها لغير سبب يقتضيه المقام فيه سخرية وتنقص بالموصوف ، ولهذا جاء النفي المفصل في تنزيه الله تعالى عما نسبه إليه المشركون من الولد ، والصاحبة فقال تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٣ - ٤] فهذا نفي اقتضاه المقام وهو قليل جدا^(١) !

القاعدة الثالثة : قاعدة الكمال

ومن القواعد التي يستدل بها أهل السنة في تقرير منهجهم في صفات الله قاعدة الكمال ومعنى هذه القاعدة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله : العلم بأن الكمال الذي لانقص فيه بوجه من الوجوه ثابت للرب تعالى يستحقه بنفسه المقدسة ، فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال ، وكل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق فالخالق أولى به ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى أن يتنزه عنه^(٢) .

والكمال والنقص هما قطب الرحى في منهج القرآن الذي سلكه أهل السنة في صفات الله نفيًا وإثباتًا ، فكل ما تضمن كمالا لانقص فيه فالله أحق به ، وكل ما كان نقصا من صفات المخلوقين ، أو كان متضمنا لنقص بوجه من الوجوه فالله أولى أن يتنزه عنه .

(١) انظر : تقريب التدمرية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص/ ٢٠-٢٢ .

(٢) انظر : الرسالة الأكملية لابن تيمية ص/ ٧ وضمن مجموع الفتاوى ٧١/٦ ورسالة شيخ الإسلام إلى من سألته عن حقيقة مذهب الاتحاديين المطبوعة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٤٦/٥ .

ومعنى الكمال والنقص عند أهل السنة يجب أن يؤخذ من الشرع حتى لا يوصف الرب عز وجل بما قد يظن أنه كمال في حقه بالمقايسة على المخلوقين كما فعل أهل الكلام المذموم^(١)، وهو ليس كاملاً بالنسبة له سبحانه^(٢).

وقد دلّ على ثبوت الكمال لله تعالى السمع والفطرة والعقل .

١- أما السمع :

فمنه قول الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل : ٦٠] .

وقول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ لَهُ السَّمْعُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم : ٢٧] .

والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى الذي يستحقه الباري عز وجل وهو المتضمن لإثبات الكمالات لله تعالى وحده ، ولهذا كان بصيغة أفعال التفضيل أي : أعلى من غيره .

وأما مثل السوء فهو لعدم صفات الكمال ولهذا جعله الله تعالى مثل الجاحدين لتوحيده وصفاته لأنهم فقدوا الصفات التي من اتصف بها كان كاملاً .

فمن سلب صفات الكمال عن الله تعالى فقد جعل له مثل السوء وهو العدم وما يستلزمه .

وضده المثل الأعلى وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره .

ولما كان الرب تعالى هو الأعلى وصفاته عليا كان له المثل الأعلى وكان أحق به

(١) كما في إطلاق المشبهة على الله تعالى أنه جسم كالأجسام وسيأتي بيان موقف أهل السنة من ذلك انظر : ٢ / ٩ - ٣٤ .

(٢) انظر : مقدمة الدكتور الجليلي على كتاب التوحيد لابن تيمية ص/٣٥-٣٦ .

من كل ما سواه ، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان ، لأنهما إن تكافأ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر ، وإن لم يتكافأ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده فيستحيل لمن له المثل الأعلى مثيل أو نظير^(١).

٢ - وأما دليل الفطرة على قاعدة الكمال فإن معنى الكمال لله تعالى مغروس في فطر الناس مفطورون عليه كفطرتهم على الإقرار بخالقهم ، فإنهم كذلك مفطورون على أنه تعالى أعظم وأجل وأعظم وأكمل من كل شيء ، ولأن الفطر السليمة مجبولة على محبة الله تعالى وتعظيمه ، وهل تحب وتعظم إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللاتئة بربوبيته وألوهيته^(٢).

فالإقرار بكمال الله في أسماء الله وصفاته على سبيل الإجمال أمرٌ فطرت عليه النفوس البشرية ، ولو خلا المعطلة من الشبهات التي أمرضت فطرهم وأفسدت عقولهم لوجدوا أنفسهم يقرون بصفات الكمال من غير تردد ولا شكوك ، ولكن الكلام المذموم أفسد فطرهم وعقولهم فاعتبروا إثبات الكمال لله تعالى نقصا يجب تنزيه الله عنه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا !

وقد أكرهوا فطرهم وعقولهم على اعتبار الكمال نقصا ، وقالوا بالأقوال المتناقضة فإن المعطلة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله يقولون بالأقوال المتناقضة ، وقد أكرهوا فطرهم وعقولهم على قبول المحال المتناقض .

فيقولون : هو في العالم^(٣) ، وليس في العالم وليس هو فيه أو هو العالم وليس إياه ويقولون : بل هو نفس الوجود ، ثم يقولون : ليس في العالم ولا خارجا عنه^(٤).

(١) انظر : الصواعق المرسله ٣/١٠٣٠-١٠٣٢ وشرح العقيدة الطحاوية ص/١٤٤ .

(٢) انظر : الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى ٦/٨٢ والقواعد المثلى ص/٢٧-٢٨ .

(٣) يقصدون الله تعالى !!

(٤) انظر : نقض المنطق ص/ ٥١ وضمن مجموع الفتاوى ٤/٦٠ .

قال ابن أبي العز الحنفي^(١) رحمه الله : « إن الله تعالى قد أودع في الفطرة التي لم تتنجس بالمجود والتعطيل ، ولا بالتشبيه والتمثيل أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته ، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما يعرفونه منه »^(٢).

٣ - وأما العقل : فإنَّ العقل الصريح يشهد بصحة قاعدة الكمال وعظمتها ويتفق مع النقل الصحيح على إقرارها والاستدلال بها على إثبات صفات الكمال لله تعالى وذلك لأنَّ كل موجود حقيقة عند العقلاء ، فلا بد أن تكون له صفة ، إما صفة كمال ، وإما صفة نقص ، والثاني باطل بالنسبة للرب الكامل المستحق للعبادة ، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْعَثُونَ ﴾ [النحل : ٢٠ - ٢١] وقال عن إبراهيم عليه السلام وهو يحتج على أبيه : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ [مريم : ٤٢] .

فالإله الرب المعبود عند ذوي العقول السليمة لا بد وأن يكون كاملاً متصفاً بصفات الكمال ، ونقص المعبود واتصافه بالنقص دليل على بطلان ألوهيته وربوبيته . ولهذا وصف الله تعالى ما عبد من دونه بالنقص والعجز إرشاداً لذوي العقول أنه تعالى المتصف بالكمال المطلق الذي لا يتطرق إليه نقص بوجه من الوجوه ، ولذا

(١) علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأدرعي الصالحى الدمشقي ، الإمام العالم العلامة ، من مصنفاته : « شرح العقيدة الطحاوية » التي أقر فيها ونصر بها منهج أهل السنة في مسائل الإعتقاد . « والاتباع » توفي سنة ٧٩٢ هـ انظر : شذرات الذهب ٦/٣٢٦ وله ترجمة وافية في مقدمة شرح العقيدة الطحاوية للدكتور : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وشيخ الأرنؤوط ١/

استحق العباداة وحده عز وجل وطريق تطبيق « قاعدة الكمال » عند أهل السنة هو الاستدلال بقياس الأولى المستنبط من وحي الله تعالى الذي هو « المثل الأعلى » فالله عز وجل يُسلك في شأنه قياس الأولى الوارد في القرآن الكريم .

ومن استدلال أهل السنة بقياس الأولى لإثبات صفات الكمال لله تعالى قول الإمام أحمد رحمه الله في صدد احتجاجه على الجهمية نفاة الصفات ومنها صفة العلو : « ... ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموما بقول الله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ ^(١) [فصلت : ٢٩] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله موضحا طريقة استدلال الإمام أحمد بقياس الأولى لإثبات الكمال لله تعالى ، ونفي النقص عنه عز وجل الذي وصفته به الجهمية : « وهذه الحجة من باب « قياس الأولى » وهو أن السفلى مذموم في المخلوق حيث جعل أعداءه في أسفل السافلين ، وذلك مستقر في فطر العباد حتى إن أتباع المضلين طلبوا أن يجعلوهم تحت أقدامهم ليكونوا من الأسفلين ، وإذا كان هذا مما ينزه عنه المخلوق ويوصف به المذموم المعيب من المخلوق فالرب تعالى أحق أن يتنزه ويقدم عن أن يكون في السفلى ، أو أن يكون موصوفا بالسفلى هو أو شيء منه أو يدخل ذلك في صفاته بوجه من الوجوه ، بل هو العلي الأعلى بكل وجه » ^(٢) .

فقياس الأولى هو الذي يسلك في شأن الله تعالى وصفاته ، لإثبات صفات الكمال لله عز وجل ونفي النقص عنه تعالى .

(١) الرد على الزنادقة والجهمية ص/٤٩ .

(٢) نقض تأسيس الجهمية « المطبوع » ٥٤٣/٢ .

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله طريقة الاستدلال به في مواضع من مصنفاته وأنه دليل عقلي موافق لفطر الناس وعقولهم مستنبط من وحي الله عز وجل سأذكر مما ذكر مثالا واحدا لبيان طريقة الاستدلال به وفق قاعدة الكمال .
قال شيخ الإسلام : « ... قد ثبت أن الله قديم بنفسه ، قيوم بنفسه ، خالق بنفسه إلى غير ذلك من خصائصه ... فهذا الواجب القديم الخالق إما أن يكون ثبوت الكمال الذي لانقص فيه للممكن الوجود ممكنا له ، وإما أن لا يكون ، والثاني ممتنع لأن هذا ممكن للموجود المحدث الفقير الممكن ، فلأن يُمكن للواجب الغني القديم بطريق الأولى والأخرى ، فإن كلاهما موجود والكلام في الكمال الممكن الوجود الذي لانقص فيه .

فإذا كان الكمال الممكن الوجود ممكنا للمفضول ، فلأن يمكن للفاضل من طريق الأولى ، لأن ما كان ممكنا لما هو في وجوده نقص فلأن يمكن لما هو في وجوده أكمل منه بطريق الأولى لاسيما وذلك أفضل من كل وجه ، فيمتنع اختصاص المفضول من كل وجه بكمال لا يثبت للأفضل من كل وجه ، بل ما قد ثبت من ذلك للمفضول ، فالفاضل أحق به فلأن يثبت للفاضل بطريق الأولى .
ولأن ذلك الكمال إنما استفاده المخلوق من الخالق والذي جعل غيره كاملا أحق بالكمال منه ، فالذي جعل غيره قادرا أولى بالقدرة ، والذي علم غيره أولى بالعلم والذي أحيا غيره أولى بالحياة ... » (١) . (٢)

(١) انظر : الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى ٧٦/٦-٧٧ .

(٢) لمزيد فائدة حول استدلال أهل السنة بقياس الأولى على وفق قاعدة الكمال راجع : الرسالة الأكملية لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٧/٦ ، ٧١-٧٢ و٨١-٨٢ والتفسير الكبير له ٦/٣٤٩-٣٥٢ ودرء تعارض العقل والنقل له ١/٢٩ و٢٦-٢٧ ونقض التأسيس « المطبوع » له ٢/٤٣ و٢٤٧ و٥٣٥-٣٦٥ والصواعق المرسله للإمام ابن القيم ٣/٩٠٩ و١٠٣٠-١٠٣٢ والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص/٢٧-٢٩ .

مسألة توضيحية حول قاعدة الكمال

هل قاعدة الكمال على إطلاقها أم أن هناك احترازا لما قد يكون كمالا في حق المخلوق ونقصا في حق الخالق وبالعكس ؟

والجواب كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنه قد أحترز في هذا عما هو لبعض المخلوقات كمالاً دون بعض ، وهو نقص بالإضافة إلى الخالق لاستلزامه نقصا كالأكل والشرب مثلا ، فإن الصحيح الذي يشتهي الأكل والشرب من الحيوان أكمل من المريض الذي لا يشتهي لأن قوامه بالأكل والشرب ، فإذا قدر أنه غير قابل له كان نقصا عن القابل لهذا الكمال ، لكن هذا يستلزم حاجة الأكل والشارب إلى غيره ، وهو ما يدخل فيه الطعام والشراب وهو مستلزم لخروج شيء منه كالفضلات .

وما لا يحتاج إلى دخول شيء فيه أكمل ممن يحتاج إلى دخول شيء فيه ، وما يتوقف كماله على غيره أنقص مما لا يحتاج في كماله إلى غيره ، فإن الغني عن الشيء أعلى به ، والغني بنفسه أكمل من الغني بغيره .

ولهذا كان من الكمالات ما هو كمال للمخلوق وهو نقص بالنسبة إلى الخالق وهو كل ما كان مستلزما لإمكان العدم عليه المنافي لوجوبه وقيوميته ، أو مستلزما للحدوث المنافي لقدمه ، أو مستلزما لفقره المنافي لغناه^(١) .

ولهذا فتقيد قاعدة الكمال بالقول : بأن كل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق فالله أولى به ، لأنه واهبه وواهب الكمال أولى بالكمال ، وإن كان هذا القيد لا يحتاج إليه أهل العلم والإيمان لأنهم يعلمون ما يخص الخالق من الكمال المطلق الثابت لله تعالى بصحيح المنقول وصریح المعقول .

(١) انظر : الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى ٨٧/٦ .

مسألة حول أنواع الصفات بالنسبة لثبوت الكمال وعدمه على قاعدة الكمال

تنقسم الصفات بالنسبة لثبوت الكمال لله تعالى وعدمه إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : صفات كلها صفات كمال لانقص فيها بوجه من الوجوه وذلك كالحياة والعلم والقدرة والكلام والرحمة والحكمة والعلو والاستواء واليد والوجه والنزول والضحك ونحوها ، فهذه الصفات كلها صفات كمال يجب إثباتها لله كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله تعالى وعظمته .

النوع الثاني : صفات نقص لا كمال فيها بوجه من الوجوه فهي ممتنعة في حق الله تعالى وذلك كالموت والجهل والنسيان والعمى والصمم ونحوها ولذا نفاها الله عن نفسه مع إثبات كمال ضدها الثابت لله تعالى^(١) وذلك كقوله تعالى ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ [الفرقان : ٥٨] وقول الله عز وجل عن موسى عليه السلام : ﴿ في كتابٍ لأيضلُّ ربيّ ولا يَنسى ﴾ [طه : ٥٢] وقول النبي ﷺ في الدجال : « إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور »^(٢).

النوع الثالث : أن تكون الصفة كمالا في حال ونقصا في حال ، فلا تكون جائزة في حق الله تعالى ، ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق ، ولا تثبت له إثباتا مطلقا ولا تنفى عنه نفيا مطلقا ، بل لا بد من التفصيل في ذلك ، فتجوز في الحالة التي تكون فيها كمالا ، وتمتنع في الحال التي تكون فيها نقصا وذلك كالمكر والكيد ، والخداع ونحوها ، فهذه الصفات تكون كمالا إذا كانت في مقابل من

(١) كما تقدم بيانه في قاعدة الإثبات المفصل والنفي المجمل انظر : ١ / ١٣٣ .

(٢) جزء من حديث رواه الإمام مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ٤/٢٢٤٨ ح ٢٩٣٣ من طريق

أنس بن مالك رضي الله عنه .

يعاملون الفاعل بمثلها ، لأنها حيثئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد ، وتكون نقصا في غير هذه الحال .

ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق ، وإنما ذكرها في مقابل من يعاملونه ورسله بمثلها كقوله تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٢] وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق : ١٥-١٦] وكقوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ^(١) [التوبة : ٦٧] .

فعلم مما تقدم منهج السلف في صفات الله على سبيل الإجمال ، المبني على إثبات الصفات كما وردت بلا تكييف ولا تمثيل ، وتنزيه الله تعالى عن الشبيه والمثيل بلا تحريف ولا تعطيل ، وأنه ينبي على قواعد شرعية مستنبطة من وحي الله تعالى كقاعدة الجمع بين الإثبات والتنزيه المستنبطة من قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وقاعدة الكمال على قياس الأولى المستنبط من مثل قول الله تعالى : ﴿ وله المثل الأعلى في السموات والأرض ﴾ وقاعدة الإثبات المفصل والنفي الجمل المتضمنة لإثبات الكمال لله تعالى ، المستنبطة من طريقة القرآن الكريم في الإثبات والتنزيه ، والتي يعلمها كل من سلك منهج أهل السنة في صفات الله المستنبط من وحي الله عز وجل ، وابتعد عن منهج أهل الكلام المذموم ، المبني على الشبهات ، والأقيسة الفاسدة التي عارض بها أربابه المتكلمون وحي الله تعالى ، وعطلوا بها الباري عز وجل عن صفات الكمال !

○ ○ ○ ○

(١) انظر : بدائع الفوائد ١/١٤٦-١٤٧ و١٦١ والقواعد المثلى ص/١٨-٢٠ .

الباب الأول

مقالة التشبيه أنواعها نشأتها أسبابها ومصدرها

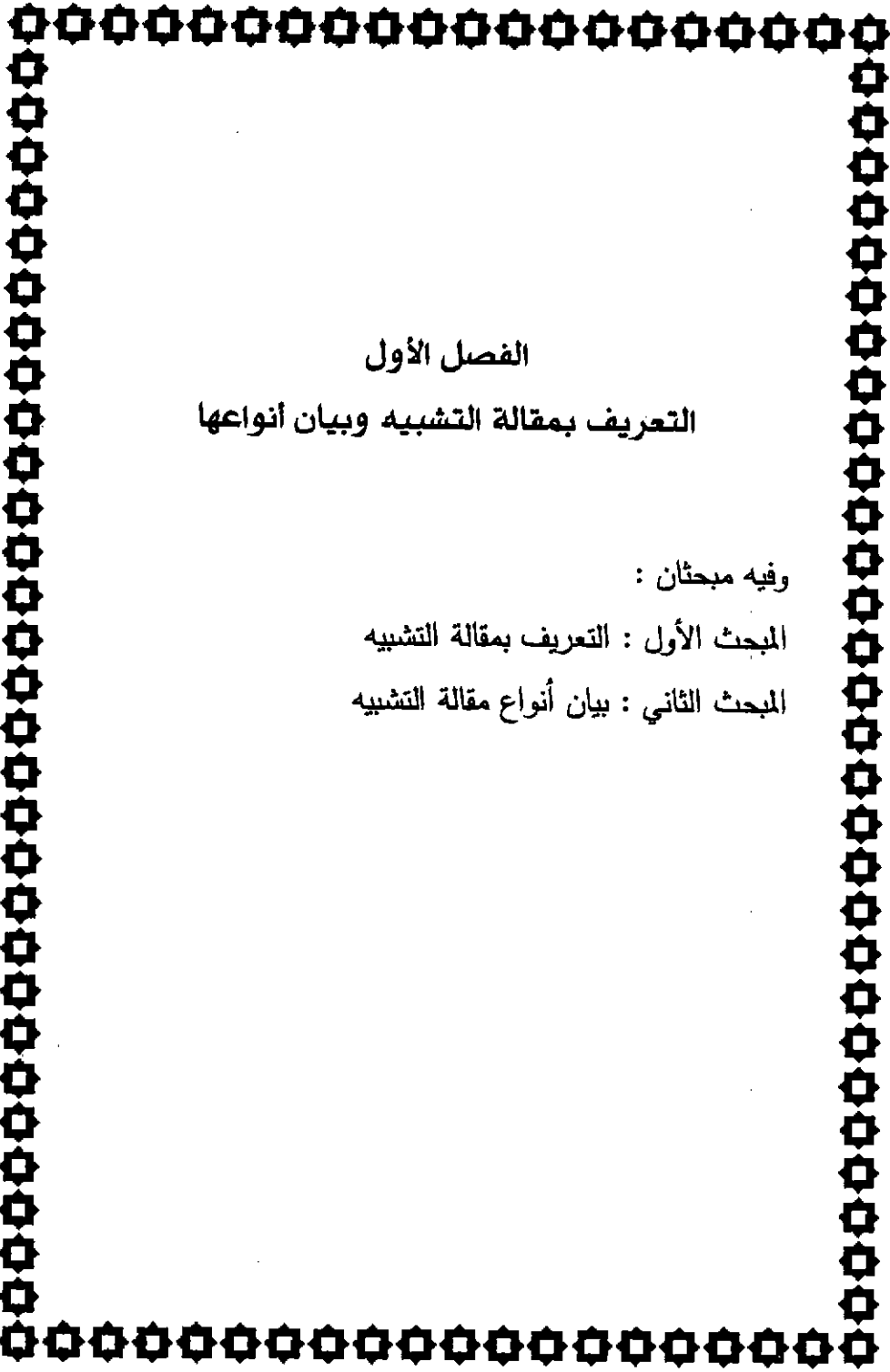
وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التعريف بمقالة التشبيه وبيان أنواعها

الفصل الثاني : نشأة مقالة التشبيه في الإسلام وبيان أسبابها

ومصدرها وجذورها التاريخية

الفصل الثالث : التعريف بطوائف المشبهة



الفصل الأول
التعريف بمقالة التشبيه وبيان أنواعها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التعريف بمقالة التشبيه

المبحث الثاني : بيان أنواع مقالة التشبيه

المبحث الأول
التعريف بمقالة التشبيه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بالمقالة

المطلب الثاني : التعريف بمقالة التشبيه

المطلب الأول

التعريف بالمقالة

المقالة من القول . يُقال في اللغة : قال ، يقول ، قولاً ، ومقالة ، وقولة ومقالاً^(١) . واسم الفاعل منه : قائل ، واسم المفعول مقوول ، وجمعه : أقوال^(٢) .
وجميع تصاريف لفظ القول الذي منه المقالة يدل على القول الحسن أو السيئ قليلاً كان أو كثيراً ، وقد تطلق على الآراء والاعتقادات ، كما تطلق على الأعمال^(٣) .
وأصل القول النطق والكلام تاماً كان أو ناقصاً قليلاً أو كثيراً^(٤) . وكما تطلق المقالة على الجملة من الكلام تطلق كذلك على الكلام والحديث الطويل ومنه المقالة الصحفية التي تشتمل على عمود أو أكثر .
ومن إطلاق المقالة على الحديث طويلاً كان أو دونه قول الرسول ﷺ : « نضر الله امرئاً سمع مقالتي فبلغها »^(٥) أي : حديثي ويدل على ذلك ماورد في الرواية الأخرى : « نضر الله امرئاً سمع منا حديثاً فبلغه كما سمعه »^(٦) .

-
- (١) انظر : تهذيب اللغة ٣٠٥/٩ والصحاح ١٨٠٦/٥ ومعجم مقاييس اللغة ٤٢/٥ والقاموس المحيط ص/١٣٥٨ . مادة « قَوْل » .
(٢) انظر : لسان العرب ٥٧٦/١١ مادة « قَوْل » .
(٣) انظر : تهذيب اللغة ٣٠٥/٩ والنهية في غريب الحديث والأثر ٢٤/٤ ولسان العرب ٧٥٣/١١ مادة « قَوْل » .
(٤) انظر : الصحاح ١٨٠٦/٥ ومعجم مقاييس اللغة ٤٥/٥ ولسان العرب ٥٧٣/١١ مادة « قَوْل » .
(٥) جزء من حديث رواه ابن ماجه في المقدمة انظر : سنن ابن ماجه ١/٨٤ ح ٢٢٦ من طريق زيد بن ثابت « وصححه الشيخ ناصرالدين الألباني انظر : صحيح ابن ماجه ١/٤٤٤-٤٥٥ ح ١٨٧ .
(٦) جزء من حديث رواه الترمذي في كتاب العلم وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ورواه ابن ماجه في المقدمة انظر : سنن ابن ماجه ١/٨٥ ح ٢٣٢ وصححه الشيخ الألباني رحمه الله انظر : صحيح ابن ماجه ١/٤٥٠ ح ١٨٩ والسلسلة الصحيحة ١/٤٥٠ ح ٤٠٤ .

ومنه حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أرأيتمكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد » (١) .
قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : « فوهل (٢) الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك ... » (٣) . أي : وهموا في فهمها وغلطوا في فهم مراد رسول الله ﷺ .
والشاهد أن المقالة تطلق على الكلام قليلا أو كثيرا .
وتطلق المقالة على القول الحسن الممدوح ، أو السيئ المذموم ، ومنه قولهم :
انتشرت لفلان قالة حسنة أو سيئة (٤) . ويقال : ما أحسن قولك ومقالتك (٥) .
ويعرف ذلك من سياق الكلام ، وتقنيده بالوصف كما تقدم ، أو بالإضافة كما
إذا أُضيفت المقالة إلى شيء ممدوح كانت حسنة .
ومنه قول النبي ﷺ السابق : « نضر الله امرءًا سمع مقالتي فبلغها » . ومنه مقالة
أهل الحديث .

وإذا أُضيفت إلى مذموم كانت سيئة ، من ذلك ما رواه البخاري عن سعيد بن
المسيب (٦) رحمه الله عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل ١٩٦٥/٤ ح ٢٥٧٣ .

(٢) الوهل : الفرع يُقال : وَهَلَ يَوْهَلُ ، ويطلق على النسيان والوهم والغلط . انظر : معجم مقاييس اللغة ١٤٩/٦ مادة « وَهَلَ » ولسان العرب ٧٣٧/١١ مادة « وَهَلَ » . وتأتي بفتح الهاء . كما في اللسان .

(٣) ذكره الإمام مسلم ١٩٦٥/٤ - ١٩٦٦ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٣٠٤/٩ مادة « قَوْل » .

(٥) انظر : المرجع نفسه ٣٠٥/٩ مادة « قَوْل » .

(٦) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي القرشي أحد العلماء الأئمة ،
والفقهاء الكبار ، والأئمة الأعلام ، قال عنه الحافظ ابن المديني : « لأعلم في التابعين أوسع علما
منه » وقال عنه الحافظ ابن حجر : « اتفقوا على أن مراسلاته أصح المسانيد » توفي سنة ٩٤ هـ .
انظر : تقريب التهذيب ٣٦٤/١ والأعلام ١٠٢/٣ .

عليه السلام فوجد عنده أبا جهل^(١)، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة^(٢)، فقال : « أي عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله » فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : أترغب عن ملة عبدالمطلب ، فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة ، حتى قال أبوطالب آخر ما كلمهم : على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ... »^(٣).

قال الحافظ ابن حجر : أي : « ويعيدانه إلى الكفريتلك المقالة »^(٤).
وكما تطلق المقالة على القول قليلا أو كثيرا ، حسنا أو سيئا ، قد تطلق كذلك على الاعتقادات والأفعال .

ذكر ابن الأثير^(٥) أن العرب تجعل القول عبارة عن الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بيده . أي : أخذ . وقال برجله : أي : مشى . وقال بثوبه . أي : رفعه . وتطلق على الإشارة . ومنه قول الشاعر :

وقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدرا لما يُثَقَّب^(٦)

(١) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي كان أشد الناس عداوة للنبي « وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها ، وكان يقال له أبوالحكم ، فدعاه المسلمون أبا جهل ، إستمر على عناده ومعاداته للإسلام حتى كانت وقعة بدر الكبرى ، فشهدها مع المشركين فكان من قتلاها سنة ٢ هـ . انظر : الأعلام ٨٧/٥ .

(٢) عبد الله بن أبي أمية بن عبد الله بن عمر المخزومي أسلم يوم الفتح . انظر : البداية ٤٩/٣ و٧/٧ . ١٠٥ .

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير ٨/٣٦٥ ح ٤٧٧٢ .

(٤) فتح الباري ٨/٣٦٦ .

(٥) تقدمت ترجمته انظر : ١ / ٥٧ .

(٦) ذكر ابن الأثير الشطر الأول منه ، وذكره ابن منظور كاملا انظر : النهاية في غريب الحديث ٤/١٢٤ ولسان العرب لابن منظور ١١/٥٧٢ ولم يذكره قائله . وقد بحث عن ذلك فلم

أجد قائله !!

وفي حديث السهو : « فقال - رسول الله ﷺ - ما يقول : ذو اليمين ^(١) ، قالوا : صدق . » ^(٢) . وروى أنهم أو مأوا برؤوسهم . أي : نعم . ^(٣) . ^(٤) !
ومن إطلاق المقالة على أمور الاعتقاد قول بعض السلف في تعريف الإيمان : « الإيمان قول وعمل ونية » ^(٥) .

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من قال بذلك من السلف أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، فالقول يتناول الاعتقادات وقول اللسان ^(٦) .
وذكر ابن منظور أن الاعتقاد إنما سُمي قولاً لأنه يخفى فلا يعرف إلا بالقول أو بما يقوم مقامه من شاهد الحال ، كرفع السبابة عند التشهد بكلمة التوحيد ، ولما كان الاعتقاد لا يظهر إلا بالقول سميت قولاً ، إذ كانت سبباً له وكان القول دليلاً عليها ^(٧) .

وقد جمع من صنف في الفرق أقوال الناس في مسائل الاعتقاد وآراءهم الاعتقادية وذكر بعض أعمالهم وسمها « مقالات » جمع مقالة ، كما فعل الإمام أبو الحسن

(١) الخزيق السلمي الملقب بذي اليمين لطولهما ، ولم يذكر الحافظ ابن حجر غير اسمه ونسبته ، وذكر أن له حديثاً في سجود السهو . انظر : فتح الباري ١١٦/٣-١١٧ والإصابة في تمييز الصحابة ٤٢٢/١-٤٢٣ .

(٢) رواه البخاري برواية « قالوا نعم » في كتاب السهو ١١٦/٣ ح ١٢٢٧ و ١٢٢٨ ح ١٢٢٨ ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برواية « قالوا صدق » ٤٠٣/١ ح ٩٧ .

(٣) رواه أبو داود في كتاب الصلاة ١١٢/١ ح ٦١٢ و ١٠٠٨ وذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود كتاب السهو في السجدين ١٨٨/١ ح ٨٨٦ .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ١٢٤/٤ مادة « قَوْل » .

(٥) انظر : مسائل الإيمان لأبي يعلى ص ١٥٢ و ١٥٣ وكتاب الإيمان لابن تيمية ضمن مجموع ٧/

١٧٠ .

(٦) انظر : المرجع نفسه ١٧٠/٧-١٧١ .

(٧) انظر : لسان العرب ٥٧٢/١١ مادة « قَوْل » .

الأشعري^(١) في كتابه « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » .
 فعلم مما تقدم أن المقالة في الأصل تطلق ويراد بها القول قليلا كان أو كثيرا
 حسنا كان أو سيئا ، وقد تطلق ويراد بها الاعتقادات والأعمال ويعرف ذلك من
 سياق الكلام .



(١) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سالم ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري « كان معتزليا ، ثم
 رجع إلى مذهب ابن كلاب ، ثم مرَّ الله عليه بالرجوع إلى مذهب أهل السنة والجماعة وألف في
 ذلك كتابه « الإبانة عن أصول الديانة » توفي سنة ٣٢٤هـ انظر : وفيات الأعيان ٣/
 ٣٨٤ وشذرات الذهب ٣٠٣/٢ .

المطلب الثاني

التعريف بمقالة التشبيه

تبين مما تقدم من تعريف التشبيه بأنه إثبات ما يخص المخلوق من الصفات للخالق عز وجل وجعل صفات الله تعالى مثل صفات المخلوقين ، أو أن يُعطى لمخلوق شيء من خصائص الرب تعالى التي لا يماثلها فيها أحد من المخلوقات^(١).

وإذا كانت المقالة كما تقدم تُطلق على كل قول أو اعتقاد أو فعل ممدوح أو مذموم فإنها إذا أُضيفت إلى التشبيه تشتمل على معنى التشبيه المذموم سواء كان ذلك قولاً أو إعتقاداً أو فعلاً مفضياً إلى التشبيه !!

ويقابلها مقالة التعطيل كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله فإن من شبه الله بخلقه فقد قابل إلهاد المعطلة الذين نفوا صفات الله تعالى وجحدوها ، والمشبهة شبهوا صفات الله تعالى بصفات خلقه فجمعهم الإلهاد وتفرقت بهم طرقه^(٢).

ومثال مقالة التشبيه القولية كقول المشبه : « يد الله كيدي ، ومحبتة كمحبتتي ورضاه كرضاي » ونحو ذلك من المقالات المذمومة التي فيها تمثيل الله تعالى بخلقه !! والقول يصاحبه الاعتقاد ، وقد يصاحبه الفعل ، لأن المشبه لا يقول ما يقوله من التشبيه إلا إذا اعتقد !!

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن مقالة التشبيه مقالة معروفة أنكرها الأئمة كيزيد بن هارون^(٣) وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم^(٤) ، وذكر لبيانها والتحذير

(١) انظر : ٧٩ / ١ .

(٢) انظر : بدائع الفوائد ١٥٤ / ٢ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٦٤ / ١ .

(٤) سيأتي ذكر بعض مقالات أهل السنة في إنكارهم على المشبهة وتنزيه الله عنها انظر : ٤٣٥ / ٢ .

منها أمثلة مثل قول المشبه : « يدُّ كيدي ، وبصر كبصري ، وقدم كقدمي ،^(١) ونحوها !!
ومثال مقالة التشبيه الفعلية كأن يقوم المشبه بفعلٍ يفضي به إلى الشرك بالله تعالى
الذي هو تشبيه الله بخلقه وتمثيله بهم كالذبح لغير الله ، أو السجود لغير الله ونحو
ذلك من الأعمال الشركية التي فيها تشبيه المخلوق بالخالق عز وجل^(٢) .

وكمثل إشارة المشبه عند ذكر صفة من صفات الله تعالى إلى أعضائه وجوارحه
قاصداً بذلك التشبيه^(٣) . ومن ذلك التكيف فإنه مستلزم للتشبيه ومفضٍ إليه^(٤)
والتكيف هو : إعتقاد المثبت أن كيفية صفات الله كذا وكذا من غير أن يقيدتها
بمائل^(٥) ، فإذا قيدها بمائل يجعل كيفية صفات الله ككيفية صفات المخلوقين فقد
وقع في مقالة التشبيه المذموم كما إذا قال : « استواء الله على عرشه بمماسة أو
ملاقات »^(٦) .

فهذا مشبه لاستواء الله باستواء الانسان على السرير أو نحوه الذي يكون استوائه
عليه بمماسة أو ملاقات ، وإنما وقع في ذلك نتيجة التكيف !!!
والفرق بين التكيف والتمثيل : أن التكيف أعم من التمثيل ، فكل تمثيل تكيف ،
لأن من مثل صفات الله بصفات المخلوق فقد كيّف تلك الصفة ، أي : جعل لها
كيفية وحقيقة معينة !!

(١) انظر : درء تعارض العقل ١٤٥/٤ .

(٢) وسيأتي بيانه انظر : ٣ / ٨٦ - ٩٩ و ١٩٦ - ٢١١ .

(٣) سيأتي توضيح ذلك وموقف أهل السنة منه انظر : ٢ / ٤٤٤ - ٤٤٥ و ٢ / ٥٥٢ و ٥٦٢ - ٥٦٣ .

(٤) كما سيأتي بيانه وموقف أهل السنة منه انظر : ص / ٢٦٢ - ٢٦٩ .

(٥) انظر : القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی ص / ٣٦ .

(٦) كما قال الكرامية وستأتي مقالتهم هذه وبيان موقف أهل السنة منها انظر : ١ / ٤١٦ - ٤١٧ و

وليس كل تكيف تمثيل لأن من التكيف ما ليس فيه تمثيل بصفات المخلوقين كقول الهشامية^(١) عن الله تعالى : « طوله كمثل عرضه »^(٢) !! لأن مقالتهم البدعية هذه ليست مقيدة بمائل !!

ومن ناحية أخرى أن التكيف يختص بالصفات ، أما التمثيل فيكون في الذات والصفات والقدر ، فمن هذا الوجه يكون التمثيل أعم لتعلقه بالذات والصفات والقدر^(٣).

فمقالة التشبيه والتكيف متلازمان ، فحيث يكون التشبيه يكون التكيف ، ولذا يقول كثير من السلف في بيان مذهبهم في صفات الله والرد على المتدعة في ذلك : « بلا تكيف ولا تمثيل »^(٤). لأن التكيف طريق إلى القول بمقالة التشبيه ولذا نهى عنه السلف أشد النهي وحذروا منه أعظم تحذير كما سيأتي^(٥) !!
فعلم مما تقدم أن المراد بمقالة التشبيه كل اعتقاد أو قول أو فعل فيه تشبيه الله تعالى في ذاته وصفاته بذوات خلقه وصفاتهم ، أو إعطاء المخلوق ما هو خاص بالخالق عز وجل من الصفات والأفعال !!



(١) سيأتي التعريف بهم وبمقالتهم في التشبيه انظر : ١ / ٢٥٧ - ٢٦٣ .

(٢) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للدكتور : محمد خليفة التميمي ص / ٧٨

(٣) انظر : فتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل في العقائد للشيخ ابن عثيمين ص / ٤٤ .

(٤) انظر : ١ / ١٢١ و ٣٨٢ وما بعدها .

(٥) انظر : ١ / ٣٩٠ - ٣٩٩ .

المبحث الثاني
بيان أنواع مقالة التشبيه

التشبيه الذي ضلُّ به من ضلُّ من الناس على نوعين :

النوع الأول : تشبيه الخالق بالخلق

ومعناه : أن يثبت لله في ذاته وصفاته مثل ما يثبت للمخلوق^(١).

فمثال تشبيه ذات الله تعالى بذوات المخلوقين مثل قول المشبه : إن الله جسم لحم ودم^(٢). ونحو ذلك من المقالة الضالة التي فيها تشبيه الله في ذاته بالمخلوق الفاني^(٣) !!

ومثال تشبيه صفات الله بصفات المخلوقين مثل قول المشبه يد الله مثل أيدي المخلوقين ، واستوائه كاستوائهم ، ونحو ذلك من المقالات الضالة التي فيها جعل صفات الله تعالى من جنس صفات المخلوقين^(٤) !!

ومن تشبيه الخالق بالمخلوق وصف الله بما يتعالى ويتقدس عنه من صفات النقص المختصة بالمخلوق كقول من قال من اليهود قبهم الله إن الله فقير ، وإنه بخيل وإنه تعب لما خلق السموات والأرض^(٥).^(٦) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !!

(١) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٣٤-٣٥ وشرح العقيدة الطحاوية ص/ ١٢١-١٢٢ و٢٣٧ وفتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل في العقائد للشيخ محمد صالح العثيمين ص/ ٥٥-٥٦ .

(٢) قائل ذلك داود الجواربي الرافضي انظر : الفرق بين الفرق للبغدادى ص/ ٢٠٨ والمثل والنحل للشهرستاني ١/ ١٠٥ .

(٣) سيأتي بيان ذلك وموقف أهل السنة منه انظر : ١/ ٣٧٦ - ٣٨١ و ٢/ ٩ - ٣٤ .

(٤) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٣٤-٣٥ ونقض التأسيس « المطبوع » ١/ ٥٨٨ . وشرح العقيدة الطحاوية ص/ ١٢٠-١٢١ وفتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص/ ٥٥-٥٦ .

(٥) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٥٢ ومنهاج السنة النبوية ٢/ ٣٩٤-٣٩٦ .

(٦) سيأتي بيان مصدر مقالة التشبيه عند من قال بها من أهل الأهواء المنتسبين إلى الإسلام انظر : ١/

النوع الثاني : تشبيه المخلوق بالخالق

ومعناه : أن يثبت لمخلوق شيء مما يختص به الخالق عز وجل من الأفعال والحقوق والصفات^(١)!!

أما تشبيه المخلوق بالخالق في الأفعال كفعل من أشرك مع الله تعالى في الربوبية كفعل بعض الضالين من الرافضة والصوفية الذين يدعون لأئمتهم ومشائخهم أن لهم أفعالا كأفعال الله عز وجل كإنزال المطر ، وإحياء الموتى ونحو ذلك من الأفعال الخاصة بالرب عز وجل التي من صرفها لغير الله تعالى فقد أشرك شركا أكبر في الربوبية ، وصار مشبها ممثلا^(٢)!

وأما تشبيه المخلوق بالخالق في الحقوق كاعتقاد المشركين أن لأصنامهم حقا في الألوهية ، فعبودها مع الله عز وجل^(٣)!!

وكفعل غلاة الشيعة الذين اعتقدوا الألوهية في الأئمة من آل البيت فعبودهم من دون الله تعالى^(٤)!!

وأما تشبيه المخلوق بالخالق في الصفات كفعل بعض الغلاة في مدح النبي ﷺ أو غيره .

(١) انظر : نقض التأسيس ه المطبوع ه ٥٨٨/١ والجواب الصحيح ٥٢/٢ وبدائع الفوائد ٣/٢٢٦-٢٢٧ والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص/٢٠٢-٢٠٤ وشرح العقيدة الطحاوية ص/٢٣٧ وتجريد التوحيد المفيد ص/٢٧-٢٨ وفتح المنان تمة منهاج التأسيس للعلامة محمود شكري الألوسي ص/٤٦٠-٤٦١ وفتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل في العقيدة ص/٥٦-٥٥ .

(٢) سيأتي بيان ذلك ونقده على وجه التفصيل في الباب الرابع .

(٣) انظر : فتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل في العقيدة ص/٥٦ .

(٤) كما فعل السبئية والمغيرة وغيرهم من غلاة الشيعة المشبهة وسيأتي ذكر ذلك عند التعريف بطوائف المشبهة انظر : ١/ ٢٣٥ و ٢٤٤ و ٢٤٧ و ٢٤٩ و ٢٥١ وما بعدها .

كقول البوصيري^(١) يمدح الرسول ﷺ :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

.....

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علوم اللوح والقلم^(٢)
ففي هذين البيتين يشبه النبي ﷺ بالله تعالى ، ويلاحظ أن تشبيهه هذا واقع في
أنواع التوحيد الثلاثة فقوله « مالي من ألوذ به سواك ... » تشبيه في الألوهية حيث
شبه النبي ﷺ بالله تعالى في ادعائه أنه يُلاذ به عند الشدائد وقوله : « فإن من
جودك الدنيا وضرتها » تشبيه في الربوبية حيث أعطى النبي ﷺ الملك المطلق للدنيا
والآخرة الخاص بالله تعالى وقوله : « ومن علومك علم اللوح والقلم » تشبيه في
توحيد الأسماء والصفات حيث وصف النبي ﷺ بالله تعالى في ادعائه أنه يعلم
علم اللوح والقلم وهذا خاص بالله عز وجل .

ومن ذلك قول المتنبي^(٣) يمدح عبيد الله بن يحيى البحراني^(٤) :

فكن كما شئت يامن لأشبيهه له وكيف شئت فما خلق يدانيك^(٥)

(١) أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي البوصيري صوفي ناظم ، من
مصنفاته : « قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية » المعروفة بالبردة . توفي سنة ٦٩٤ هـ
انظر : معجم المؤلفين ٢٨/١٠ .

(٢) قصيدة البردة للبوصيري مع شرحها عصيدة الشهدة لعمر الخريوتي ص/١٥-١٦ .

(٣) أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكندي الكوفي الشاعر المتنبي ، لادعائه النبوة
التي تاب منها ورجع عنها على يد أمير حمص ، تعرض له فأتك بن أبي جهل الأسدي في
الطريق فقتله وابنه سنة ٣٤٥ هـ انظر : الأعلام ١١٥/١ .

(٤) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه . !

(٥) ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتيبان في شرح الديوان ٣٧٩/٢ .

فقد شبهه بالخالق تعالى الذي لا شبيه له ، وهذا وصف له بصفة الألوهية ، لأن الذي لا شبيه له هو الله عز وجل .

وأكثر من وقع في تشبيه المخلوق بالخالق من هذه الأمة هم الروافض والصوفية القبورية الذين أشركوا بالله تعالى في الربوبية والألوهية بإعطائهم المخلوق ما يخص الخالق من الصفات من ملك النفع والضرر والعطاء والمنع الذي يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وغيرها من أنواع العبادة ، التي من صرفها لمخلوق فقد جعله شريكا مع الله تعالى وشبهه به عز وجل (١) . (٢)

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله تعالى وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله هو تشبيه المخلوق بالخالق بإعطائه بعض خصائص الألوهية ، وهو المعروف في طوائف أهل الشرك غُلُوقًا فيمن يعظمونه ويحبونه ، حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الألوهية ، بل صرحوا أنه إله وأنكروا جعل الآلهة إلها واحدا وقالوا كما ذكر الله عنهم : ﴿ ... وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾ سورة [ص : ٦] .

وصرحوا بأنه إله معبود يُرْجى ويُخاف ويُعظم ويُسجد له ويُحلف باسمه ، وتقرب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى ، فكل مشرك فهو مشبه لإلهه ومعبوده بالله تعالى وإن لم يشبهه به من كل الوجوه (٣) .

وأهل الكلام المذموم بإهمالهم توحيد العبادة (٤) أهملوا نقيضه من الكلام في

(١) انظر : إغاثة اللهفان ٢/٢٢٦-٢٢٧ .

(٢) سيأتي بيان ذلك ونقده على سبيل التفصيل في الباب الرابع .

(٣) انظر : إغاثة اللهفان ٢/٢٢٧ .

(٤) ينت ذلك في رسالتي الماجستير منهج السلف والمتكلمين في مواقة العقل للنقل انظر : ٢/

الشرك الذي هو تشبيه المخلوق بالخالق ، والنهي عنه ، بل شغلوا أنفسهم برّد وإبطال ما توهموه تشبيها للخالق بالمخلوق ، فعملوا الله بذلك عن صفات كماله لأنهم اعتبروا إثباتها تشبيها ، فلا يوجد في مصنفاتهم النوع الثاني من أنواع التشبيه الذي هو تشبيه المخلوق بالخالق ، والذي يعتبر توضيحه والنهي عنه من أعظم مقاصد التوحيد ، لأن إخلاص العبادة لله لا يتحقق إلا بنفي نقيضه من الشرك والتشبيه المضاد لتوحيد الله .
دفع توهم : ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله ما يفهم منه عدم وجود طائفة معينة جعلت الله تعالى مثلا لشيء من مخلوقاته ، فجعلت المخلوق أصلا وشبهت به الخالق ، بل المعروف في طوائف بني آدم كما ذكر إنما هو تشبيه المخلوق بالخالق ، بإعطائه بعض خصائص الألوهية^(١).

لكننا إذا رجعنا إلى معتقدات بعض الطوائف المنحرفة كالهشامية والمغيرية واليونسية ، وغيرهم نجدهم يشبهون الخالق في ذاته وصفاته بالمخلوق^(٢)!!
وكما ذكرت أن من أنواع التشبيه تشبيه الخالق بالمخلوق ، فماذا يقصد الإمام ابن القيم بإنكاره وجود طائفة معينة شبهت الخالق بالمخلوق !!؟

والجواب : أن الإمام ابن القيم رحمه الله لا ينفي بكلامه هذا وجود انحراف في إثبات الصفات بتشبيه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين ، ووجود طائفة معينة ضلت في هذا الجانب من الاعتقاد ، فشبهت الخالق بالمخلوق ، ومما يدل على ذلك ما يلي :
أولا : ذكره المشبهة الذين شبهوا صفات الله بصفات خلقه ، حيث ذكر منهجهم وأنهم يعتبرون ظاهر نصوص الصفات مشابها لصفات المخلوقين ، فيمثلون صفات الله بصفات خلقه^(٣) كما ذكر رحمه الله أن المشبهة الذين شبهوا الله بخلقهم

(١) انظر : إغاثة اللهفان ١٠٩/٢ .

(٢) سيأتي التعريف بهذه الطوائف وبيان مقالاتهم بالتشبيه انظر : ١ / ٢٤٤ - ٢٦٣ .

(٣) انظر : الصواعق المرسله ٤٢٥/٢ .

قد ألدوا في صفاته وقابلوا بذلك إلحاد المعطلة الذين نفوا صفاته وجحدوها وهؤلاء شبهوا صفاته بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقة^(١)!!

ثانيا : إن الإمام ابن القيم رحمه الله إنما قال بذلك في صدد رده على المتكلمين الذين شغلوا أنفسهم بالنوع الأول الذي هو تشبيه الخالق بالخلق ، وانحرفوا في ذلك باعتبارهم إثبات الصفات تشبيها^(٢) مع أن أكثر انحراف أهل الضلال من أمم أهل الأرض إنما كان بتشبيه المخلوق بالخالق بإعطائه ما للرب تعالى من صفات وأفعال ، وصرف أنواع من العبادات لغير الله تعالى ، والتي من صرفها لغير الله تعالى فقد جعله شريكا مع الله وشبهه بالخالق عز وجل^(٣)!

ولا يُوجد للمتكلمين كلام حول الشرك في توحيد الألوهية الذي هو تشبيه المخلوق بالخالق والنهي عن ذلك ، لأنهم فسروا توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية ، والشرك بالشرك في الربوبية^(٤)، ولذلك فإن كلامهم في التوحيد يدور حول إثبات توحيد الربوبية بأدلة فلسفية كلامية^(٥)أفضت بهم إلى اعتبار إثبات صفات الله تعالى تشبيها وتجسيما ، ولذلك قاموا بتعطيل الله عنها طائبا للتنزيه عن التشبيه والتجسيم المزعوم ووصموا مثبتيها بأنهم مشبهة كما سيأتي^(٦)!!

فعلم مما تقدم أن التشبيه إما أن يكون بتشبيه الخالق بالمخلوق في ذاته وصفاته ، وإما أن يكون بتشبيه المخلوق بالخالق بإعطائه بعض خصائص الربوبية والألوهية الخاصة بالله تعالى .

(١) انظر : بدائع الفوائد ١/١٥٤ .

(٢) كما سيأتي انظر : ٤٨٧/٢ - ٥٤١ و ٥٥١ و ٥٦٧ و ٣ / ٢٧٥ وما بعدها .

(٣) كما سيأتي بيان ذلك ونقده على وجه التفصيل انظر : ٣ / ٧٣ - ٨٠ و ١٩٥ - ٢١١ .

(٤) بينت ذلك في رسالتي منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل انظر : ٢/٥٧٤-٥٩١ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ٢/٥٢٥ وما بعدها .

(٦) انظر : ٢ / ١٤١ و ٤٩٤ وما بعدها .

الفصل الثاني

نشأة مقالة التشبيه في الإسلام وبيان أسبابها ومصدرها وجذورها التاريخية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشأة مقالة التشبيه في الإسلام .

المبحث الثاني : ذكر بعض أسباب ظهور مقالة التشبيه في الإسلام

المبحث الثالث : مصدر مقالة التشبيه في الإسلام .

المبحث الأول
نشأة مقالة التشبيه في الإسلام

كان المسلمون على ما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق وإخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له ، وتنزيهه عما يضاد توحيده من الشرك والتشبيه ونفي جميع النقص والعيوب وإثبات صفات الكمال لله تعالى على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته كانوا على هذا المنهج المستقيم المستمد من وحي الله تعالى حتى ظهرت طوائف أهل الأهواء والبدع وكان ذلك كما ذكر شيخ الإسلام لما قُتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ووقعت الفتنة وحصل القتال بين المسلمين في وقعة صفين ، ثم خرجت المارقة الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحدثت أيضا بدعة التشيع كالغلاة المدعين لألوهية علي فهاتان البدعتان بدعة الخوارج^(١) والشيعية^(٢) حدثتا

(١) يطلق الخوارج على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة ، ولكن إذا أُطلق فالمراد به طائفة الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب « بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي بحروراء ، وقد انقسم الخوارج إلى فرق وطوائف ومنهم : الإباضية ، والأزارقة ، والنجدات ، يجمعهم تكفير علي وعثمان ، وأبي موسى الأشعري ، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم ، وأصحاب الجمل ، والخروج على السلطان وتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار . انظر : مقالات الإسلاميين ١٦٧/١ والملل والنحل ١١٤/١ .

(٢) تعريف الشيعة مرتبط أساسا بأطوار نشأتهم ، ومراحل التطور العقدي لهم ، وذلك لأن من الملاحظ أن عقائد الشيعة وأفكارهم في تغير وتطور مستمر ، فالتشيع في الصدر الأول غير التشيع فيما بعده ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعيا إلا من قدم عليا على عثمان ، فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول : بأنهم الذين يقدمون عليا على عثمان فقط ، ثم تغير مبدأ التشيع ، فصار قناعا يتستره كل من يريد الكيد للإسلام وأهله من الأعداء المتورين الحاسدين ، ولهذا صاروا رافضة يرفضون إمامة الخلفاء ماعدا عليا ويسبون الصحابة ويقولون : بعصمة الأئمة من آل البيت وصاروا فرقا وطوائف غلاة يعتقدون عقائد فاسدة مخرجة عن الإسلام . انظر : مقالات الإسلاميين ٦٥/١ وما بعدها والملل والنحل ١٤٧/١ وما بعدها ومنهاج السنة النبوية ١/٥٨١ و٦٠/٢ وأصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية للدكتور : ناصر القفاري ١/٥٢-٥٦ .

في ذلك الوقت لما وقعت الفتنة^(١).

وذكر الإمام المقرئ ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من وصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وتنزيهه عن التشبيه والتمثيل والتعطيل والبعد عن التأويل ، والتمسك بالكتاب والسنة في جميع أمور دينهم لاسيما مسائل الاعتقاد حتى ظهر في زمانهم الخوارج الذين صرحوا بالتكفير بالذنب والخروج على الإمام وقتاله فقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وحدث في زمن الصحابة أيضا مذهب التشيع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه والغلو فيه وأدعاء الألوهية فيه فلما بلغه ذلك أنكره وأحرق جماعة ممن غلوا فيه^(٢).

وبظهور بدعة التشيع في الملة الإسلامية ظهرت مقالة التشبيه عن أصناف من الرافضة قال عبد القاهر البغدادي : « وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض والغلاة »^(٣) ويؤكد الرازي بأن تبدو ظهور التشبيه في الإسلام كان من الروافض^(٤)!! وأول طوائف الروافض قولاً به هم السبئية^(٥) أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي^(٦) الذي دخل في الإسلام ظاهراً وهو باق على يهوديته وكفره من أجل

(١) انظر : منهاج السنة ٣٠٦/١-٣٠٨ .

(٢) انظر : الخطط للمقرئ ٢١٤/٢ .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص/٢١٤ .

(٤) انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص/٧٣ .

(٥) انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري ٨٦/١ والتبني والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص/

٢٩-٣٠ . والفرق بين الفرق للبغدادي ص/٢١٣ والملل والنحل للشهرستاني ١٧٤/١ ومنهاج

السنة لابن تيمية ٧٢/١ .

(٦) عبد الله بن سبأ أصله من اليمن كان يهودياً ، أظهر الإسلام ، ورحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة

، ودخل دمشق في أيام الخليفة عثمان بن عفان « فأخرجه إليها ، فانصرف إلى مصر وجهر

بيدعته في الرفض ، وجعل ولاية آل البيت كما زعم ستارا لها ، وكان يقال له : ابن السوداء ،

لسواد أمه ، قال عنه الحافظ ابن حجر : « ابن سبأ من غلاة الزنادقة » مات نحو سنة ٤٠ هـ =

الكيد للإسلام وأهله وإفساد عقائد المسلمين وتفريق كلمتهم^(١).
 وذكر العلماء أن ابن سبأ نادى بألوهية الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ووصفه
 ببعض خصائص الألوهية قال الإمام أبو الحسن الأشعري : « وذكر عنه أنه قال لعلي »
 أنت أنت^(٢) وفسر الشهرستاني^(٣) من ذلك ما ذكره الأشعري بقوله : « ... يعني به
 أنت الإله^(٤) . وذكر عبد القاهر البغدادي أن ابن سبأ غلا في علي رضي الله عنه فزعم
 أنه كان نبيا ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا على ذلك قوما من غواة الكوفة
 فاتبعوه^(٥) !! وقد تبعه على مقالته الفاسدة هؤلاء الغواة الذين أُطلق عليهم السبئية فغلوا
 في علي رضي الله عنه وادعوا فيه الألوهية ، وقالوا له : أنت الخالق الباري فاستتابهم
 الإمام علي رضي الله عنه فلم يرجعوا فأمر بإحراقهم فأحرقوا^(٦).
 وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم قالوا لعلي رضي الله عنه : أنت الله الذي لا إله
 إلا هو^(٧) وسواء قالوا فيه ما ذكره الملطي « الخالق الباري » أو ما ذكره شيخ الإسلام

= انظر : ترجمته في لسان الميزان ٢٢/٤-٢٥ والأعلام ٨٨/٤ .

(١) انظر : مفصل الاعتقاد ضمن مجموع الفتاوى ٤/٢٢٨ و٤٣٥ وكتاب الفقهاء الجهاد - ضمن

مجموع الفتاوى ٢٨ / ٤٨٣ وشرح العقيدة الطحاوية ص/ ٥٧٨ .

(٢) مقالات الإسلاميين ٨٦/١ وراجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٢٥/١ .

(٣) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني كان فقيها متكلماً على طريقة الأشاعرة ،

لكنه تبين له فسادها فقدم وله في ذلك شعر . من مصنفاته : « نهاية الإقبال في علم الكلام » و« الملل

والنحل » توفي سنة ٤٥٨ هـ انظر : طبقات الشافعية ٤/٧٨ وشنرات الذهب ٤/ ٥٤٩ .

(٤) الملل والنحل ١/ ١٧٤ .

(٥) انظر : الفرق بين الفرق ص/ ٢١٣ .

(٦) انظر : التبيين والرد على أهل الأهواء والبدع ص/ ٢٩ والفرق بين الفرق ص/ ٢١٣ ومنهاج السنة

٣٠٦/١-٣٠٧ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٢٥/١ .

(٧) انظر : منهاج السنة ١/ ٣٠٦ .

« أنت الله الذي لا إله إلا هو » فإنهم قد أعطوه صفة الإلهية والربوبية وشبهوه بالخالق تعالى الذي لا شبيه له ولا مثل ، وكان موقفه منهم رضي الله عنه أن حكم بكفرهم ، وأمر بإحراقهم ، وقد تمادوا في كفرهم وعتوهم حتى وهم يؤمنون في النار ، فجعلوا إحراقهم دليلاً على صحة مقالاتهم التشبيهية الكفرية حيث قالوا : صح عندنا أنك الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله^(١) . وفي إحراقهم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجمت نارا ودعوت قنبراً^(٢) .
يريد قنبراً^(٣) مولاة ، قال الإمام ابن حزم^(٤) : « وهو الذي تولى طرحهم في النار ، نعوذ بالله من أن نفتن بمخلوق ، أو يفتن بنا مخلوق فيما جل أو دق ، فإن محنة أبي الحسن رضي الله عنه بين أصحابه رضي الله عنهم ، كمحنة عيسى عليه السلام بين أصحابه من الرسل عليهم السلام^(٥) . أما ابن سبأ فقد نجا من القتل وذلك لأن

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤٦/٥-٤٧ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٢٥/١ .

(٢) انظر : التبيين للملطي ص/٢٩ والفصل لابن حزم ٤٧/٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٢٥/١ .

(٣) هو قنبر مولى علي « لم يثبت حديثه ، قال الأزدي : « كبر حتى لا يدري ما يقول أو يروى » وقال الذهبي : « قلت قل ماروى » انظر : ميزان الاعتدال ٣/٣٩٢ ولسان الميزان ٥/٥٣٠ .

(٤) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري الإمام الفقيه الحافظ المجتهد صاحب التصانيف قال عنه الإمام الذهبي : « وكان صاحب فنون فيه دين وتورع » وذكر شيخ الإسلام أن ابن حزم يعظم السلف وأئمة الحديث ، لكنه قد خلط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصفات ماصرفه عن موافقة أهل الحديث ، وله إسراف في نفي المعاني بسبب متابعتها الظواهر ، وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة ما لا يدفعه مكابر . توفي سنة ٤٥٦ هـ انظر : معجم الأدباء ٢/٢٣٥ وتذكرة الحفاظ ٣/١٤٨ ونقض المنطق ص/ ١٧-١٨ وضمن مجموع الفتاوى ٤/١٨-١٩ .

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤٧/٥ .

عليا رضي الله عنه كما ذُكر نفاه إلى المدائن^(١).^(٢) وذكر شيخ الإسلام أنه هرب منه إلى أرض قرقيسيا^(٣).

ورجح الدكتور غالب العواجي أن عليا رضي الله عنه تركه لعدم ثبوت تلك الأقوال عنده ، لأن ابن سبأ كان يرمي بها من خلف ستار^(٤).

ومهما يكن من أمر فإن ابن سبأ نجا من القتل ، حتى قُتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما بلغه ذلك ادعى أنه لم يقتل وإنما الذي قُتل شيطان تصور للناس في صورته ، وأن عليا صعد إلى السماء . وقد نشر ابن سبأ ضلالاته في المدائن والكوفة ، وجذب إليها أنصاره من جديد ، فاجتمع إليه جماعة من الغواة ، وأهلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشبهوه بالخالق^(٥). ومن السبئية انتشرت مقالة التشبيه بين غلاة الشيعة^(٦).

ويظهر مما تقدم أن مقالة التشبيه التي ظهرت بظهور ابن سبأ وشيعته السبئية ، إنما كانت من نوع تشبيه المخلوق بالخالق بتأليهه وإعطائه بعض خصائص الألوهية .

(١) مدينة كانت تقع بين دجلة والفرات كان يسكنها الأكاسرة ملوك الفرس ، سميت بذلك لأنها مجموعة مدن متقاربة ، فتحت على يد سعد بن أبي وقاص « في صفر سنة ٥ في أيام الخليفة عمر بن الخطاب » انظر : معجم البلدان ٥/٧٤-٧٥ .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق ص/٢١٥ والملل والنحل ١/١٧٤ .

(٣) بلدة على نهر الخابور ، وعندها مصب الخابور في الفرات ، فهي في مثلث بين الخابور والفرات ، فتحها حبيب بن مسلمة الفهري صلحا ، فنقض أهلها الصلح ، ثم فتحها عمير بن سعد على مثل صلحهم الأول . انظر : معجم البلدان ٤/٣٢٨-٣٢٩ .

(٤) انظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب العواجي ١/١٤٦-١٤٧ .

(٥) انظر : الفرق بين الفرق ص/٢١٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٤٢٥ .

(٦) انظر : ١ / ٢٣٥ .

وهذه المقالة مستلزمة لتشبيه الخالق بالخلق ، لأن من يقدر الله حق قدره ويعظمه ويثبت له صفات الكمال لا يشبهه المخلوق الناقص العاجز به عز وجل ، ولأن من يشبه المخلوق بالخالق فلا بد وأن ينتقص الخالق ، ويقول بالحلول الذي هو إنزال للخالق من منزلة الألوهية وإدخاله في بدن المخلوق وهذا متضمن لتشبيه الخالق بالخلق كما سيأتي بيانه ونقده على وجه التفصيل^(١)!

أما التصريح بتشبيه الخالق بالمخلوق فقد ظهر به الرفض أيضا . وأول الطوائف قولاً به هم البيانية أتباع بيان بن سمعان^(٢) الذي ظهر في أوائل القرن الثاني وزعم أن الله رجل من نور على صورة إنسان ، وأنه يهلك كله إلا وجهه^(٣) تعالى الله عن قوله علوا كبيرا !!!

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن أول من عُرف عنه في الإسلام أنه قال : إن الله جسم^(٤) هو هشام^(٥) بن الحكم^(٦) .

ولذا ذكر الرازي أن بدو التشبيه كان على يد هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي^(٧) ويونس بن عبد الرحمن

(١) انظر : ٢٨٤/١ - ٣٠١ و ٦٤ / ٣ و ١٠٧ - ١٣٨ .

(٢) سيأتي التعريف به وبطائفته ومقالاتهم في التشبيه .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ٦٧/١ والفرق بين الفرق ص/٢١٦ والفصل ٤٤/٥ .

(٤) سيأتي موقف أهل السنة من هذه المقالة انظر : ٢٤٠/١ .

(٥) هشام بن الحكم الشيباني بالولاء الكوفي الرافضي ، متكلم مناظر ، كان من شيوخ الإمامية في وقته ، من الجسمة الغلاة . وكان يقول بالجبر توفي سنة ١٩٠ هـ انظر : مقالات الإسلاميين ١/١

١٠ والفرق بين الفرق ص/٧١-٧٢ ولسان الميزان ٢٦٥/٧ والأعلام ١٠٦/٨ .

(٦) انظر : منهاج السنة ٧٣-٧٢/١ .

(٧) هشام بن سالم الجواليقي الجعفي من الإمامية ومتكلميهم ، مفرط في التشبيه والتجسيم ، وتسمى طائفته بالهشامية الجوالقية ، انظر : مقالات الإسلاميين ١/١٠٩ والفرق بين الفرق ص/٧٥ .

القمي^(١) وغيرهم^(٢)!! ولعله يقصد بذلك من قال : إن الله جسم وشبه الله في ذلك بالخلق ، وإلا فإن مقالة تشبيه الخالق بالخلق ظهرت قبل ذلك كما تقدم على يد بيان ابن سمعان في أوائل القرن الثاني الهجري ، لكن من قال بها من المشبهة لم يكونوا من المتكلمين كالهشامية والكرامية^(٣) الذين أخذوا ببعض أصول المتكلمين الفلسفية وزادوا في إثبات الصفات حتى انتهوا إلى تشبيه الخالق بالخلق كما سيأتي^(٤)!

فَعَلِمَ مما تقدم أن مقالة التشبيه بنوعيتها ، سواء كانت بتشبيه الخلق بالخالق ، أو الخالق بالخلق إنما ظهرت في العالم الإسلامي أول ما ظهرت من الرفض ، فهم أرباب التشبيه وأهله كما قال الجاحظ^(٥) عنهم « ليس على ظهرها^(٦) رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله »^(٧)!!

(١) أبو محمد يونس بن عبد الرحمن مولى علي بن يقطين ، من متكلمي الإمامية ، أفرط في التشبيه والتجسيم ، وله مصنقات منها : « الدلالة على الخير » و « الشرائع » توفي سنة ٢٠٨ هـ انظر : مقالات الإسلاميين ١١٠/١ والفرق بين الفرق ص/٧٦ والأعلام ٢٦١/٨-٢٦٢ .

(٢) انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص/٧٣

(٣) سيأتي التعريف بهم ومقالاتهم في التشبيه انظر : ٢٤٠/١ و٢٤٧ و٢٥٣-٢٥٦ .

(٤) انظر : ٣٠٣/١ و٣٠٦-٣١٠ و٣٥٤ و٤١٦-٤١٨ و٤٥٩-٤٦٢ و ٩/٢ و ١٠-٨٥ .
٨٧ و ١١٧-١١٩ و ١٢٩-١٣١ .

(٥) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ المعتزلي ، طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وروج كثيرا من مقالاتهم بعبارته البليغة ، وإليه تنتسب طائفة الجاحظية من المعتزلة ، قال عنه الحافظ ابن حجر رحمه الله : « وكان من أئمة البدع » . مات سنة ٢٥٥ هـ انظر : الملل والنحل ١/٧٥ ولسان الميزان ٢٨٦/٥ و٢٩١ ومعجم المؤلفين ٧/٨ .

(٦) يقصد على ظهر الأرض . ١١

(٧) ذكره شيخ الإسلام في منهاج السنة ٧٣/١ وذكر أن الجاحظ قال ذلك في كتابه « الحجج في النبوة » وقد نشرت قطعة من كتاب الجاحظ « الحجج في النبوة » في رسائل الجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون ٢٨١-٢٢٣/٣ وانظر : تعليق الدكتور : محمد رشاد سالم على منهاج =

فالجاحظ وإن كان معتزليا معطلا إلا أن ما قاله عن الرافضة حق كما وسيوضح ذلك عند التعريف بطوائف الرافضة ومقالاتهم في التشبيه قديما وحديثا !!



= السنة ١ / ٧٣ هامش رقم ٢ . وقد بحثت عن قول الجاحظ في الرافضة الذي ذكره شيخ الإسلام فلم أجده فلعله في القطعة المفقودة !!

المبحث الثاني

ذكر بعض أسباب ظهور مقالة التشبيه في الإسلام

إن ظهور الانحراف في مسائل الاعتقاد ولاسيما في توحيد الله في المجتمع المسلم الذي قام على أساس من العقيدة الصحيحة المستقيمة المستمدة من الكتاب والسنة أمرٌ شاذٌ وغريبٌ يحتاج إلى وقفة تأمل لمعرفة الأسباب التي أدت بفرق أهل الأهواء والبدع ومنهم المشبهة إلى الانحراف عن التوحيد وإخلاص العبادة لله إلى الشرك ، وتأليه المخلوق وإعطائه ما للرب تعالى من صفات وأفعال ، ومن إثبات الصفات على الوجه اللائق بالله إلى وصف الله بما لا يليق به من التشبيه والتمثيل المضادان لتوحيد الأسماء والصفات !

ولكن كانت هذه الانحرافات وغيرها في مبدء أمرها فردياً ينتحله بعض الأفراد إلا أنها تطورت ، حتى أصبحت خطراً يهدد المسلمين في عقيدتهم^(١) التي هي أساس وحدتهم ، فتفرق بسببها كثير من المسلمين إلا من رحم ربك ، إلى طوائف وفرق متناحرة متباغضة متعادية ، ولعل أهم الأسباب التي أدت إلى انحراف أهل الأهواء والبدع ومنهم المشبهة مايلي :

١- الإعراض عن الكتاب والسنة واتباع الهوى

من أعظم أسباب ظهور المقالات الفاسدة في المجتمع المسلم ومنها مقالة التشبيه عند المشبهة الإعراض عن الكتاب والسنة ، واتباع الهوى الذي يعتبر من أعظم الأسباب في فساد الاعتقاد ، بل هو كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله سبب لفساد العالم وخرابه^(٢).

ويعتبر من قال بمقالة التشبيه فشبّه الله تعالى بخلقه أو شبه المخلوق به وأعطاه بعض خصائص الربوبية والألوهية من أشدّ الناس إعراضاً عن وحي الله واتباعاً للهوى

(١) ستتضح للقارئ هذه الحقيقة عند القراءة في أبواب هذه الرسالة وقصولها إن شاء الله تعالى .

(٢) انظر : أعلام الموقعين ٧١/١ .

ومعظم القائلين بمقالة التشبيه من الروافض الغواة^(١)، والصوفية المنحرفين الضلال^(٢) الذين اتبعوا أهواءهم ووصفوا المخلوق الناقص العاجز بصفات الخالق ، وصرفوا للمخلوق أنواعا من العبادات التي لا يستحقها إلا الله عز وجل !!

وقد وصف شيخ الإسلام رحمه الله الراقضة بأنهم أعظم أهل الأهواء جهلا وظلما^(٣). ووصفهم بأنهم أجهل الناس بمعرفة المنقولات والأحاديث والآثار والتمييز بين صحيحها وضعيفها فلا نقل لهم ولا عقل^(٤)!

ولذا اتبعوا أهواءهم فضلوا ضلالا بعيدا برفعهم المخلوق إلى منزلة الخالق عز وجل ، وقولهم بمقالات شركية ، ووصفهم الباري تعالى بما لا يليق به من صفات النقص التي لا يقول بها من له أدنى مسكة من عقل وإيمان !

وبسبب إعراضهم عن وحي الله واتباعهم لأهوائهم قالوا على الله وصفاته بالظن والتخمين والجهل ، ودخلوا في مسائل لم يأذن الله لهم بدخولها ، وطلبوا علما استأثر الله به دون خلقه^(٥) وصاروا كهفا يلجأ إليه كل من أراد إفساد عقائد المسلمين ، وتفريق كلمتهم من اليهود والزنادقة حين رأوهم أعرق أهل الأهواء في الكفر ودلسوا ضلالاتهم بتأويلاتهم !! وقد أعماهم إتياع الهوى وأفسد عقولهم فصارت كما ذكر شيخ الإسلام تقبل كل قول يخرج قائله من الإسلام ، ولذا صار المرتدون والمنافقون فيهم أكثر منهم في غيرهم من أهل البدع والضلال^(٦).

(١) سيأتي التعريف بطوائف المشبهة وبيان أن معظمهم من الروافض انظر : ٢٣٥/١ .

(٢) سيأتي ذكر بعض مقالاتهم في التشبيه ونقدتها انظر : ٢٨٣/١ و ١٠٣/٣ .

(٣) انظر : منهاج السنة ٢٠/١ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ٥٨ و ٨/١ .

(٥) انظر : التحف في مذاهب السلف للشوكاني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٨٥/٢ .

(٦) انظر : منهاج السنة ٦٩/١ .

وبسبب اتباعهم لأهوائهم غلوا في الأئمة من آل البيت حتى أخرجوهم عن حدود الخليفة وحكموا فيهم بأحكام الألوهية وشبهوهم بالخالق عز وجل^(١).

وليس هذا الوصف خاصا بفرق الغلاة منهم بل يشمل جميع الرافضة إلى يومنا هذا فإنهم جميعهم قد غلوا فيمن انتسبوا إليهم من أئمة أهل البيت ظلما وزورا وشبهوهم بالخالق عز وجل^(٢)!!

وقد أعرضت طوائف أهل البدع ومنهم المشبهة^(٣) عن وحي الله تعالى واتبعوا أهواءهم ولذا قالوا على الله تعالى وصفاته بغير علم فشبهوه بالمخلوق ، وشبهوا المخلوق به ، فوقعوا في أعظم المحرمات عند الله تعالى وأشدّها إثما ، فإن القول على الله بلا علم كما ذكر الإمام ابن القيم من أعظم المحرمات عند الله وأشدّها إثما ، فإنه يتضمن الكذب على الله ، ونسبته إلى ما لا يليق به وتغيير دينه وتبديله ، ونفي ما أثبتته وإثبات ما نفاه وتحقيق ما أبطله ، وإبطال ما حققه ، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه ، ولا أشدّ إثما وهو أصل الشرك والكفر وعليه أسست البدع والضلالات ، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم ، ولهذا إشتد نكير السلف والأئمة لها وصاحوا بأهلها في أقطار الأرض ، وحذروا من فتنهم أشدّ التحذير وبالغوا في ذلك مالم يببالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان ، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد ، ولذلك أنكر تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان فقال : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكَذِبَ

(١) انظر : الملل والنحل ١/٣٧ .

(٢) سيأتي بيان ذلك انظر : ٢٣٣/١ و ٢٦٤ و ١٧/٣ .

(٣) سيأتي التعريف بطوائف المشبهة ومقالاتهم في التشبيه على وجه التفصيل انظر : ١ / ٢٣٥ و

٢٦٤ و ٢٨٣ و ١٧/٣ و ١٠٣ .

هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴿ [النحل : ١١٦] .
فكيف بمن نسب إلى أوصافه سبحانه وتعالى ما لم يصف به نفسه ، ونفى عنه
منها ما وصف به نفسه^(١) كما فعل المعطلة !

٢- الغلو المذموم

يطبق الغلو ويراد به مجاوزة الحد في كل شيء ، يُقال في اللغة : غَلَ الرجل في
الأمر يغلُو يغلُو إذا جاوز حدَّهُ^(٢) وغَلَ في الدين يغلُو تجاوز حدّه^(٣) .
ومعنى الغلو في الشرع : مجاوزة الحد المشروع والتشدد في أمور الدين والمبالغة
في ذلك إلى حد الخروج عن الاعتدال إلى ارتكاب ما نهى الله عنه^(٤) !!
وهذا عام يشمل الغلو في أصول الدين وفروعه ، فإن الغلو عام يكون في
الاعتقادات والأعمال بأنواعها^(٥) .

وما يعنينا هنا هو الغلو الذي صار سببا في ظهور طوائف المشبهة من الرافضة والصوفية
الذي هو : مجاوزة الحد في محبة مخلوق وتعظيمه والغلُو فيه برفعه فوق منزلته إلى
مرتبة الألوهية وإعطائه ما للرب تعالى من صفات وأفعال ، وصرف أنواع العبادة له !!
والمبالغة في إثبات الصفات ، والزيادة في ذلك إلى حد تشبيه صفات الخالق بالمخلوق !!
ذكر شيخ الإسلام أن الغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله ، بل
أفضل من الإله في بعض الأمور ، كما تجدد كثيرا من المشركين يحب ما اتخذ من
دون الله أندادا أكثر مما يحب الله تعالى ، وتجد أحدهم يحلف بالله ويكذب

(١) انظر : مدارج السالكين ١/٣٧٨ .

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة ٤/٣٨٧-٣٨٨ مادة « غَلَ » .

(٣) انظر : لسان العرب ١٥/١٣٢ مادة « غَلَ » .

(٤) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص/٩٦ و٥ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ص/٩٦ وفتح الباري ١٣/٢٨١ وتيسير العزيز الحميد ص/٣٠٥ .

ويحلف بما إتخذته ندًا من إمامه أو شيخه أو غير ذلك ولا يستجيز أن يكذب وتساءله بالله ولله فلا يُعطي ، وتساءله بما يعظمه من إمامه أو شيخه أو غير ذلك فيعطي^(١).

فالغلو بتعظيم الأشخاص ورفعهم فوق مكانتهم وإطرائهم في المدح والثناء كان سببا من الأسباب في ضلال من وقع في مقالة تشبيه المخلوق بالخالق كالرافضة الذين غلو في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأولاده من بعده وغيرهم حتى أعطوهم بعض خصائص الخالق وشبهوهم به عز وجل .

ولذا فإن مصطلح « الغلاة » إذا أُطلق في كتب الفرق والمقالات فإنه يُقصد به الذين انتحلوا التشيع وغلوا في الأئمة من آل البيت ، أو في زعمائهم من غير آل البيت حتى عرفوا بغلاة الشيعة لغلوهم في الأئمة وهم بريئون منهم ومن مقالاتهم الكفرية فيهم كما سيأتي^(٢)!!

ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري سبب تسمية غلاة الشيعة بذلك بقوله : « سماوا غالية لأنهم غلوا في علي وقالوا فيه قولا عظيما »^(٣). ويعني بذلك مقالة السبئية في علي السابقة « أنت الله الذي لا إله إلا هو »^(٤).

فهم أول طائفة في الإسلام غلت في علي « وشبهوه بالخالق كما تقدم ، ثم تبعهم على ذلك طوائف الشيعة الذين غلوا في الأئمة من آل البيت وغيرهم من زعمائهم فوقعوا في مقالة التشبيه المخرجة من الإسلام ، وفي ذلك يقول الإمام الشهرستاني : « الغالية هم الذين غلوا في أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليفة وحكموا فيهم

(١) انظر : منهاج السنة ٢/٣٩٤-٣٩٥ .

(٢) انظر : ص / ١٨٤-١٨٦ و ٧٧٦-٧٧٧ .

(٣) مقالات الإسلاميين ١/٦٦ .

(٤) انظر : ١/٢٣٥ .

بأحكام الإلهية فرجما شهبوا واحدا من الأئمة بالإله ، وربما شهبوا الإله بالخالق^(١) ! ولم يكن الغلو سببا في ضلال من عرفوا بغلاة الشيعة فقط ، بل صار سببا في ضلال وانحراف جميع الرافضة كما لإمامية الذين غلوا في الأئمة الاثني عشرية^(٢) وغيرهم فرفعوهم فوق منزلتهم البشرية ، وأعطوهم ما للرب تعالى من صفات وأفعال وإمعانا في الكذب والضلال رروا ذلك على ألسنة الأئمة^(٣) ، وقد ساروا في ذلك إلى يومنا هذا^(٤) فما من رافضي إلا وهو مغالٍ في مخلوق مشبه له بالخالق عز وجل !! وقد سلك مسلك الرافضة في الغلو جميع الطوائف المنحرفة التي قالت بالتشبيه كالصوفية الذين غلوا في مشائخهم الذين ادعوا فيهم الولاية ، ورفعوهم عن منزلتهم البشرية حتى أهوهم بوصفهم بصفات الربوبية والألوهية الخاصة بالله تعالى^(٥) .

وسبب ذلك كله الغلو المذموم المفضي إلى الشرك والتشبيه كما ذكر الإمام ابن القيم بأن تشبيه المخلوق بالخالق هو المعروف في طوائف أهل الشرك غلوا فيمن

(١) الملل والنحل ١/١٧٣ .

(٢) المراد بهم عند الشيعة الإمامية : علي بن أبي طالب وأبناءه الحسن والحسين رضي الله عنهم ، وعلي بن الحسين الملقب بزین العابدين ، ومحمد بن علي الملقب بالباقر ، وجعفر بن محمد الملقب بالصادق ، وموسى بن جعفر الملقب بالكاظم ، وعلي بن موسى الملقب بالرضا ، ومحمد بن علي الملقب بالجواد ، وعلي بن محمد الملقب بالهادي ، والحسن بن علي الملقب بالعسكري ، ومحمد بن الحسن الملقب بالمهدي ، ويدعون حياته إلى اليوم . انظر عن الأئمة الاثني عشرية : أصول الكافي للكليني ١/٤٥٢ وما بعدها والملل والنحل للشهرستاني ١/١٦٩-١٧٣ وأصول مذهب الشيعة الإمامية للدكتور : ناصر الغفاري ١/١٠٥ .

(٣) سيأتي ذكر نماذج من ذلك وبراعة الأئمة منهم ومن رواياتهم الفاسدة انظر : ٢٧٧/١ - ٢٨٠ و

٣ / ٣ - ٦١ - ٦٣ .

(٤) سيأتي ذكر مقالات المشبهة المعاصرين في التشبيه في الباب الرابع انظر : ٧ / ٣ .

(٥) سيأتي بيان ذلك ، ونقده على وجه التفصيل ، انظر : ٢٨٣/١ و ٣ / ١٠٣ .

يعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية بل صرحوا بأنه إله^(١)!!

فكما أن الغلو من أسباب الوقوع في مقالة تشبيه المخلوق بالخالق فهو أيضا من أعظم الأسباب المفضية إلى القول بتشبيه الخالق بالمخلوق ، وذلك بالمبالغة والغلو في إثبات الصفات إلى حد التشبيه^(٢).

وذكر الإمام المقرئ أن الغلو والمبالغة في إثبات الصفات يؤدي إلى جعل الله كواحد من البشر^(٣)!!

وذكر الإمام ابن أبي العز الحنفي أن شبهة نفي الصفات رد وتكذيب لما جاء به الرسول ﷺ وشبهة التشبيه غلو ومجازة للحد فيما جاء به الرسول^(٤)!!

فعلّم مما تقدم أن الغلو يعتبر من أعظم الأسباب التي أدت بأهل الأهواء والبدع إلى تشبيه المخلوق بالخالق بإعطائه بعض خصائص الخالق عز وجل ، ورفع فوق منزلته إلى مرتبة الألوهية التي تعتبر من أخطر مراحل الغلو المخرج من الإسلام إلى الكفر !! كما يعتبر الغلو من أعظم الأسباب المفضية إلى تشبيه صفات الله بصفات المخلوق المنافي لوصف الله تعالى بصفات الكمال !!

٣ - الرد على البدعة ببدعة مثلها أو أشد منها .

ومن أسباب ظهور مقالة تشبيه الخالق بالمخلوق لدى المشبهة^(٥) أنهم أرادوا أن يردوا على المعطلة نفاة الصفات فقابلوهم بإثبات الصفات ، وهذا أمر حسن لو سلكوا

(١) انظر : إغاثة اللهفان ٢/٢٢٦-٢٢٧ .

(٢) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٣/٢٦٣ .

(٣) انظر : الخطط للمقرئ ٣/٢٦٣ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/٢٣٧ .

(٥) وهم متكلموا المشبهة كالهشامية والكرامية الذين عاصروا متكلمي المعطلة .

منهج السلف لكنهم بالغوا في الرد عليهم وفي إثبات الصفات إلى حد التشبيه ، بل استعملوا الأقيسة الكلامية والكلمات المجملة الفلسفية التي استعملها المعطلة أنفسهم فأفضى بهم ذلك إلى القول بالتشبيه^(١) !!

وسبب ذلك كله كما ذكر أهل العلم جهنم بن صفوان ومقالته في التعطيل فقد كان لمقالته الفاسدة آثار قبيحة على المسلمين تولد عنها بلاء عظيم أثرت بين صفوف المسلمين^(٢) . فمنهم من أخذها وطورها وأدخل فيها المصطلحات الكلامية الفلسفية كالمعتزلة ومنهم من قابلها ببدعة مثلها فأثبت لله تعالى صفات كصفات المخلوقين كما فعل المشبهة الممثلة^(٣) !!

وذكر شيخ الإسلام أن الجهمية النفاة قابلهم قوم من أهل الإثبات^(٤) والرافضة وغلاة أهل الحديث فرادوا في الإثبات حتى دخلوا في التمثيل المنفي في الكتاب والسنة^(٥) . وذكر الإمام المقرئ أن ابن كرام^(٦) أحدث مقالته في التجسيم والتشبيه مضادا لمذهب الاعتزال فأثبت الصفات وبالغ في ذلك حتى انتهى فيها إلى التجسيم والتشبيه^(٧) .

ومن أمثلة ردّ البدعة ببدعة مثلها ما فعله هشام بن الحكم وهشام بن سالم

-
- (١) سيأتي بيان مشاركة متكلمي المشبهة مع المعطلة في الكلام المذموم وأقيسته واصطلاحاته الفاسدة انظر :
٣٠٣/١ و٤١٦-٤١٨ و٤٥٩/٢ و٤٦٢-٩ و١٠-٨٥ و١١٧-١١٩ و١٢٩-١٣١ .
- (٢) انظر : خطط المقرئ ٣/٣٠٤ .
- (٣) سيأتي بيان مذهب المشبهة في صفات الله وشبهاتهم في ذلك وموقف أهل السنة من ذلك في الباب الثاني ١/٣٥٣ .
- (٤) يقصد بذلك الكرامية .
- (٥) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٣/٢٦٣-٢٦٤ .
- (٦) سيأتي التعريف به وبطائفته انظر : ١/٣٠٢ .
- (٧) انظر : خطط المقرئ ٣/٣٠٤ .

الجواليقي وغيرهما من الجسمة الراضية وغير الراضية كالكرامية فإنهم لما رأوا نفي المعطلة للصفات بنفي الجسم ، قابلوهم بإثبات جسم أزلي^(١) لا أول لوجوده وهو خال عن جميع الحوادث^(٢) فردوا بدعة ببدعة فإن إطلاق الجسم على الله أو نفيه بدعة كما سيأتي^(٣) !!

ولخطورة الرد على البدعة ببدعة مثلها حذر الأئمة عن ذلك أشد التحذير حتى هجر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الحارث المحاسبي^(٤) لما آه تكلم بشيء من الكلام المذموم وصنف فيه ليرد به على المعتزلة ، لما يؤدي إليه الكلام المذموم من الانجرار من بدعة إلى بدعة أشد ، ولما يؤدي الرد به إلى انتشار البدع واشتهارها !!

٤ - دخول بعض أهل الديانات القديمة في الإسلام بقصد إفساد عقيدة المسلمين . ومن الأسباب التي أدت إلى ظهور الطوائف المنحرفة في المجتمع الإسلامي ، ومنها طوائف المشبهة : دخول بعض الحاقدين من اليهود والنصارى والفرس في الإسلام ظاهرا بغية إفساد عقيدة المسلمين وتفريق كلمتهم ، وذلك لأنهم لما رأوا قوة المسلمين وعدم استطاعتهم على حربهم اتجهوا إلى محاربتهم من الداخل

(١) يقصدون به الله تعالى وسيأتي موقف أهل السنة من ذلك انظر : ص / ٣٧٢ و٣٧٤ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٣١١/١ .

(٣) انظر : ١٢/٢ وما بعدها .

(٤) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، قال الخطيب البغدادي : « وكان الإمام أحمد يكره للحارث نظره في الكلام ، وتصانيفه الكتب فيه ، ويصد الناس عنه » وذكر السبكي أن الإمام أحمد هجر المحاسبي لتكلمه في شيء من مسائل الكلام ، وكان الإمام أحمد شديد الإنكار على من يتكلم في علم الكلام خوفا من أن يجر ذلك إلى مالا ينبغي ، وله كتب في الرد على المخالفين من المعتزلة والراضية وغيرهم . وذكر الإمام الذهبي أن الحارث المحاسبي صدوق في نفسه ، وقد تقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه . توفي سنة ٢٤٣ هـ انظر : ترجمته وسبب هجر الإمام أحمد له في : تاريخ بغداد ٢١١/٨-٢١٦ وطبقات الشافعية ٢٧٥-٢٧٩ وسير أعلام النبلاء ١/ ١١٢ وميزان الاعتدال ٤٣٠/١-٤٣١ .

بالدخول في الإسلام وبث المعتقدات والمقالات الفاسدة المخرجة من الإسلام ومنها
مقالة التشبيه .

وقد تقدم بيان ما فعله ابن سبأ اليهودي ، وكيف أنه دخل في الإسلام وأبطن
الكفر فأظهر التشيع لآل البيت وأسس السبئية الغلاة الذين ألهاوا أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب رضي الله عنه^(١)، وقد انبثقت من السبئية جميع طوائف أهل الرفض
الذين غلوا في أئمتهم وزعمائهم حتى أخرجوهم من حدود الخليفة وشبهوهم
بالخالق عز وجل^(٢)!!

والملاحظ في طوائف المشبهة كما سيأتي^(٣) أن معظمهم من الروافض ومعظم
الروافض من الفرس الذين دخل كثير منهم في الإسلام عندما زالت دولتهم
الكسروية على أيدي المسلمين الفاتحين ، فدخل في قلوب كثير منهم الحقد ، فكان
دخولهم في الإسلام ظاهرا ، وهم يطنون الكفر والنفاق ، وأظهروا التشيع لآل
البيت سِتارًا يتسترون به لنشر مقالاتهم الفاسدة لتفريق كلمة المسلمين وإفساد
عقيدتهم بالمقالات الفاسدة ومنها مقالة التشبيه ، كما خطط لهم مؤسس نحلتهم
ابن سبأ اليهودي !!

وقد ذكر الإمام المقرئ سبب خروج أكثر الطوائف المنحرفة عن الإسلام من
الفرس بقوله : « واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف المنحرفة عن ديانة
الإسلام أن الفرس كانت مع سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم ، وجلالة الخطر
في أنفسها ... بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون
سائر الناس عبيدا لهم فلما أمتحنوا بزوال الدولة عنهم على يد العرب ، وكانت

(١) انظر : ٢٣٥/١ .

(٢) انظر : ٢٣٦/١ وما بعدها .

(٣) انظر : ٢٣٣/١ و ٢٣٥ وما بعدها .

العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً تعاضمهم الأمر ، وتضاعفت عليهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى وفي كل ذلك يظهر الله تعالى الحق ... فأروا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام ، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ ، واستبشاع ظلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى»^(١)!!

٥ - ترجمة الكتب الفلسفية .

ومن الأسباب التي أدت إلى ظهور وانتشار الطوائف المنحرفة في المجتمع الإسلامي ومنهم طوائف المشبهة : ترجمة الكتب الفلسفية إلى اللغة العربية على يد الخليفة المأمون^(٢) ونقل علوم الفلاسفة كالأللهيات^(٣) ، والمنطق^(٤) إلى العلوم

(١) خطط المقرئ ٣/٣١٢ .

(٢) أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق ، وأحد أعظم الملوك في سعة ملكه وعلمه ، أنحف ملوك الروم بالهدايا ، سائلاً لهم أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة اليونانيين ، فبعثوا إليه بكتب كثيرة منها ، فأمر بترجمتها ، وحث الناس على قراءتها ، فقامت دولة الفلسفة والكلام المذموم في عهده ، واتخذ له بطاقة السوء من متكلمي أهل الاعتزال فزينوا له الكلام الفاسد وترك السنة ، وحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه ، فقبلها واستحسنها ، ودعا الناس إليها ، وتبنى فتنة القول بخلق القرآن ، وعاقب أهل السنة عليها . توفي سنة ٢١٨ هـ . انظر : تاريخ بغداد ١٠/١٨٣ والصواعق المرسله ٢/٧١٦ والأعلام ٤/١٤٢ .

(٣) أحد علوم الفلاسفة كما ذكر الإمام أبو حامد الغزالي التي منها علم الرياضيات ، والطبيعة ، والسياسة ، والأخلاق ، والمنطق والمراد بالأللهيات ما يتعلق بالله تعالى من إثبات وجوده ووحدانيته وصفاته انظر : المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي ص/١٣-١٦ والملل والنحل ٢/٥٨ .

(٤) علم المنطق هو : النظر في الأدلة والمقاييس العقلية وشروط مقدمات البرهان ركيفية تركيبها وشروط الحد وكيفية ترتيبها ، وزعم الإمام الغزالي بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ . انظر كتابه : المنقذ من الضلال ص/١٤-١٥ ومقدمة ابن خلدون ص/٩٠٨ ونقض المنطق =

الإسلامية ، وظهر كثير من المصطلحات الفلسفية عند طوائف المتكلمين ، الذين عارضوا وحي الرحمن ، بأقيسة ومصطلحات فلسفة يونانية ، وصارت هذه المصطلحات الكلامية الفلسفية سببا في ظهور وانتشار المقالات الفاسدة في المجتمع الإسلامي كمقالة التعطيل والتشبيه وغيرهما .

ذكر شيخ الإسلام أن الخليفة المأمون عَرَّبَ كتب الأوائل^(١) المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين^(٢) ، وكان من أثر ذلك استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل الضلال ، وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة^(٣) . وقد كانت هذه الكتب الفلسفية سببا في ضلال من ضلَّ في أسماء الله وصفاته من المعطلة والمشبهة ، حيث أخذ كلا الفريقين المصطلحات الفلسفية والأقيسة المنطقية من الكتب المترجمة التي بُنيَ عليها الكلام المذموم ، واستدلوا بذلك على مسائل الصفات فأدت بهم ، إما إلى تعطيل الله عن صفاته كما حصل للمعطلة وإما إلى تشبيه صفات الله بصفات المخلوقين كما حصل للمشبهة !!

= لابن تيمية ص/١١٥ .

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله ضرر علم المنطق بقوله : « إن ضرر المنطق أعظم من نفعه ، بل إن الحذاق من المناطق لا يلتزمون قواعده في كل علومهم ، بل يعرضون عنها إما لطولها ، وإما لعدم فائدتها ، وإما لفسادها . . . فإن فيها مواضع كثيرة هي : لحم جمل غث على رأس جبل وغير لاسهل فيرتقى ولاسهين فينتقل » انظر : نقض المنطق ص/١٥٥ وضمن مجموع الفتاوى ٦/٩ .

(١) يقصد بذلك الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو وأرسطاطاليس وغيرهم من أساطين الفلاسفة .
(٢) الصابئة : أمة كبيرة وهم قوم إبراهيم الخليل « وأهل دعوته ، وكانوا بجران من أرض العراق وهم على قسمين ، صابئة حنفاء ، وصابئة مشركون ، وهم الذين يعظمون الكواكب والبروج ويصرونها في هياكلهم ويعبدونها . انظر : الملل والنحل ٥/٢ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص/ ٩٠ وإغاثة اللهفان ٢/٢٤٩-٢٥٥ .

(٣) انظر : نقض المنطق ص/١٩ وضمن مجموع الفتاوى ٢١/٤ .

ولم يكن تأثير هذه الكتب مقتصرًا على المعطلة وحدهم كما يظن البعض ، بل شاركهم في ذلك المشبهة كالهشامية والكرامية .

ولذا عدّهم شيخ الإسلام رحمه الله من أهل الكلام المذموم^(١)!! وذلك لمشاركتهم المعطلة في استعمال نفس المصطلحات الكلامية الفلسفية التي عارضوا بها وحي الله تعالى كلفظ العرض والجسم ونحوها ، ولاستدلالهم بدليل الجواهر والأعراض وحدوثهما الدال عندهم على وجود الله ، ولقولهم بدليل امتناع حوادث لأول لها مطلقًا كما يقول المتكلمون ، وبناءهم على هذه المصطلحات والأقيسة مقالات فاسدة في التعطيل من جانب المعطلة ، والتشبيه من جانب المشبهة الممثلة ، وسيأتي أوجه موافقتهم للمعطلة في استخدامهم هذه المصطلحات والأقيسة الكلامية ، ووجه الاختلاف بينهم على وجه التفصيل^(٢)!! .

وقد ذكر الإمام المقرئ طوائف أهل الأهواء والبدع ، ومنهم المشبهة وتاريخ ظهورهم في الإسلام ثم بين أن هذه الطوائف التي ملأت الأرض وما منهم إلا وقد نظر في الفلسفة وسلك من طريقها ما وقع عليه اختياره^(٣)!!

فترجمة الكتب الفلسفية صارت بلاءً عظيمًا في الملة الإسلامية ، أفسدت على كثير من المسلمين عقائدهم ، وانتشرت بسببه طوائف أهل الأهواء والبدع مما جعل شيخ الإسلام رحمه الله كما ذكر الصفدي^(٤) يقول : « ما أظن أن الله يغفل عن

(١) انظر : درء تعارض العقل ٤/١٢٩ و٢٠٩ و٨/٣٤٥ .

(٢) انظر : ١٠-٩/٢ و ٨٥-٨٧ و ١١٧-١١٩ و ١٢٩-١٣١ .

(٣) انظر : خطط المقرئ ٣/٣٠٥ .

(٤) أبو الوفاء صلاح الدين خليل بن أيك بن عبدالله الصفدي الشافعي ، المؤرخ الأديب اللغوي من مصنفاته : « الوافي بالوفيات » و « غيث الأدب شرح لامية العرب للطبراني » توفي سنة ٧٦٤هـ

انظر : شذرات الذهب ٦/٢٠٠ ومعجم الأدباء ٤/١٤ .

المأمون ، ولايُبدُّ أن يُقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخاله هذه العلوم
الفلسفية بين أهلها^(١) .



(١) ذكره الصفدي في كتابه : الغيث المنسجم في شرح لامية المعجم ٧٩/١ ونقله عنه السيوطي
في كتابه صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام ص/٩ .

المبحث الثالث
مصدر مقالة التشبيه في الإسلام

مدخل

قبل التعريف بطوائف المشبهة ومقالاتهم في التشبيه يحسن ذكر مصدر مقالة التشبيه وجذورها التاريخية ليتبين بذلك أن طوائف المشبهة المنتسبين إلى الإسلام قد تأثروا بمقالات مشبهة الأمم السابقة أهل الكفر والوثنية والتشبيه والإلحاد !!

ومما لاشك فيه أن هناك تيارات تشبيهية كانت موجودة عند اليهود والنصارى وغيرهم من ديانات أهل فارس الوثنية كالزردشتية والمناوية وغيرهما استقى منها المشبهة مقالاتهم في التشبيه وتأثروا بها وضاهوا من قبلهم من ملل الكفر والضلال ، وصدق فيهم قول الرسول ﷺ : « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى قال : فمن »^(١)!! وفي رواية : « قيل يا رسول الله : كفارس والروم ، قال : « ومن الناس إلا أولئك »^(٢)!! فأخبر ﷺ كما ذكر شيخ الإسلام أنه سيكون مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب ، ومضاهاة لغير أهل الكتاب وهم فارس^(٣)! قال شيخ الإسلام : « وأما مشابهة فارس والروم : فقد دخل منه في هذه الأمة من الآثار الرومية قولا وعملا ، والآثار الفارسية قولا وعملا ما لاخفاء فيه على مؤمن عليم بدين الإسلام وبما حدث فيه »^(٤). وعلى هذا فيمكن تقسيم مصدر مقالة التشبيه وجذورها التاريخية عند القائلين بها في الملة الإسلامية إلى مصدر يهودي ونصراني ، وفلسفي ، وفارسي المتمثل في دياناتهم الزردشتية والمناوية وغيرها وسيكون بيان ذلك في أربعة مطالب :

(١) تقدم تخريجه انظر : ص/٢٤ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام ٣١٢/١٣ ح ٧٣١٩ .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص/٦ .

(٤) المرجع نفسه ص/١٠ .

المطلب الأول

مقالة التشبيه عند اليهود

كانت الديانة التي بعث الله بها موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل كغيره من الرسل عليهم السلام ديانة توحيد تصف الله تعالى بصفات الكمال ، وتنزهه عن التمثيل والتشبيه وعن جميع صفات النقص المضادة لصفات الكمال ، وتدعو إلى إخلاص العبادة لله تعالى وتنتهي عن الشرك والتمثيل الناقض لتوحيد الله .

وقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أنه مامن رسول إلا ودعا قومه إلى إخلاص العبادة لله تعالى ، ونهى عن الشرك وعبادة الطاغوت فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَآجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] وأخبر عز وجل عن موسى عليه السلام أنه قال لقومه : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه : ٩٨] وأخبر تعالى أنه أخذ من بني إسرائيل الميثاق بأن يخلصوا له العبادة فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [البقرة : ٨٣] .

ورود في التوراة نصوص كثيرة تدعو اليهود إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتنتهي عن الشرك وتقرر تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ومما ورد في ذلك ما جاء في سفر الخروج من الوصايا التي أوصى الله تعالى بها رسوله موسى عليه السلام : « أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ديار عبوديتك ، لا يكن لك آخر سواي^(١) ، لا تنحت لك تمثالا ، ولا تصنع صورة مما في السماء من فوق ومافي الأرض من تحت ، ومافي الماء من أسفل الأرض ، لا تسجد لهم ولا تعبدهم »

(١) أي : إلهها آخر غيري فلا تشرك معي أحدا !

لأنني أنا الرب إلهك إله غيور»^(١)!

وجاء في سفر الخروج أيضا تنزيه الله تعالى عن المثل والشبيه فقد جاء فيه قول موسى عليه السلام لفرعون : « ... لتعرف أنه لا مثل للرب إلهنا »^(٢) وجاء في سفر أرميا تنزيه الرب عز وجل عن النظير حيث ورد فيه : « أنت لا نظير لك يارب عظيم أنت ، واسمك عظيم في الجبوت »^(٣).

ومع وجود هذه النصوص الدالة على تنزيه الله تعالى عن الشريك والمثل والنظير في التوراة المحرفة التي بأيديهم أي اليهود إلا أن يصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين فشبهوه بخلقه ، وأشركوا معه غيره فنقضوا التوحيد بالشرك والتشبيه بنوعيه ، حيث شبهوا الخالق بالمخلوق ووصفوه بأحسن صفات النقص التي يستنكف المخلوق عن الاتصاف بها ، فضلا عن الخالق عز وجل ، كما شبهوا المخلوق بالخالق فاتخذوا آلهة عبدوها مع الله تعالى وأعطوها بعض خصائص الألوهية والربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى .

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن اليهود كثيرا ما يعدلون الخالق بالمخلوق ويمثلونه به حتى يصفون الله عز وجل بالعجز والفقر والبخل والتعب ونحو ذلك من صفات النقص التي يجب تنزيه الله عنها ، لكونها من صفات النقص الخاصة بالمخلوق^(٤)!! ومن مظاهر تشبيه الخالق بالمخلوق عند اليهود ووصف الله تعالى بما ينتزه عنه من صفات النقص المضادة لصفات الكمال وصفهم الله تعالى بالفقر ، فقد

(١) سفر الخروج الإصحاح ٢٠ بقرة ٥-١ .

(٢) سفر الخروج الإصحاح ٨ بقرة ١٠ .

(٣) سفر أرميا الإصحاح ٧١ بقرة ٦ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح لابن تيمية ٥٢/٢ والتحفة العراقية في الأعمال القلبية له ضمن مجموعة

الرسائل المنيرية ٤٠/٤ .

حكى الله عنهم مقاتلتهم هذه وتوعدهم عليها بقوله : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران : ١٨١] فارتكبوا ثلاث عظام استحقوا بها عذاب النار : وصفهم الله تعالى بصفات النقص التي يتنزه عنها حتى المخلوق وذلك بقولهم : « إن الله فقير » ووصفهم أنفسهم بضد ما وصفوا به رب العزة والجلال من صفات الكمال وذلك بقولهم « ونحن أغنياء » وقتلهم الأنبياء الذين أرسلهم الله لهدايتهم !!

ومن مظاهر التشبيه عند اليهود وصفهم الله تعالى بالعجز واللغوب الذي هو التعب ، وزعمهم أن الله استراح في اليوم السابع بعد خلق السموات والأرض^(١)!! وقد أثبتوا ذلك في توراتهم التي حرفوها من ذلك ماورد في سفر التكوين : « فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل »^(٢)!!

وذكر الشهرستاني أن اليهود مجمعون على القول بأن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه ، واضعا إحدى رجليه على الأخرى .^(٣) وهذه الصورة غاية في التشبيه الفظيع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومن مظاهر التشبيه عند اليهود وصفهم الله تعالى بالحزن والجهل فقد ذكروا في سفر التكوين : « ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه وقال : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتة . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور

(١) انظر : الملل والنحل ٢١٩/١ وإغاثة اللهفان ٢٢٧/٢ .

(٢) الاصحاح فقرة ١-٢ .

(٣) انظر : الملل والنحل ٢١٩/١ .

السماء لأنني حزنت أني عملتهم» (١).

وهذا الوصف والعياذ بالله مع مافيه من التصريح بوصف الله بالحزن ، فقد تضمن أيضا وصف الله بالجهل لأنه يفهم منه أن الله عز وجل خلق الإنسان ولم يكن له علم بأنه سيصدر منه الشر فلما صدر منه ذلك حزن وتأسف على خلقه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا !!

وقد تأثر بهذا الرافضة فقالوا بالبداء الذي هو وصف لله بالجهل بالأشياء قبل حدوثها كما سيأتي بيان ذلك وتنزيه الله تعالى عنه (٢).

ومن مظاهر التشبيه عند اليهود وصفهم الله تعالى بالنسيان حيث زعموا أن موسى عليه السلام قال للرب : « لماذا تنسانا إلى الأبد وتركنا طول الأيام أزدنا يارب إليك فترتد » (٣).

ووصفوا الله تعالى بالندم الخاص بال مخلوق فقد جاء في سفر الخروج أن موسى عليه السلام طلب من الله على زعمهم الرجوع عن رأيه في إهلاك بني إسرائيل قائلا للرب : « أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك اذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسرائيل (٤) عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم : أكثر نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد ، فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه » (٥).

ومن صور التشبيه عند اليهود أنهم جعلوا لله أبناءً فقد جاء في سفر التكوين :

(١) الاصحاح ٦ فقرات ٧-٥ .

(٢) انظر : ص/١٥٣-١٦٨ و١٧٥ و٧٩٠

(٣) مراسي ارميا الاصحاح فقرة ٢٠-٢١ .

(٤) لقب يعقوب عندهم فلماذا يكررونه .

(٥) الاصحاح ٣٢ فقرة ١٣-١٤ .

« وحدث لما ابتداء الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات ، أن أبناء الله رأوا بنات الناس حسناوات ، فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا »^(١) تعالى الله عن أن تكون له صاحبة ولا ولد !!

وقد حكى الله عنهم أنهم جعلوا له ابنا ولعنهم هم والنصارى على ذلك بقوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٠] وكذلك بعض غلاة المشبهة المنتسبين إلى الإسلام يجعلون لله كما سيأتي ابنا^(٢) !!

والرب عند اليهود ينزل إلى الأرض ويصارع كالإنسان ، فقد ادعوا أن يعقوب عليه السلام صارع الرب إلى الفجر وزعموا أنه غلبه ، فقد ذكروا في سفر التكوين : « فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر . فقال : لا أطلقك إن لم تباركني . فقال : ما اسمك . فقال : يعقوب . فقال : لا يدعى اسمك يعقوب ، بل إسرائيل . لأنك جاهدت مع الله والناس »^(٣) !! ويضاهي بعد المشبهة المنتسبين إلى الإسلام اليهود فيقولون مثلهم : أن الله ينزل إلى الأرض^(٤) .

وقد جعلوا الله كواحد من البشر ينزل إلى الأرض ويسير مع بني إسرائيل يهديهم الطريق ليلا ونهارا حيث زعموا ذلك في سفر الخروج : « وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم ، وليلا في عمود نار ليضيئ لهم لكي يمشوا نهارا

(١) الاصحاح فقرة ١-٢ .

(٢) انظر : ٢٤٧/١ و ٢٤٨ و ٢٤٢/٣ و ٢٤٤ .

(٣) الاصحاح فقرات ٢٤-٣٠ .

(٤) كما سيأتي انظر : ٧٠/٢ و ٣ / ٢٤٦ و ٢٥٥ .

وليلاً»^(١)!!

وهكذا يضاهي طاغوت القاديانية اليهود فيزعم بأن ربه يسير أمامه ليهديه^(٢). وقد شبهوا الله تعالى بصورة رجل لابس حذاءً مصنوعة من العقيق الأزرق فقد زعموا ذلك في سفر الخروج بقولهم : « ثم صعد موسى وهارون ونواب وأيهو وسبعون رجلاً من شيوخ بني إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ... »^(٣). تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

وإذا كانت أسفار العهد القديم تصور الله تعالى بتلك العظام والصور التشبيهية التي ذكرت نماذج منها فإن التلمود^(٤) الذي وضعه اليهود واعتمدوا عليه في شريعتهم المحرفة ينضح بالتشبيه ووصف الله تعالى بصفات النقص والعيوب التي يتزده عنها حتى المخلوق الناقص ، ومن ذلك زعمهم أن الرب صرخ لخراب بيت المقدس وإحراق هيكل سليمان^(٥).

وزعموا أن الله تعالى يلعب مع الحوت ملك السمك نهاراً ، أما في ساعات الليل

(١) الاصحاح فقرة ١٢ .

(٢) ستأتي مقالته في ذلك . انظر : ٢٤٦/٣ .

(٣) الاصحاح فقرة ١٠-١١ .

(٤) التلمود هو : كتاب فقه اليهود ، ويتكون من مجموعة من التعاليم التي قررها أحبار اليهود شرحاً ، واستنباطاً من أصولها وقد يُخالف بعض ما في نصوص التوراة المحرفة ، وهو مقسم إلى قسمين : « المشنة » أي النص : و « الجمارة » أي : التفسير . والتلمود نوعان : تلمود أورشليم ، وقد كتب بين القرن الثالث والخامس الميلادي والثاني : ويعرف بتلمود بابل ، وكتب في القرن الخامس الميلادي . انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص/٥٤٣ والكنز المرصود في قواعد التلمود ترجمة د/ يوسف نصر الله ص/ ٤٧-٤٩ والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة للشيوخ شية الحمد ص/٢٣ .

(٥) انظر : الفصل لابن حزم ١/٢٢٣ .

فيقضيها في مذاكرة التلمود مع الملائكة^(١). تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .
وإذا كان اليهود قد شبهوا الخالق بالخلق ووصفوه بصفات النقائص والعيوب فقد
شبهوا المخلوق أيضا بالخالق ، وأعطوه بعض خصائص الربوبية والألوهية التي لا
يجوز صرفها إلا لله تعالى .

ومن مظاهر تشبيههم المخلوق بالخالق اتخاذهم الأنداد وعبادة الأضنام ، فقد
حكى الله عنهم أنهم بعد أن أنجاهم من عدوهم فرعون وجاوز بهم البحر مع موسى
عليه السلام مروا على قوم يعكفون على أضنام لهم فطلبوا من موسى أن يجعل لهم
مثلا ليعبدوها مع الله قال تعالى في ذلك : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا
عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَضْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] وقد بين لهم موسى عليه السلام ضلال
أولئك القوم وبطلان عملهم ، وأن الذي يستحق العبادة هو الله وحده قال تعالى :
﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلِهَاتًا وَهُمْ
فَضَّلَكُم عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٩ - ١٤٠] .

وقد ذكر الله في القرآن الكريم أن بني إسرائيل أضلهم السامري فاتخذوا عجلا
وعبدوه من دون الله في غياب موسى عليه السلام عنهم فقال تعالى : ﴿ وَأَتَّخَذَ
قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا
يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٨] .

وبين عز وجل من صنع لهم العجل وتولى إضلالهم بقوله : ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا
قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ

(١) انظر : اليهودية واليهودية لعلي عبد الواحد وافي ص/٤١ والإله في فكر البشر وروحي السماء للدكتور :
عبد الغفار عزيز ص/٦٤-٦٥ وغلاة الشيعة وتأثيرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص/٣٦٩-٣٧٠ .

خَوَارٍ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِي * أَفَلَا يَزُونَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرْعًا وَلَا نَفْعًا ﴿ [طه : ٨٥ - ٨٩] . قال شيخ الإسلام : « وأهل الكتاب معترفون بأن اليهرد عبدوا العجل مرات ... »^(١) !!

وقد عاد اليهود في عبادتهم العجل بعد موسى عليه السلام في زمن ملكهم رحبعان بن سليمان فقد جاء في سفر الملوك : « ... وعمل عجلي ذهب وقال لهم : كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم^(٢) هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ، ووضع واحدا في بيت إيل^(٣) وجعل الآخر في دان »^(٤) .^(٥) !!

ومن صور تشبيه المخلوق بالخالق عند اليهود ما صرحوا به في سفر التكوين زاعمين أن الرب قال : « هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ وَاحِدًا مَنَا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ »^(٦) .

ومن ذلك غلوهم في تقديس أحبارهم إلى حد العبادة والتأليه فشبهوهم في ذلك بالله تعالى كما حكى الله ذلك عنهم وعن النصارى بقوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] .

وقد شَبَّهُوا أَنْبِيَاءَهُمْ وَحَاخَامَاتَهُمْ^(٧) بالله تعالى حيث ادعوا أن لهم المقدرة على إرجاع الحياة لمن شاءوا من الأموات^(٨) ومن مقالاتهم في ذلك ادَّعَاوُهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ إِلِيَا

(١) الجواب الصحيح ٢٤٧/٣ .

(٢) أي : بيت المقدس .

(٣) معناه بالعبرية بيت الله وهو : اسم مكان ولم أجده فيما وقفت عليه .

(٤) اسم مكان ولم أجده فيما وقفت عليه .

(٥) سفر الملوك الإصحاح فقرة ٢٨-٢٩ .

(٦) سفر التكوين الإصحاح فقرة ٢٣ .

(٧) جمع حاخام لقب يحمله أي رجل ديني يهودي تم تنصبيه ، والكلمة العبرية المقابلة للحاخام هي :

الراباي وتعني في الأصل العبري : معلمي أو مدرسي . انظر : الموسوعة العربية العالمية ١٩/٩ .

(٨) ويقول بذلك بعض طوائف المشبهة ومنهم غلاة الصوفية انظر : ١٦٥/٣ - ١٧١ .

استطاع أن يعيد الحياة لطفل مات ، وقد نسبوا إليه إساءة الأدب مع الله فزعموا أنه قال للرب : « كيف تفعل هذا بالمرأة التي أنا نازل عندها »^(١) !!
ومنها ماجاء في التلمود أن أحد الحاخامات قتل حاخاما آخر في حالة سكر ثم أعاده إلى الحياة^(٢) !!

ولم يكتفوا بإعطاء المخلوق إعادة الحياة إلى الميت بل زعموا أنه يخلق كما يخلق الله فقد ادّعوا أن بعض الحاخامات يقدرون على خلق الإنسان ، وقد خلق أحدهم عجلا^(٣) !!

وصور التشبيه عند اليهود لاحصر لها فإنهم أمة غضب الله عليهم ، وارتكبوا عظائم فظيعة ، حيث جنوا في حق الله تعالى فشبهوه بالمخلوق ، ووصفوه بصفات النقص والعيوب المضادة لوصفه تعالى بصفات الكمال ، وشبهوا المخلوق به فأعطوه ما للرب تعالى من صفات وأفعال ، وصرفوا له أنواعا من العبادات ، فهم أمة شرك وتشبيه ، استحققوا بسبب ذلك وغيرها من الأفعال اللعن والغضب من الله عز وجل .
وإنما ذكرت من مقالاتهم نماذج فقط ليتبين بها مصدر مقالة التشبيه عند من قال بها في الإسلام من طوائف أهل الأهواء والبدع المشبهة المنتسبين إلى الإسلام المضاهين اليهود والنصارى ، وغيرهم من ملل أهل الكفر والشرك وعبادة الأوثان !!



(١) سفر الملوك الاصحاح فقرات ١٧-٢٣ .

(٢) انظر : التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ص/٨٥ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ص/٨١ و٨٥ وهمجية التعاليم الصهيونية لبولس حنا مسعد ص/

١٠٩ و٣٤ . وراجع : بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود لعبدالله الجميلي ص/

المطلب الثاني

مقالة التشبيه عند النصارى

أرسل الله تعالى المسيح عيسى بن مريم كإخوانه المرسلين عليهم السلام بالدعوة إلى توحيد الله تعالى بإخلاص العبادة له عز وجل ، وتزويده عما يضاد توحيد من الشرك والتشبيه وجميع صفات العيوب والنقائص بإثبات صفات الكمال لله تعالى وقد ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز أن عيسى عليه السلام ما دعا إلا إلى إخلاص العبادة لله تعالى ، ومن ذلك تلك المحاوره : التي ستكون بينه وبين عبده عيسى عليه السلام يوم القيامة في شأن اتخاذ النصارى للمسيح وأمه إلهين من دون الله ، قال تعالى في ذلك : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ شُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ إِنْ أَعْبُدُوا إِلَهًا رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٦ - ١١٧] .

وقد وردت في الإنجيل أيضا نصوص كثيرة تدعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وتنهى عن الشرك والتشبيه وتبين أن المسيح عليه السلام رسول ونبي فمما ورد في ذلك ماجاء في إنجيل متى أن إبليس طلب من المسيح عليه السلام أن يسجد له من دون الله . فقال المسيح : « اذهب يا شيطان فقد كتب : للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد »^(١) وفي إنجيل يوحنا أن المسيح عليه السلام رفع عينيه نحو السماء وقال : « والحياة الأبدية هي أن يعرفوك ، أنت الإله الحق وحدك ، والذي أرسلته يسوع المسيح »^(٢) .

(١) إنجيل متى الإصحاح ٤ فقرة ١٠ .

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ فقرة ٢ .

وجاء في إنجيل مرقس أن أحد الكتبة سأل المسيح عليه السلام : « أية وصية هي أولى الوصايا جميعا » ، فأجابه المسيح « أولى الوصايا جميعا هي : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد »^(١).

فهذه النصوص تقرر وحدانية الله تعالى ، وتأمربعبادته وحده لا شريك له ، وأن المسيح عليه السلام رسول ونبي ، وليس إلهًا ولا ابن الله كما يقول النصارى !! وقد استمرت دعوة المسيح عليه السلام على التوحيد الخالص بعد رفعه إلى السماء حقبة من الزمن^(٢)، حتى أخذت مظاهر الشرك والزيف والانحراف تتسرب إلى معتقدات النصارى وافدة إليها أحيانا من الفلسفات اليونانية الوثنية القديمة ، وأحيانا من رواسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت إليها المسيحية والتي احتك بأهلها النصارى^(٣). كما دخل في الديانة النصرانية بولس اليهودي^(٤) بقصد إفساد ديانة التوحيد التي جاء بها المسيح عليه السلام^(٥)، كما عقدت الجماع التي قُررت فيها الديانة النصرانية الوثنية الشركية المناقضة

(١) إنجيل مرقس الإصحاح ١٢ فقرة ٣٢ .

(٢) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص/٣٣٠ ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص/٢٩ و٣٢ .

(٣) انظر : الأ سفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي ص/ ١٠٥-١٠٦ .

(٤) شاؤول اليهودي الملقب بيولس ، الذي أتى وصفه في سفر أعمال الرسل بأنه كان يضطهد أتباع المسيح « ثم تحول هو بنفسه إلى الديانة النصرانية ، إثر رؤية رأها على طريق دمشق ، ذكر فيها كما يدعي أن المسيح قال له : لماذا تضطهدني ، وينسب إليه جل أسفار أو كتب العهد الجديد المقدس عند النصارى انظر : سفر أعمال الرسل الإصحاح قواموس الكتاب المقدس ص/ ١٦٩-١٩٩ و٤١٧ ومصادر الوصي الإنجيلي ليوسف دره الحداد ص/٤٧-٥٠ .

(٥) انظر : محاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة ص/٧٠-٥٧ .

للتوحيد^(١)!!

كل هذه العوامل وغيرها كان لها أكبر الأثر في انحراف النصارى حتى ضلوا ضلالا بعيدا ، فشبها المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالله تعالى التي ليس له فيها مثل حيث جعلوا في المخلوقات كما ذكر شيخ الإسلام من نعوت الربوبية وصفات الألوهية ما لا يصلح إلا للخالق عز وجل^(٢).

وألها المخلوق وقالوا : إنه يخلق ويرزق ويرحم ويغفر الذنوب ويتوب ويشيب ويعاقب ونحو ذلك من الصفات التي لا تصلح إلا لله تعالى^(٣). وقد قال بذلك بعض طوائف المشبهة كالرافضة وغلاة الصوفية والقاديانية كما سيأتي^(٤).

فمن ضلال النصارى وتشبيهم المخلوق بالخالق جعلهم المسيح عيسى بن مريم هو الله كما ذكر الله تعالى مقاتلهم هذه مكفرا إياهم بها بقوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١٧] .

وذكر الله عنهم أنهم جعلوا المسيح ابنا لله كما جعلت اليهود عزيزا ابنا لله ، فلعن الطائفتين على مقاتلهم وبين إفكهم وكذبهم وأنهم يضاهئون قول من سبقهم من الكفار فقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

(١) انظر : إغاثة اللهقان ٢/٢١٧ وهداية الحيارى ص/٣٢٩-٣٥٦ ومحاضرات في النصرانية ص/ ١٢٠-١٤٢ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ٢/٥٢ وكتاب علم السلوك ضمن مجموع الفتاوى ١٠/٥٥ والتحفة العراقية في الأعمال القلبية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٤/٤٠ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٢/١٥٧ والوصية الكبرى له ص/١٤ .

(٤) انظر : ١/٢٦٦ - ٢٦٩ و ٣/٧٣ - ٧٨ و ١٧٢ - ١٨٢ .

وقد بين الإمام ابن القيم مقالة النصارى في المسيح عليه السلام وتأليههم له ، ووصفهم له بصفات الربوبية فذكر رحمه الله أن المسيح ليس عند النصارى نبي ولا عبد صالح ، بل هو رب الأنبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة ، وهو الذي يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويدبر أمر السموات والأرض ، فهم يقولون : « ... بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء ، وهو مستعد للمجيئ لفصل القضاء بين الناس ، ويقولون في صلاتهم ومناجاتهم : أنت أيها المسيح يسوع تحيينا وترزقنا وتخلق أو لادنا وتقيم أجسادنا وتبعثنا وتجازينا » (١).

وهذا كفر بالله تعالى ، وشرك في الربوبية والألوهية ، وتشبيه للمسيح بالخالق عز وجل بإعطائه ما للرب تعالى من صفات وأفعال ، وفيه تكذيب صريح للمسيح عيسى عليه السلام الذي قال لبيبي إسرائيل كما حكى الله عنه في القرآن الكريم :

﴿ ... وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

وكما جعلوا المسيح إلهاً من دون الله وشبهوه بالخالق عز وجل فإنهم اتخذوا أيضاً أمه إلهاً قال تعالى مشيراً إلى ذلك : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ شِحَانِكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ... ﴾ [المائدة : ١١٦] .

وذكر الإمام ابن القيم مقالة النصارى الشركية التشبيهية في مريم عليها السلام حيث جعلها النصارى إلهاً مع الله لأنها على زعمهم أم الله ، ووصفوها بأنها تجلس على العرش عن يسار الرب ، وابنها عن يمين والده ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ويدعونها ويسألونها سعة الرزق وصحة البدن وطول العمر ومغفرة الذنوب وأن

(١) انظر : هداية الحيارى ص/ ٢٨١-١٨٢ .

تكون لهم شفيعا وسندا وركنا وذخرا ، ويقولون في دعائهم : يا والدة الله اشفعي لنا^(١) . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وتتمثل مقالة تشبيه المخلوق بالخالق واتخاذها إلها مع الله عند النصارى^(٢) في فلسفة الحلول^(٣) التي قالوا فيها : إن اللاهوت حلٌّ في جسد عيسى الناسوت فهو إليه عندهم^(٤) يستحق أن يوصف بصفات الله تعالى ، وتصرف له أنواع العبادات التي لا يستحقها إلا الله عز وجل !!!

وعقيدة الحلول عند النصارى قد قرروها في أناجيلهم المحرفة ، وادّعوا أن المسيح قال بها فقد زعموا في إنجيل يوحنا أن المسيح قال : « أَلَسْتُ تُؤْمِنُ أَتَيْ فِي الْآبِ وَالْآبِ فِيَّ . الْكَلَامَ الَّذِي أَكَلِمَكُم بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي لَكِنِ الْآبِ الْحَالِ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ صَدُقُونِي أَنِّي فِي الْآبِ وَالْآبِ فِيَّ »^(٥) .

(١) انظر : المرجع نفسه ص/٢٧٠-٢٧١ .

(٢) ومن سار على منهجهم في تشبيه المخلوق بالخالق من طوائف المشبهة المنتسبين إلى الإسلام كالرافضة والصوفية انظر : ص/١٥٢ و١٥٨ و١٥٩ و٨٠٥ و٨٣٢ .

(٣) الحلول كما ذكر شيخ الإسلام ينقسم إلى قسمين :

أ - الحلول الخاص وهو : حلول اللاهوت في الناسوت وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول : إن اللاهوت حلٌّ في الناسوت وتدرج به كحلول الماء في الإناء ، وهو قول من وافق النصارى من غالبية هذه الأمة كغالية الرافضة الذين يقولون : إنه تعالى حلٌّ في علي وأئمة أهل بيته . وغالية النساك الذين يقولون : بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون فيهم الولاية .

ب - الحلول العام وهو : القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة الجهمية المتقدمين ، وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون : إن الله بذاته في كل مكان . انظر كتاب : حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٤/٢٨-٢٩ .

(٤) انظر : الملل والنحل ١/٢٢٠ .

(٥) إنجيل يوحنا الاصحاح فقرة ١٠-١١ .

وقرروا أن الله كما يحل في المسيح كذلك يحل في أتباعه فزعموا أنه قال : « في ذلك اليوم تعلمون أنني أنا في الآب وأنتم في وأنا فيكم »^(١) وزعموا أن المسيح قال أيضا : « ليكون الجميع واحدا كما أنك أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا »^(٢).

وبناءً على فلسفة الحلول التي فيها رفع للبشر إلى مرتبة الخالق ، أعطوا الإنسان خصائص الألوهية والربوبية ، وبما أنهم جعلوا الحلول عاما يشمل جميع أتباع المسيح لاسيما رهبانهم فقد أعطوهم ما للرب تعالى من صفات وأفعال ، ومن ذلك زعمهم أن لهم مغفرة الذنوب ودخول الجنة بغير حساب ، والحرمان منها ، وأن للكنيسة حقا في ذلك ، فقد قرروا في المجمع الثاني الذي انعقد في سنة ١٢١٥هـ أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء^(٣) . فقرروا بذلك ما يسمى بصكوك الغفران الذي يمنحه رجل الكنيسة القسيس ولكي يعطوا ذلك صبغة تشريعية زعموا أن المسيح قال به ، ففي إنجيل متى قال المسيح : « ... ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا »^(٤) !!

وقد قال بمقالاتهم هذه بعض الرافضة وغلاة الصوفية فزعموا أنهم يفتخرون لأتباعهم ويهدونهم ويدخلونهم الجنة فأخذوا أموالهم فأكلوها ظلما وسحتا^(٥) . وذكر الإمام ابن القيم أن النصارى لا حد لهم على من زنى أو سكر أو لاط في الدنيا أبدا ولا عذاب أيضا في الآخرة لأن القسيس والراهب يفره لهم ، فكلما

(١) إنجيل يوحنا الاصحاح فقرة .

(٢) إنجيل يوحنا الاصحاح فقرة .

(٣) انظر : محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص/١٤٨ والمسيحية لأحمد شلبي ص/١٧٩ .

(٤) إنجيل متى الإصحاح فقرة .

(٥) سيأتي ذكر مقالاتهم في ذلك ونقدتها انظر : ١٦٦/١ - ٢٦٩ و ٧٢/٣ - ٧٨ .

أذنب أحدهم ذنبا أهدي للقيس هدية وأعطاه درهما أو غيره ليغفر له به .^(١)!!
 ويزعم أحد قساوستهم أن المطارنة^(٢) يفعلون في الأرض ما يفعله الله في
 السماء وأنه يغفر الذنوب وفي ذلك يقول : « وقد جعل الله في أيدي المطارين
 ما لم يجعله في يد أحد ، وذلك أن كل ما يفعلونه في الأرض يفعله الله في
 السماء ، فإذا أذنبنا فهم الذين يقبلون التوبات ويعفون عن السيئات ، بأيديهم
 صلاح الأحياء والأموات »^(٣)!!

حقا لقد ورث الصوفية تقديس مشايخهم وإعطائهم ما للرب من صفات وأفعال
 من النصارى وسيأتي ذكر مقالاتهم في ذلك ونقدها^(٤).

وكما غلا النصارى في حق المخلوق فشبهوه بالخالق بإعطائهم له ما للرب تعالى
 من صفات وأفعال ، فقد تنقصوا الخالق فشبهوه بالمخلوق ، ووصفوه بصفات
 العيوب والنقائص التي يتزه عنها سبحانه وتعالى ، حتى زعموا أنه لا يمكنهم أن
 يفهموا الله تعالى إلا بالتشبيه حيث قالوا : « إنه لا يمكننا أن نفهم الله إلا عن طريق
 تصوره بالصورة البشرية »^(٥). تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومن ذلك مقالاتهم الكفرية إن الله إتخذ ولدا كالمخلوق الذي يتخذ صاحبة ليولد
 له منها ولد ، يعينه في حوائجه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .
 وقد قال بمقاتتهم هذه بعض غلا الشيعة والصوفية^(٦).

(١) انظر : هداية الحيارى ص/٢٧٥ .

(٢) رئيس الكهنة وهو فوق الأسقف ودون البطريرك . انظر : تعليقات الدكتور محمد شامة على
 كتاب أبي عبيد الخزرجي بين الإسلام والمسيحية ص/٩١ رقم ١ .

(٣) انظر : بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيد الخزرجي ص/٩١ .

(٤) انظر : ٢٨٦/١ و ٧٣/٣ و ١٥٤ و ٢٥١ و ٢٥٥ .

(٥) انظر : الله واحد أم ثلاث لمحمد مجدي مرجان ص/٩-١٠ .

(٦) كما سيأتي انظر : ٢٤٧/١ و ٢٤٨ و ٢٤٢/٣ و ٢٤٤ .

وقد ذكر الله تعالى مقاتلهم الكفرية في ذلك ، ونزه نفسه عما نسبوه إليه من اتخاذ صاحبة والولد فقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِثُونَ ﴾ [البقرة : ١١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا * تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩٢] .

فأنكر عز وجل مقاتلهم الضالة الكفرية ، ونزه نفسه سبحانه وتعالى أن يكون له ولد !!

وذكر تعالى في آية أخرى أن الولد إنما يكون من صاحبة والله منزه عن ذلك فكيف يكون له ولد ، فقال : ﴿ بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أُنْتِ بِكُوْنٍ لَّهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٠١]

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : « ... أي : كيف يكون له ولد ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةً ﴾ أي : والولد إنما يكون متولدا بين شيئين متناسبين والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه ، لأنه خالق كل شيء فلا صاحبة له ولا ولد ... وهو الذي لانظير له ، فأنتى يكون له ولد ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا »^(١) !!

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن النصرارى ينزهون البشر عن كثير مما يصفون به الرب يقولون : لله ولد ، وينزهون كثيرا من عظمائهم أن يكون لهم ولد^(٢) .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٦/٢ .

(٢) وهم القساوسة ورجال الكنيسة الذين حرموا على أنفسهم الزواج ، فاتخذوا لهم خذنا وخليلات من خدام الكنيسة وغيرهن !!

ويقول كثير منهم : إن الله ينم ، والبابا^(١) عندهم لاينام ، ومثل هذا كثير^(٢) جدا مما يدل على أنهم قد أفرطوا في التشبيه ، فوصفوا الله تعالى بصفات النقص المضادة لصفات الكمال ، ونزهوا من قدسهم عن ذلك ، تعالى الله عن مقالاتهم علوا كبيرا . فالنصارى كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله ارتكبوا محذورين عظيمين في حق الخالق والمخلوق لا يرضى بهما ذو عقل ومعرفة .

أحدهما : الغلو في حق المخلوق وتشبيهه بالخالق ، حتى جعلوه شريكا للخالق عز وجل وجزءا منه وإلها معه ، وأنفوا أن يكون عبداً لله تعالى .

والثاني : تنقصهم الخالق ورميهم له بالعظائم وتشبيهه بالمخلوق الناقص ، ووصفه بصفات يستتكمف المخلوق أن يتصف بها ، وقد سبوا الخالق بنسبتهم إليه الولد والصاحبة مسبة ماسبه بها أحد من البشر .^(٣)

والمقصود أن النصارى ضلوا بتشبيههم المخلوق بالخالق ، والخالق بالمخلوق ضلالا مبينا وضاهاهم في ذلك فاتبعهم بعض فرق أهل الأهواء والبدع من الطوائف المنتسبة إلى الإسلام كالرافضة والصوفية وغيرهم من أهل الضلال ، فقالوا مثلهم بالحلول وأعطوا المخلوق ما للرب تعالى من صفات وأفعال فشبهوه بالخالق ، كما شبهوا الخالق بالمخلوق بوصفه بصفات النقص والعجز الخاصة بالمخلوق ، وسيأتي

(١) لقب البابا يطلق على كل أسقف في القرنين الرابع والخامس للميلاد ، إلا أنه أصبح بعد ذلك مقصورا على أسقف روما وحده ، واستمر على هذا في الكنيسة الغربية إلى يومنا هذا ، في حين أنه اقتصر عند النصارى الشرقيين على بطريرك كل من الإسكندرية والقسطنطينية وأورشليم القدس ، وإن كان لإطلاقه على عموم الكهنة لم يزل مألوفا أيضا . انظر : الدائرة البريطانية ١٨ / ٢٢٤ ومصادر النصرانية دراسة وتقويما : لعبد الرزاق عبد المجيد ألارو ص/٥٦٨ رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية عام « ١٤١٧ هـ » غير منشورة .

(٢) انظر : منهاج السنة ٣٩٦/٢ .

(٣) انظر : إغاثة اللهفان ٢/٢٨٢-٢٨٣ وهداية الحيارى ص/٥٦ .

بيان ذلك ونقده وتنزيه الله عنه على وجه التفصيل^(١)!

○ ○ ○ ○

(١) في الباب الرابع انظر : ٢٨٦/١ و٦٤/٣ و٧٣ و١٠٩ و١٥٤ و٢٥١ و٢٥٥ .

المطلب الثالث

الديانات المجوسية

تعتبر الديانات المجوسية^(١) إحدى الروافد الذي استقى منه بعض طوائف المشبهة مقاتلهم في التشبيه ، كالروافض ، إذ أن معظم غلاة الشيعة المشبهة منهم^(٢) ، إذ لا يمكنهم كما تقدم^(٣) إفساد عقيدة المسلمين ، وتفريق كلمتهم إلا بالدخول فيه وبث دياناتهم الوثنية الضالة المبنية على تقديس مظاهر الكون كالنور ، وتأليهه وإعطائه صفات الخالق عز وجل وقد نقلوا هذه العقيدة الوثنية الضالة في أئمة آل البيت الذين تستروا بمحبتهم خداعا للعوام من المسلمين ، فغفلوا فيهم حتى أخرجوهم عن حدود الخليفة فشبهوهم بالخالق عز وجل .

ومن أشهر الديانات المجوسية التي كانت قبل الإسلام : الزردشتية ، والمانوية والمزدكية .

ويمكن إعطاء فكرة موجزة عن هذه الديانات الوثنية ليتبين بها مصدر مقالة التشبيه عند من قال بها في الإسلام .

١- الزردشتية

أتباع زردشت بن يوشرب الذي ظهر في زمان كشتاسب بن لهراسب الملك ويطلق عليه زردشت الحكيم ، إدعى النبوة ، ودعا الملك الفارسي كشتاسب إلى

- (١) المجوس هم : عبدة النار ، ويقولون بأصلين أحدهما : النور ، والآخر : الظلمة ، والنور عندهم أزلي ، والظلمة محدثة ومسائل المجوس كلها تدور حول أمرين : أحدهما : بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ، والثاني : سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ ، والخلاص معادا . انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٢٣٣/١ وما بعدها واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص/١٣٤ .
- (٢) كما سيتبين ذلك عند التعريف بهم وبمقاتلهم في التشبيه انظر : ٢٣٥/١ وما بعدها .
- (٣) انظر : ١٩١/١ .

عقيدته فأمن به ، فأصبحت الزردشتية الدين الرسمي للدولة الفارسية^(١) !
ومن الأفكار والمعتقدات التي نادى بها زردشت كما ذكر الشهرستاني أن
النور والظلمة أصلان متضادان ، وكذلك يزدان وأهرمن ، وهما مبدأ موجودات
العالم وقد حصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصورة من التراكيب المختلفة
والباري - تعالى - خالق النور والظلمة ومبدهما ، وهو واحد لا شريك له ولا ضد
ولاند ، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة !

ويذهب إلى أن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث إنما حصلت من
امتزاج النور والظلمة والخير والشر وذلك سبب الخلاص^(٢) !!

ويظهر مما ذكره الشهرستاني إلى أن الديانة الزردشتية التي كان عليها الفرس قبل
الإسلام كانت خليطة من التوحيد والاعتراف لله تعالى بأنه خالق النور والظلمة ،
ونفي الشريك والند عنه تعالى ، ومن المجوسية المبنية على تقديس النور الذي جعلوه
أصل الخير والصلاح والطهارة وسبب الخلاص ، ورمزوا له بيزدان ، الذي جعلوه إله
الخير ، فقدسوه وقد انتقل هذا التقديس مع بعض الفرس عندما دخلوا في الإسلام ،
فقدسوا من انتسبوا إليهم من أئمة آل البيت ، ووصفوهم بما للرب تعالى من صفات
وأفعال كما سيأتي^(٣) !!

وفي الديانة الزردشتية ما وافقت به المجوسية من ذمهم للظلمة التي جعلوها أصل
الشر والفساد والخبث ، ورمزوا لها بأهرمن الذي جعلوه إله الشر !!

(١) انظر : الملل والنحل / ١ / ٢٣٧ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص / ١٣٥ ونشأة

الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور النشار / ١٩٢ .

(٢) انظر : الملل والنحل / ١ / ٢٣٧ .

(٣) انظر : ٢٤٤ / ١ - ٢٥٢ و ٢٦٤ - ٢٧٥ و ٧٣ / ٣ - ٨٥ .

٢- المانوية

أتباع مانى بن فاتك الحكيم الذي ظهر في أيام سابور بن أردشير ، الذي ظهر بعد عيسى عليه السلام ، فأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية ، ونادى بتعديل دين زرادشت للتقريب بينه وبين المسيحية^(١).

ومن تعاليمه الاعتقادية التي نادى بها بين أتباعه الفرس الاثنيينية المجوسية النور والظلمة ، حيث زعم أن العالم مركب من أصلين أحدهما النور والآخر الظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا^(٢)!

وزعم أن النور كان في أعلى العلو ، والظلمة في أسفل السفلى ، وأن النور متناه من الجانب الذي يلي الظلام وغير متناه من الجانب الأخرى^(٣)، ووصفوا النور معبودهم بأنه جوهر حسن فاضل ، وأنه متحيز ، واستدلوا بأنه لاشيء إلا الجسم ، وأما الظلمة فقالوا إنها جسم قبيح ومظلم ، وأن جهتها أسفل وأنها شريرة^(٤)!!

ويلاحظ على عقائد المانوية الخلط بين الفلسفات اليونانية كإطلاق لفظ الجسم والجوهر والمتحيز على معبودهم النور ، وهذه المصطلحات نفسها هي التي قال بها متكلموا المشبهة الراضية كالهشامية ، وغير الراضية كالكرامية وأطلقوها على الله تعالى كما سيأتي^(٥)!

(١) انظر : الملل والنحل ٢٤٤/١ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٢٤٤/١ .

(٣) انظر : التبصير في الدين للأسفراييني ص/١١١-١١٢ والملل والنحل ٢٤٤/١ والانتصار للخياط ص/٣٧ .

(٤) انظر : الملل والنحل ٢٤٧/١-٢٤٨ ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور النشار ١/١٩٤-١٩٦ .

(٥) انظر : ٩/٢ .

وقد قام بنفيها متكلموا المعطلة من المعتزلة ومن تأثر بهم من الأشاعرة والماتريدية^(١)! كما يلاحظ في تعاليم المانوية العقائد المجوسية المبنية على تأليه النور وتقديسه ووصفه بصفات الله تعالى ، تلك العقيدة الفاسدة التي انتقلت إلى الرافضة بواسطة الفرس المجوس الذين دخلوا في الإسلام ومعهم روايب من دياناتهم القديمة كما تقدم بيان ذلك عند بيان أسباب ظهور مقالة التشبيه في الإسلام^(٢)!!

كما يلاحظ في تعاليم المانوية ذم الظلمة واعتبارها مصدر كل شر وقبيح في العالم !

٣- المزدكية

أتباع مزدك الذي ظهر في أيام الملك الفارسي قباذ والد أنوشروان الذي دخل في ديانة مزدك ، وتعاليم المزدكية كتعاليم المانوية في القول بالأصلين النور والظلمة ، إلا أن مزدك كان يقول : إن النور يفعل بالقصد والاختيار ، والظلمة تفعل بالخطب والاتفاق ، والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى . ويحكى عنه كما ذكر الشهرستاني أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها على زعمه من الشر وامتزاج الظلمة ، كما كان يرى أن معبوده قاعد على كرسيه في العالم العلوي على هيئة خسرويه^(٣) في العالم الأسفل^(٤)!!

(١) كما ستأتي الإشارة إلى ذلك انظر : ١٠/٢ .

(٢) انظر : ١٩١/١ .

(٣) خسرويه معناه بالفارسية : واسع الملك فعرته العرب فقالت : كسرى وهو لقب لكل من ولي

ملك فارس انظر : لسان العرب لابن منظور ١٤٢/٥ وتهذيب الأسماء واللغات للنوي ١/٢

٦٦-٦٥ . مادة كسر .

(٤) انظر : الملل والنحل ١/١٤٩ .

ويلاحظ على عقيدة مزدك التشبيه ، فقد جعل النور كأضرابه المجوس إليها ووصفه بصفات الخالق من كونه كما زعم فاعلا ، وجعل الظلمة أيضا فاعلة إلا أن فعلها كما ادعى بالخبط والاتفاق !!

تلك أهم الديانات الفارسية التي استمد منها مشبهة الرافضة مقالاتهم في التشبيه بوصفهم الله تعالى بصفات المخلوقين ، وغلوهم في تقديس الأئمة من آل البيت ، وغيرهم من زعمائهم ، إلى حدّ أن أخرجوهم عن حدود الخليفة وشبهوهم بالخالق عز وجل كما سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل^(١) !!



(١) انظر : ٢٣٣/١ و ٢٣٥ وما بعدها و ١١/٣ وما بعدها .

المطلب الرابع

التيارات الفلسفية

ومن المصادر التي تأثر بها متكلموا المشبهة كالهشامية والكرامية واستقوا منها مصطلحاتهم الكلامية ، وأقيستهم الفلسفية التي أدت بهم إلى القول بمقالة التشبيه الفلسفة اليونانية التي ترجمت إلى العربية كما تقدم^(١) على يد الخليفة المأمون^(٢) ، فقد أطلق المشبهة ما كان يُطلقه فلاسفة اليونان كلفظ الجسم والجوهر على الله تعالى ، وقالوا باستحالة القول بحوادث لأول لها ، الذي أدى بهم إلى القول بحدوث بعض صفات الله تعالى بعد أن لم تكن فرارا من القول بذلك ، كما استدلوها بدليل الجواهر والأعراض لإثبات وجود الله تعالى ، هذا الدليل المتدع الفاسد الذي أدى بهم إلى القول بأن الله جسم ، ونحو ذلك من المسائل الكلامية التي أدت بهم إلى القول بمقالة التشبيه^(٣) !!

ويمكن ذكر بعض الأمثلة مما كان يطلقه بعض الفلاسفة اليونانيين من المصطلحات الفلسفية على الله تعالى ، ليتبين بذلك أنها من مصادر التشبيه عند من قال بها من طوائف المشبهة المنتسبين إلى الإسلام !
فمن الأمثلة على ذلك قول الفيلسوف اليوناني أنكساغورس^(٤) إن مبدأ الوجود هو

(١) عند بيان أسباب ظهور مقالة التشبيه في الإسلام انظر : ١٩٣/١ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ١٩٣/١ .

(٣) سيأتي بيان هذه المسائل وبيان موقف أهل السنة منها على وجه التفصيل انظر : ٤٥٩/١ - ٤٦١

و ٨٥/٢ - ٨٧ و ١١٧ .

(٤) فيلسوف يوناني من أهل ملطية ، كان تلميذا للفيلسوف « طاليس » وخالفه في بعض المسائل .

انظر : الملل والنحل ٦٤/٢ وتعليقات الدكتور : محمد سيد الكيلاني على كتاب الملل والنحل

جسم متشابه الأجزاء ، وأطلق على الله أنه جوهر فقط^(١). وقد أحال أفلاطون^(٢) وجود حوادث لأول لها^(٣).

ومن الفلاسفة الذين تأثر بهم المشبهة الفلاسفة الرواقيون^(٤) الذين قالوا : إن جميع الموجودات الحقيقية جسم ، ووصفوا الله تعالى بأنه جوهر ويقدر أن يتصور بأي صورة أراد ويتشبه بالكل ، وأن الإله عندهم هو صورة العالم في أفكار الناس ، والله هو العالم ، والعالم هو الله^(٥) ! ويظهر هنا القول بالحلول ، ووحدة الوجود^(٦) التي يقول بهامن يشبه المخلوق بالخالق ، ويعطيه بعض خصائص الألوهية من الرفضة وأهل التصوف ، وغيرهم من أهل الأهواء والبدع !!

وبجانب ما ذكر عن الفلاسفة من المقالات والشبه التي تأثر بها أهل الكلام المذموم من المشبهة والمعطلة فقد وقع الفلاسفة في نوعي التشبيه ، فقد كان أرسطو وأتباعه من أهل الشرك والوثنية يعبدون الأصنام والكواكب ويشبهون بذلك المخلوق بالخالق^(٧)!

(١) انظر : المرجع نفسه ١٤٧/٢ . .

(٢) أفلاطون بن أرسطن فيلسوف يوناني من أهل ملطية كان تلميذا للفيلسوف « طاليس » وقد خالفه في بعض المسائل . انظر : الملل والنحل ٦٤/٢ . وتعليقات الدكتور : محمد سيد الكيلاني على كتاب الملل والنحل ٦٤/٢ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ٦٤/٢-٦٥ .

(٤) الفلسفة الرواقية : مذهب فلسفي نشأ في اليونان ، ثم امتد إلى روما بإيطاليا ، سميت بالرواقية نسبة إلى مؤسسها : زينون الفيلسوف الذي كان يعلم تلاميذه في رواق ، وبما عرف عن الفلاسفة الرواقيين القول بأن المادة تنجزاً إلى مالا نهاية . انظر : المعجم الفلسفي للدكتور : جميل صليبا ١/٦٢٢-٦٢٣ والموسوعة العربية الميسرة ١٧/٤٦٠ .

(٥) انظر : الآراء الطبيعية ص/١٠٦ نقل عن كتاب التجسيم عند المسلمين للدكتورة سهير مختار ص/١٣٩

(٦) تقدم التعريف بالحلول ، وسيأتي توضيح مفهوم وحدة الوجود وذكر بعض مقالات من قال بذلك من أهل الرفض والتصوف ونقدتها وتنزيه الله عنها انظر : ص/١٣٩ و١٨٩-٢٠٠ و٨٠٥ و٨٠٦ .

(٧) انظر : الرد على المنطقيين ص/٢٨٣-٢٨٥ .

كما وقعوا في تشبيه الخالق بال مخلوق حيث وصفوا الله تعالى بالصفات الخاصة بالمخلوق فزعم أرسطو وأتباعه أن الله عاشق ومعشوق يعشق ذاته ، وهي معشوقة له وهو كذلك معشوق للعالم ، يتجه إليه العالم كعلة وغاية له يسعى نحوها ليتشبه بها^(١). وقد كان أرسطو يزعم أن الله يلتذ^(٢). ومعلوم أن العشق واللذة من الصفات الخاصة بالمخلوقين التي يجب تنزيه الله عنها !!

وقد تأثر بمثل هذه المقالات الفاسدة الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام^(٣) فقد كانوا كما ذكر شيخ الإسلام يقولون : إن الله عاشق ومعشوق وعشق ، وإنه لذيق ويلتذ ويتهيج^(٤). مع أن لفظ العشق واللذة والابتهاج كما ذكر شيخ الإسلام فيه من التشبيه مالا يخفى على عاقل^(٥)!

وأعجب من هذا كما ذكر شيخ الإسلام أن الفلاسفة يقولون : إن الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة ، ومن هنا دخل في الإسلام من وافقهم في إثبات تشبه العبد بالرب في الذات والصفات والأفعال ، كصاحب الكتب المضمون بها على غير أهلها^(٦) ومن مشى خلفه من القائلين بالوحدة المطلقة والاتحاد^(٧)!

(١) انظر : قضية التوحيد بين الدين والفلسفة للدكتور : محمد السيد الجليلند ص/ ٨١ وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص/ ١٨١-١٨٢ وراجع : التشبيه والتمثيل في الصفات وموقف الفرق الإسلامية منه للشيخ علي بن سالم المري ص/ ٨٤-٨٨ و ٢٨٠-٢٨١ رسالة ماجستير مقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) انظر : تلخيص ما بعد الطبيعة لابن رشد ص/ ١٤٧-١٤٨ والمرجع السابق ص/ ٨٧ .

(٣) كابن سينا والقارابي وابن رشد وغيرهم !

(٤) انظر : درء تعارض العقل ٨٢/٥-٨٣ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ٨٢/٥ .

(٦) وهو أبو حامد الغزالي وسيأتي التعريف به وبمقالاته في التشبيه انظر : ص/ ١٩٣-١٩٥ .

(٧) سيأتي التعريف بهم وبمقالاتهم في التشبيه انظر : ٢٨٣/١ .

وكانوا يقولون إنَّ الإنسان هو الله ، ويستدلون على هذه المقالة بقول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ حيث يزعمون أنَّ المراد بذلك أنه ليس كالإنسان الذي هو مثل الله شيء^(١). مع أنَّ هذه الآية كما سيأتي من أعظم الآيات الدالة على تنزيه الله تعالى عن التشبيه^(٢) تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا

ولهم مقالات كثيرة في التشبيه وبما ذكرت يتبين أنَّ الفلاسفة الذين تأثر بهم متكلموا المشبهة والمعطلة وكذا الصوفية في مقالاتهم في الحلول ووحدانية الوجود كانوا مشبهة قالوا بنوعي التشبيه الذي يجب تنزيه الله عز وجل عنه .

وبالجملة فإن مقالة التشبيه لها جذور في التاريخ ، وقالت بها طوائف منحرفة ضالة عن منهج الرمل عليهم السلام من اليهود والنصارى والمجوس والفلاسفة ، وتبعهم في ذلك طوائف المشبهة المنتسبون إلى الإسلام فقالوا بقولهم ، وسلكوا منهجهم في وصف الله تعالى بما لا يليق به من صفات النقص ، وتشبيهه بالمخلوقين ، وإعطاء المخلوقين ما للرب تعالى من صفات وأفعال ، حتى أخرجوهم عن حدود الخليقة وشبهوهم بالخالق عز وجل كما سيتضح بيان ذلك على وجه التفصيل !!



(١) انظر : درء التعارض ٥/٨٢-٨٣ .

(٢) انظر : ١/٣٨٢ - ٣٨٤ .

الفصل الثالث التعريف بطوائف المشبهة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بطوائف المشبهة من الشيعة

المبحث الثاني : التعريف بطوائف المشبهة من غير الشيعة

المبحث الثالث : تحقيق القول فيمن عدوا من طوائف المشبهة

المبحث الأول

التعريف بطوائف المشبهة من الشيعة

المطلب الأول : التعريف بطوائف مشبهة الشيعة القدامى
ومقالاتهم في التشبيه على سبيل الإجمال .

المطلب الثاني : الشيعة المتأخرون وبيان مقالاتهم في التشبيه على
سبيل الإجمال .

مدخل

تعتبر طوائف الشيعة من أعظم طوائف أهل البدع المشبهة وصفاً لله تعالى بما لا يليق به من التشبيه والتمثيل وجميع صفات النقص والعيوب التي يجب تنزيه الله عنها كما يُعطون بعض المخلوقين كثيراً من خصائص الربوبية والألوهية التي لا تصلح إلا لله تعالى ، فهم أهل شرك وتشبيه وتأليه للمخلوق بمقالات لا يقول بها من له أدنى مسكة من عقل وإيمان !!

فقد أباحوا حمى التوحيد وهتكوا أستاره إذ لا يوجد التشبيه والشرك في طائفة من الطوائف المنحرفة مثلما يوجد عندهم ، وكل من قال بالتشبيه من أهل البدع من غيرهم فإنه دخل إليه ذلك من قبلهم ، لأنهم الأصل في ذلك^(١)، ولذا أفردت لهم مبحثاً للتعريف بهم وبمقالاتهم في التشبيه !!

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ التشبيه في الروافض أعظم فيهم من غيرهم ، فهذه المقالات التي نقلت في التشبيه والتجسيم لم نر الناس نقلوها عن طائفة من المسلمين أعظم مما نقلوها عن قدماء الرافضة .

ثم إنهم حرموا الصواب في توحيد الله كما حرموه في غيره ، فقد ماؤهم يقولون بالتجسيم الذي هو قول غلاة المجسمة ، ومتأخر وهم يقولون بالتعطيل موافقة لغلاة المعطلة من المعتزلة ونحوهم^(٢) !!

فأقوال أئمتهم دائرة بين التعطيل والتمثيل لم تعرف لهم مقالة متوسطة بينهما^(٣) وكتب المقالات كلها تخبر عن أئمة الشيعة المتقدمين من المقالات المخالفة للعقل

(١) لأنه على يدهم ظهر التشبيه عند فرق الأهواء المنتسبة إلى الإسلام وقد بينت ذلك عند ذكر نشأة مقالة التشبيه انظر : ١٧٤/١ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٧٥/١ وراجع مقالات الإسلاميين ١٠٩/١ .

(٣) انظر : منهاج السنة ٢٤٢/٢-٢٤٣ .

والنقل في التشبيه بما لا يعرف له نظير عن أحد من سائر الطوائف^(١)!!
 ونقل شيخ الإسلام عن الجاحظ^(٢) في كتابه «الحجج في النبوة»^(٣) أنه ليس على
 ظهرها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله ، وأن البداوات^(٤) تعرض له ، وأنه لا يعلم
 الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه^(٥)!
 ولئن كان أصحاب الفرق والمقالات يحكون عن غلاة الشيعة المتقدمين من
 التشبيه والتمثيل ما لا يقول به من له أدنى مسكة من عقل وإيمان كما سيأتي ، فإن
 التشبيه^(٦) ملازم لهم حتى بعد قولهم بمقالة التعطيل التي اتبعوا فيها المعتزلة ، لذا
 سأقسم هذا المبحث إلى مطلبين :

المطلب الأول : التعريف بطوائف مشبهة الشيعة القدامى ومقالاتهم في التشبيه
 على سبيل الإجمال .

المطلب الثاني : الشيعة المتأخرون وبيان مقالاتهم في التشبيه على سبيل الإجمال .

(١) انظر : المرجع نفسه ٢/٢٤٣ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ١/١٧٩ .

(٣) تقدم الكلام على كتاب الجاحظ «الحجج في النبوة» انظر : ص/١١٨ .

(٤) جمع بداء وسيأتي توضيح مفهومه عند الشيعة وذكر مقالاتهم في ذلك وتنزيه الله عنها انظر :

١/٢٣٧ - ٢٤٠ و ٣/٤٢ - ٦٣ .

(٥) انظر : منهاج السنة ١/٧٣

(٦) لاسيما تشبيه الخلق بالخالق فإنه ملازم لهم إلى يومنا هذا كما سيأتي انظر : ١/٢٦٤ و ٣/

المطلب الأول

التعريف بطوائف مشبهة الشيعة القدامى ومقالاتهم في التشبيه على سبيل الإجمال

المراد بطوائف مشبهة الشيعة القدامى تلك الطوائف المبتدعة التي أفرطت في التشبيه وغلت في أئمة أهل البيت حتى أخرجوهم عن حدود الخليفة وشبهوهم بالخالق عز وجل كما قال بعضهم بالتشبيه والتجسيم في ذات الله تعالى وصفاته وذلك قبل تأثر الشيعة بمذهب المعتزلة في الصفات وغيره وقولهم بمقالة التعطيل في أواخر المائة الثالثة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله^(١).

وكانت هذه الطوائف كما ذكر الدكتور كامل مصطفى الشبيبي قد اجتمعوا على التشبيه والتجسيم ، وذلك لأنهم ركزوا اهتمامهم في الارتفاع بالإنسان حتى يصير إلها ، والنزول بالإله حتى يصير إنسانا^(٢)، وذلك بسبب قولهم بالحلول كما سيأتي فوقعوا بذلك في مقالة التشبيه في أفطح صورها .

ولما كانت هذه الطوائف كثيرة جدا ، فإني سأذكر أشهرها ، مع التعريف بها وبمقالاتها في التشبيه على سبيل الإجمال .

ومن هذه الطوائف :

١- السبئية

من أوائل طوائف الشيعة قولاً بالتشبيه السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي فقد كان بُدُو التشبيه في الإسلام منهم ، بتأليههم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتشبيهه بالخالق عز وجل .

(١) انظر : منهاج السنة ٧٢/١ .

(٢) انظر كتابه : الصلة بين التصوف والتشيع ص/١٢٤ .

وقد قالوا بالحلول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(١) وعلى إثرهم سارت الرافضة في القول بالحلول والتشبيه ، وقالوا بمقالات مخرجة عن الإسلام ، وقد تقدم التعريف بالسبئية وبمقاتلهم في التشبيه وموقف أمير المؤمنين منهم ، عند ذكر نشأة التشبيه في الإسلام مما أغنى عن التعريف بهم وبمقالاتهم في التشبيه هنا^(٢)!

٢- المختارية

ومن طوائف الشيعة المشبهة المختارية^(٣) نسبة إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي^(٤) الذي

(١) ذكر ابن أبي الحديد أن أكثر الغلاة في أمير المؤمنين وأولاده وعلى رأسهم السبئية يقولون فيهم بالحلول ، واتبعهم على هذه المقالة قوم من المتصوفة كالحلاجية والبسطامية . انظر كتابه : شرح نهج البلاغة ١/٢٦٩-٢٩٦ وسيأتي بيان القائلين بالحلول من أهل البدع الرافضة والصوفية ، وبيان أن من قال بالحلول فهو مشبه . انظر : ١/٢٨٣ و ٣/٦٤ و ١٠٨ .
(٢) انظر : ١/١٧٤ .

(٣) ويُقال لهم الكيسانية نسبة إلى كيسان ، قيل إنه لقب للمختار بن أبي عبيد ، ومن ذهبوا إلى ذلك النوبختي وابن قتيبة ، وأبو الحسن الأشعري ، والبغدادي ، وقيل : فرقة أخرى غير المختارية وهم : أتباع كيسان مولى علي بن أبي طالب « ومن ذهب إلى ذلك الشهرستاني ، والمقريزي ، انظر : فرق الشيعة للنوبختي ص/٢٠ والمعارف لابن قتيبة ص/٦٢٢ ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/٩١ والفرق بين الفرق للبغدادي ص/٤٦ والملل والنحل للشهرستاني ١/١٤٧ وخطط المقريزي ٣/١٩٤ . والصلة بين التصوف والتشيع للدكتور : كامل مصطفى الشبيبي ص/١١٦ . والظاهر : أن نسبة الكيسانية إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب « كما ذكر الدكتور فتحي الزغبني قول ضعيف ، لأن كيسان قُتل في صفين في حياة علي « ، فيترجح القول الأول ، وأن كيساناً هذا لقب لصاحب شرطة المختار المكنى بأبي عمرة السائب بن مالك الأسعدي ، فسميت المختارية بذلك . انظر : غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام للدكتور فتحي الزغبني ص/٩١-٩٢ و١١٢ .

(٤) أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي أحد الشجعان ، عاهد عبد الله بن الزبير ، وشهد معه بداية حربه مع الحصين بن نمير ، ثم ذهب إلى الكوفة وتبع قتلة الحسين « ، فقتل منهم الكثير ، فجذب أنظار الناس إليه ، لاسيما الرافضة الذين يدعون مناصرة آل البيت ، وكان =

صار شيعياً^(١)، والتفت حوله الرافضة عندما قام بثأر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتل أكثرهم^(٢) فذاع صيته واشتهر أمره فعلا حتى ادعى النبوة^(٣).^(٤) وقال أتباعه فيه بذلك^(٥)، وقد اشتهر هو وأتباعه بالقول بمقالة البداء التشبيهية التي فيها وصف الله تعالى بالجهل ، وقبل ذكر مقالاتهم في ذلك يحسن تعريف مقالة البداء ليتبين بذلك وجه كونها تشبيها لله تعالى بوصفه تعالى بصفات النقص الخاصة بالخلق !!

فمعنى البداء في اللغة يطلق على معنيين :

الأول : الظهور بعد الخفاء يُقال في اللغة : بدأ الشيء يبدو بُدْؤًا وَبَدَاءً ، أي : ظهر . ويُقال بدأ لي شيئًا : ظهر لي بعد أن كان مخفيا مستورا^(٦) .
ويدل على هذا المعنى قول الله تعالى : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ آلِهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧] قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : « أي : ظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في حسابهم »^(٧) .
والإبداء مقابله الإخفاء ، فلا يكون بداءً إلا بعد خفاء .

= متلونا كذا ، دخل في معارك مع مصعب بن الزبير فحاصره في قصر الكوفة حتى قُتل سنة ٦٧ هـ انظر : الملل والنحل ١/١٤٧-١٤٨ .

(١) كان يقول بإمامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقيل بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وكان يدعو الناس إلى ذلك . انظر : الفرق بين الفرق ص/٥١ والملل والنحل ١/١٤٧ .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق ص/٤٦ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ص/٥٣ و٥٦ وغلاة الشيعة للدكتور فتحي الزغبى ص/٩٩ .

(٤) أي : ظهر منه ما زعم به أنه يتلقى من الملك لكنه لم يصرح بدعوى النبوة .

(٥) انظر : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص/٣٤ .

(٦) انظر : معجم مقاييس اللغة ١/٢١٢ ولسان العرب ١٤/٦٧ مادة « بدؤ » .

(٧) تفسير ابن كثير ٤/٦٢ .

والثاني : ويطلق البداء ويراد به : نشأ رأي جديد لم يكن من قبل ، قال الجوهري : « بَدَأَ لِي فِي الْأَمْرِ بَدَاءً ، أَي : نَشَأَ لِي فِيهِ رَأْيٌ »^(١) . ويدل على هذا المعنى قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَ جُنُودَهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف : ٣٥] أي : نشأ لهم في يوسف رأي جديد ، وهو أن يُسجن سجننا موقتا !

والبداء بمعنييه لا يجوز إطلاقه على الله تعالى ، لأنه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم ، وكلاهما محال على الله عز وجل ، لأن علم الله أزلي أبدي^(٢) .

والبداء كما يكون في العلم يكون أيضا في الإرادة وهو كما ذكر الشهرستاني أن يظهر لله صواب على خلاف ما أراد وحكم^(٣) ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فمن وصف الله بالجهل بالأشياء قبل وقوعها ، أو زعم أنه يظهر لله صوابا على خلاف ما أراد وحكم ، فقد شبه الخالق بالمخلوق ، لأن هذه صفة المخلوق ، والله منزه عن ذلك لا شبيه له ولا مثيل^(٤) : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] . ويذكر كتاب الفرق والمقالات أن أشهر من تزعم مقالة البداء التشبيهية ، وقال بها من فرق الراضية القدامى هم المختارية^(٥) ولعل المختار أخذ ذلك من السبئية حيث ذكر أبوالحسين الملطي^(٦) أن فرق السبئية كلها تقول

(١) الصحاح للجوهري ٧٧/١ مادة « بَدَوُ » .

(٢) انظر : بطلان عقائد الشيعة لمحمد عبد الستار التونسي ص/٢٠ .

(٣) انظر : الملل والنحل ١٤٩/١ .

(٤) سيأتي نقد مقالة البداء وتنزيه الله عنها عند بيان وقوع الراضية المعاصرين في مقالة التشبيه انظر :

٥٦/٣ وما بعدها .

(٥) انظر : الفرق بين الفرق ص/٤٦ والفصل لابن حزم ٤٠/٥-٤١ والملل والنحل ١٤٨/١

(٦) أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي نزيل عسقلان الشافعي العلامة الفقيه المقرئ

السلفي من يقرأ كتابه : « التنبيه . . . » يعلم سلامة معتقده ويتضح له أنه على منهج السلف

الصالح ، من تصانيفه : « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » توفي سنة ٣٧٧هـ انظر سير

أعلام النبلاء ٢٤٩/١٥ وشذرات الذهب ٢ / ٣٦٥/٢ والأعلام ٣١١/٥ .

بالبداء^(١) وما يدل على ذلك ما ذكره البغدادي أن أهل الكوفة خرجوا على المختار لما تكهن واجتمعت إليه السبئية مع عبيد أهل الكوفة لأنه وعدهم أن يعطيهم أموال ساداتهم ، وقاتل بهم الخارجين عليه ، فظفر بهم^(٢) .

وذكر الدكتور كامل مصطفى الشبيبي الإمامي أن المختار شجع أفكار السبئية وكانوا في جيشه على التحقيق^(٣) ! والسبئية كما تقدم هم الذين ألهموا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وشبهوه بالخالق عز وجل !!

وسبب قول المختار بالبداء على الله تعالى أنه تكهن وأدعى نزول الوحي إليه فقعد عن نصرته أبرز قواده ، ومنهم إبراهيم بن الأشتر^(٤) ، فاستولى لنفسه على بلاد الجزيرة ، وعلم مصعب بن الزبير^(٥) بذلك ، فطمع في قهر المختار ، ولحق به أكثر فرسان وسادات الكوفة غيظا منهم على المختار ، وأطمعوا مصعبا في أخذ الكوفة قهرا ، فخرج من البصرة في سبعة آلاف رجل من عنده ، سوى من إنضم إليه من سادات الكوفة ، فلما انتهى خبرهم إلى المختار ، أخرج صاحبه أحمر بن شميظ^(٦) إلى قتال مصعب في ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره ، وأخبرهم بأن

(١) انظر كتابه : التنبه ص/٣٠ .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق ص/٥٦ .

(٣) انظر كتابه : الصلة بين التصوف والتشيع ص/١٢٣ .

(٤) إبراهيم بن مالك بن الأشتر بن الحارث النخعي ، نسبة إلى النخع قبيلة باليمن من مذحج ، قائد شجاع ، شهد مع مصعب بين الزبير وقائع ، وولي له الولايات ، وقاد جيوشه في مواطن الشدة ، قُتل سنة ٧١هـ في حرب مصعب مع عبد الملك بن مروان انظر : الأعلام ٥٨/١ .

(٥) أبو عبد الله مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي ، أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام ، ساهم في تشييت ملك أخيه عبد الله في الحجاز والعراق ، وولاه أخوه عبد الله البصرة ، وهزم المختار الثقفي وقتله ، وقاتل جيش عبد الملك بن مروان لما هاجمه في العراق ، فقتل في ذلك ، وحمل رأسه إلى عبد الملك سنة ٧١هـ انظر : الأعلام ٧/٢٤٧-٢٤٨ .

(٦) أحمر بن شميظ البجلي ، أحد القادة الشجعان ، من أصحاب المختار الثقفي ، شهد أكثر =

الظفر يكون لهم ، وزعم أن الوحي قد نزل عليه بذلك ، فالتقى الجيشان بالمدائن ، وانهزم أصحاب المختار ، وقُتل أميرهم ابن شميطة وأكثر قواد المختار ، ورجع فلولهم إلى المختار وقالوا له : لماذا تعدنا بالنصر ، فقال : إن الله وعدني على ذلك ، لكنه بدّأه ، واستدل على ذلك بقول الله عز وجل : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ ﴾ [الرعد : ٣٩] فهذا كان سبب قول أتباعه المختارية بالبداء^(١) !!

وكان المختار كما ذكر الشهرستاني لا يفرق بين النسخ والبداء^(٢) ، فكان يقول : إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البداء في الأخبار^(٣) .

وهكذا الراضية إلى يومنا هذا يقررون عقيدة البداء ويقسرونها بالنسخ^(٤) !! فالخيار الثقي الكذاب لما تبين كذبه ، ولم يتحقق النصر لأصحابه الذي وعدهم به في وحيه المزعوم وانهزموا ، نزه نفسه عن الكذب بنسبة البداء إلى الله تعالى ، فوصف الله عز وجل بالجهل وشبهه بالخلق في ذلك ، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا .

٣- البيانية

أتباع بيان بن سمعان التميمي^(٥) أحد غلاة الشيعة الذي بدأ نشاطه في الغلو في

= وقائعه مع بني أمية وعبيدالله بن زياد ، ووجهه المختار بجيش من الكوفة لقتال مصعب بن الزبير ، فقُتل سنة ٦٧هـ وتفرق من معه انظر : الأعلام ٢٧٦/١ .

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص/١٤٩ .

(٢) سيأتي بيان الفرق بين النسخ والبداء انظر : ٥٧/٣ .

(٣) انظر : الملل والنحل ٥٢/١ .

(٤) سيأتي بيان ذلك عند ذكر مقالة التشبيه عند الراضية المعاصرين في الباب الرابع انظر : ٥٦/٣ وما بعدها .

(٥) انظر : مقالات الإسلاميين ٦٦/١ والفرق بين الفرق ص/٢١٦ والتبصير في الدين ص/١١٩ والملل والنحل ١٥٢/١ والبرهان في عقائد أهل الأديان ص/٧٥-٧٦ ومنهاج السنة ٥٠٢/٢-٥٠٣ .

وخطط المقرئ ٥٩٦/٣ . وذكر الرازي أن اسمه بنان بن سمعان النهدي انظر : اعتقادات =

بداية القرن الثاني^(١)، بادعائه أولاً أن أبا هاشم عبد الله بن محمد العلوي^(٢) هو الإمام القائم المهدي وأنه سيرجع فيقوم بأمر الناس ويملك الأرض ، وأنه لاوصي بعده^(٣)، ثم تدرج في الغلو فأدعى أنه وصي علي إمامة أبي هاشم ، زاعماً أنه هو الذي نص على إمامته ، ونصبه إماماً وأتبعه على ذلك أتباعه^(٤)، وهكذا استطاع أن ينقل الإمامة إليه بادعائه أنها تمت له بوصية من أبي هاشم ، حتى لايتهم أنه دخيل على الأئمة ، وكان لصنيعه هذا أكبر الأثر في غلاة الشيعة الذين جاءوا من بعده لأنه رسم لهم الوسيلة التي يخدعون بها الناس ويعتمدون عليها في تنصيب أنفسهم أئمة ودعاة وقادة تجب طاعتهم^(٥)!!

ولم يكتف بادعائه الإمامة وأنه وصي أبي هاشم بل ادعى النبوة ، واستدل على هذا الكذب بقول الله تعالى : ﴿ هَذَا بَيِّنَاتٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] مُدَّعِيًا أَنَّهُ المعني بالآية وأتبعه على هذا الهذيان والافتراء أتباعه ، فزعموا أنه نبي نسخ لهم بعض شريعة محمد ﷺ^(٦)!! وبلغت به الجرأة والافتراء أن أرسل إلى الإمام الباقر^(٧)

= فرق المسلمين والمشركين ص/ ٨٧ . وما أثبتته في المتن هو الصحيح الذي عليه معظم كتب الفرق والمقالات .

- (١) انظر : الفرق بين الفرق ص/ ٢١٦ والملل والنحل ١/ ١٥٢ ولسان الميزان ٢/ ١٢٢ .
- (٢) أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي « ثقة » توفي سنة ١٩٩ هـ انظر : تقريب التهذيب ١/ ٥١٣ وميزان الاعتدال ٢/ ٤٨٣ .
- (٣) انظر : فرق الشيعة للنوختي ص/ ٢٩-٣٠ والتبصير في الدين للأسفراييني ص/ ١٢٤ .
- (٤) انظر : مقالات الإسلاميين ١/ ٦٧ والفرق بين الفرق ص/ ٢١٦ ومنهاج السنة ٣/ ٤٧٩ .
- (٥) انظر : حركات الشيعة المتطرفين للدكتور : جابر عبد العالي حسين ص/ ٤٥ وغلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام للدكتور : فتحي الزغبيني ص/ ١٣٢ .
- (٦) انظر : مقالات الإسلاميين ١/ ٦٧ والفرق بين الفرق ص/ ٣٠ والتبصير في الدين ص/ ١٢٤ .
- (٧) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالباقر ، ثقة كثير الحديث ، توفي سنة بضع عشرة ومائة ، روى له الجماعة . انظر : تقريب التهذيب ٢/ ١١٤ .

رحمه الله ، ودعاه إلى الإيمان به والإقرار بنبوته قائلاً له بسجع الكهان : « أسلم تسلم وترتقي من سلم ، وتربح وتغنم ، فإنك لاتدري حيث يجعل الله النبوة والرسالة ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين ، وقد أعذر من أنذر »^(١). فتبرأ منه الإمام الباقر ، وأمر كما ذكر الشهرستاني أن يأكل الرسول الذي أرسله ببيان القرطاس الذي جاء به فأكله فمات في الحال ، وكان اسمه عمر بن عفيف^(٢) (٣)!!

وقد شبه ببيان وطائفته الله تعالى بصورة إنسان ، وذكروا - قبهم الله - أن له أعضاء كأعضاء الإنسان ، وأن جميع أعضائه كما زعموا تفنى إلا وجهه ، واستدلوا على هذا الهراء الفاحش ، والتشبيه الفظيع بقول الله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾^(٤) [القصص : ٨٨] قال الإمام ابن حزم : « ولو كان له أدنى عقل أو فهم لَعَلِمَ أَنَّ الله تعالى إنما أخبر بالفناء عما على الأرض فقط بنص قوله الصادق : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾^(٥) [الرحمن : ٢٦ - ٢٧] ويلزم من بقاء الوجه بقاء الذات لو كان له أدنى مسكة من عقل !

ثم ادعى الألوهية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشبهه بالخالق

(١) انظر : فرق الشيعة ص/٢٩ والملل والنحل ١/١٥٣ .

(٢) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه !!

(٣) انظر : الملل والنحل ١/١٥٣ .

(٤) انظر : الفرق بين الفرق ص/٢١٦ والملل والنحل ١/١٥٣ والغنية لطالبي طريق الحق للشيخ عبد القادر

الجيلاني ١/٨٨ والبرهان في عقائد أهل الأديان ص/٨٢-٨٣ ومنهاج السنة ٢/٥٠٢-٥٠٣ ولوامع

الأنوار البهية ١/٨١ ومختصر التحفة الاثني عشرية ص/١١ والصلة بين التصوف والتشيع للدكتور :

كامل الشيبلي ص/١٢٤ .

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/٤٤ .

عز وجل زاعما أنه حلّ فيه جزءٌ إلهي^(١)، واتحد بجسده فيه^(٢) على ادّعائه ، فكان كما زعم يعلم الغيب^(٣)! ووصفه بأنه هو الذي يأتي يوم القيامة كما زعم في ظلل من الغمام ، واستدل على هذا الافتراء بقول الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾^(٤) [البقرة : ٢١٠] وقد غلا أتباعه فيه حتى زعموا قاتلهم الله أن فيه الألوهية على طريق الحلول والتناسخ ، وذكروا أن بيان قال لهم : « إن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى صارت في أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، ثم انتقلت منه إليه » يعني نفسه ، فادّعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية^(٥)!! وقد وصفه أتباعه بصفات الله تعالى حيث زعموا أنه يعلم الغيب ، وأنه يعلم ما في غدٍ ، وما يشتمل عليه الأرحام وما يغيب في بيوتهم ، وأن الأئمة يعلمون ذلك كما علمه علي^(٦)!!

وقد تمادى بيان في كفره وكثر أتباعه حتى ظفر به خالد بن عبد الله

(١) تقدم تعريف الحلول انظر : ٢١٣/١ .

(٢) الاتحاد كما ذكر شيخ الإسلام ينقسم إلى قسمين : خاصّ وهو قول : يعاقبة النصارى وهم أخصّ قولاً وهم السودان والقبط الذين يقولون : إن اللاهوت والناسوت اختلطتا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء ، وهو قول من وافق هؤلاء من غالبية المنتسبين إلى الإسلام .

الثاني : الاتحاد العام وهو : قول هؤلاء الملاحدة كابن عربي وطائفته الذين يزعمون أنه تعالى عين وجود الكائنات ، وهم أكفر من اليهود والنصارى انظر : رسالة شيخ الإسلام إلى من سأله عن حقيقة مذهب الاتحاديين ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٢٩/٤ .

(٣) انظر : الملل والنحل ١٥٢/١-١٥٣ ولسان الميزان ١٢٢/٢ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ١٢٥/١ .

(٥) انظر : الفرق بين الفرق ص/٢١٦ وخطط المقرئ ٢٩٦/٣ .

(٦) سيأتي بطلان دعوى من يدعي علم الغيب ، وبيان أن ذلك خاص بالله تعالى ، عند ذكر وقوع الرافضة والصوفية المعاصرين في مقالة التشبيه انظر : ٢٧١/١ - ٢٧٤ و ١٤٥/٣ - ١٥٣ .

القسري^(١) في زمن ولايته على العراق فقتله^(٢).

وذكر ابن النوبختي^(٣) أنَّ خالد القسري أخذ بيان وخمسة عشر رجلاً من أتباعه فشدّهم بأطناب القصب ، وصبَّ عليهم النفط في مسجد الكوفة وألهب فيهم النار فأقلت منهم بيان وخرج بنفسه ثم التفت فرأى أصحابه تأخذهم النار ، فكروا رجعا إلى أن ألقى بنفسه في النار فاحترق معهم^(٤).

ومهما يكن من أمر في كيفية قتل بيان وأتباعه إلا أن مقالاتهم التشبيهية الكفرية قد انتقلت إلى الرافضة من بعدهم قاتلهم الله أنى يؤفكون !!

٤- المغيرة

أتباع المغيرة بن سعيد البجلي بالولاء^(٥) الكوفي الرافضي^(٦) الذي زعم أنه المهدي

(١) أبو القاسم خالد بن عبد الله بن يزيد القسري الأمير وهو الذي قتل الجعد بن درهم صاحب « مقالة التعطيل » قُتل خالد القسري في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ انظر : تهذيب التهذيب ٣/ ١٠١ ووفيات الأعيان ٢/ ٢٢٦ .

(٢) انظر : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص/ ١٦٥ .

(٣) أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي وأبى النوبختي ، من كتاب الشيعة وعلمائهم ، ذكر الدكتور : محمد رشاد سالم أنه من أخذ من الشيعة من أقوال المعتزلة . وذكر أنه صاحب كتاب « الآراء والأديان » لكن كتابه هذا لم يتمه . توفي سنة ٣٠٠هـ انظر ترجمته في : لسان الميزان ٢/ ٤٧٧-٤٧٨ والأعلام ٢/ ٢٢٤ وراجع : منهاج السنة ٢/ ٥٠٢-٥٠٣ .

(٤) انظر : فرق الشيعة لابن النوبختي ص/ ٢٨-٢٩ وراجع الفصل لابن حزم ٥/ ٤٤ .

(٥) انظر : مقالات الإسلاميين ١/ ٦٩ والفصل ٥/ ٤٣ والعارف لابن قتيبة ص/ ٦٢٣ والمثل والنحل

١/ ١٧٦ والتبصير في الدين ص/ ١١٩-١٢٠ والكامل لابن الأثير ٤/ ٢٣٠ ومنهاج السنة ١/ ٢٦٠ و٢/ ٥٠٣ وخطط المقرئ ٣/ ٢٩٦ . وذكر بعض كتاب الفرق أنه : المغيرة بن سعيد

العجلي انظر : الفرق بين الفرق ص/ ١١٨ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص/ ٨٨ ولكن من

المرجح أنه من بني بجيلة كما ذكر الإمام ابن حزم في الفصل ٤/ ٤٣ وبه قال الإمام الذهبي في

ميزان الاعتدال ٤/ ١٦٠ وابن حجر في لسان الميزان ٧/ ٢٣-٢٦ .

(٦) انظر : ميزان الاعتدال ٤/ ١٦٠ .

المنتظر ، وصدّقه أتباعه على هذه الدعوة الكاذبة^(١) وقد غلا المغيرة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه غلوا لا يقول به عاقل ، حيث ذكر الأعمش^(٢) أنه دخل على المغيرة بن سعيد فسأله عن فضائل علي رضي الله عنه فقال : إنك لا تتحملها . قلت : بلى . فذكر آدم عليه السلام ، فقال : علي خير منه ، ثم ذكر من بعده الأنبياء فقال : علي خير منهم ، حتى انتهى إلى محمد ﷺ فقال علي مثله . فقلت له : كذبت عليك اللعنة . فقال : قد أعلمتك أنك لا تتحملها^(٣) !!

وقد غلا في الإمام الباقر^(٤) رحمه الله حتى وصفه بصفات الله تعالى وادّعى فيه أنه يعلم الغيب ، ووصلت به الجرأة إلى الذهاب إليه والقول له : « أقرر أنك تعلم الغيب حتى أجيبي لك العراق ، فنهره وطرده »^(٥) ورغم ذلك تمادى في غيه وضلاله حتى زعم أن الإمام الباقر إله ، وزعم أنه بعثه رسولا وعندما علم الباقر لعنه وتبرأ منه ومن أصحابه^(٦) .^(٧) !!

(١) الفرق بين الفرق ص/٢١٨ والملل والنحل ١/١٧٦ .

(٢) أبو محمد سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي المشهور بالأعمش ، أحد الأئمة الثقات ، المقرئ المحدث قال عنه الإمام الذهبي : « . . . الأعمش عدل صادق ثبت ، صاحب سنة وقرآن » توفي سنة ١٤٨هـ انظر : ميزان الاعتدال ٢/٢٢٤ وسير أعلام النبلاء ٦/٢٢٦ وشذرات الذهب ١/٢٢٠ .

(٣) ذكره الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/١٦٠ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ١/٢٤١ .

(٥) ذكره ابن الأثير في كتابه الكامل ٤/٢٣٠-٢٣١ .

(٦) انظر : دعائم الإسلام للقاضي النعمان ١/٤٩ نقلا عن غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام للدكتور : فتحي الزغبيني ص/١٠١-١٠٢ وقد بحث عنه فلم أجده . !!

(٧) ولا أظن أن الإمام الباقر يكتفي منه بمجرد الطرد واللعن ولا يقتله وهو يسمع منه مثل هذه المقالة الكفرية ، إلا أن يقال إنه لم يتمكن من قتله ، حيث أن إقامة الحد لم يكن بيده ، وإنما كان بيد الخليفة . والله أعلم بحاله . !!

وقد أفرط المغيرة في التشبيه فزعم مع طائفته لعنهم الله : أن معبودهم رجل من نور على رأسه تاج ، وله من الأعضاء مثل ما للرجل ، وله جوف وقلب ينبع بالحكمة ، وزعم المغيرة أن معبوده جسم على حروف الهجاء وأن الألف منه مثال قدميه ، والعين صورة عينيه ، وشبه الهاء فقال : لو رأيتم موضعها منه لرأيتم أمراً عظيماً ، يُعْرَضُ بالعورة قاتله الله وزعم بأنه رآه لعنه الله وأخزاه^(١) .

وأخيراً وصل به الأمر إلى أن ادعى لنفسه قاتله الله الألوهية ، ووصفها بصفات الله عز وجل زاعماً أنه يحيي الموتى ، وأنه يعلم الغيب^(٢) !!

وقد تفاقم خطره وكثر أتباعه ، حتى ظفر به خالد بن عبد الله القسري رحمه الله وظفر بسبعة من رهطه المفسدين فقتلهم .

قال أبو بكر بن عياش^(٣) : « رأيت خالد بن عبد الله القسري حين أتى بالمغيرة بن سعيد وأتباعه فقتل منهم رجلاً ، ثم قال للمغيرة : أحيه - وكان يريد أن يحيي الموتى - فقال : والله ما أحيى الموتى !! فأمر خالد بطن قصب فأضرم ناراً ، ثم قال للمغيرة : اعتنقه . فأبى فعدا رجل من أصحابه فاعتنقه والنار تأكله ! فقال خالد : هذا والله أحق بالرياسة منك . ثم قتله ، وقتل أصحابه »^(٤) .

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ٦٩/١-٧٣ والفرق بين الفرق ص/٢١٨ والفصل ٤٣/٥ والملل والنحل ١٧٧/١ والتبصير في الدين ص/١١٩-١٢٠ ومنهاج السنة ٥٠٣/٢-٥٠٤ ولسان الميزان ٧/٢٥ والبدء والتاريخ لمطهر المقدسي ١٤٠/٥ ولوامع الأنوار البهية ص/٨١ والفكر الشيعي والنزعات الصوفية للدكتور : كامل مصطفى الشبيبي الإمامي ص/٢٦ .

(٢) انظر : الكامل لابن الأثير ٢٣٠/٤ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص/٨٨ ومنهاج السنة ٢/٥٠٤ وخطط المقرئ ٢٩٦/٣ والصلة بين التصوف والتشيع . للدكتور : كامل الشبيبي ص/١٢٥ والفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري له ص/١٢٩ .

(٣) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي المقرئ ، ثقة عابد توفي سنة ١٩٣ هـ انظر : تقريب التهذيب ٣٦٦/٢ .

(٤) ذكره الذهبي في الميزان ١٦٢/٤ وانظر : المعارف لابن قتيبة ص/٦٢٣ ومنهاج السنة ٥٠٤/٢ .

وكان ذلك كما ذكر الإمام الذهبي في حدود العشرين ومائة^(١).^(٢) .
ولكن دعوته لم تمت بموته بل بقيت بعده ، حيث قال من بقي من أتباعه بمقلاته
الكفرية ، ودانوا بمذهبه الفاسد^(٣) . قاتلهم الله أنى يؤفكون !!!

٥ - المنصورية

ومن طوائف غلاة الشيعة المشبهة المنصورية ، أتباع أبي منصور المستنير^(٤) العجلي^(٥)
من غلاة المشبهة ، الذي ادعى أنه خليفة أبي جعفر الباقر ، حيث زعم أنه فَوْض الأمر
إليه ، وقد غلا في علي رضي الله عنه وأولاده حتى زعم أنهم أنبياء ورسل^(٦) !!
وكان من تلامذة المغيرة بن سعيد^(٧) ، فبجانب آراء المغيرة الضالة زاد آراء وأفكارًا
أخرى فزعم أن عليا رضي الله عنه هو الكسف الساقط من السماء وشبهه بالله
تعالى ، وادعى فيه الألوهية فزعم قاتله الله أنه الإله^(٨) !!

وقد شبه الله تعالى بخلقه ، وادعى أنه ابن الله زاعما أنه عُرج به إلى السماء ، وأن الله
كما يأفك مسح بيده على رأسه وقال له : يا بني بلغ عني ، ثم أنزله إلى الأرض

-
- (١) أي : في حدود سنة ١٢٠ هـ .
(٢) انظر : ميزان الاعتدال ١٦٢/٤ .
(٣) انظر : الفصل ٤٤/٥ والملل والنحل ٧٧/١ و فرق الشيعة ص/٦٣ .
(٤) معظم كتب الفرق تذكره بكنيته ونسبته إلى قبيلته فيقال له أبو منصور العجلي ، لكن ابن حزم
ذكر أنه أبو منصور المستنير العجلي انظر : الفصل ٤٥/٥ .
(٥) انظر : فرق الشيعة ص/٣٨ ومقالات الإسلاميين ٧٥/١ والفرق بين الفرق ص/ ٢١٢ والمعارف
ص/ ٦٢٣ والملل والنحل ١٧٩/١ والتبصير في الدين ص/ وخطط المقريري ٢٩٧/٣ . ١١٩ .
(٦) انظر : فرق الشيعة ص/٣٨-٣٩ .
(٧) تقدم التعريف به وبطائفته قريبا في ٢٤٤/١ .
(٨) انظر : الملل والنحل ١٧٩/١ والفكر الشيعي والنزعات الصوفية . للدكتور : كامل مصطفى
الشيبي ص/ ٢٦ .

كما يهذي ، وزعم أنه الكسف الساقط من السماء المذكور في قول الله تعالى : ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ (١) [الطور : ٤٤] .
 وكانت يمين أصحابه « لا والكلمة » يعنون بذلك - قاتلهم الله - أن طاغوتهم أبو منصور العجلي ابن الله كما ذكر العلامة السكسكي (٢) أنهم كانوا في زمانه على ما يحكى عنهم أنهم كانوا إذا حلفوا قالوا : « لا والكلمة » يعنون ما ذكر لهم زعيمهم الضال أنه ابن الله (٣) ، كذبوا أعداء الله ، لا ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، بل هو عز وجل صمد : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٣-٤] . وكفر طاغوتهم أبو منصور بالجنة والنار ، واستحل المحارم ، وأسقط الفرائض ، واستحل خنق من خالف مذهبه فيث الرعب في قلوب الناس (٤) !!
 فطلبه يوسف بن عمر الثقفي (٥) والي العراق في أيام هشام بن عبد الملك (٦)

- (١) انظر : مقالات الإسلاميين ٧٥/١ والفرق بين الفرق ص/٢٢١ والفصل ٤٥/٥ ومنهاج السنة ٢/٥٥٥ وذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمتدعين لعبد الله الياضي ص/٨٦ والفكر الشيعي والنزعات الصوفية ص/٢٦ .
- (٢) أبو الفضل عباس بن منصور بن عباس الترمي السكسكي اليمني ، الفقيه ، ولي القضاء في تعز ، ثم عزل نفسه واتجه إلى التدريس ، من مصنفاته « البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان » توفي سنة ٦٨٣ هـ انظر : الأعلام ٢٦٨/٣ .
- (٣) انظر : البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص/٧٥-٧٦ .
- (٤) انظر : مقالات الإسلاميين ٧٥/١ والفصل ٤٥/٥ .
- (٥) أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي ، ولاء هشام بن عبد الملك العراق ، فأقام بالكوفة ، وكان جبارا فصيحاً بليغاً ، سلك سبيل الحجاج بن يوسف الثقفي في الشدة والعنف ، وهو الذي قتل الأمير خالد القسري ، ثم عزل وأدخل في السجن ، فأرسل إليه يزيد بن خالد القسري من يقتله بثأريه في السجن ، فقتل سنة ١٢٧ هـ انظر : الأعلام ٢٤٣/٨ .
- (٦) هشام بن عبد الملك بن مروان ، من ملوك الدولة الأموية ، كان حسن السياسة ، يقظاً في أمره ، يباشر أعماله بنفسه . توفي سنة ١٢٥ هـ انظر : الأعلام ٨٦/٨ .

فأخذه وصلبه ، وطلب أصحابه فأخذ منهم جماعة فقتلهم وصلبهم^(١) .
وقد استمرت بعده طائفته الضالة في كفرها ، فاختاروا ابنه الحسين فادعى النبوة
وَجَبَّيْتِ إِلَيْهِ الْأَمْوَالِ ، وتبعه على مذهبه وضلالاته بشر كثير ، فقتله الخليفة
المهدي^(٢) وصلبه بعد أن أقر بضلالاته ، وطلب أصحابه طلبا شديدا وظفر بجماعة
منهم فقتلهم وصلبهم^(٣) .

٦ - الخطائية

ومن طوائف غلاة الشيعة المشبهة الخطائية أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب
الأسدي مولى بني أسد الكوفي^(٤) ، الذي غلا في أبي عبد الله جعفر الصادق^(٥)
فلعنه وطرده وأمر أصحابه بالبراءة منه ولعنه^(٦) !
ذكر ابن النويختي أن الخطائية قالوا : بألوهية جعفر بن محمد الصادق ، وصلوا

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ٧٥/١ والفصل ٤٥/٥ والملل والنحل ١٧٩/١ ومنهاج السنة ٢/٢

. ٥٠٦-٥٠٥

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي ، المهدي بالله ، من
خلفاء الدولة العباسية ، كان محمود العهد والسيرة ، محببا إلى الرعية ، حسن الخلق
والخلق ، جوادا ، وكان يجلس بنفسه للمظالم . توفي سنة ١٦٩ هـ انظر : سير أعلام
النبلاء ٤٠٠/٧ والأعلام ٢٢١/٦ .

(٣) انظر : فرق الشيعة ص/٣٨-٣٩ .

(٤) انظر : الفرق بين الفرق ص/٢٢٣ والفصل ٤٨/٥ والملل والنحل ١٧٩/١ ومنهاج السنة ٢/٢ .

(٥) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أحد الأئمة
الأعلام ، قال عنه الإمام الذهبي : « برصادق كبير الشأن » وقال عنه ابن معين : « ثقة » وقال
ابن حجر : « صدوق فقيه إمام » توفي سنة ١٤٨ هـ انظر : ميزان الاعتدال ٤١٤/١ وتقريب
التهذيب ١٦٣/١ والأعلام ١٢٦/٢ .

(٦) انظر : الفرق بين الفرق ص/٢٢٣-٢٢٤ والتبصير في الدين ص/١١٩-١٢٠ والملل والنحل ١/١

. ١٧٩

وصاموا وحجوا له ، وقالوا : نبيك جعفر لبيك جعفر ، وأعلنوا ذلك نهارا بالكوفة في ولاية عيسى بن موسى^(١) ، حيث خرجوا في جموع عظيمة في أزر وأردية محرمين يُنادون بأعلى أصواتهم بالتلبية لجعفر الصادق^(٢) !!
قال أبو بكر بن عياش^(٣) : « كَأني أنظر إليهم يومئذ ، فخرج إليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم^(٤) !

ومن ضلالاتهم وكفرهم وتشبيهِهم قولهم بأن الحسن والحسين أبناء الله وأحباؤه^(٥) ، وأن الأنبياء آلهة ، وأن الأئمة من آل البيت آلهة^(٦) ووصفهم بصفات الله تعالى فزعموا أنهم يعلمون ما كان وما يكون^(٧) !!

وقد عبدوا أبا الخطاب وزعموا أنه إله^(٨) . قاتلهم الله أنى يؤفكون !!
ولم تنته دعوة أبي الخطاب الكفرية بقتله وقتل من كان معه من أصحابه في قتاله مع عيسى بن موسى ، بل استمرت بعده ، وانقسم أتباعه إلى طوائف وفرق كلهم حيارى ضالون ، يقولون بالهية الأئمة من آل البيت ، ويعطونهم خصائص الخالق عز وجل^(٩) !!

(١) أبو موسى عيسى بن موسى بن محمد العباسي ، كان من الولاة القادة ، وهو ابن أخي السفاح ، كان يقال له : شيخ الدولة ، وكان شجاعا ، ولاء عمه السفاح الكوفة وسوادها . توفي سنة ١٦٧ هـ انظر : الأعلام ١٠٩/٥-١١٠ .

(٢) انظر : فرق الشيعة ص/٤٤ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٢٤٦/١ .

(٤) انظر : الفصل ٤٨/٥ .

(٥) انظر : مقالات الإسلاميين ٧٧-٧٨ والفرق بين الفرق ص/٢٢٣-٢٢٤ .

(٦) انظر : مقالات الإسلاميين ٧٧-٧٨ والفصل ٤٨/٥ ومنهاج السنة ٥٠٦/٢ .

(٧) انظر : خطط المقرئ ٢٩٤/٣ .

(٨) انظر : مقالات الإسلاميين ٧٧-٧٨ .

(٩) ذكر أبو الحسن الأشعري أن الخطابية خمس فرق ، وذكر مقالاتهم الكفرية الضالة . انظر :

مقالات الإسلاميين ٧١-٧٨ وراجع : الفرق بين الفرق ص/٢٢٣-٢٢٤ والفصل =

٧- الجناحية

ومن طوائف غلاة الشيعة المشبهة الجناحية الغلاة أتباع عبد الله بن معاوية الطالبي^(١)، وسموا بالجناحية نسبة إلى جعفر بن أبي طالب المعروف بذي الجناحين^(٢).

ذكر عبد القاهر البغدادي أن طائفة من المغيرية تبرؤوا من المغيرة بن سعيد بعد مقتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي^(٣) رحمه الله فخرجوا من الكوفة إلى المدينة يطلبون إماما فلقاهم عبد الله بن معاوية فدعاهم إلى نفسه ، وزعم أنه هو الإمام بعد علي وأولاده من صلبه فبايعوه ورجعوا إلى الكوفة^(٤) ١١ وقد غلا الجناحية في الأئمة من آل البيت حتى ادَّعوا فيهم بأنهم آلهة ، وشبهوهم

= ٤٦/٥-٤٩ والمثل والنحل ١٨٠/١-١٨١ .

(١) عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان فتاكا سعى الحاشية منهما بالزندقة ، طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية بالكوفة ، فبايعه بعض أهلها ، واستولى على بعض أجزاء فارس ، واستفحل أمره ، فسير إليه أمير العراق ابن هبيرة الجيوش لقتاله بأمر من أبي مسلم الخراساني ، فصبر لها ثم إنهمز ، وقبض عليه عاملها وقتله سنة ١٣١ هـ انظر : تاريخ بن خلدون / ٣ / ١٢١ ولسان الميزان ٣/٣٦٣ والأعلام ٤/١٣٩ .

(٢) لقب لجعفر بن أبي طالب حينما قتل في غزوة مؤتة فقطعت يده اليمنى ، فحمل الراية بيده اليسرى فقطعت فأحتضنها بصدره حتى أستشهد ، فذكر ذلك للنبي ، فأخبر أنه في الجنة يطير بجناحين في الجنة ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

فلا يبعث الله قتلئ تبايعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر .

انظر : الإصابة ١/٢٣٧ والأعلام ٢/١٢٥ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الملقب بالنفوس الزكية ، كان عالما شجاعا ذا حزم وذكاء ، خرج على الخليفة المنصور في المدينة فقاتله ، فقتل في المدينة سنة ١٤٥ هـ انظر : الأعلام ٦/٢٢٠ .

(٤) انظر : الفرق بين الفرق ص/ ٢٢٢ .

بالخالق عز وجل ، فزعموا أن روح الإله كانت في آدم ثم دارت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى علي ثم دارت في أولاده حتى صارت في عبد الله بن معاوية وأدّعوا فيه أنه يعلم الغيب ، واستحلوا المحرمات ، وأسقطوا وجوب العبادات^(١) !! ذكر ابن النويختي أن الجناحية غلوا في عبد الله بن معاوية فزعموا أنه العالم بكل شيء ، وقالوا إن الله نور وهو في عبد الله بن معاوية^(٢) . قاتلهم الله أنى يؤفكون !! وكان عبد الله بن معاوية نفسه منحرفا ضالا ، حيث زعم أنه نبي ، ثم زعم أنه رب فعبدته شيعته^(٣) .

وكانت نهايته القتل والصلب ، حيث ظهر بناحية فارس في جنده فبعث إليه أبو مسلم الخراساني^(٤) جيشا كثيفا فانتصروا عليه وصلبوه وقتلوه^(٥) . وأنكر أتباعه الضالين قتله وزعموا أنه حيّ مقيم بجبل أصبهان^(٦) ، وسيخرج ، وأنكروا القيامة واستحلوا المحرمات^(٧) !

- (١) انظر : مقالات الإسلاميين ١/٦٧-٦٨ والفرق بين الفرق ص/٢٢٢-٢٢٣ والتبصير في الدين ص/١٢٥ وخطط المقرئ ٣/٣٩٦-٣٩٧ .
- (٢) انظر : فرق الشيعة ص/٣١-٣٢ .
- (٣) انظر : مقالات الإسلاميين ١/٦٧ .
- (٤) أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني ، مؤسس الدولة العباسية ، وأحد كبار القادة ، كان شجاعا مقداما فصيحا داهية حازما ، قتله أبو جعفر المنصور العباسي سنة ١٣٧ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٣/١٤٥ والأعلام ٣/٢٣٧ .
- (٥) انظر : الفرق بين الفرق ص/٢٢٣ والتبصير في الدين ص/١٢٥-١٢٦ .
- (٦) أصبهان مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ، تقع في أرض فارس إيران خالدا فتحت أيام الخليفة عمر بن الخطاب « على يد عبد الله بن بديل بن ورقاء ، وخرج منها علماء ومحدثون ، منهم أبو نعيم الأصبهاني صاحب كتاب « حلية الأولياء » انظر : معجم البلدان ١ ، ٢٠٦-٢١٠ .
- (٧) انظر : اليمانيات المسلوطة على الرافضة المخذولة لزين العابدين بن يوسف الكوراني تحقيق : المرابط ولد المجتبي ص/١٧١ .

٨- اليونسية

ومن طوائف غلاة الشيعة المشبهة اليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن الرافضي القمي مولى آل يقطين ، الذي أفرط في التشبيه^(١) فزعم هو وطائفته أن الله - تعالى - مجوف من أعلاه ، ومصمت النصف الأدنى منه^(٢) . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وزعموا أن حملة العرش يحملون الباري ، وذكروا أنهم يطبقون حملة وشبهوه بالكركي^(٣) الذي تحمله رجلاه وهو أقوى منهما وهما دقيقتان^(٤) . واستدل يونس القمي على ضلاله وهرائه هذا بقول الله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧]^(٥) مع أن الآية واضحة المعنى فإن العرش هو المحمول والله تعالى غني عن العرش وعن كل ما سواه ، لا يفتقر إلى شيء من المخلوقات ، بل استواؤه على العرش يحمل العرش وحملة العرش بقدرته ، ولا يمثل استواء الله على عرشه باستواء المخلوقين لأنه تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٦) .^(٧) !!

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص/١٦ .

(٢) انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص/٩٨ .

(٣) الكُرْكِي بضم الكاف الأولى ، وسكون الراء بعدها كاف مكسورة فراء مشددة : طائر يقرب من الوز ، أبيض الذنب ، رمادي اللون ، في خده لمعات سوداء ، قليل اللحم ، صلب العظام ، دقيق الرجلين طويلهما ، يأوي إلى الماء أحيانا ، وجمعه كراكي . انظر : تعليقات محمد محيي الدين عبد الحميد على مقالات الإسلاميين ١/١١٠ رقم ٢ .

(٤) انظر : مقالات الإسلاميين ١/١١٠ والفرق بين الفرق ص/٧٦ والملل والنحل ١/١٨٨ وخطط المقرئ ٣/٢٩٧ .

(٥) انظر : الفرق بين الفرق ص/١٦ .

(٦) انظر : شرح حديث النزول ضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٨٣ .

(٧) سيأتي مذهب المشبهة في صفة الاستواء وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ٤١٦/١ .

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن يونس بن عبد الرحمن القمي وأمثاله من متكلمي الرافضة القدامى يزيدون في إثبات الصفات على مذهب أهل السنة حتى يتدعون في الغلو في الإثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل ما هو معروف من مقالاتهم التي ذكرها الناس^(١)!!

٩- الجوارية

ومن طوائف غلاة الشيعة المشبهة الجوارية أتباع داود الجواربي ، الذي كان رأساً في الرفض والتجسيم^(٢). فقد قال عنه الحافظ ابن حجر : « رأس في الرفض والتجسيم من مرامي جهنم »^(٣)، وقال عنه الإمام يزيد بن هارون^(٤): « الجواربي والمريسي^(٥) كافران »^(٦). وذكر شيخ الإسلام أن داود الجواربي قد عُرف عنه القول المنكر من التشبيه والتجسيم وقد أنكر عليه أهل السنة^(٧).^(٨)

ومن مقالاته في التشبيه زعمه أن الله جسم وأنه جثة على صورة إنسان لحم ودم وشعر وعظم وأعضاء وهو مع هذا لا يشبه غيره^(٩).

(١) انظر : منهاج السنة النبوية ٧١/١-٧٢ .

(٢) انظر : ميزان الاعتدال ٢٣/٢ .

(٣) لسان الميزان ٣٤/٣ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٦٤/١ .

(٥) تقدمت ترجمة المريسي انظر : ٨١/١ .

(٦) ذكره الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال ٢٣/٢ والحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٣٤/٣ .

(٧) سيأتي ذكر بعض الآثار الروية عن أهل السنة في الإنكار على المريسي والجواربي وغيرهما من المشبهة ، وإبطال مقالة التشبيه انظر : ٤٤٢/٢ .

(٨) انظر : منهاج السنة ٦١٨/٢ و٦٢١ .

(٩) انظر : مقالات الإسلاميين ١٨٣/١ والملل والنحل ١٠٥/١ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

ومحكي عنه أنه كان يقول : إن ربه أجوف من فيه إلى صدره ، مصمت ماسوى ذلك ، وأن له وفرة سوداء ، وله شعر ققط^(١)!! وكان يزعم أن معبوده له جميع أعضاء الانسان إلا الفرج واللحية . ويقول : اعفوني عن السؤال عنهما ، وأسألوني ما وراء ذلك^(٢). تعالى الله عن قوله علوا كبيرا !!

١٠- الزرارية

ومن طوائف غلاة الشيعة المشبهة الزرارية أتباع زرارة بن أعين الكوفي الراضي المتكلم^(٣) ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن زرارة بن أعين وأمثاله من الرافضة يقولون بجواز البداء على الله تعالى ، وأنه يحكم بالشيء ثم يتبين له ما لم يكن علمه فينتقض حكمه لما ظهر له من خطئه^(٤) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وذكر رحمه الله أن زرارة كان يقول : إنه تعالى يعلم ما لم يكن عالما به^(٥)، ومعلوم أن هذا من أعظم النقائص في حق الرب وقد زهوا البشر عن الخطأ مع تجويزهم الخطأ على الله تعالى^(٦)!!
ومن مقالاتهم في التشبيه جعلهم صفات الله تعالى حادثة مخلوقة موجودة بعد أن لم تكن ، وأنها من جنس صفات المخلوقين^(٧).^(٨)!!

- (١) انظر : نفس المرجعين السابقين ١٨٣/١ و١٠٥/١ والبدء والتاريخ للمقدسي ١٤٠/٥-١٤١ .
- (٢) انظر : الفرق بين الفرق ص/٢٠٨ والتبصير في الدين ص/١١٩-١٢٠ والملل والنحل ١٠٥/١ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص/٩٩ وشرح نهج البلاغة ٢٤٩/١ .
- (٣) انظر : مقالات الإسلاميين ١١١/١ والفرق بين الفرق ص/٧٦ وميزان الاعتدال ٦٩/٢ وخطط المقرئ ٣٥٣/٢ والأعلام ٤٣/٣ .
- (٤) انظر : منهاج السنة ٣٩٥/٢ .
- (٥) سيأتي بيان مذهب المشبهة في صفة العلم وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ٤٩١/١ .
- (٦) انظر : منهاج السنة ٣٩٤/٢-٣٩٥ .
- (٧) سيأتي موقف أهل السنة من ذلك انظر : ٣٧٠/١ .
- (٨) انظر : التبصير في الدين ص/١١٩ .

وزعموا أن الله لم يزل غير سميع ولا عليم ولا بصير ولا متكلم ولا قادر حتى خلق لنفسه ذلك^(١) فصار بعد أن خلق لنفسه هذه الصفات سميعا عليما بصيرا متكلما قادرا^(٢)!! وهذا والعياذ بالله تشبيه لصفات الله تعالى بصفات خلقه التي وجدت فيهم بعد أن لم تكن كذلك^(٣). تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا !!

١١ - الشيطانية

ومن طوائف غلاة الشيعة المشبهة الشيطانية أتباع محمد بن النعمان الرافضي الملقب بشيطان الطاق^(٤)، وتلقبه الشيعة بمؤمن الطاق^(٥)!
ذكر الأسفرايني^(٦) أن الشيطانية من مشبهة الصفات حيث زعموا أن الله لا يعلم الشيء قبل أن يكون حتى يكون ، وأن علمه محدث كعلوم العباد^(٧).^(٨)!!
وذكر ابن أبي الحديد^(٩) أنه كان يقول : إنَّ الله نور على

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ١/١١١ والفرق بين الفرق ص/٧٦ والملل والنحل ١/١٨٦ وخطط المقرئ ٣/٢٩٦ .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق ص/٧٦ .

(٣) سيأتي موقف أهل السنة من ذلك عند بيان مذهب المشبهة في صفات الله انظر : ١/٣٧٠ .

(٤) انظر : مقالات الإسلاميين ١/١١١ والفرق بين الفرق ص/٧٧ والملل والنحل ١/١٨٦ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص/٩٩ ومنهاج السنة ٢/٢٢٦ .

(٥) انظر : الملل والنحل ١/١٨٦ .

(٦) أبو المظفر شهفور بن طاهر بن محمد الأسفرايني فقيه أصولي مفسر متكلم أشعري من مصنفاته « التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الهالكين » توفي سنة ٤٧١ هـ انظر : طبقات الشافعية ١١/٥ ومعجم المؤلفين ٤/٣١٠ .

(٧) سيأتي موقف أهل السنة من ذلك انظر : ١/٤٩١ .

(٨) انظر : التبصير في الدين ص/١٢١ .

(٩) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني المعروف بابن أبي الحديد ، كان من الشيعة وأعيان المعتزلة ، توفي ببغداد سنة ٦٥٦ هـ انظر : البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١٩٠ والأعلام للزركلي ٣/٢٨٩ .

صورة الإنسان^(١) .

فهم يزعمون أن الله تعالى لا يعلم الأشياء حتى يُقدرها ، وقبل ذلك يستحيل علمه بها^(٢) . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وذكر الشهرستاني أن ما يحكى عنهم من التشبيه غير صحيح^(٣) لكنه ذكر أمثلة دالة على قولهم بالتشبيه ، من ذلك ما ذكره بصيغة التمريض أن شيطان الطاق وافق هشام بن الحكم في أن الله تعالى لا يعلم شيئا حتى يكون^(٤) !!
ومنها قوله إن الله نور على صورة إنسان رباني^(٥) . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !!

١٢- الهشامية

ومن طوائف الشيعة المشبهة الهشامية الحكمية^(٦) أتباع هشام بن الحكم الرافضي^(٧) من متكلمي الشيعة^(٨) ومشاهيرهم^(٩) ، جرت بينه وبين

(١) انظر كتابه : شرح نهج البلاغة ٢٩٤/١ .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين ١١١/١ والفرق بين الفرق ص/٧٧ وخطط المقرئ ٢٩٧/٣ .

(٣) انظر : الملل والنحل ١٨٦/١ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ١٨٦/١ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ١٨٧/١ .

(٦) نسبة إلى هشام بن الحكم ، وهناك فرقة أخرى تسمى الهشامية الجوالقية نسبة إلى هشام بن سالم الجواليقي كما سيأتي التعريف بها قريبا .

(٧) انظر : مقالات الإسلاميين ١٠٦/١ والتتبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص/٣٦ والفرق بين الفرق ص/٧١ والتبصير في الدين ص/١٢٠-١٢١ والملل والنحل ١٨٤/١ ومنهاج السنة النبوية ٧١/١ .

(٨) انظر : المرجع نفسه ٧١/١ و٥١٥/٢ .

(٩) انظر : لسان الميزان ٢٦٥/٧ .

أي الهذيل العلاف^(١) مناظرات في علم الكلام ومنها ما يتعلق بالتشبيه^(٢)!

ذكر أبو الحسين الملقب^(٣) أن هشام بن الحكم كان ملحدا دهريا^(٤)، ثم انتقل إلى الثنوية^(٥)، والمناوية^(٦)، ثم غلبه الإسلام فدخل فيه كارها فكان قوله في الإسلام بالتشبيه والرفض^(٧). وذكر أيضا أن هشام بن الحكم دخل في التشيع لآل البيت لامحبة فيهم ، ولكن طلب بذلك هداً أركان الإسلام والتوحيد ، فانتحل في التوحيد التشبيه فهدم ركن التوحيد وسأوى بين الخالق والمخلوق^(٨)!! وكان هشام بن الحكم يقيس الخالق على المخلوق^(٩)، ولذا قال

(١) أبو الهذيل محمد بن عبد الله بن مكحول المشهور بالعلاف من شيوخ المعتزلة البصريين توفي سنة ٢٣٥ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٥٤٢/١٠ ولسان الميزان ٤١٣/٥ .

(٢) انظر : الملل والنحل ١٨٤/١ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٢٣٨/١ .

(٤) الدهرية : طائفة كافرة ملحدة نفوا ربوبية الله عزوجل ، ونفوا أن يكون في العالم دليل يدل على صانع ومصنوع وخالق ومخلوق ، وأسندوا الحوادث إلى الدهر ، وأنكروا القيامة والبعث ، كما حكى الله عنهم ذلك بقوله : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ انظر : الفصل لابن حزم ٤٧/١-٤٨ والبرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي ص/٨٨ وبغية المرئاد لابن تيمية ص/٤٣٠-٤٣١ .

(٥) سموا بذلك لقولهم بإثبات إلهين أزليين هما : النور جعلوه إله الخير ، والظلمة جعلوها إله الشر ، والفرق بينهم وبين الجوس ، أن الجوس يقولون : إن النور قديم ، والظلمة حادثة مخلوقة . انظر : الملل والنحل ٢٤٤/١ .

(٦) تقدم التعريف بالمناوية انظر : ٢٢١/١ .

(٧) انظر : التنبيه للملطي ص/٣٦ .

(٨) انظر : المرجع نفسه ص/٣٦ .

(٩) انظر : التبصير في الدين ص/١١٩-١٢٠ .

بالتشبيه والتجسيم^(١) !!

وذكر شيخ الإسلام أن هشام بن الحكم من أهل البدع والغلو في الإثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل^(٢) !!

وقد ذكر أهل العلم من أهل الفرق والمقالات وغيرهم مقالة هشام بن الحكم وأتباعه في الله عز وجل وصفاته ، وأنهم قالوا في ذلك بالتشبيه والتجسيم !! فمن مقالاتهم في الله عز وجل زعمهم أن الله جسم^(٣) ، له نهاية وحد ، طويل عريض عميق طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه ، وزعموا أن له قدرًا من الأقدار كالسبيكة الصافية ، تتلأأ كالؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ، ذو لون وطعم ورائحة ومجسة ، لونه هو طعمه ، وطعمه هو رائحته ، ورائحته هي مجسته^(٤) . !! وذكر أبو الهذيل العلاف أن هشام بن الحكم وصف ربه بأنه جسم وأنه يتحرك تارة ، ويسكن أخرى^(٥) ويقعد ويقوم أخرى ، وأنه طويل عريض عميق ، لأنه مالم يكن كذلك دخل إلى حدّ التلاش !!

قال أبو الهذيل : فقلت له : أيهما أعظم إلهك أو هذا الجبل

(١) سيأتي بيان أن قياس الخالق على المخلوق مفض إلى القول بمقالة التشبيه ، وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ٤٠٦/١ - ٤٠٩ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٧٢-٧١/١ .

(٣) سيأتي موقف أهل السنة من ذلك انظر : ١٢/٢ .

(٤) انظر : مقالات الإسلاميين ١٠٦/١ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٤/١ والفرق بين الفرق ص/٧١-٧٢ والغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني ٩٣/١ والبرهان في عقائد أهل الأديان ص/٧٢ ومنهاج السنة النبوية ٢١٨-٢١٩ ودرء تعارض العقل والنقل ٣٣١/٢-٣٣٢ ونقض التأسيس « المطبوع » ٤٠٧-٤٠٩ و١٨٥/٢ ولسان الميزان ٢٦٥/٧ والبده والتاريخ لمطهر المقدسي ١٣٩-١٨٦ ولوامع الأنوار البهية ٨٢/١ والصلة بين التصوف والتشيع للدكتور : كامل الشيبلي ص/١٤٣ .

(٥) انظر : درء التعارض ٣٣١/٢-٣٣٢ .

وأومات إلى أبي قيس^(١) فقال : هذا الجبل يوفي عليه ، أي : هو أعظم منه^(٢) !
وقد تحير هشام في ربه حتى قال فيه في عام واحد خمسة أقاويل ، شبهه فيها
بخلقه حتى قاسه بسبعة أشبار بشير نفسه ، وهذا قياس منه على الإنسان^(٣) ، لأن
كل إنسان في الغالب سبعة أشبار بشير نفسه^(٤) !!

وكما ضلَّ في ذات الله تعالى فشبهها بذوات المخلوقين ، وتكلم في ذلك بهواه
وعقله الفاسد ، فقد ضلَّ أيضا في صفات الله تعالى فشبهها بصفات خلقه .
فقال بحدوث علم الله تعالى^(٥) ، زاعما أن الله علم بالأشياء بعد أن لم يكن عالما
بها^(٦) ، وهذا من أعظم النقص في حق الله تعالى^(٧) ، لأن فيه تشبيها لعلم الله بعلم
المخلوق الذي لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها وحدوثها ، تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا !!

وقد بالغ في طلب كيفية صفات الله تعالى ، فمن ذلك قوله في صفة العلم : إن الله
يعلم ما تحت الثرى بالشعاع المتصل منه الذاهب في عمق الأرض ولولا ملامسته لما
وراء ذلك لما درى ما هناك^(٨) تعالى الله عن قوله علوا كبيرا !!

(١) جبل في مكة قرب الحرم .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين ١٠٦-١٠٧ والفرق بين الفرق ص/٧٢-٧٣ .

(٣) سيأتي موقف أهل السنة من قياس الخالق على المخلوق .

(٤) انظر : الفرق بين الفرق ص/٧٢ والتبصير في الدين ص/١١٩-١٢٠ والفصل ٣٠/٥ واعتقادات

فرق المسلمين والمشركين ص/٨ .

(٥) سيأتي موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفة العلم انظر : ١ / ٤٩١ .

(٦) انظر : مقالات الإسلاميين ١١٢/١ والفرق بين الفرق ص/٣٧ ومنهاج السنة ٢/٢٩٤-٢٩٥

وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١/٥٨-٥٩ .

(٧) انظر : منهاج السنة ٢/٢٩٥ .

(٨) انظر : مقالات الإسلاميين ١٠٧-١٠٨ والفرق بين الفرق ص/٣٧ ولوامع الأنوار البهية ١/٨٢ .

وقد قال بعض أصحاب هشام بالكيف في صفة الاستواء المفضي إلى التشبيه^(١)،
فرعموا أن الله مماس في استوائه لعرشه^(٢)، وأنه لا يفضل منه شيء عن العرش ، ولا
يفضل من العرش شيء منه^(٣)!!

وكما ضلَّ هشام بن الحكم فشبه الخالق بالخلق ، فقد ضلَّ أيضا بتشبيهه المخلوق
بالخالق ، فقد ذكر الشهرستاني أن هشامًا غلا في حق علي بن أبي طالب رضي الله
عنه حتى قال فيه : إنه إله واجب الطاعة^(٤).

فيكون في هذا الكفر قد سلك مسلك السبئية الذين ألهاوا عليا رضي الله عنه
وشبهوه بالخالق تعالى كما تقدم^(٥)!!

١٣- الهشامية الجوالقية

ومن طوائف غلاة الشيعة المشبهة الهشامية الجوالقية أتباع هشام بن سالم
الجوالقي من كبار متكلمي الإمامية^(٦)، الذي نسج على منوال هشام بن الحكم في
التشبيه^(٧)!! ذكر البغدادي أن الجوالقي كان مع رفضه على مذهب الرافضة مفرط
في التجسيم والتشبيه^(٨).

(١) سيأتي موقف أهل السنة من البحث عن كيفية ذات الله تعالى وصفاته المفضي إلى
التشبيه .

(٢) سيأتي موقف أهل السنة من ذلك انظر : ١ / ٣٩٠ .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ١ / ١٠٨ والفرق بين الفرق ص / ٣٧ والملل والنحل ١ / ١٨٤ .

(٤) انظر : المرجع السابق ١ / ١٨٥ .

(٥) انظر : ١ / ١٧٤ و ٢٣٥ .

(٦) انظر : مقالات الإسلاميين ١ / ١٠٩ والفرق بين الفرق ص / ٧٥ والملل والنحل ١ / ١٧٥ ومنهاج

السنة ٢ / ٢١٨ وخطط المقرئ ٣ / ٢٩٣ .

(٧) انظر : الملل والنحل ١ / ١٨٤ .

(٨) انظر : الفرق بين الفرق ص / ٧٥ .

وقد ذكره شيخ الإسلام مع هشام بن الحكم ، ويونس القمي^(١) ، وذكر أن هؤلاء من متكلمي الشيعة ، وأنهم يزيدون في إثبات الصفات ويغلون في الإثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل^(٢) !!

ومن مقالاته في التشبيه : زعمه أن الله على صورة إنسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت^(٣) ، وينكر أن يكون لحما ودما .

ويذكر أنه نور ساطع يتلألأ بياضا ، وأنه ذو حواس خمسة كحواس الانسان وله يد ورجل وأذن وعين وأنف وفم ، وأن له وفرة سوداء^(٤) ، وأنه نور أسود ، و قلب ينبع منه الحكمة ينبع الماء من العين^(٥) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !!

ويلاحظ على ما ذكره في التشبيه أمران :

الأمر الأول : أنه أثبت لله تعالى صفات لم يصف الله بها نفسه ، وهي صفات خاصة بالإنسان كالأنف ، والفم ، والشعر الأسود ، والقلب ، ومن وصف الله تعالى بذلك فقد شبهه بالبشر ، وألحد في صفاته^(٦) !!

الأمر الثاني : أثبت صفات أثبتها الله لنفسه كاليد ، والرجل ، والعين لكنه جعلها من جنس صفات الإنسان ، لأنه ذكرها عقب زعمه أن لله

(١) تقدم التعريف بيونس القمي وطائفته ومقاتتهم في التشبيه انظر : ٢٥٣/١ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٧١/١-٧٢ ودرء تعارض العقل ٣٣١/٢-٣٣٢ .

(٣) وهذه هي نفسها مقالة يونس القمي في الله تعالى كما تقدم انظر : ٢٥٣/١ .

(٤) الوفرة : الشعر الكثير دون الجملة انظر : معجم مقاييس اللغة ١٢٩/٦ مادة « وفر » .

(٥) انظر : مقالات الإسلاميين ١٠٨-١٠٩ والفرق بين الفرق ص/٧٥ وأصول الدين للبغدادي ص/

٧٤-٧٣ والتبصير في الدين ص/١١٠ والملل والنحل ١٨٥/١ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين

ص/٩٥ وشرح نهج البلاغة ١٩٤/١ ومنهاج السنة النبوية ٢١٨/٢-٢١٩ .

(٦) سيأتي موقف أهل السنة من ذلك انظر : ٣٧٦/١ .

حواسا كحواس الإنسان^(١)!!

ورغم اشتها طوائف غلاة الشيعة المشبهة بالقول بالتشبيه والتجسيم ، فإن بعض شيوخ الرافضة الاثني عشرية يدافعون ، عمن انحرف إلى القول بذلك ويتكلفون الدفاع عنهم ، وتكذيب ما نقل عنهم ، من التجسيم والتشبيه حتى قال المجلسي^(٢) عن الهشامين : « ولعل المخالفين نسبوا إليهما ، هذين القولين^(٣) معاندة^(٤)! »

كما دافع عنهم بعض مشايخ الرافضة المعاصرين وكتابهم ، وسيأتي نقد دفاعهم هذا ، ويان أنهم مرتضون لمقالات أسلافهم المشبهة ، في الباب الرابع عند بيان وقوع الرافضة المعاصرين في مقالة التشبيه !!

○ ○ ○ ○

(١) سيأتي موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات الله الذين يجعلون صفات الخالق « من جنس صفات خلقه انظر : ٣٥٣/١ و ٣٥٨ .

(٢) محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني ، من علماء الرافضة الإمامية الكبار أجمع الافضة على توثيقه وإمامته عندهم ، ومن مصنفيه من مصنفاته موسوعته التي ملأها بالخرافات والشرك والتشبيه وسماها « بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار » و « تاريخ فاطمة والحسين » مات سنة ١١١١ هـ انظر : ترجمته في أمل الأمل في ترجمة جبل عامل للحر العاملي ٢/٢٤٨-٢٤٩ والأعلام ٦/٤٨-٤٩ .

(٣) يقصد القول بالتشبيه والتجسيم !!

(٤) بحار الأنوار ٣/٢٨٨ .

المطلب الثاني

الشيعة المتأخرون وبيان مقاتلهم في التشبيه على سبيل الإجمال

المراد بالشيعة المتأخرين هم الذين قالوا في صفات الله تعالى بمقالة التعطيل ، حيث أخذوا بآراء المعتزلة الكلامية في ذلك ، وتأثروا بهم ، وقالوا في التوحيد كما ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري بمقاتلهم^(١) !!

وقد حدد شيخ الإسلام الفترة الزمنية التي تابع فيها متأخرو الشيعة المعتزلة ، وقالوا مثلهم بمقالة التعطيل في صفات الله عز وجل بقوله : « ... ولكن في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة كابن النوبختي^(٢) ، صاحب كتاب الآراء والديانات وأمثاله ، وجاء بعد هؤلاء المفيد بن النعمان^(٣) وأتباعه ، ولهذا تجد المصنفين في المقالات كالأشعري لا يذكرون أحدا من الشيعة أنه وافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم إلا عن بعض متأخر بهم ، وإنما يذكرون عن بعض قدمائهم التجسيم ... »^(٤) !!

ولا يعني شيخ الإسلام بكلامه هذا أن مقالة التشبيه لم توجد إلا عند متقدمي الشيعة ، وإنما مقصوده بما ذكر أن مقالة التعطيل لم تكن عند الشيعة المتقدمين ،

(١) انظر كتابه : مقالات الإسلاميين ١/١٠٩ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ١/٢٤٤ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكيري المشهور بالشيخ المفيد الإمامي المتكلم انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته ، كثير التصانيف في الفقه والأصول والكلام ، من مصنفاته : « أوائل المقالات في المذاهب والمختارات » و « إيمان أبي طالب » مات سنة ٤١٣ هـ . انظر : الفهرست للطوسي ص / ١٥٧-١٥٨ والأعلام ٧/٢١ .

(٤) منهاج السنة النبوية ١/٧٢-٧٣ .

وإنما قال الشيعة بذلك في أو اخر المائة الثالثة متابعة للمعتزلة المعطلة الذين عطلوا الله عن صفات الكمال بأقيستهم وأصولهم الكلامية الفاسدة !!
 أما مقالة التشبيه فقد قال بها الرافضة على مختلف العصور ، لاسيما تشبيه المخلوق بالخالق بغلوهم في أئمة آل البيت وإعطائهم ما للرب تعالى من صفات وأفعال !!
 لكن الذي ينبغي أن يُعلم أن المتأخرين وإن اتفقوا في الغلو في الأئمة مع أسلافهم المعروفين بغلاة الشيعة ، إلا أنهم يختلفون عنهم في كونهم لم يصرحوا بألوهية أحد من أئمة آل البيت أو غيرهم كما فعل الغلاة الذين تقدمت مقالاتهم ، إلا أنهم أضفوا إليهم من الصفات الخاصة بالله تعالى ، ما جعلوهم بها أربابا وآلهة يعبدون من دون الله كما ستأتي مقالاتهم في ذلك قريبا ..

كما أنهم لم يقولوا بمقالات بعض أسلافهم الغلاة في ذات الله تعالى أنه جسم لحم ودم ، وفي صفاته أن له فما أو قلبا ، أو أن حملة العرش يحملون الله ونحو ذلك من المقالات الفاسدة التشبيهية الكفرية التي تقدم ذكرها^(١) ، إلا أنهم وافقوهم بالقول بالبداء الذي فيه وصف الله تعالى بالجهل بالأشياء قبل وقوعها كما تقدم !!
 والشيء الذي فاق فيه هؤلاء الرافضة أسلافهم أن ما قالوا به من التشبيه أسنوده إلى أئمة آل البيت بروايات كاذبة ليتسنى لهم بذلك إعطاؤهم صبغة تشريعية ليقول بها جميع قطاعات الشيعة دون أدنى تفكير أو تأمل مادام قد قال بها الأئمة المعصومون كما يزعمون ، مع أنها مليئة بالشرك والتشبيه الذي لا يقول به من له أدنى مسكة من عقل وعلم وإيمان !! ولمعرفة مدى ما وصل إليه الرافضة المتأخرون من القول بالتشبيه الفظيع ، وأنهم ليسوا بأقل من أسلافهم المتقدمين الذين تقدمت مقالاتهم في التشبيه لمعرفة ذلك يمكن ذكر بعض رواياتهم في التشبيه والتي نسبوها

(١) انظر : ٢٥٣/١ و ٢٦٢ .

إلى الأئمة زورا وبهتانا ، مع أنهم قد تبرؤوا منها بنفس رواياتهم عنهم ، مما يدل على تناقضهم وفساد مقالاتهم وعقولهم !! وسأذكر بعض الأمثلة في ذلك من مصنفاتهم المعتمدة لديهم التي حوت أصول دينهم التي تنضح بالتشبيه ، وسأختار لذلك بعض الكتب المشتملة على رواياتهم في الشرك والتشبيه!!

فمن تلك الكتب على سبيل المثال بصائر الدرجات لشيخهم وإمامهم في الضلال محمد بن الحسن الصفار^(١) ت ٢٩٠ هـ الذي ملأه بالشرك وتشبيه الأئمة بالخالق عز وجل ورفعهم من منزلتهم البشرية إلى درجة الربوبية والألوهية ، وبمجرد الاطلاع على أبوابه يُعلم إفراط الرافضة في التشبيه ، ومن تلك الأبواب ما عنون له الصفار بقوله : « باب في أمير المؤمنين أنه قسيم الجنة والنار » ومن الروايات الشركية التشبيهية التي أوردها في هذا الباب ما رواه بسنده المزعوم إلى أبي عبد الله^(٢) أنه قال : « إذا كان يوم القيامة وُضع منبرٌ يراه الخلائق ، فيصعد عليه رجل فيقوم عن يمينه ، وعن يساره ملك ، فينادي الذي عن يمينه يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب يدخل الجنة من يشاء ، ويُنادي الذي عن يساره يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب يدخل النار من يشاء »^(٣)!!

وروى بسنده المزعوم إلى أبي جعفر^(٤) أنه قال : « قال علي رضي الله عنه : أنا قسيم الجنة والنار أدخل أوليائي الجنة ، وأدخل أعدائي النار »^(٥)!!

(١) محمد بن الحسن الصفار بن فروخ ، زعم النجاسي أنه كان ثقة عظيم القدر ، قليل الغلط في الرواية ، من كتبه : « بصائر الدرجات » مات سنة ٢٩٠ هـ انظر : الفهرست للطوسي ص / ١٤٣-١٤٤ .

(٢) جعفر الصادق وقد تقدمت ترجمته انظر : ٢٤٩/١ .

(٣) بصائر الدرجات للصفار ص / ٢٣٤ .

(٤) محمد بن علي الباقر وقد تقدمت ترجمته انظر : ٢٤١/١ .

(٥) المرجع نفسه ص / ٢٣٤-٢٣٥ .

وزعم أن عليًا رضي الله عنه ذيان الناس ومحاسبهم يوم القيامة ، فروى في ذلك بسنده المزعوم إلى أبي عبد الله أنه قال : « إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لذيان الناس يوم القيامة ، وقسيم الله بين الجنة والنار ... »^(١)!!

وهل يوجد شرك وتشبيه أعظم من هذا ، وماذا أبقى لله تعالى إذا كان علي رضي الله عنه كما زعم ذيان الناس ومحاسبهم يوم القيامة على أعمالهم ، وأنه قسيم الجنة والنار !!؟ إذا كانت السبئية قد غلوا في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فوصفوه بأنه الإله فهؤلاء قد أضفوا إليه من صفات الربوبية والألوهية ما جعلوه بها إليها يُعبد من دون الله !!! وإذا كان النبي ﷺ لا يملك لنفسه أن يجير أحدا من النار ولو كان أقرب الناس إليه وقد أمره ربه أن يقول للناس : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي كُنْ يُجِيرُنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن : ٢١ - ٢٢] فكيف بغيره !!؟

وإذا كان رسول الله ﷺ قد قال لأقرب الناس إليه : « ... انقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً »^(٢) فكيف بغيره !! كذب أعداء الله إن الجنة لن يدخلها أحد إلا بالعمل الصالح المبني على الإخلاص لله تعالى بالتوحيد والعمل الصالح ، ولرسوله ﷺ بالمطاعة ، بفضل الله تعالى ورحمته ومنته !!
ومن الأبواب التي عقدها الصفار في كتابه بصائر الدرجات : « باب في الأئمة يعرفون الإضمار وحديث النفس قبل أن يخبروا »^(٣)!

ومن الروايات المزعومة التي أوردتها في هذا الباب ما رواه عن عمران بن يزيد أنه

(١) المرجع نفسه ص/٢٣٥ .

(٢) انظر في ذلك الحديث الذي رواه أبوهريرة « وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان /١

٣٤٨ح٣١٥ .

(٣) بصائر الدرجات ص/٢٥٥ .

قال : « دخلت إلى أبي عبد الله عز وجل وهو مضطجع ، ووجهه إلى الحائط ، فقال لي حين دخلت عليه : يا عمران ، غمز رجلي . فقعدت أغمز رجله ، فقلت في نفسي : الساعة أسأله عن عبد الله (١) ، وموسى (٢) أيهما الإمام ، قال : فحول وجهه إليّ ، وقال : إذا لا أجيبك (٣) !

ومعنى ذلك على زعمه أنه عرف بما في ضميره قبل أن ينطق به ، وبهذه المقالة الكاذبة قد شبهه بالخالق عز وجل ، فإن الذي يعلم السر وأخفى هو الله تعالى ، قال الله عز وجل مخاطبا نبيه ﷺ : ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ تُحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٢٩] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [التوبة : ٧٨] .

وروى أيضا بسنده المزعوم عن خالد بن نجيح الجوار أنه قال : « دخلت على أبي عبد الله عز وجل وعنده خلق فقنعت رأسي فجلست في ناحية البيت ، وقلت في نفسي ويحكم ما أغفلكم عند من تتكلمون ، عند رب العالمين ، فناداني (٤) ويحك يا خالد ، إني والله عبد مخلوق ، لي رب أعبده وإن لم أعبده والله عذبي بالنار ، قلت : والله لا أقول فيك إلا قولك في نفسك (٥) !!

(١) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه !!

(٢) أبو الحسن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، سابع الأئمة الاثني عشر ، عند الإمامية ، كان من سادات بني هاشم ، ومن أعبد الناس في زمانه ، وأحد كبار العلماء الأجواد ، بلغ هارون الرشيد أن الناس يبايعونه فحبسه فتوفي في السجن وقيل قُتِل سنة ١٨٣ هـ انظر : وفيات الأعيان ١٣١/٢ والأعلام ٧ / ٣٢١ .

(٣) بصائر الدرجات ص/ ٢٥٥-٢٥٦ .

(٤) أي : أبوعبد الله !

(٥) بصائر الدرجات ص/ ١٦١-١٦٢ .

فهذه الرواية أيضا كسابقتها تزعم أن أبا عبد الله يعرف ما في ضمائر الناس قبل أن يتكلموا به ، وهذا تشبيه له بالخالق تعالى الذي يعلم السر وأخفى !!
 إلا أنها اشتملت على ما يكذب كل ما ينسبه هؤلاء الرافضة إلى الأئمة ، ومنهم أبو عبد الله رحمه الله الذي جعلوه مسرحا لثرهاتهم وأباطيلهم ، فتقولوا عليه ما لم يقل به من مقالات أهل الكفر والإلحاد ، وهو رحمه الله كما في هذه الرواية يصرح بأنه عبد مخلوق لله تعالى مربوب ، يعبد ربه ويخاف من عقابه ، ومن هذا شأنه ، كيف يوصف بصفات الله تعالى ، ويؤفك عليه بأنه يعلم حديث النفس !!؟
 إن هؤلاء الرافضة يروون روايات كاذبة متناقضة يؤلّهون بها الأئمة ، ويصفونهم بصفات الخالق عز وجل ، وهم بريئون منهم ، ومن مقالاتهم الكفرية التشبيهية الكاذبة !!
 ومن الأبواب التي عقدها الصفار في كتابه بصائر الدرجات وسببها فيها الأئمة بالخالق عز وجل ما عتقون له بقوله : « باب في علم الأئمة بما في السموات والأرض والجنة والنار وما هو كائن إلى يوم القيامة »^(١) ومن الروايات المزعومة التي أو ردها في هذا الباب ما رواه بسنده المزعوم إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال :
 « والذي نفسي بيده إني لأعلم علم النبي ﷺ ، وعلم ما كان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة »^(٢) !!

وروى بسنده المزعوم إلى أبي عبد الله أنه قال : « والله إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار ، وما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة »^(٣) !!
 فشبهه بما ذكره أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأبا عبد الله جعفر الصادق رحمه الله بالخالق تعالى ، الذي يعلم ما كان وما يكون لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في

(١) المرجع نفسه ص/١٢٧ .

(٢) المرجع نفسه ص/١٢٧ .

(٣) المرجع نفسه ص/١٢٧-١٢٨ .

السماء ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ لَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٠] .
 وإذا انتقلنا إلى ثقة إسلامهم ومحدثهم الكليني^(١) ت ٣٢٩ هـ لرأينا كيف أنه قد ملأ كتابه الكافي بروايات كاذبة^(٢) نسبها إلى أئمة آل البيت ووصفهم فيها بصقات الخالق عز وجل وعقد لذلك أبوابا ضمنها التشبيه كما فعل الصفار ، ومن تلك الأبواب ما عنون له بقوله : « باب إن الأرض كلها للإمام عليه السلام »^(٣) ومن الروايات المزعومة التي أوردها في هذا الباب ما نسبته إلى أبي عبد الله رحمه الله أنه قال : « ... إن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له من الله ... »^(٤) !!

وهذا تأليه للإمام ووصف له بصفات الربوبية ، فإن الذي له الدنيا والآخرة ومالكهما والمتصرف فيهما هو الله عز وجل ، لا شريك له ولا مثل في ذلك ، قال تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ [النجم : ٢٥] وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ

(١) أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق ، شيخ الشيعة في زمانه ببغداد ، ومن كبار علماء الإمامية ومحدثيهم حتى لقبوه بثقة الإسلام ، من مصنفاته « الكافي في علم الدين » الذي يعتبره الرفضية من أصح كتبهم في رواية أحاديثهم وأخبار أئمتهم و « رسائل الأئمة » مات سنة ٣٢٩ هـ انظر : رجال المجاشي ص / ١٦٦ والأعلام ١٤٥/٧ ومقدمة كتاب الكافي للدكتور : حسين علي محفوظ الإمامي ١٣/١ - ٤٢ .

(٢) ألف العلامة أبو فضل ابن الرضا البرقي الذي كان من آيات الشيعة ومجتهد بهم ثم هداه الله إلى السنة ألف كتابا قيما سماه « كسر الصنم » نقد فيه كتاب الكافي نقدا علميا ، وبين أن رواياته كلها مكذوبة ومخالفة للقرآن والعقل ، وقد ترجم الكتاب من الفارسية إلى العربية ، فيحسن الرجوع إليه !!

(٣) الأصول من الكافي ١/١ - ٤٠٧ .

(٤) المرجع نفسه ١/١ - ٤٠٨ - ٤٠٩ .

يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ [الأعراف : ١٢٨] وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة : ١٨] .

ومن الأبواب التي عقدها الكليني وَشَبَّهَ فِيهَا الْأُمَّةَ بِالْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ مَا عَنُونُ لَهُ بِقَوْلِهِ : « بَابُ أَنَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِذَا شَاءُوا أَنْ يَعْلَمُوا عِلْمًا »^(١) و « بَابُ أَنَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَعْلَمُونَ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِمُ الشَّيْءُ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ »^(٢) !! . ومن الروايات المزعومة التي أوردتها في ذلك ما رواه بسنده إلى أبي عبد الله رحمه الله أنه قال : « ... إِنِّي لِأَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَعْلَمُ مَا فِي الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَمُ مَا فِي النَّارِ ، وَأَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ »^(٣) !!

وعقد أيضا بابا عنون له بقوله : « بَابُ أَنَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَوْ سُئِرَ عَلَيْهِمْ لِأَخْبَرُوا كُلَّ أَمْرٍ بِمَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ »^(٤) . ومن الروايات المزعومة التي أوردتها في هذا الباب ما رواه بسنده إلى أبي جعفر رحمه الله أنه قال : « لَوْ كَانَ لِأَلَسْتُمْكُمْ أَوْ كَيْفَ لَحَدَّثَ كُلَّ أَمْرٍ بِمَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ »^(٥) . فما ذكره في هذه الأبواب والروايات المزعومة التي أوردتها كلها تنضح بالشرك والتشبيه ، لأن الذي يعلم الغيب وعلم ما كان وما يكون ، ولا يخفى عليه شيء من أمور خلقه هو الله عز وجل عَلَّامُ الْغُيُوبِ لِأَشْرِيكَ لَهُ وَلَا مِثْلَ ، وَلَا تَدُلُّهُ وَلَا تُنْظِرُ فِي ذَلِكَ وَفِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ !!

وأين روايات الكليني الكاذبة هذه من قول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل : ٦٥] !!؟

(١) المرجع نفسه ٢٥٨/١ .

(٢) المرجع نفسه ٢٥٨/١ .

(٣) المرجع نفسه ٢٦١/١ .

(٤) المرجع نفسه ٢٤٦/١ .

(٥) المرجع نفسه ١٦٤/١ .

وكيف تستقيم هذه الدعاوى الكاذبة مع قول الله تعالى عن رسوله ﷺ : ﴿ وَكُنْ أَكْثَرُ مَنْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] . فإذا كان الرسول ﷺ لا يعلم الغيب إلا ما علمه الله فكيف بغيره؟! قال تعالى : ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧] !! .

وعقد الكليني بابا في البداء المتضمن تشبيه الخالق بالخلق^(١) عنون له بقوله : « باب البداء »^(٢) أورد فيه ستة عشر حديثا من الأحاديث المنسوبة إلى الأئمة^(٣) !!

ومن الروايات في ذلك ما رواه بسنده المزعوم إلى أبي عبد الله أنه قال : « ما عظم الله بمثل البداء »^(٤) .

فجعل بهذا وصف الله تعالى بالبداء الذي هو الجهل بالأشياء قبل وقوعها وظهور صواب له تعالى على خلاف ما أراد وحكم ، جعل هذا الوصف من أفضل أنواع العبادات . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !!

كما روى بسنده المزعوم إلى أبي عبد الله أيضا أنه قال : « لو علم الناس ما في القول بالبداء ما فتروا عن الكلام به »^(٥) !!

كما روى بسنده المزعوم عن الرضى^(٦) أنه قال : « ما بعث الله نبيا قط إلا بتحريم

(١) تقدم بيان معنى البداء ووجه كونه تشبيها للخالق بالخلق انظر : ص/١٥٣ .

(٢) المرجع السابق كتاب التوحيد / ١ / ١٤٦ .

(٣) المرجع نفسه ١ / ١٤٦ - ١٤٩ .

(٤) المرجع نفسه ١ / ١٤٦ وذكره ابن بابويه القمي في توحيده ص/ ٢٣٣ .

(٥) انظر : الأصول من الكافي ١ / ١٤٨ وذكره ابن بابويه القمي في توحيده ص/ ٢٣٣ .

(٦) أبو الحسن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق الملقب بالرضي ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية كتن من أجلاء سادات أهل البيت وفضلاتهم ، أحبه الخليفة المأمون العباسي ، وزوجه ابنته ، وضرب اسمه على الدينار والدرهم ، وعهد له بالخلافة من بعده ، لإلانة توفي في =

الخمير ، وأن يقر لله بالبداء»^(١)!!

فجعل هذه الروايات المزعومة القول بالبداء عبادة يُؤجر عليها صاحبها بالثواب الجزيل ، مع أنه كفر وإلحاد لما فيه من وصف الله بالجهل وتشبيهه بال مخلوق في ذلك ، ثم زعم اتفاق الأنبياء على الإقرار به ، وعلى قوله هذا يكون الأنبياء وحاشاهم ، بعثوا من أجل الإقرار لله بالجهل والدعوة إلى القول بذلك !! ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ وسيأتي نقد مقالة البداء وتنزيه الله عنها في الباب الرابع^(٢)!!!

وإذا انتقلنا إلى إمامهم المجلسي^(٣) ت سنة ١١١١ هـ لرأينا كيف أنه أُلّف موسوعة ضخمة^(٤) سماها « بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبارا لأئمة الأطهار » جمع فيها من الروايات المزعومة التي نسبها إلى أئمة أهل البت كذبا وزورا ، مع أنها قد اشتملت على مقالات شركية تشبيهية تخرج معتقدها والقائل بها من الإسلام إلى الكفر !! فمن الروايات المزعومة التي أو ردها المجلسي في بحاره عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : « والله لقد أعطينا علم الأو لين والآخرين ، فقال له رجل من أصحابه : جعلت فداك أعندك علم الغيب ، فقال له : ويحك! إني لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء ... »^(٥)!!

ومعلوم عند من له أدنى مسكة من عقل وإيمان أنه لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل ، وأن

= حياة المأمون في طوس ، سنة ٢٠٣ هـ فدفنه بجانب أبيه هارون الرشيد . انظر : وفيات الأعيان

٣٢١/١ والأعلام ٢٦/٥ .

(١) الأصول من الكافي ١/١٤٨ .

(٢) عند بيان وقوع الرافضة المعاصرين في مقالة التشبيه انظر : ٥٦/٣ و ٥٦ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ١/٢٦٣ .

(٤) طبعت في بيروت حتى وصل عدد أجزاءها إلى أكثر من مائة مجلد !!

(٥) بحار الأنوار للمجلسي ٢٦/٢٧-٢٨ .

علم ما في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء خاص بالله تعالى لا يشاركه ولا يشابهه في ذلك أحد من خلقه ، قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ٥٩] وبين رسول الله ﷺ مفاتيح الغيب الخاصة بالله تعالى بقوله : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله »^(١).

وفي رواية لأبي هريرة في الحديث الذي فيه سؤال جبريل عليه السلام عن الساعة ، وفيه قوله ﷺ : « ... ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ... في خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم تلا ﷺ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(٢) [لقمان : ٣٤] .

ومن زعم أن أحدا من المخلوقات يتصف بهذه الصفات أو بعضها فقد جعله شريكا مع الله تعالى في ربو بيته ، وشبهه بالخالق عز وجل !!
ومن الروايات التي ذكرها ما رواه بسنده المزعوم إلى سلمان الفارسي^(٣) أنه قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما : « لو أقسم أبو الحسن^(٤) على الله أن يحيي

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٣/٣٧٤-٣٧٧٩ . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان ١/٣٩٩ ح ٥ .

(٣) أبو عبد الله سلمان الفارسي الصحابي سلمان الخير ، أصله من أصبهان ، قصد بلاد العرب ، فبيع عبد في العراق ، حتى وصل إلى المدينة فأسلم وفدى نفسه فأعتق ، وهو الذي قال في شأنه النبي ﷺ : « سلمان منا أهل البيت » شهد غزوة الخندق ، وهو الذي أشار بحفر الخندق . وكان أميراً على

المدائن فأقام بها حتى توفي سنة ٣٦ هـ انظر : الإصابة ٢ / ٦٢-٦٣ والأعلام ٣ / ١١١-١١٢ .

(٤) يقصد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الأولين والآخرين لأحياءهم»^(١)!!
 وزعم المجلسي أن علياً رضي الله عنه أحياء مقبرة الجبانة^(٢) بأجمعهم^(٣)، كما زعم
 أن علياً أحيى رجلاً من بني مخزوم^(٤)!!
 وادّعى أن علياً لما خاطب جمجمة كسرى ، وأحيى الموتى ، اختلف الناس في
 شأنه فمنهم من قال : إنه وصي الله ، ومنهم من قال : إنه الرب كيف يحيى
 الموتى^(٥)!!

ومعلوم عند من له أدنى مسكة من عقل وعلم وإيمان أن إحياء الموتى من خصائص
 الربوبية التي لا تدخل للبشر فيها ، وأنه من أفعال الله الخاصة به عز وجل لا شريك له
 في ذلك ولا شبيه ولا مثل ، قال تعالى : ﴿ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٩] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ
 وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ [الحجر : ٢٣] وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لِحُجِّي الْمَوْتَى وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم : ٥٠] وقال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
 وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٦] .

فمن زعم أن أحداً من المخلوقين يملك إحياء الموتى ، كما يزعم هؤلاء
 الروافض^(٦) وأنه يفعل ذلك متى شاء ، فقد شبهه بالخالق تعالى المحيي المميت

(١) بحار الأنوار ١٩٥/٤١-١٩٦-١٩٧ و٢٠١ .

(٢) الجبانة مقبرة بالكوفة ، ذكر ابن منظور أن لفظ الجبانة يطلق على الصحراء ، وتسمى بها المقابر ،
 لأنها تكون في الصحراء تسمية الشيء للشيء بوضعه . انظر : لسان العرب ٨٥/١٣ مادة « جبن » .

(٣) بحار الأنوار ٢٠١/٤١ .

(٤) المرجع نفسه ١٩٢/٤١ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ١٩٢/٤١-١٩٣ .

(٦) ومن سار على نهجهم في الشرك والتشبيه كالصوفية وغيرهم كما سيأتي في الباب الرابع انظر :

ص/٧٨٦ و٨٧٣ و٩٢٧ .

وجعله شريكا مع الله في ربوبيته لأن ذلك من اختصاص الرب عز وجل !!
ولا يدخل فيما يذكره هؤلاء الملاحدة إحياء المسيح عليه السلام لبعض
الموتى كما حكى الله عنه بقوله : ﴿ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى
بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٤٩] لأن عيسى عليه السلام لم يكن يسند ذلك إلى
نفسه إلا مقيدا بإذن من الله عز وجل ، حتى لا يتهمة أحد أنه يستقل بذلك !!
وكان ذلك له عليه السلام آية ومعجزة من الله تعالى على صدق رسالته ، ولم
تكن صفة ملازمة له ، بل كان يحصل له ذلك بقدر ما تقوم الحجة ، وتظهر دلالة
وصدق نبوته عليه السلام .

ذكر الإمام الألويسي^(١) رحمه الله أن عيسى عليه السلام قيّد الإحياء بإذن الله كما
حكى الله عنه : ﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ لأن ذلك خارق عظيم يكاد يتوهم
منه ألوهية فاعله لأنه ليس من جنس أفعال البشر ، وكان الميت إذا أحياه بإذن الله
يكلمه ويموت سريعا بقدر ما تقوم به المعجزة^(٢) !!

ولو كان كما يزعم المجلسي أحيا مقبرة الجبانة ، لاشتهر ذلك ولسار به الركبان
ولذكره غيرهم ، لأنه أمر عظيم جليل ، مما يدل على كذب من قال به وافترائه !!
ومن الطريف أن كتب الرافضة مع تقولهم على الأئمة والغلو فيهم وإعطائهم ما
للرب تعالى من صفات وأفعال ، تروي ما يخالف هذا لتثبت تناقضها فيما تقول
كالعادة في كل كذب وباطل .

(١) أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي نسبة إلى جزيرة في نهر الفرات كان يسكن بها جد
الأسرة الألويسية بالعراق - المفسر المحدث الأديب من مصنفاته تفسيره الكبير : « روح المعاني »
و « الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية » ردّ به على الشيعة توفي سنة ١٢٧٠ هـ انظر :
الأعلام ١٧٦٦/٧ - ١٦٨ .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم لشهاب الدين الألويسي ١٦٩/٣ .

ومن تلك الروايات ما جاء في معرفة رجال الشيعة للكشي^(١)، أن جعفر الصادق رحمه الله قال : « فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ، ما نقدر على ضر ولا نفع ، وإن رحمتنا فبرحمته ، وإن عذبتنا فبذنوبنا ، والله مالنا على الله من حجة ولا معنا من الله لبراءة ، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون ، ويلهم ، إمالهم لعنهم الله ، فقد آذوا الله ، وآذوا رسوله في قبره ، وأمير المؤمنين وفاطمة ، والحسن والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي صلوات الله عليهم .. أشهدكم أنني أمرؤ ولدني رسول الله ﷺ^(٢) ، وما معي براءة من الله ، إن أطعته رحمني ، وإن عصيته عذبتني عذابا شديدا »^(٣)!!

ولاشك فإن هؤلاء الروافض قد آذوا الله تعالى بالإشراك معه ووصفه بصفات النقص كالبداء ، وتشبيهه المخلوقين به بإعطائهم ما للرب تعالى من صفات وأفعال وآذوا رسول الله ﷺ بتحريف دينه ، ونسبة الشرك والتشبيه والكفر إلى دينه وآذوا الأئمة بوصفهم بصفات الربوبية والألوهية ، ونسبة القول بذلك إليهم ، وهم يتبرؤون من مقالاتهم الكفرية أشد التبرؤ ، ويصرحون بأنهم عبيد لله تعالى ، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا ، وينزهون الله تعالى عن الشرك والشبيه أعظم تنزيه !!

ومع ذلك لو شغل هؤلاء الرافضة عن موقفهم من هذه الروايات التي وردت في كتبهم ، والتي تنقض الروايات التي نسبوها إلى الأئمة المشتملة على مقالات الشرك

(١) أبو عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ، الرافضي نسبة إلى « كشي » من بلاد ماوراء النهر ، إشتهر بكتابه : « معرفة أخبار الرجال » توفي سنة ٣٤٠ هـ انظر : لسان الميزان / ٥ / ٣٧٠ والأعلام ٦ / ٢١١ .

(٢) يقصد أنه من آل البيت من ذرية فاطمة بنت النبي ﷺ .

(٣) معرفة رجال الكشي ص / ١٩٤ .

والتشبيه ، لو سئلوا عن ذلك !!١٤ لأجابوا : إن الروايات التي ورد فيها تبرئة الأئمة إنما هي من باب التقية^(١) ، إمعانا في الضلال والإضلال .
وبهذا يصفون الأئمة بالنفاق كما وصفوهم بخصائص الزبوية والألوهية ، فهل يوجد إيذاء أعظم من هذا ١٤

ومن الروايات التي تنقض ما رووه عن الأئمة وادعوا به معرفتهم لعلم الغيب ما ذكره الكشي أن يحيى^(٢) بن عبد الله بن الحسن سأل أبا عبد الله : « جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب ، قال : سبحان الله أضع يدك على رأسي ، فوالله ما بقيت شعرة في جسدي ولا في رأسي إلا قامت ، ثم قال : لا والله إلا رواية عن رسول الله ﷺ »^(٣) !!

فذكر رحمه الله عظم مقالة هؤلاء الرافضة في ادعائهم معرفة علم الغيب فيه وذكر أن مقالاتهم هذه اقتشع منها بدنه ، لهولها وقظاعتها ، ثم تبرأ من ذلك وبين أنه لا يعلم شيئا من علم الغيب ، إلا ما أو حاه الله إلى رسوله ﷺ فبلغه أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، فهذا ما يعلمه أهل البيت ، لا يختصون بمعرفة

(١) التقية عند الشيعة كتمان ما يعتقد الرافضي مع أهل السنة وإظهار موافقتهم ، وهم بهذه العقيدة كما ذكر شيخ الإسلام شر من المنافقين ، لأن المنافقين يعتقدون أن ما يظنونونه من كفر هو باطل ، ويتظاهرون بالإسلام بخلاف الرافضة فهم يرون أن ما يظنونونه هو الحق ، وأن طريقتهم هي منهج الرسل والأئمة . انظر : رسالة في علم الظاهر والباطن ، لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/٢٤٨ وبطلان عقائد الشيعة لمحمد عبد الستار التونسي ص/٧٢-٧٤ وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية للدكتور ناصر الغفاري ٢/٨٠٥ . وراجع : عقائد الإمامية لمحمد رضا مظفر ص/٧٢-٧٣ .

(٢) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رباه أبو عبد الله جعفر الصادق في المدينة ، توفي في الحبس أيام الخليفة هارون الرشيد سنة ١٨٠ هـ انظر : النجوم الزاهرة ٢/٦٢ والأعلام ٨/١٥٤ .

(٣) معرفة رجال الكشي ص/١٩٢ .

علم الغيب كما يزعم الرافضة ، لأن هذا من خصوصيات الله تعالى لا يشاركه في ذلك ولا يشابهه أحد من خلقه !!

ومن الروايات الدالة على بطلان ما ينسبه الرافضة إلى الأئمة من خصائص الله تعالى ومنها معرفة المغيبات ، وتنزيه الأئمة الله عز وجل عن أن يشاركه في ذلك أو يشابهه أحد من خلقه ، ما رواه الكشي أيضا عن أبي بصير أنه قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنهم : يقولون . قال وما يقولون : قلت يقولون : تعلم عدد قطر المطر ، وعدد النجوم ، ووزن مافي البحر ، وعدد التراب . فرفع يده إلى السماء ، وقال : سبحان الله ، سبحان الله ، سبحان الله ، لا والله ما يعلم هذا إلا الله »^(١).

ومن الروايات التي أو ردها شيوخ الرافضة في كتبهم لتناقض مقالتهم في البداء الذي وصفوا الله به ، ورووا في أجر القول به روايات عن الأئمة كما تقدم من الروايات الناقضة لذلك ما رواه ثقة إسلامهم الكليني في كتابه الكافي ، وابن بابويه^(٢) القمي في توحيده عن منصور بن حازم أنه قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس ، قال : من قال هذا أخزاه الله ، قلت : رأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، أليس في علم الله ، قال : بلى ، قبل أن يخلق الخلق »^(٣).

ولا شك فإن هذه الرواية تنقض الروايات الأخرى المتقدمة التي رووها في تقرير مقالة البداء التشبيهية مما يدل على أن هؤلاء القوم يبنون أصول دينهم الفاسد على

(١) المرجع نفسه ص/١٩٣-١٩٤ .

(٢) محمد بن الحسن بن موسى بن بابويه القمي ، ويعرف عند الشيعة بالشيخ الصدوق ، من مصنفاته : « إكمال الدين وتمام النعمة » و « التوحيد » توفي سنة ٣١٨ هـ انظر : الأعلام ٦/١٧٤ .

(٣) الأصول من الكافي ١/٤٨ والتوحيد لابن بابويه القمي ص/٣٣٤ .

الكذب والتناقض ، فلانقل لهم ولاعقل بل هم من أكذب الناس في النقليات
وأضعفهم في المعقولات ولذلك قالوا بمقالات كفرية فاسدة لا يقول بها من له أدنى
مسكة من عقل وعلم ودين !!



المبحث الثاني

التعريف بطوائف المشبهة من غير الشيعة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالصوفية الغلاة ومقالاتهم في التشبيه

المطلب الثاني : التعريف بطائفة الكرامية ومقاتلهم في التشبيه

المطلب الثالث : التعريف بمن قال بالتشبيه من المعتزلة والخوارج

المطلب الأول

التعريف بالصوفية الغلاة ومقالاتهم في التشبيه

قبل الشروع في ذكر مقالات غلاة الصوفية في التشبيه يحسن ذكر معنى التصوف فأقول : عرف التصوف بتعريفات كثيرة يدور معظمها حول سبب تسمية أربابه بالصوفية إلا أن الذي أراه مهما هنا لبيان قولهم بالتشبيه هو : التعريف بطريقة التصوف ، وغايته ، وحقيقته .

أما طريقته وغايته فهي : طريقة مخصوصة في السلوك تشتمل على مجموعة قواعد ورسوم ينشدها الصوفي السالك ويستهدفها في رياضته ليصل بذلك إلى الغاية التي يسعى إليها المتصوفة وهي الفناء في ذات الله تعالى والاتحاد به ، ومعرفة أن الحق عين الخلق ، والاتصاف بصفاته !!

وتقوم حقيقة التصوف وغايته على أمرين أساسين :

الأمر الأول : التجربة الباطنية للاتصال بين العبد والرب .

الأمر الثاني : إمكان الاتحاد بين الصوفي وبين الله^(١).

إذا عرف هذا فإن الصوفية الغلاة^(٢)الذين تأثروا بفلسفات وأفكار

(١) انظر : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها للدكتور : عرفان عبد الحميد ص/١٢٥ ومقدمة رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي للدكتور موسى الدويش ص/٢٥ . وهذه هي الصوفية للشيخ عبد الرحمن الوكيل ص/١٩ و٩٣ و١٣٦ وتعليقاته على مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي ص/١٨٦ رقم ٢ والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ص/ ٨ و١٢ و٦٥ و٦٩ والكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ للشيخ محمود عبد الرؤوف قاسم ص/٢٨٣ و٢٨٧ و٢٩٥ .

(٢) وإنما قلت بذلك لأن بعض المتصوفة وإن كان عندهم بدع وانحراف ، إلا أنهم لم يقولوا بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، بل إن بعضهم أنكروا ذلك ، وأثبت صفة الاستواء كما وردت =

الإلحادية^(١) من أعظم طوائف أهل البدع والأهواء الذين أبتلي بهم العالم الإسلامي لما يتظاهرون به من لباس الطهر والعفة والزهد وهم يحملون كل أنواع الكفر والإلحاد والزندقة والفلسفات الإلحادية التي قالوا بسببها بالشرك والتشبيه بأفزع صوره شبهوا بها المخلوق بالخالق وقالوا بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، تلك المقالات الفاسدة الكفرية التي جعلوا بها الإنسان يترقى من طبيعته البشرية إلى أن يصير إليها بحلول الخالق فيه ، أو يتحد بالخالق فيختلط بالذات الإلهية ، فحينئذ في كلتا الحالتين ينسلخ من صفاته البشرية ويكون إليها متصفا بصفات الله بزعمهم وبذلك شبهوا المخلوق بالخالق ، بل تجاوزوا ذلك إلى أن جعلوه ربا وإلهًا !!

كما شبهوا الخالق بالمخلوق في ذلك حيث أنزلوه من منزلة الألوهية بزعمهم أنه يحل في المخلوق ويتحد به ، فقولهم بالحلول والاتحاد الخاص^(٢) فيه إنزال ورفع وارتقاء ، وإنزال للخالق من منزلة ألوهيته إلى مرتبة الإنسانية بجعلهم له يحل في الإنسان ويتحد به ، وهذا يتضمن تشبيهه بالمخلوق ووصفه بخصائصهم وصفاتهم !! وفيه رفع للإنسان من منزلته البشرية إلى مرتبة الألوهية بالحلول والاتحاد ووصفه بصفات الله تعالى وهذا تشبيه له بالخالق عز وجل !!

وأما وحدة الوجود فإنهم لما جعلوا غايتهم التشبه بصفات الله بحلوله فيهم كما زعموا بحيث يكون أحدهم إليها يتصرف في الكون كما يريد أرادوا أن يوسعوا

= من غير تشبيه ولا تعطيل ، لذا استشهد الأئمة بأقوالهم في إثبات صفة الاستواء والرد على غلاة الصوفية الحلولية المشبهة مثل سهل بن عبد الله التستري و الجنيدي بن محمد ومعمربن أحمد الأصفهاني وغيرهم كما سيأتي ذكر بعض أقوالهم في ذلك انظر : ١ / ٦٦ و ١٣٠ و ٤٢٣ .

(١) كأبي يزيد البسطامي ، وابن عربي ، والحلاج ، والجيلي وغيرهم ، وسيأتي ذكر نماذج من مقالاتهم في التشبيه قريبا .

(٢) تقدم التعريف بأنواع الحلول والاتحاد الخاص والعام انظر : ١ / ٢١٣ و ٢٤٣ .

دائرة القول بالألوهية لجميع المخلوقات فقالوا بوحدة الوجود ، وأن كل شيء على زعمهم إنما هو الله وإنما اختلفت الأشياء بالصور والشكل فقط ، وأن الله سبحانه على زعمهم كما ذكر عنهم شيخ الإسلام هو : كل موجود من جسم وعرض وموهوم تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا^(١)!!

فبالاتحاد والوحدة كما ذكر الشيخ عبد الرحمن الوكيل بصير العبد ربا والمخلوق خالقا ، فوحدة الوجود تلك الأسطورة التي يؤمن كهنتها بأن الرب الصوفي تعين بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله في صورة مادية أو ذهنية ، فكان حيوانا وجمادا وإنسا وجنا وأصناما وأوثانا ، وكان ظنا وخيالا ، وكانت أسماءه وصفاته وأفعاله عين ما لتلك الأشياء من أسماء وصفات وأفعال ، لأنها هي هو في حقيقته ووجوده المطلق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا^(٢)!!

فليس عندهم موجود في هذا الكون غير الله ، وما هذه الظواهر التي نراها كما ذكر عنهم الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق إلا مظاهر لحقيقة واحدة ، هي الحقيقة الإلهية ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا^(٣)!!

ونتيجة لمقالتهم بوجود الله في كل شيء صار في عرفهم كما ذكر الاستاذ إحسان إلهي ظهير أن من لا يعتقد اتصاف الخلق بأوصاف الخالق لا يمكن أن يُعَدَّ وليا من أولياء الله^(٤)!! ولييان قول غلاة الصوفية بمقالة التشبيه سأذكر في هذا المطلب نماذج من مقالات أئمتهم وقادتهم في الضلال ، المقدسين عندهم على مختلف طوائفهم وفرقهم ، ليعرف بذلك أن غلاة الصوفية قد أفرطوا في التشبيه

(١) انظر : الجواب الصحيح ١٩٩/٣ .

(٢) انظر كتابه : هذه هي الصوفية ص/٢٥ .

(٣) انظر : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ص/٦٦ .

(٤) انظر كتابه : التصوف المنشأ والمصادر ص/٦ .

وسيكون ذلك من مقالات المتقدمين ، نظرا لأنه سيأتي في الباب الرابع ذكر بعض مقالات غلاة الصوفية المعاصرين الدالة على وقوعهم في مقالة التشبيه !!
 فمن مقالات أئمة الصوفية الغلاة بمقالات الحلول والاتحاد وإعطاء المخلوق ما للرب تعالى من صفات وأفعال الدالة على قولهم بمقالة التشبيه مايلي :

١ - مقالة أبي يزيد البسطامي^(١) ت ٢٦١ هـ الذي قال بالاتحاد ، وشبهه نفسه بالخالق عز وجل حتى وصف نفسه بأنه الإله ، وزعم أن العارف هو الذي يتصف بصفات الله تعالى ومن مقالاته في ذلك : « رفعتي^(٢) مرة فأقامني بين يديه وقال لي : يا أبا يزيد ، إنَّ خلقي يحبون أن يروك . فقلت : زيني بوحدانيتك^(٣) ، وأبسنني أنانيتك^(٤) ، وارفعني إلى أحديتك ، حتى إذا رأني خلقتك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا^(٥) !!

ففي هذه المقالة طلب من الله أن يرفعه من منزلته البشرية إلى أن يتحد مع الله تعالى فيكون هو والخالق ذاتا واحدة لا تمايز بينهما تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .
 وقد شرح كلام أبي يزيد الصوفي المعاصر الدكتور : عبد الرحمن البدوي فأقر مقالته الاتحادية الكفرية ومدحه في ذلك ، زاعما أنه قد بلغ الغاية العظمى وتحققت له النهاية المطلوبة ، ومما ذكره في ذلك على زعمه : إن الله قد نصب

(١) أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي ، نسبة إلى بسطام ، بلدة بين خراسان والعراق ، كان يقول بوحدة الوجود وأنه ربما كان أول من قال بمذهب الفناء الصوفي ، الذي هو الاتحاد بين الخالق والمخلوق ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية . مات سنة ٢٦١ هـ انظر : ميزان الاعتدال ٢/ ٣٤٦-٣٤٧ والأعلام ٣/ ٢٣٥ .

(٢) يقصد الله . تعالى الله عن ذلك !!

(٣) يقصد الاتحاد مع الخالق المزعوم !!

(٤) يقصد بذلك أن يكون إليها فيقول « أنا هو » كما ستأتي مقالته في ذلك قريبا .

(٥) ذكره الطوسي في كتابه اللمع ص/ ٤٦١ .

الخلايق بين يدي أبي يزيد ، وهامي ذي تتحرك لرؤياه في هذا المقام ، ولكي يمكنهم ذلك ، كان عليه أن يطلب من الله أن يزينه بوحدانيته ، ويسلبه أنانيته ، أي أنه : يلتمس من الله أن يخلع عليه ثوب الألوهية ويطلق لسانه عن نفسه فيتحدث بصيغة المتكلم^(١)، ويتحد بالله نهائياً ، بحيث تكون الإشارة إليه وإلى الله واحدة ولقد أجاب الله إلى طلبه هذا وزيادة ، فصرخ هذه الصرخة القوية الرهيبة ، لما خلع عليه الحق رداء الربوبية ، وأي شأن أعظم من أن يبلغ مرتبة الألوهية ويتحقق له الاتحاد بالحق لقد كان هذا أقصى ما يسعى إليه ، فما أعظم شأنه إذًا وقد بلغ الغاية وتحقق النهاية^(٢)!!

فأبو يزيد البسطامي يطلب من الله الاتحاد به ، ليكون بذلك إليها يتصف بصفات الخالق ، ودكتور الصوفية عبد الرحمن البدوي يقرر ذلك ، ويزعم أنه تحقق له ، بل يجعل ذلك من أعظم ما يتمناه الصوفي في حياته ، وأقصى ما يسعى لتحقيقه !! ولما تحقق لأبي يزيد ما طلبه من الله على زعمه من الاتحاد بالخالق ، وصف نفسه بأنه الله ، وذلك لما دقَّ عليه رجل من أصحابه باب داره ، فقال له أبو يزيد . من تطلب ، فقال : أطلب أبا يزيد . فقال : « مُرُّ ويحك ، فليس في الدار غير الله »^(٣)!! فجعل نفسه بهذه المقالة الكفرية الإلحادية ربا وإلهًا ، وسبح لها ، فهل يوجد تشبيه وكفر وإلحاد أعظم من هذا ، !! سبحانك يا الله هذا بهتان عظيم ، وتعالى وتقدس عن إفكهم علوا كبيرا ، وتعالى وتقدس عن أن يشاركه أو يماثله أحد من

(١) أي : أنا الله !!

(٢) انظر كتابه : شطحات الصوفية ص/٣٦-٣٧ .

(٣) انظر : كتاب النور من كلمات أبي طيفور ص/٨٤ . ذكر الدكتور عبدالرحمن بدوي أن مؤلفه مجهول والصواب أن الكتاب كما ذكر شيخ الإسلام لأبي الفضل القلبي ، جمعه من كلام أبي يزيد البسطامي وسماه : « النور من كلمات طيفور » انظر : رسالة في علم الباطن والظاهر : لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٢٥٧/١٣ .

خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله !

وزعم أبو يزيد أن ولي الصوفية العارف هو الذي يتصف بصفات الله فيقول في ذلك : « أدنى صفة العارف أن تجري فيه صفات الحق ، وجنس الربوبية »^(١) !! فالعارف في نظر أبي يزيد هو الذي تجري فيه صفات الخالق ، فتكون صفاته من جنس صفات الربوبية الخاصة بالله ، وذلك عن طريق الاتحاد المزعوم ، فيصبح هذا العارف على زعم أبي يزيد وأضرابه الصوفية جزءاً من الله ، يتصف بصفاته ، ويفعل أفعاله ، تعالى الله عن أن يتحد به أحد من خلقه ، بل هو عز وجل العلي الأعلى بائن من خلقه مستو على عرشه^(٢) ليس كمثل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله !!!

٢ - وإذا انتقلنا إلى ملحد آخر من أئمة الصوفية الغلاة وأقطابهم المدعو الحسين بن منصور الحلاج^(٣) ت ٣٠٩ هـ نجده يقرر عقيدة الحلول والاتحاد بينه وبين الخالق ويشبه نفسه بالخالق تعالى ، ومن مقالاته في ذلك :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا^(٤)

(١) النور من كلمات أبي طيفور . ضمن شطحات الصوفية ص/ ١٠٢ .

(٢) سيأتي نقد عقيدة الاتحاد وتنزيه الله عنها في الباب الرابع انظر : ص/ ٨٤٤ .

(٣) أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج فارسي الأصل ، فيلسوف صوفي مشعوذ محتال ، كان يدعي كل علم ، جسوراً على السلاطين ، مرتكباً للعظائم ، يقول بالحلول ويدعي الأروحية عند أصحابه ، فسمع بأمره المقتدر بالله الخليفة العباسي ، فأمر بالقبض عليه ، فسجن وحقق معه ، فأقر بما كان يقول به من الحلول والشعوذة ، وأصر على ذلك ، فحكم عليه من قبل مجلس القضاء بالقتل والصلب ، فصلب ثم حُزَّ رأسه ، وكان ذلك سنة ٣٠٩ هـ وادعى أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقى شبهه على عدوله انظر : سير أعلام النبلاء ١٤/٣١٣-٣٥٣ وميزان الاعتدال ١/

(٤) الطواسين للحلاج ص/ ١٣٤ .

فالحلاج في هذا النظم يقرر حلول الله فيه ، وأنه كما زعم لافرق بينه وبين الله فروحه روحه ، وأن من نظر إلى الحلاج كما يأفك فقد نظر إلى الله ، ومن نظر إلى الله فقد أبصر الحلاج وبهذا جعل نفسه ربا يتصف بصفات الخالق فشبهها بالله تعالى ، وشبهه الرب تعالى به ، حيث جعله لافرق بينه وبينه ، يتصف بصفاته ، وهذا ما صرح به في قوله : « لافرق بيني وبين ربي إلا في صفتين ، وجودنا منه ، وقوامنا به » (١) .
فما عدا صفة الإيجاد والقيومية كما يزعم هذا الأفاك لا يوجد فرق بينه وبين الله في جميع الصفات تعالى الله عن أن يشابهه ويمثله أحد من خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله علوا كبيرا !!

وقد شبه الحلاج الله تعالى بالبشر حين زعم أنه ظهر في سورة الإنسانية بحلولة في الإنسان ، ووصفه بصفات الإنسان حين زعم أنه ظهر في صورة الآكل الشارب فقال في ذلك :

سبحان من أظهر ناسوته سِرَّ سنا لاهوته الشاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل الشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب (٢)
وهكذا فإن الحلاج يقرر تقريرا واضحا حلول اللاهوت في الناسوت كما يقول النصارى بحلول اللاهوت في عيسى عليه السلام ، ويصف الخالق تعالى بصفات الإنسان الناقص فيشبهه بالخلق ، ويشبه المخلوق به فيزعم أنه لافرق بينه وبين الخالق عز وجل في الذات والصفات إلا في الإيجاد والقيومية ، تعالى الله عن أن يحل في أحد من خلقه ، بل هو عال على خلقه بائن عنهم ، مستو على عرشه على

(١) المرجع نفسه ص/١٩٨ .

(٢) المرجع نفسه ص/١٣٠ .

الوجه اللائق به عز وجل^(١)، ليس له شبيه ولا مثيل ولا نظير ، وتعالى وتقدس عن أن يكون له شبيه ومثيل من خلقه ، بل هو عز وجل الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ !

٣ - وهذا أبو حامد الغزالي^(٢) ت ٥٠٥ هـ يصف التصوف المقيت بأنه المنقذ من الضلال^(٣)، ويقر عقيدة وحدة الوجود ، ويثبها في كتبه ، ككتابه الذي سماه : « إحياء علوم الدين » وكتابه الآخر الذي سماه : « مشكاة الأنوار » الذي خصصه لشرح آية النور^(٤)، شرحاً باطنياً ، والذي صار كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله كالعنصر لمذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود^(٥)!!

ومما ذكره الغزالي في الحلول والاتحاد وأقره بقوله : « العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق ، لكن منهم من كان له هذه الحال عرفانا علميا ، ومنهم من صار منه ذلك حالا ذوقيا ، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية ... فلم يبق عندهم إلا الله ، فسكروا سكرًا رُفِعَ دونه سلطان عقولهم فقال بعضهم : « أنا الحق »^(٦) وقال الآخر : « سبحاني ما أعظم شأنني »^(٧) وقال

(١) سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل ، عند بيان موقف أهل السنة من المشبهة الحلولية الذين يستدلون بنصوص المعية وغيرها لإثبات أن الله معهم في الأرض انظر : ٥٧/٢ - ٧٧ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٦٩/١ .

(٣) انظر كتابه : المنقذ من الضلال ص/٨ .

(٤) الآية [٣٥] من سورة النور ﴿ الله نور السموات والأرض ... ﴾

(٥) انظر كتابه بغية المرئاد ص/١٩٨ .

(٦) قائلها الحلاج . انظر كتابه : الطواسين ص/١٨٠ .

(٧) قائلها أبو يزيد البسطامي انظر : النور من كلمات أبي طيفور ص/١٠١ .

الآخر : « ما في الجبة إلا الله »^(١) وكلام العشاق في حال السكر يُطوى ولا يُحكى »^(٢) !!

فأبو حامد الغزالي يقرر عقيدة وحدة الوجود بقوله : « اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق » وقوله : « وانتفت عنهم الكثرة بالكلية ... فلم يبق عندهم إلا الله » وقرر بما ذكره كذلك مقالة الحلول والاتحاد بذكر مقالات من سبقه في ذلك كأبي يزيد البسطامي ، والحلاج ، واعتذر لهم بأن هذا كان منهم في حال السكر ، وأوصى بكتمان ذلك قائلا : « وكلام العشاق في حال السكر يُطوى ولا يُحكى » !!!

ويقسم الغزالي التوحيد إلى أربع مراتب :

الأولى : أن يقول بلسانه « لا إله إلا الله » وقلبه غافل عنها أو منكر لها كتوحيد المنافقين .

والثانية : أن يُصدِّق بمعنى اللفظ كما صدَّق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام .
والثالثة : أن يُشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين .
والرابعة : أن لا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين ، وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد ، لأنه من حيث لا يدري لا يرى إلا واحداً ، فلا يرى إلا نفسه أيضا ، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده .

ثم ذكر أن المرتبة الرابعة التي هي وحدة الوجود هي : الغاية القصوى في التوحيد^(٣) !! فأبو حامد الغزالي يعتبر التصديق بكلمة التوحيد واعتقاد ما تضمنته

(١) يُحكى أن قائلها الحلاج وقد بحثت عنها في كتابه الطواسين فلم أجدها .

(٢) مشكاة الأنوار للغزالي ص/١٣٩-١٤٠ .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي ٢٦٢/٤-٢٦٣ .

من الإخلاص لله تعالى بالعبادة اعتقاد العوام ، ومعلوم أن ذلك اعتقاد النبي ﷺ وأصحابه ومن اقتفى أثرهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين !!
ويجعل القول بوحدة الوجود الكفري الإلحادي هو الغاية القصوى في التوحيد ويسميه : مقام « الصديقين » فهل كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه صديق الأمة يقول وحاشاه كما يقول هؤلاء الملاحدة : « إن التوحيد أن لا يرى في الوجود إلا واحداً » !!!

ومقالات أبو حامد الغزالي في الحلول ووحدة الوجود كثيرة جدا مبثوثة في كتبه التي يعكف البعض في دراستها ، واستنباط مناهج التربية منها ، والدفاع عنها مع ما تضمنته من مقالات أهل الحلول ووحدة الوجود الكفرية !!

وقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله مقالة جامعة حول كتاب الإحياء ، وما اشتمل عليه من خير وشر وما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم ، يحسن أن أذكرها هنا نظرا لما عليه بعض العلماء وطلاب العلم في عالمنا الإسلامي تجاه كتاب الإحياء من العكوف على قراءته ومدحه وأخذ مناهج التربية منه مع ما اشتمل عليه من عقائد فاسدة ومنها عقيدة الحلول والاتحاد !

يقول الإمام الذهبي رحمه الله في هذا الكتاب : « أما الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة ، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء^(١) ومنحرفي الصوفية ، نسأل الله علما نافعا ، تدري ما العلم النافع ، هو ما نزل به القرآن ، وفسره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وفعلاً ولم يأت نهياً عنه ، قال « ... فمن رغب عن سنتي فليس مني »^(٢) فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله

(١) يقصد الفلاسفة !!

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب النكاح ٣/٦٥٠ ح ٥٠٦٣ ومسلم في كتاب النكاح ٢/

ويأدمان النظر في الصحيحين ، وستن النسائي ، ورياض الصالحين ، وأذكاره ، تفلح وتنجح ، وإياك وآراء عباد الفلاسفة ، ووظائف أهل الرياضات ، وجوع الرهبان وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات ، فكل الخير في متابعة الحنفية السمحة فواغوثاه بالله ، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم»^(١)

وقد ندم أبو حامد الغزالي لخوضه في مثل هذه المقالات الفاسدة الكفرية ، فأقبل في آخر عمره على مطالعة كتب الحديث ، وقد مات كما ذكر شيخ الإسلام وهو يشتغل في صحيح البخاري^(٢) فلعل الله عز وجل يتوب عليه ويغفر له ، إنه هو التواب الرحيم !!

لكن أفكاره ومقالاته بقيت في كتبه ، ومنها مقالة الحلول ووحدة الوجود فيجب الحذر منها ، وتحذير الناس عنها ، وإبطالها وتنزيه الله عنها !!
 ٤ - وهذا ابن الفارض^(٣) ت٦٣٢ هـ يقرر عقيدة الاتحاد ووحدة الوجود الكفرية ويدعو إليها ، ويصف نفسه بصفات الله تعالى فيشبهها بالخالق ، فهو كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله من أهل الإلحاد القائلين بالوحدة والحلول والاتحاد^(٤) ومن مقالاته في الاتحاد :

وحز بالولاء ميراث أرفع عارف غداً همه إيثار تأثير همة

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٩-٣٤٠ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل ١/١٦٢ ونقض المنطق ص/ ٦٠ وضمن مجموع الفتاوى ٤/٧٢٢ وراجع :

الصواعق المرسله لابن القيم ٣/٢٨٢ .

(٣) أبو حفص عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي المصري ، يلقب عند الصوفية بسليمان العاشق ، سلك طريق التصوف ، وغلا في ذلك حتى خرج إلى البراري والخرابات ، قال عنه الإمام الذهبي : « ينطق بالاتحاد الصريح في شعره ، وهذه بلية عظيمة فتدبر نظمه ولا تستعجل » مات سنة ٦٣٢ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٦٨ وميزان الاعتدال ٣/٢١٤ والأعلام ٥/٥٥ .

(٤) انظر : كتاب توحيد الربوبية ضمن مجموع الفتاوى ٢/١١٥ و١٢٤ .

وَتِه صَاحِبًا بِالسَّحْبِ أَذْيَالٍ عَاشِقٍ بِوَصْلِ عَالِيِ أَعْلَى الْمَجْرَةِ جُرَّتْ
 وَجُلَّ فِي فَنُونِ الْإِتِّحَادِ وَلَا تَحْدُ إِلَى فِئَةٍ فِي غَيْرِهِ الْعَمْرُ أَفْنَتُ (١)
 ففي هذه الأبيات يدعو إلى السير على منهج غلاة المتصوفة القائم على الاتحاد
 ووحدة الوجود ، وإفناء العمر في هذا الإلحاد الكفري !!
 ويقرر عقيدة الاتحاد فيشبه نفسه بالله ، والله به ، فيزعم أنه الله ، وأن الرسول جاء
 منه إليه ، وهو نفسه الرسول والمُرْسَل والمُرْسَل إليه لافرق في ذلك على زعمه ،
 فالكل واحد ، فيقول في ذلك :

فقد جاءني مني رسول عليه ما عنت عزيز بي حريضٌ لرأفةٍ
 وحكمي من نفسي عليها قضيته ولما تولت أمرها ما تولت
 ومن عهد عهدي قبل عصر عناصري إلى دار بعثٍ قبل إنذارٍ بعثةٍ
 إليّ رسولاً كنت مني مرسلًا وذاتي بآياتي عليّ استدلّت (٢)
 فابن الفارض في هذه الأبيات كما ذكر الشيخ عبد الرحمن الوكيل يزعم أنه منذ
 القدم كان الله ، ثم تلبس بصورة النفس ، فأرسل بصفته وجوداً متجرداً ، رسولاً
 إلى نفسه بصفته وجوداً مقيداً بالتعين ، فهو المرسل والرسول ، والمرسل إليه ، كان
 كذلك كما يَأْفِكُ حتى في غاية الأزل (٣) !!

ويشبه ابن الفارض نفسه بالخالق عز وجل فيزعم أن ملكوت كل شيء بيده ، وأنه
 أصل كل الحياة ، ولاحقٍ إلا من حياته ، ويقرر عقيدة وحدة الوجود فيدعي أنه
 لاناظر ولا ناظر إلا هو ، ولا سميع سواه ، وينسب خلق الخلائق إلى نفسه ، مُدْعِيًا
 أنه الرب الخالق فيقول في ذلك :

(١) ديوان ابن الفارض ص/٤٠-٤١ .

(٢) المرجع نفسه ص/٥٠ .

(٣) انظر : تعليقاته على مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي ص/٧٣ .

ولولاي لم يُوجد وجودٌ ولم يكن شهودٌ ولم تعهد عهدٌ بذمة
فلا حيٍّ إلا من حياتي حياته وطوع مرادي كل نفسٍ مريدة
ولا قائلٌ إلا بلفظي محدثٌ ولا ناظرٌ إلا بناظرٍ مُقلتي
ولا منصتٌ إلا بسمعي سامعٌ ولا باطشٌ إلا بأزلي وشدتي
ولناطقٍ غيري ولا ناظرٍ ولا سميعٍ سواي من جميع الخليقتِ (١)

وقصيدته التائية مليئة بمقالات الوحدة والاتحاد والشرك والتشبيه ، وقد أحسن
شيخ الإسلام رحمه الله حين وصف ابن الفارض وقصيدته الإلحادية بقوله : « وابن
الفارض - من متأخري الاتحادية - صاحب القصيدة التائية المعروفة بـ « نظم السلوك »
وقد نظم فيها الاتحاد تنظيماً رائعاً اللفظ ، فهو أبحث من لحم خنزير في صينية من
ذهب ، وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك ، . . وقد نفقت كثيراً ، وبالغ أهل
العصر في تحسينها والاعتداد بها بما فيها من الاتحاد » (٢).

ويقول الإمام الذهبي عن ابن الفارض وقصيدته التائية الإلحادية : « صاحب
الاتحاد الذي ملأ به التائية ... فإن لم يكن في تلك العقيدة صريح الاتحاد الذي
لاحيلة في وجوده فما في العالم زندقة ولا ضلال ، اللهم ألهمنا التقوى وأعدنا من
الهُوى ، فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . . » (٣).

٥ - وإذا انتقلنا إلى ابن عربي (٤) الملقب ت ٦٣٨ هـ نجد أنه يقرر عقيدة الاتحاد ووحدة

(١) ديوان ابن الفارض ص/ ٦١ .

(٢) نقض المنطق ص/ ٦٢ وضمن مجموع الفتاوى ٧٤-٧٣/٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٦٨/٢٢ .

(٤) أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائفي الأندلسي ، الملقب عند الصوفية « بالشيخ
الأكبر » الفيلسوف المتصوف ، صاحب وحدة الوجود ، أراق أهل مصر دمه كما أريق دم
الحلاج لمقالاته الكفرية ، كوحدة الوجود ، فسمى في خلاصه : علي بن فتح البجائي ، فسافر
إلى دمشق ، واستقر بها ، وألف كتباً كثيرة أوصلها بعضهم إلى أربعمئة كتاب منها : =

الوجود ، ويدعو إليها بكل همة ونشاط ، وقد افترى للصوفية كما ذكر الشيخ عبد الرحمن الوكيل ربًا عجيبًا يجمع بين النقيضين المتوترين في ذاته ، وبين الضدين في صفاته فهو الوجود الحق ، وهو العدم الصّرف ، هو الخالق ، وهو المخلوق ، وهو عين كل كائن ، وصفاته عين كل موجود وكل معدوم ، فهو المؤمن ، وهو الكافر وهو الموحّد الخالص التوحيد ، وهو المشرك الأصمّ الوثنية ، وهو الجماد الغليظ وهو الحيوان ذو المشاعر المرهفة وهو الملائك الساجد تحت العرش ، وهو الشيطان الذي يصطرخ في سقر^(١) . تعالى الله عن ذلك وتقدس علوا كبيرا !!! .

وقد ألفت هذا الطاغوت كتبا كثيرة قرر فيها عقيدة وحدة الوجود الكفرية ودعا إليها علانية بكل جرأة ، زاعما أن كل شيء هو الله ، وشبه الله تعالى بكل خصائص وصفات المخلوقين ، ومن مقالاته في ذلك قوله كما يزعم : « ... فإنّ العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء »^(٢) !!

وكلمة « شيء » في دين هذا الطاغوت كما ذكر الشيخ عبد الرحمن الوكيل تُطلق حتى على الصور الذهنية والوهمية وعلى العدميات ، فوق إطلاقها على كل موجود له كيانه المادي المستقل المتقوم بذاتيته وخصائصه ، فابن عربي أصرح الدعاة إلى القول بوحدة الوجود ، بل هو كاهنها الأكبر^(٣) !!

وذكر ابن عربي أن العارف المكمل هو من يرى كل معبود منجلى للحق يعبد عليه ، ولذا سموه كلهم إليها مع اسمه الخاص بحجر أو حيوان أو إنسان أو

= « الفتوحات المكية » و « مشاهد الأسرار القدسية » مات سنة ٦٨٣ هـ انظر : سير أعلام النبلاء

٤٨/٢٣ وميزان الاعتدال ٦٥٩/٣ والأعلام ٢٨١/٦ .

(١) انظر كتابه : هذه هي الصوفية ص/٣٤ .

(٢) فصوص الحكم لابن عربي ١٩٢/١ .

(٣) انظر كتابه : هذه هي الصوفية ص/٣٥ .

كوكب أو ملك^(١) !!

لأن الكل على نحلته الفاسدة آلهة حسب عقيدته في وحدة الوجود بين الخالق والمخلوق ، وعلى هذا فإن المشركين عُباد الأصنام والأوثان والحيوانات والملائكة والبشر عنده مؤمنون ، لأنهم على معتقده الكفري ما عبدوا إلا الله ، حيث لا فرق عنده بين الخالق والمخلوق في الذات والصفات !!
لذا يقول نظما :

فأنت عبدٌ وأنت ربٌّ لمن له فيه أنت عبدٌ
وأنت ربٌّ وأنت عبدٌ لمن له في الخطاب عبدٌ^(٢)
ويقول :

فيحمدني وأحمده ويعبديني وأعبده
ففي حال أقربه وفي الأعيان أجحده
فيعرفني وأنكره وأعرفه فأشهده^(٣)
ولما جعل هذا الطاغوت الخالق هو المخلوق ، والمخلوق هو الخالق قرر أن الله يتصف بجميع صفات العبد المحدثات ، وأن المخلوق المحدث يتصف بجميع صفات الرب^(٤). تعالى الله وتنزه عن ذلك علوا كبيرا ، وتقدس عن أن يماثله أحد من خلقه علوا كبيرا !!

فابن عربي وأضرابه أهل الوحدة والاتحاد وصفوا الله تعالى بجميع صفات النقائص والعيوب ، وقد فاقوا المشبهة المجسمة في الكفر والإلحاد كما ذكر شيخ

(١) فصوص الحكم ١/١٩٥ .

(٢) فصوص الحكم لابن عربي ١/٩٢ .

(٣) المرجع نفسه ١/٨٣ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ١/١٩٥ .

الإسلام لأن غاية كفر المشبهة أن يجعلوه مثل خلقه !!
لكنهم كانوا يقولون : هو قديم ، وهي محدثة ، وهؤلاء جعلوه عين المخلوقات
وجعلوه نفس الأجسام المصنوعة ، ووصفوه بجميع النقائص والآفات التي يُوصف
بها كل كافر ، وكل فاجر ، وكل شيطان ، وكل سبع ، وكل حية من الحيات
فتعالى الله عن إفكهم وضلالهم وسبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا^(١) !!
٦ - وإذا انتقلنا إلى عبد الكريم الجيلي^(٢) ت ٨٣٢ هـ لأختم به النماذج التي ذكرتها
من مقالات أرباب الفكر الصوفي في الحلول والاتحاد ووحدة الوجود والتشبيه
نجده يتبنى ذلك ويقرر ما أصله أسلافه السابقون من القول بالاتحاد والوحدة
ويدعي الربوبية كما ادعاها سلفه البسطامي والحلاج ، ويشبه نفسه بالخالق عز وجل
ومن مقالاته في ذلك قوله : « إذا تجلى الله على عبد من عبيده في اسم من أسمائه
اصطلم^(٣) العبد تحت أنوار ذلك الاسم ، فمتى ناديت الحق بذلك الاسم أجابك
العبد لوقوع ذلك الاسم عليه ، فأول مشهد من تجليات الأسماء : أن يتجلى الله
لعبيده في اسمه الموجود ، فيطلق هذا الاسم على العبد ، وأعلى منه تجليه في اسمه
الأحد ، وأعلى منه تجليه في اسمه الله ، فيصطلم العبد لهذا التجلي ويندك جبلة
فيناديه الحق على طور حقيقته : إنه أنا الله هنالك يمحو الله اسم العبد ويثبت له
اسم الله ، فإن قلت يا الله ، أجابك هذا العبد : لييك وسعديك ، فإن ارتقى وقواه الله

(١) انظر : كتاب توحيد الربوبية ضمن مجموع الفتاوى ١٢٦/٢ .

(٢) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني ، من كبار
مشايخ الصوفية ، ومن القائلين بالاتحاد ووحدة الوجود ، له مصنفات كثيرة في التصوف ، منها :
« الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل » و « شرح مشكلات الفتوحات المكية » مات سنة
٨٣٢ هـ انظر : كشف الظنون ص / ١٨١ ومعجم المؤلفين ٣١٢/٥ والأعلام ٥٠/٤ - ٥١ .

(٣) الاصطلام في اصطلاح الصوفية هو : الوله الغالب على القلب وهو قريب من الهيجان . انظر :
معجم مصطلحات الصوفية للدكتور الحفني ص / ١٧ مادة « اصطلم » .

وأبقاه بعد فوائه كان الله مجيباً لمن دعا هذا العبد . فإن قلت مثلاً : يا محمد أجابك الله : لبيك وسعديك «^(١)!! .

فقد قرر هذا الملحد بما ذكره اتحاد الخالق بالخلق ، واتصاف الخلق بصفات الخالق حتى أنه جعل الإنسان يرتقي إلى أن يفنى في ذات الله تعالى ، فحيثما كما زعم تتلاشى الفروق بين الله والإنسان ، فيكون هو الله ، والله كما يأفك هو الإنسان ذاتا وصفاتا وهل يوجد كفر وإلحاد أعظم من هذا ، تعالى الله عن أن يماثله أحد في ذاته وربوبيته وألوهيته وصفاته أحد من خلقه علوا كبيرا ، بل هو تعالى كما قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ !!

وهذا الجيلي الملحد كان يعتقد كما ذكر الشيخ عبد الرحمن الوكيل أن الله ما هو إلا إنسان كامل ، وأن الإنسان الكامل ما هو إلا الرب الأكبر ، الجامع بين الحق والخلق في الوحدة^(٢)، ولقد رأى ألا يمين بهذه المرتبة على أحد قبله فمضى يؤكّد أن إنسانيته هي أفق الربوبية والألوهية الأسمى^(٣)!!

فصور له شيطانه أنه هو الرب له ملك الدنيا والآخرة فشبه بذلك نفسه بالخالق قائلاً :

لي الملك في الدارين لم أر فيهما سواي فأرجو فضله فأخشاه
ولا قبل من قبلي فالخلق شأنه ولا بعد من بعدي فأسبق معناه
وقد حُزرت أنواع الكمال وإنني جمالُ جلال الكون ما أنا إلا هو
فمهما ترى من معدنٍ ونباتٍ وحيوانه مع إنسه وسجاياه
فمهما ترى من عنصر وطبيعة ومن هباءٍ للأصل طيب هيولاه

(١) الإنسان الكامل للجيلي ٥٩/١ .

(٢) ولذا أُلّف لتقرير هذا الكفر كتابه الذي سماه « الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل » .

(٣) انظر كتابه : هذه هي الصوفية ص/٤٤ .

ومهما ترى من أبحر وقفاره ومن شجرأو شاهق طال أعلاه
فإني ذاك الكل والكل مشهدي أنا المتجلي في حقيقته لاهو
وإني رب لأنام وسيد جميع الورى اسم وذاتي مسماه
لي الملك والملكوت نسجي وصنعتي لي الغيب والجبروت مني منشأ^(١) !!
هذا قول الجيلي الملحد والله تعالى يقول : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
عَلَمِي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٨٩] ويقول عز وجل : ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ
وَالْأُولَى ﴾ [النجم : ٢٥] ولكن الجيلي يفترى أن له وحده ملك الدنيا والآخرة ،
وأنه ليس للوجود رب سواه ، ولاليوم الدين ملك غيره ، بل هو ملك الكل
ومالكهم ، ولم يكتف بهذا ، بل مضى يعدد أنواع الخلق ، وصور الوجود المادي
والحسي والروحي والمعنوي ، ليزعم بعدها أنه هو عينها ذاتا ووجودا ، ونعق بعد
ذلك ليحكم أنه هو المتجلي في حقيقة الوجود ، وليصرح أنه الرب للخلائق^(٢) !!
فهل يوجد إلحاد وكفر وتشبيه أعظم من هذا ، تعالى الله عن أن يشاركه أو يماثله
أحد من خلقه في ذاته وربوبيته ، وألوهيته ، علوا كبيرا !!
والجيلي هذا الذي يدعي الربوبية لما قرر عقيدة وحدة الوجود ، زعم أن الكفار
والمشركين والمجوس وغيرهم على الصواب لأنهم عابدون لله تعالى فيقول في ذلك :
« ... إن الكفار عموما والمجوس واليهود والنصارى وغيرهم من الملل والطوائف
عابدون لله تعالى كما ينبغي أن يعبد »^(٣) !!
ويعلل ذلك بقوله : « لأن الله تعالى أظهر في هذه الملل حقائق أسمائه وصفاته في

(١) الإنسان الكامل للجيلي ٣١/١-٣٢ .

(٢) انظر : هذه هي الصوفية ص/٤٤-٤٥ .

(٣) الإنسان الكامل ١٢٢/٢ .

جميعها بذاته ، فعبدته جميع هذه الطوائف «^(١)!!

ويشبه الإنسان بالله تعالى فيزعم أن الإنسان الكامل يصير سمعه سمع الله ، وبصره بصره وكلامه كلامه ، وحياته حياته ، وعلمه علمه ، وإرادته إرادته ، وقدرته قدرته^(٢) .

تعالى الله عن أن يأمر بالكفر والإلحاد ، ويظهر حقائق أسمائه وصفاته في مخلوقاته بل هو عز وجل قد أمر بتوحيده وعبادته وحده لا شريك له وبين أن الخلق ما خلقوا إلا لهذا بقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] وتعالى أن يتحد بخلقه ، بل هو العلي الأعلى البائن عن مخلوقاته مستو على عرشه ، وتعالى أن يشبهه أحد من خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله بل هو عز وجل ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله ، متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص والعيوب ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ !!

ومقالات أرباب الفكر الصوفي وأقطابه أعظم من أن تحصر ، وإنما ذكرت منها بعض النماذج ليعلم أن غلاة المتصوفة قد قالوا بمقالة التشبيه ، بل فاقوا المشبهة الممثلة فوصفوا الله بجميع صفات النقص والعيوب ، بل جعلوا الله تعالى نفس أجسام المخلوقات ، فوصفوه بكل ما تتصف به من صفات النقص والعجز ، كما وصفوا المخلوقات بكل ما يتصف به الرب تعالى من صفات الكمال والجلال . تعالى الله عن مقالاتهم الكفرية ، وتقصد علوا كبيرا .

وسياتي نقض مقالة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وتنزيه الله عن ذلك ، عند بيان وقوع الصوفية المعاصرين في مقالة التشبيه ، ومتابعتهم لأسلافهم في ذلك على وجه التفصيل^(٣)!!

(١) المرجع نفسه ١٢٢/٢ .

(٢) انظر : الإنسان الكامل للجيلي ص/٢٦ .

(٣) انظر : ١٢٣/٣ - ١٣٤ .

المطلب الثاني

التعريف بطائفة الكرامية ومقاتلهم في التجسيم والتشبيه

ومن الطوائف الذين قالوا بالتجسيم ونسب إليهم التشبيه الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني المتكلم^(١) إحدى فرق المرجئة^(٢) حيث قالوا الإيمان هو الإقرار

(١) أبو عبد الله محمد بن كرام بن عراق بن حزابة السجستاني العابد المتكلم ، شيخ الكرامية وإمامهم ، قال عنه الإمام ابن حبان : « تُحْدِلُ حَتَّى تَقْطُطَ مِنَ الْمَذَاهِبِ أُرْدَاهَا وَمِنَ الْأَحَادِيثِ أَوْهَاهَا » جاور مكة خمس سنين ثم سجن بنيسابور ثمانية أعوام حبسه أميرها طاهر بن عبد الله ، ثم أخرج وسار إلى بيت المقدس فاستقر بها وذكر العلامة السكسكي أنه خرج من نيسابور ومعه شمائمة كتيبة من أجل الناس غير التابع ، ثم ذكر نسكهم وأن لباسهم البرانس ، والمسايخ في أيديهم . ومات ابن كرام في بيت المقدس سنة ٢٥٥ هـ ومن مؤلفاته كتابه « عذاب القبر » ذكره عبد القاهر البغدادي ووصف ما فيه من عبارات ركيكة وبدع ، مثل قوله : « باب في كيفوية الله » انظر ترجمته في : ميزان الاعتدال ٢١/١ ولسان الميزان ٤٧٨/٦-٤٨٧ والأعلام ١٤/٧ وراجع : الفرق بين الفرق ص/٢٠١-٢٠٢ والبرهان في عقائد أهل الأديان ص/٣٥-٣٦ والملل والنحل ١/١٠٨ وترجمت له الدكتورة سهير محمد مختار في كتابها التجسيم عند المسلمين - مذهب الكرامية - ترجمة مطولة من ص/٤٥-٦٦ .

(٢) المرجئة اسم فاعل من الإرجاء وهو على معنيين :

أحدهما : بمعنى التأخير يقال : « أرجيت الأمر » و « وأرجأته » إذا أخرته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين ﴾ [الأعراف : ١١١] وقوله تعالى : ﴿ ترجي من تشاء منهم ﴾ [الأحزاب : ٥١] أي : تؤخر .

والثاني : إعطاء الرجاء . وإطلاق المرجئة على المعنى الأول : لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد . وأما على المعنى الثاني : فإنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة انظر : مقالات الإسلاميين ٢١٣/١ وتعليقات محمد محيي الدين عليه نفس الصفحة رقم ١/الملل والنحل ١/١٣٩ . ولسان العرب ٣١١/١٤ مادة « رجا » .

باللسان بالتوحيد دون التصديق بالقلب وعمل الجوارح^(١)!!
 وكان ابن كرام وأتباعه من مثبتي الصفات ولذلك يعدون من طوائف الصفاتية
 الذين يثبتون الصفات^(٢) إلا أنهم خاضوا في طلب كيفيات بعض الصفات إلى أن
 انتهى بهم المقام إلى القول بالتجسيم ونسب إليهم التشبيه^(٣).^(٤) وقد أطلقوا على الله
 تعالى أنه جسم^(٥)، ولذا اعتبرهم العلماء من أهل البدع وأنهم مجسمة!!
 فقد ذكر الإمام ابن حزم بأن مذهب الكرامية التجسيم^(٦). وذكر الشهرستاني أن
 ابن كرام أطلق على معبوده اسم الجواهر، فقال في كتابه المسمى «عذاب القبر»:

= وهم أصناف عددهم شيخ الإسلام إلى ثلاثة أصناف :

- ١- الذين يقولون : الإيمان مجرد مافي القلب . وهم الجهمية .
 - ٢- من يقول : الإيمان مجرد قول اللسان وهم الكرامية .
 - ٣- من يقول : الإيمان تصديق القلب وقول اللسان وهو المشهور عن أهل الفقه .
- كأبي حنيفة ومن تبعه على ذلك من أتباعه . انظر : الرسالة التدمرية ص / ٣٥ وضمن مجموع
 الفتاوى ١٠٣/٣ وكتاب الإيمان ضمن مجموع الفتاوى ١٣٢/٧ وراجع : شرح العقيدة الطحاوية
 ص/٣٧٣-٣٧٤ وتعليقات الدكتور موسى الدويش على ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين فرقة
 المخالفة للسنة والمبتدعين لعبد الله الياضي ص/١٣٢ رقم ١/ .
- (١) انظر : الغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني ٩١/١ وكتاب الإيمان لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى
 ١٩٥/٧ و٤٧٥ وشرح العقيدة الطحاوية ص/٣٧٣ وميزان الاعتدال ٢١/٤ .
 - (٢) انظر : كتاب الأسماء والصفات لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٥١/٦ .
 - (٣) انظر : الفرق بن بين الفرق ص/١٩٨-١٩٩ والتبصير في الدين ص/١١٩-١٢٠ والمختار في أصول
 السنة لابن البنا الحنبلي ص/٩٠ والمثل والنحل ١/١٠٨ وفتح الباري ١٣/٢٥٣ وموقف شيخ
 الإسلام ابن تيمية من الكرامية في الإلهيات ص/١٧٠-١٧٢ .
 - (٤) سيأتي موقفهم من بعض الصفات وبيان تشبيههم في ذلك ، وطلبهم البحث عن كيفية بعض
 الصفات كصفة الاستواء انظر : ١ / ٣٥٤ - ٣٥٥ و ٤١٦ و ٢ / ١٠ و ٢٦ .
 - (٥) سيأتي موقف أهل السنة من ذلك انظر : ١٠/٢ - ١١ .
 - (٦) انظر كتابه : الفصل ٥-٧٣-٤٧ .

إنه أحدي الذات ، أحدي الجوهر ، وأطلق أكثرهم على الله تعالى لفظ الجسم^(١) ، وذكرهم شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن من قال بالتشبيه ، وذكر أنهم مجسمة بقوله : « وكان من تمام الجواب أن الكرامية المجسمة كلهم حنفية »^(٢) ، وذكر المقرئ أن محمد بن كرام أحدث مذهب التجسيم في مقابل مذهب الاعتزال ، وكان بين المعتزلة والكرامية مناظرات وفتن^(٣) . لكن الذي ينبغي أن يُعلم أن الجسم كما تقدم هو الذي يطلق على الله أنه جسم وقد لا يكون مشبهاً إلا إذا تضمن قوله إثبات شيء من خصائص المخلوقين لله تعالى^(٤) .

والكرامية أطلقوا على الله تعالى بأنه جسم لكن فسروا مرادهم بأنه الموجود والقائم بنفسه كما سيأتي وعلى هذا أطلق عليهم العلماء بأنهم مجسمة ، وحكموا عليهم بأنهم مبتدعة وصفوا الله تعالى بما لم يصف به نفسه كما سيأتي^(٥) . كما كانت بينهم وبين الأشاعرة أيضاً مناظرات وجدل ، والمتأمل لمناظراتهم يجد أنهم أقرب إلى الحق من الأشاعرة المعطلة ، وما يدل على ذلك تلك المناظرة التي دارت بين ابن الهيصم^(٦) وبين ابن فورك^(٧) الأشعري في مسألة العلو بحضرة

(١) انظر كتابه : الملل والنحل ١/١٠٨-١٠٩ .

(٢) المناظرة في العقيدة الواسطية لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٣/١٨٥ .

(٣) انظر كتابه : الخطط ٣/٢٨٩ .

(٤) تقدم بيان ذلك عند توضيح الفرق بين التجسيم والتشبيه انظر : ١/٨٤ - ٨٥ .

(٥) انظر : ١٠/٢ و ١١ و ٢٦ .

(٦) سيأتي التعريف به وبطائفته انظر : ٣٠٨/١ .

(٧) أبو بكر محمد بن الحسن الأصبهاني الأشعري المتكلم ، من كبار علماء الأشاعرة وأئمتهم ، قال عنه الإمام الذهبي : « كان أشعرياً رأساً في الكلام » توفي سنة ٤٠٦ هـ انظر : سيرة أعلام النبلاء ١٧/٢١٤ والأعلام ٦/٨٣ .

السلطان محمود بن سبكتكين^(١) ويُقال : إن السلطان محمود قال لابن فورك : فلو أردت أن تصف المعدوم كيف كنت تصفه بأكثر من هذا !!؟
 وقال له : فرق بين هذا الرب الذي تصفه وبين المعدوم !!؟
 فكتب ابن فورك إلى أبي إسحاق الأسفراييني^(٢) يطلب الجواب على ذلك . فلم يكن الجواب إلا أنه لو كان فوق العرش للزم أن يكون جسماً^(٣) !!
 لذا يُعدُّ الكرامية أقرب إلى أهل السنة من معطلة الصفات ، كالمعتزلة والأشاعرة لكونهم وافقوا أهل السنة في إثبات أصل الصفات حتى قال شيخ الإسلام فيهم وفي الكلائية^(٤) : « والكلائية وكذلك الكرامية فيهم قرب إلى أهل السنة والحديث

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٦٥/١ .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأسفراييني الشافعي الأشعري المتكلم ، كانت له مناظرات مع المعتزلة ، وكان فقيها ، من مصنفاته : « الجامع في أصول الدين » توفي سنة ٤١٨ هـ انظر : وفيات الأعيان ٢٨/١ وشذرات الذهب ٢٠٩/٣ .

(٣) انظر : الصواعق المرسله ١٢٨٧/٤ .

(٤) اسم لطائفة كلامية تنتسب إلى عبد الله بن سعيد القطان ، المشهور بابن كلاب ، والمتوفى سنة ٢٤٠ هـ « الذي حاول الرد على المعتزلة بمجرد العقل ، ولم يكن له خبرة بأصول السنة ، وبما كان عليه سلف الأمة ، فالزمه المعتزلة لوازم فاسدة ومقالات اعتقاديته منحرفة كالتقول بنفي الصفات الاختيارية ، نتيجة القول بنفي حلول الحوادث في ذات الله تعالى الذي وافق فيه المعتزلة ، والقول بنفي الحرف والصوت عن كلام الله تعالى ، واعتباره كلاما نفسيا ، وهو أول من أحدث هذه البدعة في الإسلام ، وقال : إن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة بل هو حكاية عن كلام الله ، ويعتبر ابن كلاب إمام طائفة الأشعرية ، حيث أنها في أول أمرها لم تخرج عن آرائه وأفكاره ومعتقداته ، ولا زالت كثير من مسألتها في الاعتقاد لاسيما ما يتعلق بالصفات على مذهب الكلائية . انظر : الفصل لابن حزم ٧٧/٥ والرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي ص/ ٨٠-٨٣ و١٠٦ و٢٢٢ ومسير أعلام النبلاء للذهبي ١١/١٧٤-١٦٧ وكتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨/٤٢٤-٤٢٥ و١٢/١٧٨ ودرء تعارض العقل ٦/٢-١٤ ومنهاج السنة النبوية ٤٢٣/١-٤٢٤ وبغية المرئاد ص/٤١٥ .

وإن كان في مقالة كل من الأقوال ما يخالف أهل السنة والحديث»^(١).
فالكلائية يشتون بعض الصفات فهم أقرب بذلك إلى أهل السنة من المعتزلة الذين يعطلون جميع الصفات وكذا الكرامية يشتون الصفات في الجملة فهم أقرب من الكلائية والمعتزلة من هذه الناحية ، لذا قال عنهم شيخ الإسلام : « ... وأما في الصفات والقدر والوعيد فهم أشبه من أكثر طوائف الكلام التي في أقوالها مخالفة للسنة»^(٢).

لكن في طريقة إثباتهم للصفات يخالفون أهل السنة ، فقد ابتدعوا البحث عن كيفية بعض الصفات المقضية إلى التشبيه ، وأطلقوا على الله أنه جسم ، وجعلوا بعض صفات الله كصفة الكلام حادثة اتصف الله بها بعد أن لم يكن متصفا بها ، وغير ذلك من المسائل التي عددهم بها بعض العلماء من طوائف المشبهة كما سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل^(٣).

وذكر الإمام ابن البنا الحنبلي^(٤) أن الكرامية فيهم قرب إلى أهل السنة ولهم التشبيه^(٥) ! لكن بدعتهم في التشبيه ليست كبدعة طوائف المشبهة الأخرى كالشيعية والصفوية الذي شبهوا الله بخلقه ووصفوه بالعيوب والنقائص ، وشبهوا

(١) كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥٥/٦ .

(٢) الرسالة التدمرية ص/٥٣ وضمن مجموع الفتاوى ١٠٣/٣ .

(٣) عند ذكر موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات الله انظر : ١ / ٣٥٤ - ٣٥٥ و ٤١٦ .

و ٤٥٩ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ١٠/٢ و ٢٦ .

(٤) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن البنا الحنبلي البغدادي ، قال عنه الإمام

الذهبي : « الإمام المفتي المحدث صاحب التوالمف » وذكر ابن البنا أن له كتابا أفرده في

الرد على الكرامية ، فالله مفقود . توفي سنة ٤٧١ هـ انظر : كتابه المختار في أصول السنة

ص/٩٠ وسير أعلام النبلاء ٢٩٣/١٧ .

(٥) انظر كتابه : المختار في أصول السنة ص/٩٠ .

المخلوق بالخالق بتأليهم له وإعطائه ما للرب تعالى من صفات وأفعال كما تقدم
وكما سيأتي^(١)!!

وقد انقسمت الكرامية إلى طوائف ومنها :

١- المهاجرية

أتباع إبراهيم بن مهاجر النيسابوري^(٢) الذي كان يطلق على الله تعالى أنه جسم ،
وأن أسماء أعراض حالة فيه !

وقد وقع في تكليف الله تعالى المفضي إلى التشبيه ، ومن مقالاته في ذلك قوله :
« إن عرض الله مثل عرض العرش لا يفضل منه شيء »^(٣)!

ذكر أبو منصور البغدادي^(٤) أنه ناظر ابن مهاجر في سنة ٣٧٠ هـ على مقالته : « إن
أسماء الله أعراض حالة في جسم » فذكر له البغدادي أنه يلزم من هذا أن يكون
معبوده عرضاً ، لأن المعبود عنده اسم ، وأسماء الله تعالى أعراض حالة في جسم
قديم ، فقال ابن مهاجر : « المعبود عرض في جسم قديم ، وأنا أعبد الجسم دون
العرض » !

قال البغدادي : فقلت له : أنت إذا لاتعبد الله عز وجل ، لأن الله عندك عرض ،
وقد زعمت أنك تعبد الجسم دون العرض^(٥)!!

وابن مهاجر الكرامي وإن كان مبتدعاً في إطلاقه على الله تعالى أنه جسم ، وأن
أسماءه أعراض ، إلا أن ما ألزمه به البغدادي غير لازم له على مقالته المبتدعة ، لأنه

(١) انظر : ١ / ٢٣٥ و ٢٦٤ و ٢٨٣ و ١١/٣ و ٧٣ و ١٠٧ و ١٧٣ و ١٥٤ .

(٢) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه . !

(٣) انظر : الفرق بين الفرق ص/ ٢٠٥ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ص/ ٣٢ .

(٥) انظر : الفرق بين الفرق ص/ ٢٠٦ .

إنما ذكر أنه يعبد الله الذي هو جسم عند الكرامية ، ولم يقل إن الله عرض ، كماله يقل إنه لا يعبد الله ، فلا يلزمه ما ألزمه به البغدادي !!

٢- الإسحاقية

أتباع أبي يعقوب إسحاق بن محمش النيسابوري^(١) الذي عاش في القرن الرابع الهجري ، وقد سار على منهج شيخه ابن كرام ودعا إليه ، وكان نشيطا في الدعوة إلى الإسلام حتى ذكر أنه أسلم على يده نحو خمسة آلاف من أهل الكتاب والمجوس^(٢) . وذكر لإمام الذهبي أن إسحاقا هذا وضع حديثا أسنده إلى أبي الفضل التميمي^(٣) وفيه : « يجيء في آخر الزمان رجل يُقال له محمد بن كرام تحي السنة به »^(٤) أو قال عنه أحمد بن علي بن مهيار الخوارزمي : « كان كذابا يضع الحديث على مذهب الكرامية »^(٥) . وخلفه في طائفته الإسحاقية ولده أبوبكر وانتهج منهج أبيه في الدعوة إلى مذهب الكرامية^(٦) !!

٣- الهيصمية

أتباع أبي عبد الله محمد بن الهيصم الكرامي ، الذي نهج منهج ابن

-
- (١) الواعظ كان من أصحاب ابن كرام ، وانتهت إليه رئاسة الكرامية في بلده نيسابور ، له مصنف في « فضائل محمد بن كرام » توفي سنة ٣٨٣ هـ انظر : الأعلام ٢٩٦/١ .
- (٢) انظر : ميزان الاعتدال ٢٠٠/١ ولسان الميزان ٥٧٣/١ وشذرات الذهب ١٠٤/٣ والأعلام ١/٢٩٦ .
- (٣) أبوا فضل عبدا لواحد بن عبدالعزيز بن الحارث بن أسد التميمي الحنظلي العالم ، كانت بينه وبين أبي حامد الأسفراييني الأشعري مفارقة . توفي سنة ٤١٠ هـ انظر : طبقات الحنابلة ١٧٩/٢ .
- (٤) انظر : ميزان الاعتدال ٢٠٠/١ وراجع : لسان الميزان ٥٧٣/١ .
- (٥) انظر : لسان الميزان ٥٧٣/١-٥٧٤ .
- (٦) انظر : الفتح الوهبي للعتبي ٣١٠-٣١٢ نقلا عن النجسيم عند المسلمين ص/٧٨-٧٩ .

كرام إلا أنه حاول أن يفسر بعض المصطلحات الفلسفية التي أطلقها ابن كرام على الله تعالى كلفظ الجسم ، ذكر الشهرستاني أن ابن الهيثم اجتهد في كل مسألة من مسائل التشبيه حتى ردَّ الخلاف فيها إلى نوع يفهم بين العقلاء مثل التجسيم فإنه قال : أردت بالجسم القائم بالذات ، ومثل الاستواء فإنه نفى المماسية^(١) غير مسألة حلول الحوادث في ذات الله^(٢)

(١) سيأتي موقف أهل السنة من ذلك انظر : ٤٣٠/١ .

(٢) مسألة حلول الحوادث من المسائل الكلامية التي انحرف بها كل من المعطلة والمشبهة :

أ - فالمعطلة المعتزلة ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم فقد عارضوا بها صحيح المنقول ، وأوهموا بها الناس لكونها من الألفاظ الجملة التي تحتل حقا وباطلا ، فإذا قالوا إن الله لا تحمله الحوادث أوهموا من لا يعرف منهجهم الكلامي أنهم يقصدون أن الله تعالى لا يكون محلا للتغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأمور التي تحيلهم وتفسدهم وهذا معنى صحيحا ، لكنهم أرادوا نفى أفعال الله الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته ، من إستوائه على عرشه ، وضحكه ، ومحبته ونحوها من الصفات التي يفعلها الله متى شاء وكيف شاء ، وشنعوا بها على مثبتة الصفات الفعلية ، فرعموا أنهم يثبتون الحوادث في ذات الله تعالى . انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص/١١٤ والمواقف في علم الكلام للإيجي ص/٢٧٥ والمدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام للدكتور نصار ٧٠٢/١ وابن تيمية ليس سلفيا لمنصور عويس ص/١٣٣ وراجع : درء تعارض العقل ١١/٢-١٢ و كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٢٢٠ وكتاب مذهب السلف القويم في تحقيق كلام الله الكريم لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٤٦٠ والصواعق المرسله ٣/٩٣٥-٩٣٦ وشرح العقيدة الطحاوية ص/١٢٨-١٢٩ .

ب - أما المشبهة كالهشامية والكرامية فقد قالوا بحلول الحوادث في ذات الله تعالى ، وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن مقصودهم بذلك أنه لا يقوم به تعالى جنس نوع الحوادث ، فقالوا حدث له من الصفات بذاته مالم يكن حدث ، صار يتكلم بمشيئته بعد أن لم يكن كذلك ، وصار مريدا بعد أن لم يكن ، وقالوا إنه أحدث في ذاته نوع الكلام ولم يكن له قبل ذلك ، انظر : كتاب مذهب السلف القويم في تحقيق كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل =

فإنه تركها على مذهب ابن كرام^(١) !!

وذكر شيخ الإسلام أن الكرامية متفقون على أن الله جسم ، لكن يحكى عنهم نزاع في المراد بالجسم فالمشهور عن ابن الهيصم الكرامي من نظار الكرامية أنهم يفسرون مرادهم بإطلاقهم لفظ الجسم على الله تعالى ، فيقولون المراد بذلك : إنه - تعالى - موجود قائم بنفسه مشار إليه^(٢) .^(٣)

وقد دافع ابن الهيصم عن الكرامية ونفى عنهم أن يكونوا مشبهة ، وأنهم لا يطلقون على الله ما تطلقه المشبهة كقولهم بالهيئة والجوف والمصافحة والمعانقة^(٤)

= ٤٦٠/٣-٤٦١ ومنهاج السنة ٣٧٠-٣٧١ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٣٢٤/٦-٣٢٥ والرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٣١٩/٦ ودرء التعارض ٢/٢٤٥-٢٥٥ وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٣٥-٣٤/٢ والرد على الرافضة للإمام المقدسي ص/٦٤ .

أما أهل السنة والجماعة فأتتوا صفات الله الفعلية المتعلقة بمشيئته وقدرته ، ولم يسموا ذلك « حوادث » ولا قالوا إن إثباتها يؤدي إلى القول بحلول الحوادث في ذات الله تعالى كما فعل المعتلة ، بل قالوا إن هذا اللفظ من الألفاظ الجملة التي لم يرد نفيها ولا إثباتها ، فإن أريد به أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيئ من مخلوقاته المحدثة ، أو يحدث له وصف متجدد لم يكن له من قبل ، فهذا نفي صحيح . !!

وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية كما فعل المعتلة فهذا باطل . انظر : كتاب مذهب السلف القويم في تحقيق كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٦٤٠/٣-٤٦١ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٣٢٤/٦-٣٢٥ والرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٣٩١/٦ والصواعق المرسله ٩٣٥/٣-٩٣٦ وشرح العقيدة الطحاوية ص/١٢٨-١٢٩ .

(١) انظر : الملل والنحل ١/١١٢ .

(٢) انظر : شرح حديث النزول ص/٧٥ وضمن مجموع الفتاوى ٤٢٨/٥ .

(٣) ستأتي مقالة الكرامية وغيرهم من المشبهة إن الله جسم وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ٩/١-١١ .

(٤) ستأتي مقالات بعض المشبهة بذلك وموقف أهل السنة منها انظر : ٣٤٣/١ و٣٥٣ و٣٧٦ .

وإنما يطلقون على الله ماورد به الوحي من إثبات صفة اليد والاستواء والمجىء ، ولا يعتقدون في ذلك معنى فاسدا ، وإنما يطلقون ما أطلقه القرآن فقط ، من غير تكيف ولا تشبيه ، ومالم يرد به القرآن والخبر فلا يطلقونه ، كما أطلقه سائر المشبهة^(١) .

وما ذكره ابن الهيصم عن الكرامية صحيح في الجملة ، فإنهم لا يطلقون على الله ما يطلقه سائر المشبهة من الهيئة والوفرة ونحوها ، لكنهم كما سيأتي يطلقون على الله لفظ الجسم ، ويقولون في بعض الصفات إنها حدثت بعد أن لم تكن كذلك كما أنهم يكيفون في بعض الصفات ، ويستدلون بالأدلة العقلية الفلسفية لتقرير مذهبهم في الصفات^(٢) !!

وقد وقعت بين ابن الهيصم ، وابن فورك مناظرة في مسألة العلو كان الحق فيها مع ابن الهيصم حتى قال السلطان محمود بن سبكتكين لابن فورك : « فرق لي بين هذا الرب الذي تصفه ، وبين المعدوم !!؟ »

ويقال : إنه قال له : فلو أردت أن تصف المعدوم كيف كنت تصفه بأكثر من هذا؟^(٣) ! وألف ابن الهيصم كتابا سماه : « جمل الكلام »^(٤) ونقل منه شيخ الإسلام كلام بعض الطوائف ومذاهبهم في القرآن الكريم ، وذكر أن ابن الهيصم ذكر في مسألة الإرادة والخلق والمخلوق وغير ذلك ما يوافق إثبات الصفات الفعلية القائمة بالله تعالى التي ليست قديمة ولا مخلوقة^(٥) ، لكن الكرامية كما سيأتي قد

(١) انظر : الملل والنحل ١/١١٢ .

(٢) سيأتي بيان ذلك وموقف أهل السنة منه على سبيل التفصيل في الباب الثاني انظر : ٣٥٤/١ - ٣٥٥ و ٣٧٠ و ٤١٦ - ٤١٧ و ٤١٨ و ٤٣٠ و ٩/٢ - ١٠ و ٨٥ - ٨٦ و ١٠١ - ١٠٣ .

(٣) انظر : الصواعق المرسله ٤/١٢٨٧ .

(٤) ذكره شيخ الإسلام في درء التعارض ٢/٤٧ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ٢/٤٨-٤٩ .

فسروا الإرادة بصفات جانبوا فيها الصواب^(١) !! .

لكن هذا الكتاب وغيره من كتب الكرامية لم تصل إلينا ، ولعلها مفقودة فإنه لا يوجد من كتب الكرامية كتاب ينقل منه مذهبهم في الصفات وغيرها^(٢) !! .

وقد استمرت الهيصمية بعد موت زعيمها على يد أحد القضاة ويُدعى مجد الدين بن عبد الحميد ، المعروف بابن القدوة^(٣) ، الذي وقعت بينه وبين أبي عبد الله الرازي مناظرة استطال عليه فيها الرازي فسبه وشتمه وبالغ في إيدائه وهولا يزيد كما ذكر ابن الأثير^(٤) على القول : لا يفعل مولانا ، لا وأخذك الله ، ويستغفر الله عز وجل ، فلما كان من الغد حضر ابن عم القاضي ابن القدوة الكرامي إلى المسجد الجامع فصعد المنبر وقال بعد أن حمد الله عز وجل ، وصلى على النبي ﷺ : « لا إله إلا الله ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول فاكتبنا من الشاهدين ﴾ أيها الناس : إنا لانقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله ﷺ وأما علم أرسطاطاليس^(٥) ، وكفريات

(١) انظر : ٥١٠/١ - ٥١١ .

(٢) لذلك اعتمدت في نقل آرائهم على ما ذكره الإمام ابن البنا الحنبلي وشيخ الإسلام ابن تيمية ، ثم على كتب المقالات من هم خصوم الكرامية ، ولما كان الخصم غالبا لاسيما المعطلة يورد لإزمات خصمه ويبالغ في عرض مذهبه للتشنيع عليه بها ، فإن الحكم على طائفة الكرامية وغيرها من طوائف المشبهة إنما يكون على ضوء مفهوم أهل السنة للتشبيه وهذا المنهج المستقيم هو الذي سأتبعه إن شاء الله تعالى !!

(٣) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه !

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري ، الحافظ المؤرخ النسابة الأديب من مصنفاته : « أسد الغابة في معرفة الصحابة » و « الكامل في التاريخ » توفي سنة ٦٣٠ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٦/٢٠٧ وشذرات الذهب ٥/ ١٣٧ والأعلام ٣٣١/٤ .

(٥) أرسطاطاليس بن نيقوس اليوناني ، من أهل أصطخر ، الفيلسوف ، تتلمذ على أفلاطون ، وله كتب في الفلسفة وفروعها كالطبيعيات ، والإلهيات ، ومنها « أثولوجيا » نقل عنه الشهرستاني .

انظر : الملل والنحل ٢/ ١٠٩-١١٠ .

ابن سينا^(١)، وفلسفة الفارابي^(٢) فلانعلمها ، فَلأَيِّ حالٍ يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن دين الله وعن سنة نبيه « .
وبكى وضج الناس ، وبكى الكرامية واستغاثوا ، وثار الناس من كل جانب وقامت الفتنة حتى كاد الناس أن يقتتلوا ، فبلغ ذلك السلطان ، فأرسل من عنده جماعة إلى الناس وسكنهم ووعدهم بإخراج الرازي من عنده ، وأخرجه^(٣) .
وهذا يدل على أن الكرامية كانوا يثبتون الصفات ، وإن كان عندهم بعض الأدلة والمسائل الكلامية التي وافقوا فيها المعطلة كما سيأتي^(٤) إلا أنهم كانوا يحتجون على إثبات الصفات بالكتاب والسنة ، وكانوا أحسن حالا من متكلمي المعطلة كالرازي الذي جعل عمدته في إثبات الصفات المصطلحات الفلسفية ، والأقيسة الكلامية التي قرر أنها مقدمة على صحيح المنقول^(٥) !! .

كما تدل مقالة ابن عم القاضي ابن القدوة السابقة على أن الكرامية كان لهم نفوذ في عهد الرازي ت ٦٠٦ هـ إلى درجة أن السلطان أمر الرازي بالخروج من

(١) أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا المتفلسف ، كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم بأمر الله القرمطي الباطني ، قال عنه الحافظ بن حجر : « لوروى ما حلت الرواية عنه لأنه فلسفي النحلة ضال لأرضي الله عنه » له تصانيف في الطب والمنطق والفلسفة ، ومنها : « الإشارات » و « الشفا » مات سنة ٤٢٨ هـ انظر : لسان الميزان ٥٣٨/٢ - ٥٤١ والأعلام ٢٤١/٢ .

(٢) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن وزلغ الفارابي ، المتفلسف ، يعرف بالمعلم الثاني ، لشرحه كتاب أرسطو المعلم الأول عند الفلاسفة ، قال عنه الإمام ابن كثير « . . . له مذاهب في ذلك يُخالف المسلمون ، والفلاسفة من سلفه الأقدمين ولم أرَ الحافظ ابن عساكر ذكره لنتنه وقبحته » انظر : البداية والنهاية ١٣٨/١ ومعجم المؤلفين ١١/١٩٤ .

(٣) انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير حوادث عام ٥٩٥ هـ ٩/٢٤٧ .

(٤) انظر : ٩/٢ - ١١ و ٨٥ - ٨٦ و ١٠١ - ١٠٣ .

(٥) كما فعل في كتابه الذي سماه « أساس التقديس في علم الكلام » الذي ردَّ به على الكرامية وأهل السنة انظر : ص/ ١٧٢ و ١٧٣ .

عندهم خشية الفتنة والقتال !! .

فهذه الفرق الثلاثة التي ذكرتها هي المشهورة من فرق الكرامية التي ذكر لها آراء ومقالات يتبين بها مذهب الكرامية ، ومقالتهم في التشبيه والتجسيم .
أما بقية فرق الكرامية فلم أجد لها مقالات فيما اطلعت عليه من كتب المقالات والفرق وغيرها ، غير نسبتها إلى مؤسسها ، ولذا آثرت الإشارة إليها في الحاشية^(١) !! .



(١) ومنهم : العابدية أتباع : عثمان بن العابد ، ومنهم التونية أتباع : أحمد التوني ، ومنهم السورمية أتباع رجل يقال له : السورمين . انظر : الملل والنحل ١/١٠٨ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص/١٠١ ، والتجسيم عند المسلمين مذهب الكرامية للدكتورة : سهير مختار ص/

المطلب الثاني

التعريف بمن قال بالتشبيه من المعتزلة والخوارج

ومن الطوائف الذين قالوا بمقالة التشبيه :

المعتزلة القدرية ، ومعتزلة البصرة ، والشيبانية من الخوارج .
 ١ - أما القدرية^(١) فهم كما ذكر الإمام أبو القاسم التيمي^(٢) رحمه الله يقولون :
 إن الله تعالى لا يشاء المعاصي لعباده ثم يعاقبهم عليها ، لأن الحكيم العاقل من
 المخلوقين لا يُجَوِّز هذا ، ولأن هذا داخل في باب الظلم ، وكل مخلوق أتى بمثل هذا
 سُمي ظالماً ، فيقيسون أمر الله تعالى على أمر المخلوق ، ويشبهون الله بالمخلوق^(٣) !!
 وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن المعتزلة القدرية مشبهة في الأفعال ، معطلة في
 الصفات ، يشبهون الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق في الأفعال ، وقد شاركوا
 المجوس في تشبيه أفعال الله تعالى بأفعال الواحد من الآدميين ، ووضعوا شريعة
 بالقياس من عند أنفسهم فأوجبوا على الله وحرّموا عليه من جنس ما يجب ويحرم
 عليهم^(٤) !!

وكذّبوا بالقدر ، وقالوا : إن الله لم يخلق أفعال العباد ، وإنّ الظلم منه نظير الظلم

(١) سموا بذلك لقولهم في القدر ، وهم الذين يزعمون أن العبد هو الذي يخلق أفعاله استقلالاً ،
 وينفون القدر ويقولون إن الأمر أنف لم يسبق به قدر ولا علم ، والمعتزلة قدرية ، لقولهم إن العباد
 يستقلون بخلق أفعالهم . ونفيهم علم الله السابق للأشياء . انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي
 عبد الجبار ص/٣٢٣-٣٣٢ والملل والنحل ٤٥/١ وعون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي
 ٤٥٢/١٢-٤٣٥ و كتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٢٨٧/٨ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ١٣١/١ .

(٣) انظر : الحجّة في بيان المحجّة ٢٩٩/١-٣٠٠ .

(٤) انظر : كتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٤٣١/٨ ورسالة في أقوم ما قيل في المشيئة والحكمة

والقضاء والقدر والتعليل لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣٢١/٥ .

من الآدميين بعضهم لبعض ، وشبهوه ومثلوه في الأفعال بأفعال العباد حتى كانوا هم ممثلة في الأفعال ، وضربوا لله الأمثال ولم يجعلوا له المثل الأعلى ، بل أو جبوا عليه وحرموا ما رأوا أنه يجب على العباد ويحرم بقياسه على العباد^(١) !!

وقد أشركوا مع الله تعالى في ربوبيته بجعلهم الخلق منفردين بخلق أفعالهم^(٢) ولذا شبههم الصحابة بالمجوس^(٣) في قولهم بالأصلين النور والظلمة ، وكذا القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره ، والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر ، لا يكون منهما إلا بمشيئته وخلقته .

وإذا كان المجوس جعلوا خالقين مع الله ، فقد جعل القدرية خالقين مع الله فصار شركهم وتشبيهم المخلوق بالخالق أعظم من شرك المجوس !! .

ونفيهم للقدر يتضمن تشبيه علم الله تعالى بعلم المخلوق الذي لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها^(٤) حيث قال القدرية : « إن الأمر أنف »^(٥) أي : مستأنف ، لم يسبق به

(١) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٢٨٧/٣ ورسالة في شرح حديث أبي ذر . لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٢٠٦/٢-٢٠٧ .

(٢) ذكر القاضي عبد الجبار أن المعتزلة متفقون على أن أفعال العباد حادثة مخلوقة من جهتهم ولافاعل لها سواهم ، وأن من قال : إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه . انظر كتابه : المغني في أبواب التوحيد والعدل ٣/٨ وشرح الأصول الخمسة ص/٣٢٣-٣٢٢ . والصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن العباد وإن كانوا فاعلين لأعمالهم مباشرين لها ، إلا أن الله خالقهم وخالق أعمالهم ، وقد أعطاهم الله قدرة على فعلها ، ومشيتهم في ذلك تابعة لمشيئة الله تعالى . انظر : الوصية الكبرى لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/٢٧٨ وشفاء العليل لابن القيم ص/٩٩ وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص/١١٨ .

(٣) وردت عنهم آثار في ذلك ومنها ماروي عن ابن عمر ، وحذيفة رضي الله عنهما مرفوعة ، رواها أبو داود في كتاب السنة ٥/٦٦-٦٧ رقم/٤٦٩١ و٤٦٩٢ .

(٤) سيأتي موقف أهل السنة من ذلك انظر : ٤٩٤/١ - ٥٠١ .

(٥) ذكر مقالاتهم هذه لعبد الله بن عمر « يحيى بن يعمر ، وحמיד بن عبد الرحمن ، فقيرا منهم =

قدرة ولا علم من الله تعالى ، وإنما يعلمه بعد وقوعه^(١) . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .
ومن مشبهة المعتزلة فيزة الخابضية من القدرية نسبة إلى أحمد بن خابط^(٢) الذي
كان من المعتزلة المنتسبة إلى النظام^(٣) ثم إنه شبه عيسى بن مريم « بالله تعالى ، فزعم
أنه الإله الثاني ، وأنه هو الذي يُحاسب الناس يوم القيامة^(٤) . تعالى الله عن أن
يشاركه في ربوبيته وألوهيته وصفاته ، أو يماثله في ذلك أحد من خلقه علوا كبيرا !!
٢ - وأما معتزلة البصرة فقد شبهوا إرادة الله تعالى فجعلوها من جنس إرادة غيره ،
حيث زعموا أن الله تعالى يريد مرادته بإرادة حادثة بعد أن لم تكن ، ثم تطاولوا
فذهبوا إلى أن إرادته من جنس إرادة المخلوقين^(٥) ، ثم فضلوا إرادة المخلوق على إرادة
الخالق فزعموا أنه يجوز حدوث إرادة الله لا في محل ، ولا يصح إرادة المخلوق إلا
في محل^(٦) !! .

أي : أنهم لما جعلوا إرادة الله حادثة كإرادة المخلوقين شعروا بالتشبيه الذي قالوا به ،
ففرروا منه إلى التعطيل بجعلهم إرادة الله تحدث لا في محل !! .
فهم كما ذكر شيخ الإسلام يصفون الله تعالى بما خلقه في العالم إذ ليس عندهم

= ابن عمر ، وذكر الحديث الذي رواه والده « والذي فيه سألت جبريل للنبي » عن الإسلام
والإيمان والإحسان ، وقد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، في كتاب الإيمان ١/٣٦٦ ح ٨ .

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١/١٥٦ .

(٢) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه !!

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هاني النظام البصري من أئمة المعتزلة ، وتنسب إليه طائفة المعتزلة
النظامية ، له شتات كفره بها جماعة من العلماء توفي سنة ٢٣١ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء
٤٥٢/١ ولسان الميزان ١/٩٦-٩٩ والأعلام ٧/٤٣ .

(٤) انظر : الفرق بين الفرق ص/٢٠٩ .

(٥) سيأتي موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفة الإرادة انظر : ١/٥٠٧ .

(٦) انظر : الفرق بين الفرق ص/١٨١ والمثل والنحل ١/٥١ .

صفة لله قائمة به ، ولا فعل قائم به يسمونه به ، فيصفونه بما يخلقه في العالم ، مثل قولهم : هو متكلم بكلام يخلقه في غيره^(١) ، ومريد بإرادة يخلقها لا في محل^(٢) !! .

قال القاضي عبد الجبار^(٣) : « ... واعلم أنه تعالى مريد عندنا بإرادة حادثة موجودة لا في محل^(٤) !! تعالى الله عن أن تكون إرادته وجميع صفاته كذلك علوا كبيرا .
٣ - ومن طوائف المشبهة الشيبانية من الخوارج^(٥) أتباع شيان بن سلمة الخارجي^(٦) الذي خرج أيام أبي مسلم الخراساني^(٧) فشبّه الله تعالى بخلقه^(٨) !!

(١) انظر : مذهب المعتزلة في صفة الكلام في المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ص/ ٣٢٣ والكشاف للزمخشري ٨٨/٢

(٢) انظر : رسالة في أقوم ما قيل في المشيئة والحكمة والقضاء والقدر ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣٢١/٥ .

(٣) أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسد آبادي ، من كبار المعتزلة وأشهرهم تصنيفا في مذهب المعتزلة في الاعتقاد ، من مصنفاته : « المغني في أبواب التوحيد والعدل » و« شرح الأصول الخمسة » و« فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة » توفي سنة ٤١٥ هـ انظر : ميزان الاعتدال ٥٣٣٣/٢ وشذرات الذهب ٢٠٣/٣ .

(٤) شرح الأصول الخمسة ص/ ٤٤٠ .

(٥) تقدم التعريف بالخوارج انظر : ١٧٣/١ .

(٦) شيان بن سلمة السدوسي الحروري ، ، زعيم طائفة الشيبانية من الخوارج ، وكانوا من النواصب المبغضين لعلي « والمناصبين له العداء ، أظهر القول بالتشبيه ، وكان قبل ظهور الدعوة العباسية مقيما في مرو ، وثار على نصر بن سيار والي خراسان ، ولما ظهرت دعوة بني العباس أرسل إليه أبو مسلم الخراساني يدعوه إلى البيعة فقال شيان : « أنا أدعوك إلى بيعتي » واجتمع إليه جمع كثير من بني بكر بن وائل ، فأرسل إليه أبو مسلم الخراساني جيشا لقتاله فخاربه ، وقتل شيان سنة ١٣٠ هـ انظر : الأعلام ١٨٠/١ .

(٧) تقدمت ترجمته انظر : ٢٥٢/١ .

(٨) انظر : مقالات الإسلاميين ١٨٠-١٨١ والفرق بين الفرق ص/ ١٠٢ .

ذكر أبو منصور البغدادي أنَّ فرقة الثعالبة^(١) من الخوارج كفرت فرقة الشيبانية مع أهل السنة لقولهم بالتشبيه^(٢).

وذكر الشهرستاني أن زياد بن عبد الرحمن الشيباني^(٣) الخارجي قال : إنَّ الله تعالى لم يعلم حتى خلق لنفسه علما ، وأن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها^(٤)!!

وهذا تشبيه منه لعلم الله تعالى بعلم المخلوقين ، الذين لا يعلمون الأشياء إلا بعد وجودها ووقوعها^(٥) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .



(١) هم أتباع ثعلبة بن مشكان ، أو ابن عامر . الذي اختلف مع عبد الكريم بن عجرد زعيم العجاردة ، في شأن ولاية الأطفال قبل البلوغ فحكم عبد الكريم بالبراءة منهم ، لعدم إسلامهم قبل البلوغ ، فقال ثعلبة : إنا على ولايتهم صغارا وكبارا حتى نرمنهم إنكارا للحق ورضاً بالجور ، فبترأت منه العجاردة ، وذكر الشيخ عبد الله اليافعي أن الثعالبة ذهبوا إلى أنه : إذا وقعت قطرة خمر في إناء في ماء فشرب منه إنسان كفر ، علم بوقوع القطرة منه أو لم يعلم . انظر : الفرق بين الفرق ص/ ١٠١ والملل والنحل ١/ ١٣١ وذكر مذاهب الفرق لليافعي ص/ ٤٧ .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق ص/ ١٠٢ .

(٣) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه !!

(٤) انظر : الملل والنحل ١/ ١٣٣ .

(٥) سيأتي موقف أهل السنة من ذلك انظر : ٤٩٤/١ .

المبحث الثالث

تحقيق القول فيمن عُذوا من طوائف المشبهة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تحقيق القول في عُدِّ مقاتل وطائفته من طوائف
المشبهة

المطلب الثاني : تحقيق القول فيمن يُقال عنهم مشبهة الحشوية

المطلب الأول

تحقيق القول في عَدِّ مقاتل وطائفته من طوائف المشبهة

ومن أتهم بالتشبيه ، وَعَدُّ من طوائف المشبهة مقاتل بن سليمان المفسر^(١) فقد نسب ذلك إليه بعض العلماء ، حتى ذكر بعضهم طائفة مشبهة باسم المقاتلية نسبة إليه ، وتوقف في شأنه شيخ الإسلام ابن تيمية ، ومن العلماء من برأه فاقضى المقام إلى تحقيق القول في نسبة مقاتل إلى القول بالتشبيه أو عدمه ، مع بيان الصواب من ذلك بالدليل على مقاصد :

المقصد الأول : ذكر بعض مقالات من اتهم مقاتل بالتشبيه

نسب بعض العلماء القول بالتشبيه إلى مقاتل بن سليمان ، وأنه كان يقول كما ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري : إنَّ الله جسم وأنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم ، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين وهو مع هذا لا يشبه غيره^(٢)!! وتُسبب إليه أيضا أنه كان يقول بمثل مقالة شيطان الطاق^(٣) إن الله تعالى نور على صورة إنسان ربَّاني^(٤)!!

وذكر البعض طائفة باسم المقاتلية نسبة إلى مقاتل بن سليمان ، وأنهم كانوا

(١) أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي ، كبير المفسرين روى عن مجاهد والضحاك وابن بريدة ، من مصنفاته : « تفسيره » و « الأشباه والنظائر في القرآن الكريم » و « تفسير الخمسمائة آية من القرآن في الأمر والنهي والحلال والحرام » توفي سنة ١٥٠ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٢ وميزان الاعتدال ١٧٣/٤ وتهذيب التهذيب ٢٧٩/١٠ والأعلام ٢٠٢/٨ وترجم له الدكتور عبد الله شحاته بتوسع في مقدمة كتابه الأشباه والنظائر ص/١٢-٢٨ .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين ١٨٧/١ .

(٣) تقدم التعريف بشيطان الطاق وطائفته ومقاتلته في التشبيه انظر : ٢٥٦/١ .

(٤) انظر : الملل والنحل ١٨٧/١ .

يقولون : إن الله لحم ودم وله صورة كصورة الإنسان ، ويستدلون على هذا الزعم بأنهم لم يُشاهدوا شيئاً موصوفاً بالصفات إلا ما كان لحماً ودمًا^(١)!!

وقد ذكر بعض العلماء أنَّ مقاتل بن سليمان كان مع جهم بن صفوان^(٢) بخراسان في وقت واحد ، وكان جهم مفرطاً في نفي الصفات وكان مقاتل في مقابله يثبت الصفات ويبالغ في ذلك إلى حد التشبيه ، ويصف الله بأنه جسم ولحم على صورة إنسان^(٣)!!

وهذا الحكم على مقاتل بن سليمان مأخوذ من مقالة الإمام أبي حنيفة رحمه الله في مقاتل : « أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال : إنه ليس بشيء وأفرط مقاتل في الإثبات حتى جعل الله تعالى مثل خلقه »^(٤) . ورُوي عنه أيضاً أنه كان يقول : « أتانا من المشرق رأيان خبيثان ، جهم معطل ومقاتل مشبه »^(٥) .

ولذا جعل بعض الكتاب المعاصرين ظهور مقالة التشبيه في الإسلام على يد مقاتل بن سليمان ، وأنها إنما ظهرت كردُّ فعل على مقالة جهم في التعطيل ، التي كانت معها في بلدة واحدة^(٦) .

(١) انظر : الغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني ٩٣/١ والبدء والتاريخ للمقدسي ١٤١/٥ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٨٦/١ .

(٣) انظر : الفصل لابن حزم ٧٤-٧٣/٥ .

(٤) ذكره الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال ١٧٣/٤ والحافظ بن حجر في تهذيب التهذيب ٢١٨/١٠ .

(٥) ذكره الإمام الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٦٤/١٣ والإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٧/

٢٠٢ والحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٨١/١٠ .

(٦) انظر : فجر الإسلام لأحمد أمين ص/٢٩٧ ومقدمة الدكتور أحمد سعد الغامدي على شرح

أصول الاعتقاد لللالكائي ٣٩/١ وتعليقات الدكتور عاصم القريوتي على قطف الثمر في عقائد

أهل الأثر لمحمد صديق حسن خان ص/٦٠ وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الكرامية في

الإلهيات . للدكتور : عبد القادر محمد عبد الله ص/٩٧ . رسالة ماجستير جامعة أم القرى

غير منشورة .

وهذا غير صحيح فإن مقالة التشبيه في الإسلام بنوعيتها ظهرت قبل مقاتل بن سليمان ، على يد السبئية والبيانية كما تقدم^(١).

وقد جانب الدكتور علي سامي النشار الصواب حين اعتبر جهم بن صفوان قد قام بوضع مذهب تنزيهي على زعمه للردُّ به على مقاتل بن سليمان ، ومذهبه في التشبيه والتجسيم^(٢).

وهذا غير صحيح ، فإن جهم بن صفوان ليس مذهبه التنزيه ، بل هو معطل نافٍ للصفات^(٣)، كما أن جهما لم يضع مذهبه التعطيلي ردًّا على مقاتل بن سليمان ، بل الذي عليه العلماء المحققون أن مقاتل بن سليمان هو الذي تصدَّى للرد على جهم بن صفوان المعطل بإثبات الصفات^(٤).

وقد اتهم ابن حبان^(٥) مقاتل بن سليمان بأنه كان يأخذ من علم اليهود والنصارى من القرآن ما يُوافق كتبهم ، وكان يشبه الربَّ تعالى بال مخلوقات ، وكان يكذب في الحديث^(٦).

أمَّا كذبه في الحديث فقد ذكره كثير من العلماء^(٧)، وأما في التفسير فقد أثنى

(١) انظر : ١٧٤/١ و ٢٣٥ و ٢٤٠ .

(٢) انظر كتابه : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢٩٠/١-٢٩١ .

(٣) انظر : ما ذكره الإمام أحمد في ذلك عن جهم بن صفوان في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية ص/٢٣-٢٦ .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ١٥٩/١-١٦٠ وفضل علم السلف على الخلف لابن رجب ص/ ٢٨-٢٩ .

(٥) أبو حاتم محمد بن حبان البستي الإمام المحدث الحافظ الفقيه اللغوي من مصنفاة : « المسند الصحيح » و « الثقات والضعفاء » توفي سنة ٣٤٥هـ انظر : طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٤١ و معجم المؤلفين ٩/ ١٧٣ .

(٦) انظر : المحروحين لابن حبان ٣/١٤ وميزان الاعتدال ٤/١٧٥ .

(٧) انظر ما ذكر عنه في ذلك في : ميزان الاعتدال ٤/١٧٣-١٧٤ وتقريب التهذيب ٢/٢١٠ =

عليه بعض العلماء ، حتى قال في ذلك الإمام الشافعي : « الناس عيال في التفسير على مقاتل »^(١) وقال عنه الإمام الذهبي : « وقد لُطِّحَ بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحرًا في التفسير »^(٢) !!

المقصد الثاني : توقف شيخ الإسلام ابن تيمية في نسبة القول بالتشبيه

والتجسيم إلى مقاتل

وقد توقف شيخ الإسلام رحمه الله في نسبة التشبيه إلى مقاتل بن سليمان ، واستبعد ما نُقِلَ عنه من القول بذلك فقال رحمه الله : « ... أما مقاتل فالله أعلم بحقيقة حاله ، والأشعري ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة ، وفيهم انحراف^(٣) على مقاتل بن سليمان ، فلعلهم زادوا في النقل عنه ، أو نقلوا عنه ، أو نقلوا عن غير ثقة ، وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحد ، وقد قال الشافعي : « من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل ، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة »^(٤) ومقاتل بن سليمان وإن لم يكن ممن يحتج به في الحديث^(٥) ، بخلاف مقاتل بن حيان^(٦) ،

= وراجع مانقله في ذلك من كتب الجرح والتعديل الدكتور : عبدالله شحاته في مقدمته على

كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان ص/٣٧-٣٩ .

(١) ذكره الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال ١٧٣/٤ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/١٧٤ .

(٣) يقصد بذلك أن المعتزلة يسمون من يثبت الصفات « مشبهها مجسما ، ومقاتل يثبت الصفات !!

(٤) ورد في وفيات الأعيان في ترجمة مقاتل ٣٤١/٤ : « حكي عن الإمام الشافعي « أنه قال :

الناس عيال على ثلاثة : على مقاتل بن سليمان في التفسير ، وعلى زهير بن أبي سلمة في الشعر ،

وعلى أبي حنيفة في الكلام » !!

(٥) انظر أقوال العلماء في عدم الاحتجاج بمقاتل بن سليمان ، وتضعيفهم له في : ميزان الاعتدال /٤

. ١٧٣-١٧٤ .

(٦) أبو بسطام مقاتل بن حيان النبطي البلخي الخراساني ، أحد الأعلام ، قال عنه الإمام الذهبي : « كان

عابدا كبيرا القدر صاحب سنة وإتباع » وثقه الإمام يحيى بن معين ، وأبو داود وغيرهما ، =

فإنه ثقة^(١)، لكن لاريب في علمه بالتفسير وغيره وإطلاعه ، كما أن أبا حنيفة وإن كان الناس خالفوه في أشياء ، وأنكروها عليه فلا يستريب أحد في فقهه وفهمه وعلمه ، وقد نقلوا عنه أشياء يقصدون بها الشناعة عليه ، ، وهي كذب عليه قطعاً ... وما يبعد أن يكون النقل عن مقاتل من هذا الباب^(٢).

وكلام شيخ الإسلام هذا وإن كان فيه توقف على الحكم على مقاتل بالتشبيه وعدمه ، إلا أنه أقرب إلى تبرأته من ذلك ، لكونه رحمه الله يستبعد أن يكون مقاتل قال بما ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري من القول بالتشبيه والتجسيم ، لأن الأشعري ينقل في مقالاته عن المعتزلة الذين يعتبرون من يثبت الصفات مشبهاً^(٣)، ولا يبعد أن يكون ما نسب إلى مقاتل من هذا القبيل !! .

المقصد الثالث : تبرئة بعض العلماء مقاتل بن سليمان من القول بالتشبيه .

ومن العلماء من برأ مقاتل بن سليمان من القول بالتشبيه ، وأثنوا عليه واعتبروه من أهل السنة والجماعة ، ومن هؤلاء أبو الحسين الملقب ت ٣٧٧ هـ الذي يعتبر من أقدم من أُلّف في بيان مقالات أهل الأهواء والبدع والردّ عليهم بالكتاب والسنة ، فقد أثنى رحمه الله على مقاتل بن سليمان واعتبره من الثقة الذين يُطلب علمهم للردّ به على من أشكلت عليه شبهات أهل الباطل من الزنادقة وغيرهم ، وأن من

= توفي قبل سنة ١٥٠ هـ انظر : ميزان الاعتدال ١٧١/٤ وتقريب التهذيب ٢١٠/٢ .

(١) إتهم الدكتور جلال محمد موسى شيخ الإسلام ابن تيمية بالخلط بين مقاتل بن سليمان ، ومقاتل بن حيان . انظر كتابه : نشأة الأشعرية وتطورها ص/٩٠ وليس الأمر كما ذكر ، بل ذكره شيخ الإسلام للتمييز بينه وبين مقاتل بن سليمان ، وذكر رحمه الله أن مقاتل بن حيان ثقة ، بخلاف مقاتل بن سليمان فإنه لا يحتج بحديثه ولم يخلط بينهما كما زعم الدكتور جلال . انظر : منهاج السنة ٦١٩/٢ .

(٢) المرجع نفسه ٦١٨/٢-٦٢٠ .

(٣) سنائي مقالاتهم في ذلك انظر : ١٤٧/٢ - ١٥٢ .

تدبر علمه نفعه الله به في ردّ الشبهات ، فقال في ذلك : « فمن طلب علم ما أشكل عليه من ذلك عند أهل العلم به من ثقات العلماء وجد مطلبه ، ولعمري إن أهل الأهواء في مثل ذلك اختلفوا فضلوا ، وهذه جملة جاءت بها الرواية وأخذناها عن مقاتل بن سليمان ، إن تدبرت ذلك نفعك إن شاء الله ... »^(١) .
ونقل عنه أربعاً وعشرين صفحة في تأويل ما زعمه الزنادقة من متناقضات القرآن والرد عليهم في ذلك^(٢) ، ومن تأمل تفسيره لذلك تبين له علم مقاتل رحمه الله وقوة ردّه للباطل وإقراره للحق .

وقد اعتبر الكوثري مانقله الملطي عن مقاتل بن سليمان في كتابه « التنبيه » ذليلاً على إثبات ما زعمي به مقاتل من التشبيه والتجسيم فقال : « وقد احتفظ لنا التاريخ بقطع من تفسيره^(٣) تثبت كمال الإثبات تشبيهه وتجسيمه »^(٤) وقد قلده في ذلك الدكتور النشار فاستدل بما ذكره الكوثري لإثبات أن مقاتلاً كان مشبهاً مجسماً^(٥) !!

وليس فيما نقله الملطي عن مقاتل ما يدل على اتهامه بالتشبيه ، بل الكوثري ومقلده النشار وأضرابهما المعطلة فيهم انحراف على مقاتل بن سليمان ، فلا يقبل قولهم فيه ، لأنهم يعتبرون من يثبت الصفات ، ويسير على منهج السلف في ذلك مشبهاً مجسماً كما سيأتي^(٦) !!

(١) انظر : التنبيه للملطي ص/٧٠ .

(٢) انظر : المرجع نفسه من ص/٧٠-٩٤ .

(٣) يقصد مقاتل بن سليمان !!

(٤) مقدمة الكوثري على كتاب التنبيه للملطي ص/٧ .

(٥) انظر كتابه : نشأة الفكر الفلسفي في ذلك ١/١٩١-١٩٢ .

(٦) انظر : ١٦٣/٢ و ١٨٤ .

وقد عدَّ الشهرستاني مقاتل بن سليمان من أئمة السلف ، وقرنه بالإمام مالك واعتبره من السلف الذين سلكوا منهج السلامة في نصوص الصفات ، وابتعدوا في ذلك عن التشبيه والتأويل ، فقال في ذلك : « اعلم أنَّ السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة في علم الكلام ، ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين ، ونصرهم جماعة من أمراء بني أمية على قولهم بالقدر ، وجماعة من خلفاء بني العباس على قولهم بنفي الصفات وخلق القرآن ، تحيروا في تقرير مذهب أهل السنة في متشابهات الكتاب الحكيم ، وأخبار النبي الأمين ﷺ ، فأما أحمد بن حنبل ، وداود بن علي الأصفهاني^(١) ، وجماعة من أئمة السلف فجزوا على منهج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل : مالك بن أنس ومقاتل بن سليمان وسلكوا طريق السلامة ، فقالوا تؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا تتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات ... »^(٢) .^(٣)

ويقصد الشهرستاني بطريق السلامة المذهب التفويضي الذين ينسبه المتكلمون إلى

- (١) أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني ، الملقب بالظاهري ، قال عنه الخطيب البغدادي : « هو إمام أهل الظاهر ، وكان ورعاً ناسكاً زاهداً » وكان لا يرى التأويل ، والقياس والرأي ، توفي سنة ٢٧٠ هـ انظر : تاريخ بغداد ٢٦٩/٨ وميزان الاعتدال ١٤/١-١٦ والأعلام ٣٣٣/٢ .
- (٢) الملل والنحل ١٠٣/١-١٠٤ .

(٣) لكن كعادة المتكلمين في عدهم من يثبت الصفات الخيرية التي أولوها مشبهها شنع الشهرستاني على مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وغيرهما من أهل الحديث فزعم أنهم يجعلون الله ذا صورة وأعضاء ، ويستدلون على ذلك بما ورد في الخبر : « إنَّ الله خلق آدم على صورته » وفي رواية أخرى : « على صورة الرحمن » انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١٨٧/١ وهذا من تشنيعات المتكلمين ووصمهم لأهل السنة بالتشبيه زورا وبهتانا ، فإنهم كما سيأتي يثبتون حديث الصورة كما ورد بلا تكيف ولا تمثيل انظر : ص/٤٧٥ .

السلف وسيأتي نقد هذا المذهب وبراءة أهل السنة منه في الباب الثالث^(١)!!
وقد برأه العلامة أبو محمد اليميني^(٢)، وجعل مقاتل بن سليمان المتهم بالتشبيه غير
مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ، وإنما حصل الاتفاق في الاسم فقط^(٣).
وذهب على منواله كل من أبي العباس السكسكي^(٤)، وعبد الله بن أسعد
اليافعي^(٥)، حيث جعلاً مقاتل بن سليمان المشبه غير مقاتل بن سليمان المفسر ، فإنه
من علماء التفسير مبرأ من مقالة التشبيه^(٦) ؛ لكنهم لم يذكروا دليلاً على ما قالوه
فإن المشهور عند جماهير العلماء أن المتهم بالتشبيه هو مقاتل بن سليمان المفسر!! .
المقصد الرابع : ذكر القول الراجح في شأن الحكم على مقاتل بالتشبيه

وبراءته من ذلك

نستخلص مما تقدم اختلاف الآراء حول مقاتل بن سليمان وما تُسبب إليه من

(١) انظر : ٥١٦/٢ - ٥٣٦ .

(٢) أبو محمد اليميني . ذكر الدكتور : محمد بن عبد الله الزربان أنه قد تتبع تراجم علماء اليمن فلم
يجد من ذكره باسمه ، ولم يعرف إلا بكينيته ونسبته إلى اليمن ، وعزا ذلك إلى إخفائه اسمه
بسبب ردوده على الإسماعلية وكشف أباطيلهم ، وكان يعيش تحت دولتهم ، ومن يقرأ كتابه :
« عقائد الثلاث والسبعين فرقة » يعلم أنه سلفي العقيدة . انظر : مقدمة الدكتور : محمد بن
عبدالله الزربان على كتاب عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/١ - ١٨ .

(٣) انظر كتابه : عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/٢٨٥ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ١٤٦/١ .

(٥) عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليميني ثم المكبي ، مال إلى طريقة الصوفية ، وسلك
منهجهم ، حتى صنف في التصوف بعض المصنفات مثل كتاب : « روض الرياحين في مناقب
الصالحين » وكان على طريقة الأشاعرة في الصفات ، توفي في مكة المكرمة سنة ٧٦٨ هـ
انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٦/٢١٠ والأعلام ٦/١٠٣ وترجمة الدكتور موسى الدويش في
مقدمة كتابه ذكر مذاهب الفرق ص/١٥-١٧ .

(٦) انظر : التنبيه للملطي ص/٤٠ وذكر مذاهب الفرق ص/١٤٣ .

القول بالتشبيه ، بين مثبت وناف ومتوقف .

والذي ظهر لي بعد البحث لاسيما بعد رجوعي إلى كتبه التي وصلت إلي ، أو الكتب التي نُقل عنه بالواسطة منها ، أو غيرها ظهر لي بعد هذا كله براءته من القول بالتشبيه والتجسيم الذي نُسب إليه للأمر الآتية :

١- إنَّ من نسب إليه القول بالتشبيه كالإمام أبي الحسن الأشعري ، وذكر مقاله في التجسيم وأنه كان يقول : إن الله جسم لحم ودم ونحو ذلك من المقالات الباطلة فإنه إنما نقل ذلك عن خصوم مقاتل كالمعتزلة وغيرهم من المتكلمين ، ممن يعتبرون إثبات الصفات تشبيها ، فيحتمل أنهم لما رأوا مقاتلا يثبت الصفات ، ويرد على جهم بن صفوان المعطل تقولوا عليه ذلك .^(١)!!

ومعظم الذين ذكروا مقالة مقاتل في التشبيه وشنعوا عليه بذلك فهم من المتكلمين خصوم مقاتل ، وكلام الخصم إذا كان منحرفا عن منهج أهل الحق لا يقبل . وقد تقدم اتهام الكوثري والدكتور النشار مقاتلا بالتشبيه ، واعتبارهم مانقله الملطي عن مقاتل في الرد على الزنادقة ، وما فيه من إثبات الصفات دليلا على مقاتل بالتشبيه والتجسيم فكيف يقبل كلام من انحرف عن منهج السلف في مسائل الصفات واعتبر ذلك تشبيها دليلا في الحكم على مقاتل بالتشبيه !!؟

وإذا كان البعض يحتج للحكم على مقاتل بالتشبيه بكلام الإمام أبي حنيفة وابن حبان ، والذهبي السابق الذكر^(٢)، فيقال في هذه الأقوال وغيرها إنهم : أولا : لم يذكروا مقاله التي يحكم عليه بها بأنه مشبه . وثانيا : إنهم ربما ذكروا ذلك ، وليس كل ما يذكروا صحيحا ، لاسيما إذا وُجد

(١) ستأتي مقالات المعطلة في نيز من يثبت الصفات بالتشبيه والرد عليهم انظر : ١٤٥/٢ و ٢٠٥ .

(٢) انظر : ٣٢٥/١ و ٣٢٦ .

ما يعارضه من كلام المتهم نفسه ، وسيأتي ما ينقض هذا الاتهام من كلام مقاتل نفسه ، ويُروى ساحتها من ذلك .

وثالثا : ليس في قول الإمام الذهبي السابق الذكر ، ما يدل على أن مقاتلا كان مجسما لأنه إنما حكى اتهام مقاتل بالتجسيم ، وأنه إنما لُطِّخَ بذلك ، مع أنه كان من أوعية العلم في التفسير كما ذكر ، وليس فيه ما يدل على حكمه عليه بالتشبيه والتجسيم .

ومعظم الأقوال على مقاتل من علماء الجرح والتعديل إنما كانت في شأن قبول روايته في الحديث ، وأنهم لم يحتجوا بحديثه للعلل القادحة فيه ، من قولهم : إنه كان متروك الحديث وأنه كان كذابا^(١) .

وهذا وإن كان يقدر في روايته ، إلا أنه لا يعني أنه كان مشبها ، فإن عدم قبول روايته شيء ، والحكم عليه بالتشبيه شيء آخر ، فكم قُدِّحوا في روايتهم للعلل القادحة فيهم كالكذب ، وسوء الحفظ ونحوه ، وهم ليسوا مشبهة ولا مجسمة !

٢ - وما يدل على براءة مقاتل من القول بالتشبيه ، أنه برأ نفسه لما سأله الخليفة المهدي^(٢) قائلا : « بلغني أنك تشبهه ، فقال إنما أقول : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ فمن قال غير ذلك فقد كذب »^(٣) !!

فقد برأ مقاتل نفسه من تهمة التشبيه واعتبر ذلك كذبا عليه ، وتلا سورة الإخلاص التي هي من أعظم السور الدالة على وصف الله تعالى بصفات الكمال

(١) تقدم الإحالة إلى من قال بذلك في كتب الجرح والتعديل انظر : المراجع المحال إليها في ١/ ٣٢٦ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ١/ ٢٤٩ .

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨٢ .

وتزيهه عن صفات النقص والعيوب والشبيه والمثيل والكفو كما سيأتي (١).

٣ - إن تفسير مقاتل وكتابه الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، وكتابه تفسير الخمسمائة آية ، وما نقله عنه الملطي في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع قد خللت هذه الكتب خلواً تاماً مما نُسب إليه من مقالة التشبيه والتجسيم حسب ما اطلعت عليه في هذه الكتب ، وحسب ما قرره قبلي محققو كتبه (٢)، فإن ما ورد في هذه الكتب فيه موافقة لمنهج أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، وليس فيها تلك المقالة السابقة التي ذكرها أبو الحسن الأشعري (٣)، وتناقلها بعض من إتهم مقاتل بالتشبيه ، لاسيما أهل الكلام المذموم ويمكن ذكر بعض الأمثلة من كتبه من صفات الله لبيان براءته من التشبيه والتجسيم .

فقد ذكر مقاتل في تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ذكر أن الله استوى على العرش وهو تعالى فوق العرش (٤)، وذكر أن معنى استوى « استقر » (٥) ولو كان من المشبهة لتكلم في كيفية صفة الاستواء ، أو لذكر أن استواء الله كاستواء المخلوق (٦) .

وليس في تفسيره للاستواء : ب « استقر » تشبيه وتجسيم كما زعم

(١) انظر : ٢٨٣/١ و ٤٠٩/٢ .

(٢) ذكر كل من الدكتور عبدالله محمود شحاته والدكتور عبيد بن علي العبيد خلوا كتب مقاتل مما أتهم به من القول بالتشبيه والتجسيم انظر : مقدمة الدكتور شحاته على الأشباه والنظائر ص/ ٥٢ ومقدمة الدكتور عبيد على كتاب تفسير الخمسمائة آية ص/ ٦٠ .

(٣) انظر : ٣٢٣/١١ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٢٠/٣ وما نقله عنه الملطي في تفسيره للآية المذكورة في كتابه التنبيه ص/ ٨٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٤١/٢ و ٢٢٥ و ٣٦٦ و ٣/٢٠-٢١ و ٤٤٨ و ٤٧٣/٢ وما نقله عنه الملطي في التنبيه ص/ ٨٥ .

(٦) سيأتي مذهب المشبهة في صفة الاستواء وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ص/ ٢٨١ .

الدكتور عبد الله شحاته^(١)، بل ما ذكره مقاتل أحد معاني الاستواء عند أهل السنة والجماعة ، وقد ذكر أهل اللغة الذين لم يتلوثوا بالكلام المذموم ذلك ، وأقره أهل السنة قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله : « والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو : العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه »^(٢).

وذكر شيخ الإسلام أن تفسير الاستواء بـ « استقر » هو قول عبد الله بن المبارك^(٣)، ومن تابعه من أهل العلم ، وبه قال : ثعلب^(٤)، والكلبي^(٥)، ومقاتل^(٦). وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته معاني الاستواء عند أهل السنة ومنها « استقر » فقال في ذلك :

فلهم عبارات عليها أربعٌ قد حصلت للفرس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذا ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذلك قد صعد الذي هو أربعٌ وأبو عبيدة^(٧) صاحب الشيباني^(٨)

(١) انظر : تعليقاته على تفسير مقاتل ٢١/٣ والجزء الملحق بتفسير مقاتل له ١٠٨ و ١٠١/٥ .

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١٢٨/٧-١٢٩ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٦١/١ .

(٤) أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء ، المعروف بشعلب ، إمام الكوفيين في اللغة والنحو ، كان مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة ، ثقة حجة ، من مصنفاته : « الفصحح » و « قواعد الشعر » و « معاني القرآن » توفي سنة ٢١٩ هـ انظر : الأعلام ١/٦٢٧ .

(٥) أبو النضر محمد بن السائب بن بشير الكلبي الكوفي النسابة المفسر ، رُمي بالرفض ، توفي سنة ٢٠٤ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ١٠/١٠١ و ميزان الاعتدال ٣/٥٥٦-٥٥٩ وتقريب التهذيب ٢/٧٨ .

(٦) انظر : شرح حديث النزول ص/ ١٤٥ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٥١٩-٥٢٠ .

(٧) أبو عبيدة معمر بن المنثي التميمي بالولاء البصري ، النحوي من أئمة العلم والأدب واللغة ، من مصنفاته : « معاني القرآن » و « إعراب القرآن » توفي سنة ٢٠٧ هـ انظر : وفيات الأعيان ٥/٢٣٥ والأعلام ٧/٢٧٢ .

(٨) يقصد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن^(١).
غير أن الذي لاحظته على مقاتل ما ذكره من أن استواء الله على العرش إنما كان قبل خلق السموات والأرض ، وهذا ليس فيه تشبيه ، والصحيح أن استواء الله على عرشه كان بعد خلق السموات والأرض ، والآيات التي وردت فيها صفة الاستواء تدل على ذلك ومنها قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] وثم في اللغة العربية للترتيب والتراخي^(٢)!

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « والاستواء مختص بالعرش بعد خلق السموات والأرض ، كما أخبر - الله - بذلك في كتابه ... »^(٣). وذكر رحمه الله أن المشهور عن السلف وأئمة الحديث وكثير من أهل الكلام والفقهاء وغيرهم أنه تعالى استوى على عرشه بعد خلق السموات والأرض ، كما تدل عليه النصوص ، فيكون تعالى قد استوى عليه بعد أن لم يكن مستويا عليه^(٤)!

ومما يدل على أن استواء الله على عرشه كان بعد خلقه السموات والأرض ما رواه قتادة بن النعمان^(٥) رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لما

(١) نونية الإمام ابن القيم مع شرح الهراس ٢٣٣/١ .

(٢) انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ١٣٥-١٣٧ .

(٣) كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٢٢٦-٢٢٧/٥ . وراجع المرجع نفسه ١٢٢/٥ .

(٤) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٥٦٥/١ .

(٥) أبو عمرو وقيل أبو عبد الله قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الأوسي ، وهو أخو أبوسعيد الخدري لأمه ، شهد مع رسول الله ﷺ العقبة ، وبدرا ، وأحدا ، وسائر المشاهد ، وهو الذي قلمت عينه يوم أحد فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه ، وكانت معه يوم الفتح راية بني ظفر توفي سنة ٥٢٣هـ انظر : الأعلام ١٨٨/٥ .

فرغ الله من خلقه استوى على عرشه»^(١) ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بيده فقال له : « يا أبا هريرة ، إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش اليوم السابع ... »^(٢) غير أن هذه المسألة كما أسلفت لاتدل على قول مقاتل بالتشبيه مادام يثبت الصفة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته كما تقدم .

وقد وافق مقاتل في تفسيره آيات المعية أهل السنة والجماعة ، وما ذكره في ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : ٤٦] قال : « في الدفع عنكما ، ... فلا يصلون إليكما »^(٣) ففسر المعية بالحفظ والتأييد ، وهذا صحيح . ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره أن ذلك : معية الحفظ والنصر والتأييد^(٤) .

(١) رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري كما ذكر الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٣٤ ولم أجده في المطبوع من كتاب السنة للخلال ، وقال الإمام الذهبي في العلو : « رواه ثقة » ص/٦٣ وانظر مختصر العلو ص/٩٨ ح ٣٨ .

(٢) الحديث بطوله رواه النسائي في سننه في كتاب التفسير ، تفسير سورة السجدة انظر : السنن الكبرى للنسائي ٦/٤٢٧ ح ١١٣٩٢ وذكره الإمام الذهبي في كتابه العلو ص/٩٤ ح ٢٢٥ وذكر أن في إسناده الأخضر بن عجلان وثقه بن معين ، وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه » وليه الأزدي ، وهذا الحديث غريب من إفراده ، وخرجه الشيخ ناصر الدين الألباني في مختصر العلو ص/١١٢ وذكر أن تليين الأزدي إياه لاتأثير له ، لأن الأزدي نفسه متكلم فيه كما هو معلوم ، لاسيما وقد وثقه ابن معين ، وكذا الإمام البخاري وابن شاهين ، كما في « التهذيب » ، فهو متفق على توثيقه ، لولا قول ابن أبي حاتم يكتب حديثه ، لكن هذا القول إن إعتبرناه صريحا في التجريح فمثله لايقبل ، لأنه جرح غير مفسر ، لاسيما وقد خالف قول الأئمة الذين وثقوه ، ثم ذكر الألباني : أن مثل هذا الحديث حسن قطعا على أقل الدرجات !

(٣) تفسير مقاتل ٣/٢٨ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٣/١٦٢ .

وفسر مقاتل المعية في قول الله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] فسرهما بالعلم فقال : « ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ يعني : بعلمه إذا تناجوا »^(١) .
فهو بهذا التفسير موافق لأهل السنة والجماعة^(٢) ولو كان من المشبهة لذكر أن الله مع خلقه بذاته مختلط بهم كما سيأتي قول المشبهة في ذلك^(٣) !
ويثبت مقاتل صفة العلم كما وردت وأن الله تعالى علم ما كان وما يكون لو كان كيف يكون ففي تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة : ٧٧] وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ [الأنبياء : ١١٠] ففي تفسيره لهاتين الآيتين ذكر أن الله يعلم ما كان قبل الخلق وما يكون^(٤) .

فهو بهذا يثبت صفة العلم لله تعالى أزلا وأبدا وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل وجودها وبعد وجودها ، ولو كان من المشبهة لقال مثلهم : إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وجودها^(٥) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ويثبت مقاتل صفة اليد لله تعالى كما وردت ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ سورة [ص : ٧٥] ذكر أن الرحمن خلق

(١) انظر : تفسير مقاتل ٢٥٩/٤ .

(٢) انظر في ذلك : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص/٤٩-٥٠ وتفسير الطبري ١٢/١٣-١٤ وبتنقيح التأسيس « المطبوع » ١٥١/١ و الفتوى الحموية الكبرى ص/٦٠-٦١ وضمن مجموع الفتاوى ١٠٢/٥-١٠٤ و تفسير ابن كثير ٣٤٥/٤ والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان ص/٣٩٩ .

(٣) انظر : ٣٥٦/١ و ٤٧٤ و ٢ / ٥٦ - ٥٧ و ٧٠ - ٧١ .

(٤) انظر كتابه : الأشباه والنظائر ص/٣٦ .

(٥) سيأتي مذهب المشبهة في صفة العلم وموقف أهل السنة منه انظر : ص/٢٣٢ .

آدم بيده التي قبض بها السموات والأرض .^(١) وفي قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْشُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] ذكر أن المقصود باليد في الآية اليد بعينها^(٢) . أي : نفسها وليست غيرها كما قال المعطلة إنها القدرة أو النعمة^(٣) ، فهو يرد بذلك على المعطلة !

وفسرها باللازم في مكان آخر فقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْشُوطَتَانِ ﴾ بالخير^(٤) ! وهذا لا يدل على أنه يعطلها كما فعل المعطلة الذين حرفوا معناها إلى القول بأن ذلك القوة أو النعمة ، أو النعمتين^(٥) . لأنه أثبتها ، ثم ذكر اللازم ، وهذا ليس تعطيلًا ! ويثبت مقاتل صفة المحيي كما وردت ، فيقول عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] : « فيحيي الله تبارك وتعالى ، كما قال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] وكما قال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] فأثبت رحمه الله تعالى صفة المحيي كما وردت ، وأورد الآيات التي وردت فيها كتفسير وتوضيح لها ، وبيان أن الله أثبتها ، فيجب إثباتها كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته .

ومما يدل على براءته من التشبيه ما ذكره في تفسيره^(٦) لقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ

(١) انظر : الأشباه والنظائر ص/٣٢١ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/٣٢١-٣٢٢ .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص/٢٢٨ وأصول الدين للبغدادي ص/١١ والإرشاد للجويني ص/١٤٦ وأساس التقديس للرازي ص/١٢٥-١٢٧ ونشر الطوائع لساجقلي زاده ص/٢٣٦ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١/٤٩٠ .

(٥) سيأتي الرد عليهم في ذلك انظر : ٥٨٧/٢ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٤/٢٢٨ .

يُكشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴿ [القلم : ٤٢] أَنَّ المراد بالساق في الآية :

أ - الشدة يوم القيامة ، ونقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه^(١).

ب - أَنَّ الساق ساق الله سبحانه وتعالى ، فتضيئ الأرض بنور ساقه سبحانه ونقل

ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه^(٢) .^(٣)!

وهذا إثبات منه رحمه الله لصفة الساق كما وردت ، وما ذكره عن ابن عباس

رضي الله عنه تفسير باللازم ، لأن من لازم كشف ساقه تعالى يوم القيامة الشدة

والأهوال التي تصيب الناس يوم القيامة في الموقف ، لاسيما للمنافقين الذين يُدعون

إلى السجود لله تعالى امتحانا فلا يستطيعون^(٤)!!

وسياي الرد على المعطلة في ادعائهم التشبيه في إثبات صفة الساق واستدلّاهم

لتقرير ذلك بأثر ابن عباس السابق ، وبيان أن هذه الصفة قد وردت في الأحاديث

الصحيحة مضافة إلى الله تعالى ، فيجب إثباتها كما وردت على الوجه اللائق

بجلال الله تعالى وعظّمته^(٥)!!

فَعُلِمَ مما تقدم براءة مقاتل بن سليمان من مقالة التشبيه والتجسيم ، إذ لا يوجد في

تفسيره ، ولا في كتابه : الأشباه والنظائر شيء من ذلك ، بل يثبت لله تعالى صفاته

كما وردت من غير تشبيه ولا تعطيل ، على الوجه اللائق بجلال الله وعظّمته .

ولعل مقاتل بن سليمان الذي تُنسب إليه مقالة التشبيه ، غير مقاتل المفسر كما

(١) روي ذلك عن ابن عباس « انظر : تفسير الطبري ١٢/١٧٩ و٢٠٠ وتفسير ابن كثير ٤/٤٣٥ .

(٢) روي ذلك عن ابن مسعود « انظر : تفسير الطبري ١٢/١٩٨ .

(٣) ووردت أحاديث صحيحة مرفوعة إلى النبي ﷺ فيها إثبات صفة الساق مضافة إلى الله تعالى ،

كما في حديث أبي سعيد الخدري « المتفق على صحته ، وسياي ذكره انظر : ص/٩٦١ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٤٣٥ .

(٥) سياي بيان ذلك عند الرد على المتكلمين الذين إعتبروا إثبات صفة الساق لله بدون تأويل تشبيها

ذكر أبو محمد اليمني ، وتبعه في ذلك السكسكي ، والياضي كما تقدم^(١) ، وإلا فإن مقاتل بن سليمان المفسر بريء من ذلك ، إذ لا يوجد في كتبه شيء من التشبيه والتجسيم ، والرجل إنما يحكم عليه من خلال ما كتب وقال ، وقد نقلت من كتبه ما يرويه من ذلك ، ومن وجد خلاف ذلك فعليه إثبات ذلك بالدليل من كتب مقاتل نفسه ، والحق ضالة المؤمن أنني وجدته أخذ به ، والرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال !!



المطلب الثاني

تحقيق القول فيمن يُقال عنهم إنهم مشبهة الحشوية

يذكر المتكلمون من كُتّاب الفرق وغيرهم ، أن من ضمن طوائف المشبهة جماعة من أصحاب الحديث يُقال لهم الحشوية فقد صرحوا بالتشبيه مثل مضر^(١) وكهمس^(٢) ، وأحمد الهجيمي^(٣) ، وغيرهم حيث قالوا : « إنَّ معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاد ، وأنه يجوز عليه الانتقال والصعود والاستقرار والتمكن »^(٤)!

وذكر الشهرستاني أن مشبهة الحشوية حكى عنهم الإمام أبو الحسن الأشعري عن محمد بن عيسى^(٥) أنه حكى عن مضر ، وكهمس ، وأحمد الهجيمي ، أنهم

(١) أبو محمد مضر بن محمد بن خالد بن الوليد الضبي الأسدي الكوفي ، ذكر الإمام الذهبي تحت ترجمة مضر أنه مضر بن نوح السلمي ، فيه جهالة ، وقال عنه العقيلي : حديثه لم يحفظ ، ولم يذكر تاريخ وفاته . انظر : ميزان الاعتدال ١٢٣/٤ ولسان الميزان ١٣٩/٦ .

(٢) أبو عبد الله كهمس بن الحسن التميمي البصري ، قال عنه الإمام أحمد : « ثقة وزيادة » وقال عنه الإمام الذهبي : « العبد الصالح الثقة » وكذا وثقه الحافظ ابن حجر . توفي سنة ١٤٩ هـ انظر : ميزان الاعتدال ٤١٥/٣ وتقريب التهذيب ٤٥/٢ . ولو كان كما يدعي المتكلمون أنه مشبه ، لذكره هؤلاء الأئمة الأعلام الثقة ، ولما وثقوه !!

(٣) أحمد بن عطاء الهجيمي البصري الزاهد ، قال عنه الدار قطني : « متروك » ولم يذكر تاريخ وفاته . انظر : ميزان الاعتدال ١١٩/١ ولو كان مشبها كما يذكر المتكلمون لذكره الإمام الذهبي ، وغيره من أهل السنة !

(٤) انظر : الملل والنحل ١٠٥/١ ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور النشار ١/ ٢٨٧-٢٨٨ ونشأة الأشعرية وتطورها للدكتور : جلال محمد موسى ٨٧-٨٦/١ .

(٥) لعله محمد بن عيسى بن شيبة السدوسي البصري ، مقبول توفي سنة ٣٠٠ هـ انظر : تقريب التهذيب ٢ / ١٢١ فهو معاصر لأبي الحسن الأشعري ت ٣٢٤ هـ .

أجازوا على ربهم الملامسة ، والمصافحة ، وأن المخلصين يُعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص ، والاتحاد المحض !
وحكى الكعبي^(١) عن بعضهم أنه كان يُجَوِّزُ الرؤية في الدنيا ، وأنه يزورهم ويورونه^(٢) .^(٣) ، فهؤلاء الذين يعدهم الشهرستاني وأضرابه المتكلمون ، من طوائف المشبهة ويذكرون أنهم حشوية ، يلاحظ على حكمهم عليهم بأنهم مشبهة أمران :

الأمر الأول : إن ما ذكروه في الحكم عليهم بأنهم مشبهة الحشوية ، وأنهم يقولون : إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاد إلى آخر ما ذكروه ، إن ذلك لا يدل على أنهم مشبهة ، لأن هذه المصطلحات المحملة على اصطلاح المتكلمين يعنون بها إثبات الصفات الخيرية الذاتية مثل صفة الوجه واليد والعين والساق ونحوها ، فهذه الصفات عندهم أعضاء وأبعاد^(٤) ، وكذا ما ذكروه من أنهم يقولون : إنه يجوز عليه الانتقال يريدون بذلك إثبات صفة النزول ، والنجيء وكذا ما عبروا عنه بأنه استقر وتمكن يريدون بذلك إثبات صفة الاستواء ، فمن أثبت هذه الصفات فهو عندهم مشبه مجسم حشوي^(٥) ويلاحظ على ما ذكروه أنهم

- (١) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي ، من بني كعب ، البلخي الخراساني ، أحد أئمة المعتزلة ، كان رأس طائفة منهم تسمى « الكعبية » وله آراء ومقالات إنفرد بها ، أقام ببغداد مدة طويلة ، له كتب منها : « التفسير » و « تأييد مقالة أبي الهذيل » و « قبول الأخبار ومعرفة الرجال » مات سنة ٣٠٦ هـ انظر تاريخ بغداد / ٣٨٤ والأعلام ٦٥/٤ - ٦٦
- (٢) وقد استدل بعض المشبهة لتقرير ذلك بأحاديث موضوعة كما سيأتي ذكر بعضها ، وبيان موقف أهل السنة منها انظر : ٧٠/٢ - ٧١ .
- (٣) انظر : الملل والنحل ١/١٠٥
- (٤) سيأتي بيان ذلك ونقده انظر : ١٨٤/٢ و ٢٩٦ و ٥٨٣ و ٦٠٣ و ٣٥٠/٣ و ٣١٠ - ٣١١ .
- (٥) كما سيأتي بيان ذلك ونقده انظر : ١٤٥/٢ و ١٧٨ و ١٩٦ و ٣٠٥ .

انفردوا بذلك ، ولم أجد غيرهم من أهل السنة الموثوق بعلمهم ودينهم ذكروا ذلك ولو كان فيهم التشبيه لذكروه ، فيحتمل أن يكون من باب التشنيع ، لاسيما وأن المتكلمين يرمون من يثبت الصفات بالتشبيه والتجسيم ، ويحكون عنهم ذلك بمصطلحاتهم الكلامية المذمومة ، فيحتمل أن يكون ذلك من هذا النوع وسيأتي بيان ذلك عند ذكر بعض مقالات المعطلة في نيز أهل السنة بالتشبيه ، وبراءتهم من ذلك على وجه التفصيل^(١)!!

الأمر الثاني : أما ما ذكره الشهرستاني من أن هؤلاء المشبهة أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة والمعانقة والمزاورة ، فلا شك أن هذا لو ثبت عنهم فإنه وصف لله بما يتزده عنه من الصفات الخاصة بالخلقين ، ومن أثبت لله تعالى ذلك فقد شبهه بالخلقين لكن أبا الحسن الأشعري الذي ذكر الشهرستاني أنه حكى ذلك عن محمد بن عيسى لم يقل أنهم مشبهة الحشوية لكنه ذكر أنه حكى ذلك عن بعض أصحاب مضر وكهمس !!

دفع توهم !

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن من جهّال أهل الحديث من غلا في الإثبات وزاد على ذلك إلى حدّ التشبيه^(٢).

وذكر أيضا أن الجهمية نفاة الصفات قابلهم قوم من أهل الإثبات والرافضة وغلاة أهل الحديث فزادوا في الإثبات حتى دخلوا في التمثيل المنفي في الكتاب والسنة^(٣)!! فهل هؤلاء الذين ذكرهم شيخ الإسلام يُعدون طائفة معينة يُطلق

(١) انظر : ١٤٥/٢ - ١٧٣ و ٢٠٥ .

(٢) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ١/٦ ونقض التأسيس « المخطوط » ٣/

. ٢٦٤-٢٦٣

(٣) انظر : المرجع نفسه ٢٦٤-٢٦٣/٣ .

عليهم أنهم مشبهة أهل الحديث !؟

والجواب بالنفي لامحالة لأن هؤلاء ليسوا طائفة معينة منسوبة إلى أهل الحديث ، بل هم أفراد من جهال أهل الحديث وغلاتهم كما ذكر شيخ الإسلام ، فإنهم قد جهلوا منهج أهل السنة فزادوا في الإثبات ، وغلوا في ذلك إلى حد التشبيه ، فلا يجوز أن تجعل مقالاتهم في التشبيه على أنها مقالة لطائفة تسمى مشبهة أهل الحديث . ويُعاب أهل السنة بذلك ، فقد ذمهم أهل السنة كما ذكر شيخ الإسلام ، واعتبروا مقالاتهم من التمثيل المذموم المنفي بالكتاب والسنة ، الذي يجب تنزيه الله عنه عز وجل (١)!

فلا تقدرح مقالاتهم على مذهب أهل السنة ولا تضره كما لا يقدرح من انحرف من المسلمين على الإسلام ، وأهله ، فإن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

والسؤال الذي يطرح نفسه هل كانت طائفة في التاريخ كانت تسمى طائفة مشبهة الحشوية غير ما يعينهم هؤلاء المتكلمون !؟

والجواب : لقد بحثت كثيرا في هذا الموضوع فوجدت طائفة ذكرهم العلامة أبو العباس السكسكي أنهم طائفة الحشوية المجسمة المشبهة ، غير من يعينهم المتكلمون ، فقد ذكر رحمه الله أن طائفة الحشوية هم : طائفة مجسمة كانوا يقولون : بأن الله - تعالى عن قولهم - على صورة شاب أمرد له شعر قطط في رجله نعل من ذهب ينزل يوم عرفة على جمل أحمر (٢) وينزل في كل ليلة جمعة .

(١) انظر : المرجع نفسه ٢٦٤/٣ .

(٢) سيأتي ذكر استدلال المشبهة لتقرير مقالاتهم بأحدث موضوعة مثل هذا ، وبيان موقف أهل السنة

من ذلك انظر : ٧٠/٢ .

ذكر العزيزي^(١) أنهم كانوا في زمانه بطبرستان^(٢)، وفي بعض جهات أصبهان^(٣)، يخرجون في كل ليلة جمعة بالحمير مشدود عليها عود مليح مزورق يقولون : إذا نزل اتكأ عليه فتبيت تلك الليلة الحمير في المساجد مغلقة عليها الأبواب ، فإذا جاء المؤذن تنحنح ليسمعه فيصعد - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا !!

فإذا دخل المؤذن أخذ روث الحمير فمسح به وجهه تبركا به ، وكذا يفعل كل من حضر منهم قال السكسكي : « وما أحسن ذلك في حقهم »^(٤) !
ويقولون لعنهم الله : إذا لم يكن له عين ولا يد ولا أذن ولا رجل مريبات فما نعبد بطيخة ، ويحتجون على ذلك كما ذكر السكسكي بأن الله تعالى ذم في القرآن ما ليس له جوارح وهي الأصنام التي كانت تعبدها الكفار فقال : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٩٥]^(٥) !!

قال العلامة السكسكي : « ولعمري إن الله سميع بصير له البطش والقدرة يفعل ما يشاء ، ويحكم بما يريد ، موجود الذات والصفات ، متصف بما وصف به نفسه من غير تمثيل ولا تكيف : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

(١) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه !

(٢) بلدان واسعة ناحية الشرق يشملها هذا الإسم ، ومنها بلاد خراسان وجرجان ، كان يحكمها الفرس قبل الإسلام فتح بعضها أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والبعض الآخر أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وخرج من نواحيها مالا يحصى من أهل العلم والأدب والفقهاء ومنهم الإمام الطبري رحمه الله . انظر : معجم البلدان ٤/١٣-١٦ .

(٣) تقدم التعريف بها انظر : ص/١٦٥ .

(٤) يعني : أن يُلطخوا بروث الحمير !

(٥) انظر : البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص/٣٨-٣٩ .

أَبْصِيرُ ﴿ [الشورى : ١١] ^(١) .

فهؤلاء هم المشبهة المجسمة ، وهم طائفة الحشوية كما ذكر العلامة السكسكي لا ما يعنيه المتكلمون الذين يطلقون على أهل السنة لفظ الحشوية تحقيرا لمنهجهم في الإثبات ، وإلحاقا لهم بما يقولون أنهم مشبهة حشوية ، وسيأتي ذكر مقالاتهم في ذلك وبراءة أهل السنة منها على وجه التفصيل ^(٢) !!



(١) المرجع نفسه ص/٣٨-٣٩ .

(٢) في الباب الثالث انظر : ١٤١/٢ .

الباب الثاني

مذهب المشبهة في صفات الله

وبيان مقالتهم إن الله جسم وذكر بعض
أدلتهم وشبهاتهم وموقف أهل السنة من ذلك

وفيه فصلان :

الفصل الأول : مذهب المشبهة في صفات الله وذكر بعض
مقالاتهم في الصفات الذاتية والفعلية وموقف
أهل السنة منها

الفصل الثاني : في بيان مقالة المشبهة إن الله جسم
ونكر بعض أدلتهم وشبهاتهم وموقف أهل
السنة من ذلك

الفصل الأول

في بيان مذهب المشبهة في صفات الله تعالى وذكر
بعض مقالاتهم في الصفات الذاتية والفعلية
وموقف أهل السنة منها

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في بيان مذهبهم في صفات الله تعالى على سبيل
الإجمال وموقف أهل السنة من ذلك .

المبحث الثاني : في ذكر بعض مقالاتهم في الصفات الذاتية
وموقف أهل السنة منها

المبحث الثالث : في ذكر بعض مقالاتهم في الصفات الذاتية
وموقف أهل السنة منها

المبحث الأول

مذهب المشبهة في صفات الله على سبيل الإجمال
وموقف أهل السنة من ذلك

وفيه مقاصد :

المقصد الأول : مذهب المشبهة في صفات الله على سبيل الإجمال

المقصد الثاني : مَنْخَلٌ في بيان موقف أهل السنة من مذهب

المشبهة في صفات الله تعالى

المقصد الثالث : بيان موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات

الله بنكر بعض أدلتهم في تنزيه الله تعالى عن

مقالة التشبيه

المقصد الرابع : نهي أهل السنة عن الأمور المفضية إلى التشبيه

المقصد الأول

مذهب المشبهة في صفات الله على سبيل الإجمال

يدور مذهب المشبهة في صفات الله تعالى حسب طوائفهم في ذلك^(١) إلى ثلاثة مذاهب يجمعها تشبيه صفات الله عز وجل بصفات المخلوقين .
ويتلخص فيما يلي :

١ - قسم من المشبهة أثبتوا صفات الله تعالى لكن غلوا في ذلك حتى إنهم لم يميزوا بينها وبين صفات المخلوقين ، معتبرين أن صفات الله عز وجل من جنس صفات خلقه^(٢)، كقولهم إنَّ لله وجهاً ويدين وعينا كوجوهنا وأيدينا وأعيننا^(٣)!!

(١) تقدم التعريف بطوائف المشبهة وتصنيفهم حسب غلوهم في التشبيه في الفصل الثالث من الباب الأول .
(٢) انظر : ما ذكره الأئمة عن مذهب المشبهة في الصفات وتقدم في كتاب : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ص/٤٠ والمختار في أصول السنة لابن البناء ص/٨١ وتحريم النظر في كتب أهل الكلام لابن قدامة المقدسي ص/٥٩ والرد على الطوائف الملحدة لابن تيمية ضمن الفتاوى الكبرى ٤٧٢/٦ ونقض التأسيس « المطبوع » ١٨٩/١ و٥٨٨ و « المخطوط » ١ / ١٢٢-١٢٣ والرسالة التدمرية ص/٢٥ وضمن مجموع الفتاوى ٣ / ٣٤ والفتوى الحموية الكبرى ص/٦٦ وضمن مجموع الفتاوى ٥ / ١١٣ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦ / ٣٥-٣٦ والمنتقى من منهاج الاعتدال ص/١٠٢ والصواعق المرسله ٢ / ٤٢٥ ومختصره ١ / ٦٣ وبدائع الفوائد ١ / ١٥٤ وسير أعلام النبلاء ١ / ١٤٥ وخطط المقرئ ص/٣١٦ ومعارج القبول ١ / ١٣٦ والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز السلطان ص/٤٣٢-٤٣٣ وفتح رب البرية بتلخيص الحموية ص/١٠٧-١٠٨ والقواعد المثلى ص/٤٦ وشرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١ / ١١٤-١١٥ والبيهقي وموقفه من الإلهيات لشيخه الاستاذ الدكتور أحمد عطية الغامدي ص/ ٢٢٦ .

(٣) انظر : ما ذكره الأئمة عن مذهب المشبهة في الصفات وتقدم في كتاب : جامع الترمذي ٣ / ٥١-٥٠ والمختار في أصول السنة لابن البناء الحنبلي ص/٨١ ودرر التعارض ٢ / ٣٢٢ وكتاب =

وزعموا أنَّ هذا هو مقتضى دلالة النصوص ، وأنَّ الله محال أن يُخاطب الناس إلا بما يعقلون ، لقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٢] وقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٩] وقوله : ﴿ لِيَذَّبُوا آيَاتِهِ ﴾ ^(١) سورة [ص : ٢٩]

٢ - وقسم من المشبهة أثبتوا صفات الله تعالى ، لكن سلكوا في ذلك منهجا أدى بهم إلى التشبيه وذلك :

أ - إما باعتبار بعض صفات الله تعالى حادثة تصف الله بها بعد أن لم يكن متصفا بها ، كما فعل الهشامية والزرارية والكرامية ^(٢) وغيرهم !

ومَنْ سلك هذا المنهج في صفات الله كما ذكر الإمامان ابن منده ^(٣) ، وأبو القاسم التيمي ^(٤) ، فقد دخل في حكم التشبيه بالصفات التي هي محدثة في المخلوق ، كائنة فيه بعد أن لم تكن ^(٥) !

ب - وإما بالبحث عن كيفية صفات الله تعالى المفضي إلى التشبيه كقول

- = مفصل الاعتقاد ضمن مجموع الفتاوى ٣٦٦/٤ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٣٥/٦ والرذعلي الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٣٨٧/٦ والكواشف الجلية للشيخ عبد العزيز السلطان ص/٨٩ وشرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١/١١٤ - ١١٥ .
- (١) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في الصفات ونقده في كتاب : الصواعق المرسله ٢/٤٢٥ ومختصره ٣٦/١ وشرح العقيدة الواسطية ١/١١٤ - ١١٥ .
- (٢) انظر : ما ذكره الأئمة عن مذهب المشبهة في الصفات وتقدم في كتاب : مقالات الإسلاميين ١١٠/١ والفرق بين الفرق ص/١١٩ ومنهاج السنة ٢/٣٩٤ - ٣٩٥ وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٢/٣٤ - ٣٥ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٣٢٤ - ٣٢٥ وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيان ١/٣٨١ وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الكرامية في الإلهيات ص/٣٥٦ .
- (٣) تقدمت ترجمته انظر : ١٣٠/١ .
- (٤) تقدمت ترجمته انظر : ١٣٠/١ .
- (٥) انظر : كتاب التوحيد لابن منده ٧/١ - ٨ والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ١/١٧٠ .

بعضهم : استوى بحماسة ، أو ملاقات^(١)، كما قال الهشامية والجواربية والكرامية^(٢)، وغيرهم!

٣ - ومن المشبهة كغلاة الرافضة والصوفية من ذهبوا إلى إثبات صفات مبتدعة خاصة بالمخلوقين حتى قال هشام الجواليقي ، ويونس القمي ، وداود الجواربي^(٣) : إنَّ لله وفرة^(٤)، وجوف وفم وعظم^(٥)، وقال : إنه جثة على صورة إنسان لحم ودم وشعر وعظم وأعضاء^(٦)، وحكي عنه أنه قال : « اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عمَّا وراء ذلك »^(٧) أي : أنه يصف الله بما يخص المخلوق من الصفات ويمسك عن الفرج واللحية . تعالى الله عن قوله علوا كبيرا !!

(١) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في الصفات في كتاب : مقالات الإسلاميين ١٨٤/١ والفرق بين الفرق ص/١٩٨ والتبصير في الدين ص/١١٢ وتبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي ١/١١٢ والملل والنحل ١/١٠٨-١٠٩ ودرر تعارض العقل ٦/٢٨٨ . والبده والتاريخ لمطهر المقدسي ١٤١/٥ .

(٢) تقدم التعريف بهم انظر : ٢٥٤/١ و ٢٥٧ و ٣٠٢ .

(٣) تقدمت ترجمتهم انظر : ١٧٨/١ و ١٧٩ و ٢٥٤ .

(٤) الشعر الكثيف دون الجملة كما تقدم انظر : ص/١٧٣ .

(٥) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في الصفات في كتاب : مقالات الإسلاميين ١/١٠٨-١٠٩ والفرق بين الفرق ص/٧٥ والتبصير في الدين ص/١١٠ والملل والنحل ١/١٠٥ و١٨٥ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص/٩٨ والرد على الرافضة لابن قدامة ص/٦٣ .

(٦) انظر : ما ذكره أبو الحسن الأشعري والشهرستاني عن مذهب المشبهة في الصفات : مقالات الإسلاميين ١/١٨٣ والملل والنحل ١/١٠٥ .

(٧) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في الصفات في كتاب : الفرق بين الفرق ص/٢٠٨ والتبصير في الدين ص/١١٩-١٢٠ والملل والنحل ١/١٠٥ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص/٩٩ .

ومن المشبهة^(١) من يزعم أنهم يرون الله في الدنيا بأعينهم حتى قالوا : إن الله ينزل إلى الأرض فيلامس ويصافح ويعانق ، ويطوف بالبيت ونحو ذلك من المقالات الفاسدة التي لا يقول بها من له أدنى مسكة من علم وعقل وإيمان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !



(١) مثل أصحاب مضر وكهمس وبعض علاة الصوفية انظر : ما ذكر عنهم في كتاب : مقالات الإسلاميين ٢٨٧/١ والملل والنحل ١٠٥/١ ونقض المنطق ص/١١٩-١٢٠ وضمن مجموع الفتاوى ١٤٥/٤ والوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢٨٦/١-٢٨٧ ومنهاج السنة النبوية ٦٢٤/٢ .

المقصد الثاني

مدخل في بيان موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات الله تعالى

من أهم مقاصد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات بعد إثبات أسماء الله وصفاته تنزيه الخالق عز وجل عن التشبيه والتمثيل ، وعن كل ما يؤدي إلى وصف الله عز وجل بصفات النقص الخاصة بالمخلوقين ، مسترشدين في ذلك بالكتاب والسنة ، لذا كان موقفهم من مذهب المشبهة واضحاً وجلياً إذ قرروا بطلانه لما فيه من وصف الله تعالى بما يتنزه عنه من التشبيه والتمثيل المناقض لصفات الكمال الثابتة لله تعالى أزلاً وأبداً .

فكان من الواجب عندهم صيانة توحيد الأسماء والصفات مما يضاهاه ، وعقيدة المسلم من أن يتطرق إليها ما يناقضها من الاعتقاد الفاسد في ذات الله تعالى وصفاته ، لأن من الواجب أن يُقدر الله حق قدره ويعظمه حق تعظيمه ، ولا يتأتى ذلك إلا بإثبات صفات الله تعالى كما وردت ، وتنزيهه عن التعطيل والتمثيل ، وعدم وصفه بما لم يصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ، والحذر من الأمور المفضية إلى التشبيه أو التعطيل من تحريف مفضٍ إلى التعطيل ، وتكليف مفضٍ إلى التمثيل ، فموقف أهل السنة من مذهب المشبهة نابع من تنزيههم الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ، وعن جميع صفات العيوب والنقائص ، وقد سلكوا لتنزيه الله عن ذلك ، وإبطال مذهب المشبهة جميع الطرق الشرعية المتمثلة في بيان الأصل الذي انحرف المشبهة به إلى التشبيه ونقضه ، وبمناقشة مذاهب المشبهة بأنواعها وتنزيه الله عنها ، والاستدلال بالأدلة السمعية والعقلية لتنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ، وعن كل صفات النقص والعيوب . ويكون بيان هذه المسائل وغيرها الدالة على موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات الله تعالى على وقفات :

الوقف الأولى

بيان الأصل الذي انحرف به المشبهة إلى القول بالتشبيه ونقضه

بين المحققون من أهل السنة أن كل من توهم التشبيه في صفات الله تعالى سواء ممن قال به وقرره كما فعل المشبهة ، أو ممن وقع فيه وفتر منه إلى التعطيل كما حصل للمعطلة^(١) فأصل خطئه ناتج من جعله الاتفاق في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق موجبا لأن تكون صفات الخالق مماثلة ومشابهة لصفات المخلوقين بسبب عدم تمييزهم بين القدر المشترك بين صفات الخالق والمخلوق ، والقدر المميز بينهما ، فحصل الاضطراب والوهم في ذلك حيث اعتبر كل من المشبهة والمعطلة أن الأسماء العامة يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابت في هذا المعين وهذا المعين ، وأن ما يوجد خارج الذهن يكون مطلقا كلياً ، فقرروا بذلك أن الاتفاق في مسمى الأسماء والصفات بين الخالق والمخلوق يقتضي أن يكون الذي للرب هو بعينه ما يكون للعبد^(٢).

فالمشبهة أثبتوا هذا القدر المشترك على وجه يماثل فيه العبد الرب ، ولذلك زعموا أن مذهبهم في التشبيه هو مقتضى دلالة النصوص ، وأن الله خاطبهم بما يعقلون ولا يعقلون من الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق إلا

(١) سيأتي بيان ذلك في الباب الرابع انظر : ٢٧٥/٣ .

(٢) انظر : منهاج السنة ١٩٩٢/٢-١٢٠١ و ٢٠٤ و كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/ ٢٠٦-٢٠٨ ومذهب السلف القويم في تحقيق كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٤١١-٤١٢ والمنتقى من منهاج الاعتدال ص/ ٧٩-٨٠ وبدائع الفوائد ١/ ٤٩-١٥٠ وشرح العقيدة الطحاوية ص/ ١٠٣-١٠٤ والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي ٧/٢ .

التمثيل ! والمعطلة نفوا القدر المشترك هربا من التشبيه الذي توهموه فوقوا في التعطيل ، وكل ذلك ناتج من عدم فهمهم القدر المشترك ، والفارق المميز الذي تنتفي به المماثلة ويحصل به تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل .

لذا كل من أراد أن يرد على من يتوهم المماثلة بين صفات الخالق والمخلوق من أهل السنة قديما وحديثا يقرر : أن الاتفاق في الاسم والمعنى العام ين صفات الخالق والمخلوق لا يقتضي المماثلة^(١)!

وقد اهتم المحققون من الأئمة ببيان القدر المشترك بين صفات الخالق والمخلوق والفارق المميز بينهما ، كل ذلك من أجل تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل الذي قرره المشبهة ، وإثبات الصفات ، والرد على المعطلة الذين نفوا القدر المشترك ، واعتبروا إثبات الصفات تمثيلا .

لاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم الجوزية فقد اهتمما بهذه المسألة أعظم اهتمام فبين شيخ الإسلام أن القدر المشترك هو المعنى الكلي داخل الذهن ، وأن الاتفاق إنما يكون بين صفات الخالق والمخلوق إذا أُطلقا مجردا عن التخصص ، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في خارج الذهن ، والعقل يفهم من المطلق قدرًا مشتركًا بين المُسمَّيْن ، وعند الاختصاص يُقَيَّد ذلك بما يتميز به

(١) ومن ذكر ذلك من الأئمة الإمام أبو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر ص/٢١٣ والإمام ابن منده في كتابه التوحيد ٨/٣ والإمام أبو القاسم الأصبهاني في كتابه التوحيد ٨٨-٦٥/١ والإمام أبو نصر السجزي في كتابه الابانة كما نقله عنه شيخ الإسلام في درء التعارض ٢/٩٠-٨٩ وشيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع كثيرة من كتبه لاسيما الرسالة التدمرية ص/١١-٧ وضمن مجموع الفتاوى ٦-٩/٣ والإمام ابن القيم في بدائع الفوائد ٨٦/١-٨٧ وغيره . والشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص/١٤-٥ والشيخ محمد صالح العثيمين في القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص/٢٦-٢٧ وغيرهم .

الخالق عن المخلوق ، والمخلوق عن الخالق ، ولا بُدُّ من هذا في جميع أسماء الله تعالى وصفاته ، يُفهم منها مادلاً عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق ، وما دلُّ عليه بالإضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيءٍ من خصائصه سبحانه وتعالى^(١) !!

وقد أوضح ذلك بأمثلة منها لفظ « الوجود » فذكر أن من المعلوم بالضرورة أنَّ في الوجود ماهو قديم واجب بنفسه ، ومنها ماهو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم ، ومعلوم أنَّ هذا موجود وهذا موجودٌ ، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا ، بل وجود هذا يخصه ، ووجود هذا يخصه ، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتقيد ولا في غيره !!

فلا يقول عاقل إذا قال إن العرش موجود ، وإنَّ البعوض شيءٌ موجود : إنَّ هذا مثل هذا ، لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود ، لأنه ليس في الخارج شيءٌ موجود غيرهما يشتركان فيه ، بل الذهن يأخذ قدرًا مشتركًا كليًا ، هو مسمى الاسم المطلق ، وإذا قيل : هذا موجودٌ ، فوجود هذا يخصه لا يشاركه فيه غيره مع أن الاسم حقيقة في كل منهما^(٢).

فالاشتراك إنما هو في المعنى العام الكلي ، وهذا شيءٌ ذهني لا عيني ، ويمتنع كما ذكر شيخ الإسلام أنَّ يشترك مخلوقان في شيءٍ موجود في خارج الذهن ، بل كل موجود في الخارج ، فإنه مختص بذاته وصفاته القائمة به ، لا يشاركه غيره فيها البتة !

(١) انظر : الرسالة التدمرية ص/٧-٨ وضمن مجموع الفتاوى ٩/٣-١٠-١١/٥٠٧-٢٠٨ والجواب

الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) انظر : الرسالة التدمرية ص/٧-٨ وضمن مجموع الفتاوى ٩/٣-١٠ .

وإذا قيل : هذان يشتركان في كذا كان حقيقته أن هذا يُشابه هذا في ذلك المعنى ! كما إذا قيل : هذا الإنسان يُشارك هذا في الإنسانية ، فمعناه أنهما يشتهان في ذلك المعنى ، وإلا فنفس الإنسانية التي تزيد لا يُشاركه فيها غيره ، وإنما يشتركان في نوع الإنسانية المطلقة ، لا في الإنسانية القائمة به ، وهي في الأذهان بل يمتنع أن تكون في الأعيان .

وإذا كان هذا المخلوق الذي اشترك مع مخلوق مثله في مُسمى مالم يشترك معه إلا في المعنى الكلي المطلق الموجود في الأذهان فقط امتنع أن يكون الاشتراك في الأعيان ، مع أنه قد يُماثله ويُكافؤه ويُساميه ، فما بالك بالخالق تعالى الذي ليس له مثل ولاشبيه ولاكفو . فمن جعل شيئاً من صفات الله تعالى مماثلاً لشيء من صفات المخلوقين كان ممثلاً ، ومن نفى صفات الله كان معطلاً والحق هو : نفي التمثيل ، ونفي التعطيل ، وإثبات صفات الكمال المستلزمة لنفي التعطيل والتمثيل ولائبٌ من إثبات ما يختص به الخالق عز وجل من صفات الكمال على وجه ينفي التمثيل (١).

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله أن الاسم والصفة من هذا النوع المشترك بين الله وبين خلقه في اللفظ والمعنى العام له ثلاث اعتبارات من عقلها كما ينبغي سلم من آفتي التعطيل والتشبيه :

١ - اعتباره من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تعالى أو العبد .

٢ - اعتباره مضافاً إلى الرب مختصاً به .

٣ - اعتباره مضافاً إلى العبد مقيداً به .

فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتاً للرب والعبد ، وللرب منه ما يليق بكماله وللعبد ما يليق به .

(١) انظر : الصغدية لابن تيمية ١/١٠٠-١٠١ وكتاب التصوف ضمن مجموع الفتاوى ١١/٤٨٢ .

ومن ذلك اسم الله تعالى « السميع » الذي يلزمه إدراك المسموعات . و « البصير » الذي يلزمه رؤية المبصرات و « العليم والقدير » وسائر الأسماء .
فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها للموصوف بها ، فما لزم هذه الأسماء لذاتها فإثباتها للرب لا محذور فيه بوجه ، بل تثبت له تعالى على وجه لا يُماثله فيه خلقه ولا يشابههم ، فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق أُلحد في أسمائه ، وجحد صفات كماله .

ومن أثبت له على وجه يماثل فيه خلقه فقد شبهه بخلقه ، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر ! ومن أثبت له على وجه لا يُماثل فيه خلقه بل كما يليق بجلاله وعظمته فقد برئ من قرئ التشبيه ، ودمّ التعطيل ، وهذا طريق أهل السنة والجماعة .
وما لزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله تعالى ، كما يلزم حياة العبد من النوم والسنة والحاجة إلى الغذاء ونحو ذلك ، فهذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى ، وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالى بها ، فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه كعلمه الذي يلزمه القدم والوجوب والإحاطة بكل معلوم ، وقدرته وإرادته وسائر صفاته ، فإن ما يختص به منها لا يمكن إثباته للمخلوقين ، فإذا أحطت بهذه القاعدة خبرا ، وعقلتها عقلا كما ينبغي ، خلصت من الآفتين اللتين هما أصل بلاء المتكلمين ، آفة التعطيل ، وآفة التشبيه (١) . (٢)!

وقد استدل أهل السنة لتقرير ما ذهبوا إليه من أن الاتفاق في اللفظ والمعنى العام

(١) انظر : بدائع الفوائد ١/١٤٩-١٥٠ .

(٢) لمزيد فائدة حول هذه المسألة راجع : الجواب الصحيح ٢/٢٣٢-٢٣٣ ومنهاج السنة ٢/٥٩٦-٥٩٨ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٠٦-٢٠٨ ومسألة الحرف التي أنزلها الله على آدم « ضمن مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ١/٣٨٩ وكتاب القرآن كلام الله حقيقة ضمن مجموع الفتاوى ١٢/٦٦ .

بين أسماء الله وصفاته وأسماء المخلوقين وصفاتهم لا يقتضي المماثلة استدلوها بالأدلة النقلية والعقلية .

أما الأدلة النقلية فكثيرة جدًا ، فإن الله تعالى سمي نفسه بأسماء ، وسمى بعض عباده بأسماء ، فأخبر تعالى عن نفسه بأنه السلام المؤمن المهيمن فقال في محكم تنزيله : ﴿ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

وسمى تعالى تحية المؤمنين بينهم سلاما في الجنة فقال : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ [الأحزاب : ٤٤] وسمى تعالى بعض عباده المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢]

وأخبر تعالى عن نفسه بأنه سميع بصير فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] وأخبر تعالى أنه جعل الإنسان سميعا بصيرا ، فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^(١) [الإنسان : ٢] .

والآيات في هذا كثيرة جدا ، وقد أطلال شيخ الإسلام النفس في استخراجها^(٢) ، وبين رحمه الله أن هذا التوافق إنما هو في اللفظ والمعنى العام ، وأنه لا يقتضي المماثلة كما يتصور أهل البدع من المشبهة والمعطلة ، فلا تماثل بين أسماء الله تعالى وبين أسماء خلقه ، ولا بين صفاته وصفاتهم فلكل ما يخصه ويتناسبه !

فتسمية الله حيا حليفا سميعا بصيرا رؤوفا رحيفا ملكا مؤمنا ونحوها ليست كتسميته لبعض عباده بهذه الأسماء ، فليس الحي الخالق ، كالحى المخلوق ، وليس الحلليم الخالق كالحليم المخلوق ، وليس السميع الخالق ، كالسميع المخلوق ، وليس البصير الخالق كالبصير المخلوق .

(١) انظر : كتاب التوحيد للإمام بن خزيمة ١/٦٥-٨٨ ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات

للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص/١٠-١٤ .

(٢) انظر : الرسالة التدمرية ص/٨-١١ وضمن مجموع الفتاوى ٣/١١-١٦ .

وهكذا في جميع الأسماء التي فيها الاشتراك في اللفظ والمعنى العام ، فإن الاتفاق فيها لا يقتضي الماثلة .

وَوَصَفُ الله تعالى نفسه بالعلم والقوة والمحبة والرضا والمقت والغضب والتكليم والاستواء وبسط اليدين والإعطاء ونحوها من الصفات ليست كوصف بعض خلقه بها فليس علم العبد كعلم المخلوق ، ولا قوته كقوته ، ولا محبته كمحبته ولا رضاه كرضاه ولا إستوائه كاستوائه ، ولا يده كيده وهكذا في جميع صفاته التي فيها الاشتراك في اللفظ والمعنى العام ، فإنَّ الاتفاق فيها بين صفات الخالق والمخلوق لا يقتضي الماثلة^(١)!

والله تعالى منزه عن أن يُوصف بشيء من الصفات الخاصة بالمخلوق ، إذ كل ما اختص به فهو صفة نقص والله منزه عن كل نقص ، كما هو تعالى منزه فيما يثبت له من الصفات عن الماثلة والتشبيه !!

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « فمن قال : إنَّ علم الله كعلمي ، أو قدرته كقدرتي أو كلامه مثل كلامي ، أو إرادته ومحبته ورضاه وغضبه مثل إرادتي ومحبتي ورضائي وغضبي أو إستوائه على العرش مثل استوائي ، أو نزوله كنزولي أو إتيانه كإتياني ونحو ذلك ، فهذا قد شَبَّه الله ومثله بخلقته تعالى عما يقولون وهو ضالٌّ خبيثٌ ، بل هو كافر .

ومن قال : إنَّ الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام ... ولا استواء ولا إتيان ولا نزول فقد عَطَّلَ أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، وألحد في أسماء الله وآياته ، وهو ضال خبيث مبطل بل هو كافر بل مذهب الأئمة والسلف إثبات الصفات ونفي التشبيه بالمخلوقات إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل .

(١) انظر : الرسالة التدمرية ص/ ١٠ و ١١ وضمن مجموع الفتاوى ١٦/٣ وكتاب التصوف ضمن

مجموع الفتاوى ١١ / ٤٨٣ وتفسير سورة الإخلاص ص/ ١٨١-١٨٢ .

كما قال نعيم بن حماد الخزاعي^(١) شيخ البخاري : « من شَبَّه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً »^(٢) .^(٣) !!

وكما استدل أهل السنة بالأدلة السمعية لبيان أن الاتفاق بين أسماء الخالق وصفاته ، وأسماء المخلوقين وصفاتهم لا يقتضي المماثلة ، فقد استدلوا أيضا بالأدلة العقلية الموافقة لصحيح المنقول ، فمن ذلك :

١ - ما ذكره الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله بأن وصف الباري عز وجل بأنه موجود ووصف الإنسان بذلك لا يُوجب تشابها بينهما ، وإن كانا قد اتفقا في حقيقة الموجود ولو وجب تشابه بذلك لوجب تشابه السواد والبياض بكونهما موجودين ، فلَمَّا لم يكن بذلك بينهما تشابهاً ، وإن كانا قد اتفقا في حقيقة الوجود ، لم يُوجب أن يُوصف الباري عز وجل بأنه موجودٌ حيٌّ قادرٌ ، وأن يُوصف الإنسان بذلك تشابهاً ، وإن اتفقا في حقيقة ذلك^(٤) !

فبين رحمه الله أن الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق لا يقتضي المماثلة ، وضرب لذلك مثالا عقليا محسوسا ، وهو أن السواد والبياض مشتركان في الوجود وذلك لا يقتضي تماثلهما عند العقلاء ، فكذلك الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق لا يُوجب المماثلة .

٢ - وقد استدل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بمثلين عقليين لبيان عدم اقتضاء المماثلة بالاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق ، وبطلان مقالة

(١) تقدمت ترجمته انظر : ١١٠/١ .

(٢) تقدم عزوه انظر : ١١٠/١ .

(٣) كتاب التصوف ضمن مجموع الفتاوى ٤٨٢/١١ .

(٤) انظر : رسالة أبي الحسن الأشعري إلى أهل الثغر ص/٢١٣ .

أهل التمثيل بذلك .

أ - نعيم الجنة . فالله تعالى أخبرنا عمّا في الجنة من أصناف المطاعم والمشارب والمناكح والمساكن ، فذكر أنّ فيها لبنا وعسلا وماء ولحما وفاكهة وحريرا وذهبا وهورا وقصورا ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه : « ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء »^(١) . فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله تعالى عنها موافقة في الأسماء للحقائق الموجودة في الدنيا وليست مماثلة لها بل بينهما من التباين مالا يعلمه إلا الله تعالى ، فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات ، من مباينة المخلوق للمخلوق ، ومباينته لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق للمخلوق^(٢) .

فإذا كانت المخلوقات في الجنة توافق مخلوقات الدنيا في الاسم والمعنى العام وليس ذلك بمقتضى المماثلة بينهما ، فكيف يكون الخالق مثل المخلوق ، إذا وافقه في الأسماء والصفات ومعانيها العامة الكلية داخل الذهن !!؟

ب - الروح . فهذه الروح التي تُوجد فينا ، والتي توصف بصفات متعددة من الوجود والقدرة والسمع والبصر والصعود والنزول وغير ذلك ، وهي مخلوقة ومع ذلك فالعقول قاصرة عن معرفة كقيتها وتحديدّها لأنهم لم يُشاهدوا لها نظيرًا . فإذا كانت الروح المخلوقة الموصوفة بهذه الصفات لا تماثل شيئًا من المخلوقات فالخالق أولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقّه من أمانه وصفاته من غير تشبيه ولا تمثيل !

(١) هذا الأثر رواه الإمام الطبري في تفسيره عن ابن عباس « ١/٢١٠ وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٦٦/١ .

(٢) انظر : الرسالة التدمرية ص/١٦-١٩ وضمن مجموع الفتاوى ٣/٢٨-٢٩ وكتاب التصوف ضمن مجموع الفتاوى ١١/٤٨٢-٤٨٣ ودرء التعارض ٦/١٢٣-١٢٤ .

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الروح لها صفاتٌ من صعود ونزول وحركة ونحوها ، وهذه الصفات لا تماثل صفات المخلوقات المشاهدة ، لأنها لا تُدرك بالحواس فما بالك بالخالق عز وجل مع المخلوق !

فالرب تعالى إذا وصف نفسه بالنزول ، أو الاستواء على العرش لا يلزم من ذلك أنَّ تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول الأعيان المشاهدة ، وإذا كان نزول الروح وصعودها لا يستلزم ذلك فكيف برَّبِّ العالمين !؟

وإذا كان من نفى صفات الروح يكون جاحدا لها معطلا ، ومن مثلها بما يُشاهده من المخلوقات جاهلا ممثلا لها بغير شكلها وهي مع ذلك ثابتة بحقيقة الإثبات مستحقة لما لها من الصفات فالخالق سبحانه وتعالى أولى أن يكون من نفى صفاته جاحدا معطلا ، ومن قاسه بخلقه جاهلا به ممثلا وهو سبحانه ثابت بحقيقة الإثبات مستحق لما له من الأسماء والصفات (١).

٣ - وذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - إننا نُشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية ، فنشاهد أنَّ للإنسان يداً ليست كيد الفيل ، وله قوة ليست كقوة الجمل ، مع الإتفاق في الاسم ، فهذه يد وهذه يد ، وهذه قوة وهذه قوة ، وبينهما تباين في الكيفية والوصف ، فَعَلِمَ بذلك أنَّ الاتفاق في الاسم والصفة لا يستلزم الاتفاق والتماثل في الحقيقة ، مع كون كل منهما مخلوقاً ممكناً ، فانتفاء التلازم في ذلك بين الخالق والمخلوق أولى وأجل بل التماثل في ذلك بين الخالق والمخلوق ممتنع غاية الامتناع (٢)!

(١) انظر : الرسالة التدمرية ص/١٨-١٩ وضمن مجموع الفتاوى ٣/٣١-٣٢ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/٤٥٨-٤٥٩ .

(٢) انظر كتابه : القواعد المثلى ص/٢٦-٢٧ وتقريب التدمرية ص/٢٠-٢١ .

الوقفه الثانية

مقالة المشبهة إنَّ الله خاطبنا بما نعقل ، ولانعقل من نصوص الصفات إلا التشبيه وموقف أهل السنة منها

أمَّا مقالة المشبهة إنَّ الله خاطبنا بما نعقل ، ولا نعقل من نصوص الصفات إلا التشبيه ، واستدلّاهم لتقرير ذلك بالآيات التي ذكروها^(١) فباطل عند أهل السنة كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين من وجوه :

الوجه الأول : إنَّ الله تعالى خاطب العبادَ بما يفهمون ويعقلون من حيث أصل المعنى ، فإنَّ الله أراد من عباده عقلَ وفهمَ ما جاءت به الرسل عليهم السلام أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته وصفاته ، فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع ، فالسمع معلوم من حيث أصل المعنى وهو إدراك الأصوات لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة لأن حقيقة السمع تتباين في المخلوقات ، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم !!

فإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه ، فإنَّ الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم ، لكنَّ حقيقة الاستواء غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه ، لأنَّ حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق ، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل بغير صعب ولا نفور ، فإذا تباين في حق المخلوق فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم^(٢).

(١) كما تقدم في ٣٥٣/١ - ٣٥٤ .

(٢) انظر : نبرة في العقيدة الإسلامية ضمن رسائل في العقيدة للشيخ ابن عثيمين ص/١٦ وفتح رب البرية بتلخيص الحموية مع المرجع السابق له ص/١٠٧ وتقريب التدمرية له ص/٤٧ .

الوجه الثاني : إنَّ الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ونهى عباده أن يضرِّبوا له الأمثال ، أو يجعلوا له أندادا فقال : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٧٤] وقال : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] وكلامه تعالى يُصدق بعضه بعضا ولا يتناقض^(١)!

فالمشبهة عطلوا نصوص التنزيه ، ولو جمعوا بين نصوص الإثبات والتنزيه كما فعل أهل السنة^(٢) ، لما فهموا على زعمهم من نصوص الصفات إلا التشبيه !!
الوجه الثالث : إنَّ ما أخبر الله به عن نفسه ، فإما أخبر به مضافاً إلى نفسه المقدسة فيكون لائقا به عز وجل لا مماثلا لمخلوقاته ، ولا يمكن لأحد أن يفهم منه المماثلة إلا من لا يعرف الله تعالى ، ولا يُقدره حق قدره ، ولم يعرف مدلول الخطاب الذي يقتضيه السياق^(٣).

الوجه الرابع : إنه لا يمكن أن تكون المماثلة مرادة لله تعالى ، لأن المماثلة تستلزم نقصاً في حق الخالق عز وجل ، واعتقاد النقص في حق الله تعالى كفر وضلال ولا يمكن أن يكون مراد الله تعالى بكلامه الكفر والضللال ، كيف وقد قال تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [النساء : ١٧٦] وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر : ٧]^(٤)!

الوجه الخامس : إنَّ الله تعالى خاطبنا بما خاطبنا به من صفاته ، لكننا نعلم علم اليقين أنَّ الصفة بحسب الموصوف ، ودليل ذلك المشاهدة فإنه يُقال للجمل يدٌ ،

(١) انظر : القواعد المثلى ص/٤٧ .

(٢) تقدم بيان ذلك عند ذكر قواعد أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات انظر : ١٢٨/١ .

(٣) انظر : تقريب التدمرية ص/٢٤ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص/٢٤ .

وللذرة يدٌ ، ولأحد يفهم ويعقل من اليد التي أضفناها إلى الجمل أنها مثل اليد التي أضفناها إلى الذرة هذا وهو في المخلوقات ، فكيف إذا كان ذلك من أوصاف الخالق ، فإنَّ التباين يكون أظهر وأجلى^(١)!

فحيثُ يُقال للمشبه أُلست تُشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية ، فسيقول : بلى . فيقال له : إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا فلماذا لاتعقله بين الخالق والمخلوق ، مع أنَّ التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم ، بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق^(٢)!!

وبهذا يُعلم بطلان مقالة المشبهة : إن الله خاطبنا بما نعقل ولا نعقل من نصوص الصفات إلا التشبيه ، فإن الله تعالى يستحيل أن يُخاطب عباده بما فيه كفر ، كيف وقد نزه نفسه بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ . ولو جمعوا بين نصوص الإثبات والتنزيه كما فعل أهل السنة لما فهموا التشبيه من صفات الله تعالى لكنهم عطلوا نصوص التنزيه وأخطؤوا في فهم نصوص الصفات فلم يفهموا منها إلا التمثيل . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

الوقف الثالث

في بيان موقف أهل السنة من قول المشبهة بحدوث جنس بعض الصفات

أما موقف أهل السنة من قول المشبهة بحدوث جنس بعض صفات الله تعالى وكون الله على زعمهم اتصف بها بعد أن لم يكن متصفاً بها فقد اعتبر أهل السنة هذا المذهب متضمناً لتشبيه الله تعالى بصفات خلقه الحادثة فيهم ، والتي اتصفوا

(١) انظر : شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١١٤/١-١١٥ .

(٢) انظر : القواعد المثلى ص/٤٧ .

بها بعد أن لم يكونوا متصفين بها^(١)، وهذا الوصف يجب تنزيه الله عنه لمناقضته لما علم من وصف الله تعالى بصفات الكمال أزلا وأبدًا .
وبما أنه سيأتي نقد هذا المذهب عند ذكر أمثلة من صفات الله لبيان موقف المشبهة منها ، وموقف أهل السنة من ذلك على سبيل التفصيل^(٢) فإنني سأذكر بعض أقوال أهل السنة في نقد هذا المذهب التشبيهي وإبطاله على سبيل الإجمال مختصرا .

فمن أقوال أهل السنة في تنزيه الله تعالى عن وصف المشبهة له بأنه اتصف بالصفات بعد أن لم يكن متصفا بها :

١ - من ذلك ما ذكره الإمام أحمد رحمه الله ت ٢١٤هـ إن الله تعالى لم يزل بصفاته كلها ، ولا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات لا يتصف بها^(٣) !
وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله أن هذا الذي ذكره الإمام أحمد ردًّا على الكرامية ونحوهم ممن يجعلون جنس صفات الله حادثة اتصف بها بعد أن لم يكن متصفا بها فزعه الإمام أحمد الله سبحانه وتعالى عن سلب صفات الكمال في وقت من الأوقات^(٤)

٢ - وقال الإمام المزني^(٥) رحمه الله ت ٢٦٤هـ : « وصفاته كاملات غير

(١) انظر : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص/٤٦-٤٧ وكتاب التوحيد للإمام ابن منده ٣/

٧ والحجة في بيان المحجة للإمام أبي القاسم التيمي ١/٩٢-٩٣ .

(٢) انظر : ص/٣١٠ و٣١٣ و٣٣٢ و٣٣٣ و٣٣٨ و٣٤١ و٣٤٤ .

(٣) انظر كتابه : الرد على الزنادقة والجهمية ص/٤٦-٤٧ .

(٤) انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٢/٣٧-٣٨ .

(٥) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني ، صاحب الإمام الشافعي ، العلامة الحجة

المجتهد ، من مصنفاته : « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » توفي سنة ٢٦٤هـ انظر : الأعلام

مخلوقات ، دائمات أزليات ، ليست محدثات فتبيد ، ولا كان ربنا ناقصا فيزيد جلت صفاته عن شبه المخلوقين»^(١) . فبين رحمه الله أنَّ صفات الله غير مخلوقة وهذا ردُّ على الجهمية والمعتزلة ونحوهم ممن يقولون بخلق القرآن^(٢) ، وذكر رحمه الله أنَّ الله متصف بصفاته أزلا وأبدا ، لم تحدث له صفة لم يكن موصفا بها ، كما يقول المشبهة لأن القول بهذا يستلزم وصف الله بكونه ناقصا قبل اتصافه بالصفات وهذا تشبيه له بالمخلوق تعالى الله عن هذا الوصف علوا كبيرا .

٣ - وقال الإمام الطحاوي^(٣) رحمه الله ت ٣٢١ هـ : « ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزد بكونهم شيئا ، لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا »^(٤) .

وقد بين الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله أنَّ ما ذكره الطحاوي متفق عليه عند أهل السنة والجماعة ، وأنه تعالى لم يزل بصفات الكمال : صفات الذات وصفات الفعل^(٥) ، ولا يجوز أن يُعتقد أن الله وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها ، لأن صفاته سبحانه صفات كمال ، وفقدتها صفات نقص ، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده^(٦) !!

(١) ذكره الإمام الذهبي في كتابه العرش ٢ / ٢٥٥ والعلو ص / ١٨٥ وانظر : المختصر ص / ٢٠٠ .

(٢) ذكرت ذلك مع نقده على وجه التفصيل في رسالتي : منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ٢ / ٨٠٢ - ٨٠٤ .

(٣) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ، نسبة إلى « طحا » قرية في صعيد مصر الحنفي كان إماما فقيها محدثا ثقة ثبتا ، من مصنفاته : « شرح معاني الآثار » و « العقيدة الطحاوية » توفي سنة ٣٢١ هـ انظر : وفيات الأعيان ١ / ٧١١ ومعجم المؤلفين ٧ / ٢ .

(٤) العقيدة الطحاوية مع شرح ابن أبي العز ص / ١٢٧ .

(٥) سيأتي التعريف بها انظر : ص / ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٦) انظر : المرجع السابق ص / ١٢٧ - ١٢٨ .

٤ - وذكر الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله ت ٣٢٤هـ في رسالته إلى أهل الثغر^(١) إجماع أهل السنة على أن شيئاً من صفات الله تعالى لا يصح أن يكون مُحدثاً ، إذ لو كان شيئاً منها كذلك لكان تعالى قبل حدوثها موصوفاً بضعها ، ولو كان ذلك لخرج عن الإلهية وصار إلى حكم المُحدثين الذين يلحقهم النقص ويختلف عليهم صفات الذم والمدح وهذا يستحيل على الله عز وجل ، وإذا استحال عليه وجب أن يكون لم يزل بصفة الكمال !

٥ - وقال الإمام ابن منده رحمه الله ت ٣٩٥هـ « ... وأنه عز وجل أزلي بصفاته التي وصف بها نفسه ، ووصفه بها الرسول ﷺ ، غير زائلة عنه ولا كائنة دونه فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحداً ، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت على أي معنى تأوله دخل في حكم التشبيه ، والصفات^(٢) التي هي محدثة في المخلوق زائلة بفنائها غير باقية ... » (٣) . (٤)

فبين رحمه الله الفرق بين صفات الخالق والمخلوق ، وأن صفات الله تعالى أزلية غير زائلة عنه ، وصفات المخلوق محدثة اتصف بها بعد أن لم يكن متصفاً بها ، فمن جعل صفات الخالق كذلك فقد شبهه بخلقه ، ومن جحدها كان جاحداً معطلاً !

٦ - وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ت ٧٢٨هـ أن ما يقوله الكرامية من أنه تعالى حدث له من الصفات بذاته مالم يكن حدث يلزم منه انتفاء صفات الكمال عنه ، وقد أبطله السلف والأئمة^(٥) .

(١) انظر : ص/ ١٢٢ .

(٢) لعل الأنسب أن تكون « بالصفات » حتى يتم تنسيق الكلام مع الذي قبله !

(٣) كتاب التوحيد لابن منده ٧/٣ .

(٤) ذكر مثله أبو القاسم التيمي في كتابه الحجّة في بيان الحجّة ١/٩٢-٩٣ فلعله نقله من كتاب التوحيد لابن منده .

(٥) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٣٢٤-٣٢٥ .

وَمَنْ تأمل نصوص الكتاب والسنة وجدها في غاية الإحكام والإتقان وأنها مشتملة على التقديس لله عن كل نقص ، والإثبات لكل كمال ، وأنه تعالى ليس له كمال ينتظر بحيث يكون قبله ناقصاً من الكمال ، وأنه يفعل ما يفعله بعد أن لم يكن فعله (١).

وذكر أن الإقرار بأن الله تعالى لم يزل يفعل ما يشاء ، وتكلم بما شاء هو وصف له تعالى بالكمال الذي يليق به عز وجل ، وماسوى ذلك نقص يجب نفيه عن الله تعالى ، فإن وصفه بالصفات بعد أن لم يكن موصوفاً بها يقتضي أنه كان ناقصاً قبل ذلك ، وهذا ممتنع في العقل بالبرهان اليقيني ، فإنه تعالى إذا لم يكن قادراً ثم صار قادراً فلا بُد من أمر جعله قادراً بعد أن لم يكن ، فإذا لم يكن هناك إلا العدم المحض امتنع أن يصير قادراً بعد أن لم يكن ، وكذلك يمتنع على الله تعالى أن يصير عالماً بعد أن لم يكن قبل هذا ، بخلاف الإنسان فإنه كان غير عالم ولا قادر ، ثم جعله غيره عالماً قادراً (٢) !

وبين شيخ الإسلام رحمه الله أن ما ذكره أئمة السنة والحديث متعين لما جاء في الآثار من أنه سبحانه : لم يزل كاملاً بصفاته لم تحدث له صفة ، ولا تزول عنه صفة وليس هذا بمخالف لقولهم إنه ينزل كما يشاء ، ويحيى يوم القيامة كما يشاء ، وأنه استوى على العرش بعد أن خلق السموات ، وأنه يتكلم إذا شاء ونحو ذلك من الأفعال القائمة بذاته ، فإن الفعل الواحد من هذه الأفعال ليس مما يدخل في مطلق صفاته ولكن بحيث يفعل إذا شاء هو صفته (٣).

(١) انظر : قاعدة في المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ١٨٩/٥ .

(٢) انظر : شرح حديث عمران بن حصين « كان الله ولا شئئ قبله » ضمن المرجع السابق ٥/٣٧٠-٣٦٩ .

(٣) انظر : الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٣٩٠-٣٩١ .

ويقصد شيخ الإسلام بما ذكره أن السلف والأئمة عندما يقولون إن نوع صفات الله أزلية وأنه يتمتع اتصاف الله بها بعد أن لم يكن متصفاً بها ، أن هذا ليس مخالفاً لمذهبهم في الصفات الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته ، فإن الله تعالى متصفٌ بها أزلاً ، فهي قديمة النوع حادثة الآحاد ، بحيث إذا شاء فعلها ، فهي صفته عز وجل أزلاً وأبداً .

٧ - وذكر الشيخ حافظ الحكمي^(١) رحمه الله ت١٣٧٧هـ أن الله أزلي بذاته وأسمائه وصفاته ، لا ابتداء لأوليته ، ولا انتهاء لآخرفته ، وليس شيئاً من أسمائه وصفاته متجدداً حادثاً لم يكن قبل ذلك ، كذلك كان له كمال الربوبية ولا مربوب واسم الخالق ولا مخلوق ، وهو العليم قبل إيجاد المعلومات ، والسميع قبل إيجاد المسموعات ، والبصير قبل إيجاد المبصرات وكذلك سائر صفاته أزلية بأزلية ذاته باقية ببقاء ذاته ، لم يزل متصفاً بها في أوليته ، وكذلك لم يزل متصفاً بها في سرمديته ، ليس بعد خلقه للأشياء استفاد اسم الخالق ، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري ، بل هو سبحانه الخالق قبل خلق المخلوقين ، والرازق قبل وجود المرزوقين ، وهو المحيي المميت قبل خلق الحياة والموت ولا يجوز أن يُعتقد أن الله تعالى وصف نفسه بصفة لم يكن متصفاً بها ، لأن صفاته سبحانه كلها صفات كمال ، وفقدتها صفة نقص ، ولا يجوز كونه قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده^(٢) .

فَعَلِمَ مما تقدم موقف أهل السنة من مقالة المشبهة بحدوث جنس الصفات بعد أن لم يكن الله تعالى متصفاً بها ، وأن هذا المذهب باطل لأنه مناقض لوصف الله

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٧٦/١ .

(٢) انظر : معارج القبول ١/١٤٠-١٤١ .

تعالى بصفات الكمال أزلاً وأبداً ، وفيه تشبيه له عز وجل بالخلق الناقص الذي اتصف بالصفات بعد أن لم يكن متصفاً بها عادماً لها ، وستزول عنه إما بفنائه وموته ، أو بعطوبها وعدم صلاحيتها ، والله تعالى منزّه عن ذلك كله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

الوقفه الرابعة

موقف أهل السنة من وصف بعض المشبهة الله تعالى بالصفات الخاصة بالخلق

ذكرت فيما تقدم عند بيان مذهب المشبهة في الصفات أن منهم من ذهب إلى وصف الله تعالى بأنه ينزل إلى الأرض ويصافح ويُعانق ونحو ذلك من المقالات الفاسدة فاقترضى المقام في هذه الوقفة ذكر موقف أهل السنة من ذلك على سبيل الإجمال .

يعتبر أهل السنة هذا المذهب من أفسد المذاهب ، وأعظمها كفرًا وإلحادًا ، وقد قرروا في منهجهم في التنزيه أنه يجب تنزيه الله تعالى عن أمرين :

١ - تنزيهه تعالى عن النقص المناقض لكمالهِ من الصفات الخاصة بالخلقين كهذا المذهب الفاسد !

٢ - وتنزيهه في صفات كماله تعالى عن أن يكون له مثل (١)!

ونفي النقائص عن الله تعالى عند أهل السنة من لوازم وصفه تعالى بصفات الكمال ، والأوصاف الخاصة بالخلقين ممتنعة في حق الله تعالى ، لأنها صفات نقص ولا يجوز وصف الله بها ، فجنسها منفي عن الله تعالى ، فكما لا يجوز

(١) انظر : منهاج السنة ٤/٥٨٩-٥٩٠ و٢٩/٨ وكتاب التفسير ضمن مجموع الفتاوى ١٦/

وصفه تعالى بأنه عاجزا وأعمى أو أصم ونحوها من صفات العيوب والنقائص كذلك لا يجوز وصفه تعالى بأن له وفرة ، وجوف ، أو أنه ينزل إلى الأرض ونحو ذلك ، لأن ذلك وصفٌ له تعالى بصفات النقص الخاصة بالآدميين المناقضة لوصفه بصفات الكمال^(١)!

فالله تعالى له القدرة التامة ، وأنه سميع بصير ، مستوٍ على عرشه بائن من خلقه لا يختلط بهم ولا يختلطون به !

والكلام في الرب تعالى بما لم يصف به نفسه بدعة وإلحاد عند أهل السنة ، لأن الله تعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، كما قال الإمام أحمد رحمه الله : « لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه لا يتجاوز القرآن والحديث »^(٢).

وقال الإمام أبو محمد البربهاري^(٣) رحمه الله : « واعلم رحمك الله : أن الكلام في الرب تعالى مُحدَث ، وهو بدعة وضلالة ، ولا يُتكلّم في الرب إلا بما وصف به نفسه عز وجل في القرآن ، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه »^(٤).

(١) انظر : الغنية لطالبي طريق الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني ٨١/١ و كتاب التفسير لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٤٢٥/١٦ و ٤٢٧-٤٢٨ و تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ٣٢٥/١٧ ومنهاج السنة ٥٨٩/٤-٥٩٠ و موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٦٠/٢ والقصيدة النونية بشرح الهراس ٦٢-٥٩/٢ والمنتقى من منهاج الاعتدال ص/١٠٤ ولوامع الأنوار البهية ١/٢٦٣ والتحفة المهديّة شرح الرسالة التدمرية ١٧٩/١ و شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١/١٤١-١٤٣ و ١٧١ و تقريب التدمرية ص/٩٧-٩٨ والقواعد المثلى ص/٢٨ .

(٢) ذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى ص/١٦ و ضمن مجموع الفتاوى ٢٦/٥ .

(٣) أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ، الفقيه ، شيخ الحنابلة بالعراق في عصره ، كان محدثاً حافظاً فقيهاً من مصنفاته : « كتاب شرح السنة » توفي سنة ٣٩٩ هـ انظر : شذرات

الذهب ٣١٩/٢ و معجم المؤلفين ٣/٢٣٥

(٤) كتاب شرح السنة للبربهاري ص/٢٤ .

وقال الإمام البيهقي^(١) رحمه الله : « ... فلا يجوز وصف الله تعالى بالإجماد عليه كتاب الله تعالى ، أو سنة رسوله ﷺ ، أو أجمع عليه سلف هذه الأمة »^(٢) .
وقد ثبت عند أهل السنة بصريح المعقول كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال ، والآخر صفة نقص فإن الله سبحانه يُوصف بالكمال منهما دون النقص ، ولهذا لما تقابل الموت والحياة وُصف بالحياة دون الموت ، ولما تقابل العلم والجهل وُصف بالعلم دون الجهل ، وكذلك العجز والقدرة ، والكلام والخرس والبصر والعمى ، والسمع والصمم ، والغنى والفقر فيوصف الله عز وجل بالعلم والقدرة والكلام والبصر دون أضعافها ، ولما تقابلت المباينة للعالم والمداخلة له وُصف بالمباينة للعالم دون المداخلة والمخالطة ، ولهذا لما تقابل العلو والسفول وُصف بالعلو دون السفول ، وإذا كان مُباينا للعالم كان من لوازم مُباينته أن يكون فوق العالم^(٣) !

ولا يمكن لمن له أدنى مسكة من عقل وإيمان أن يصف الله تعالى بضع صفات كماله فيصفه بأنه ينزل إلى الأرض فيصافح ويُعاق ، تعالى الله عن هذه المقالة علوا كبيرا .
فإن وصفه تعالى بهذه المقالة مُناقض لوصفه بصفة العلو والاستواء الثابتة له عز وجل بالسمع والعقل والفضرة^(٤) ، ولا يقول بهذه المقالة إلا أهل الإلحاد والكفر

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي نسبة إلى « بيهق » قرية بنيسابور ، الإمام الحافظ الفقيه ، من مصنفاته : « الأسماء والصفات » و « الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد » و « الجامع لشعب الإيمان » توفي سنة ٤٥٨ هـ انظر : وفيات الأعيان ١/٧٥ وسير أعلام النبلاء ١٨/١٦٣ وترجم له الاستاذ الدكتور أحمد بن عطية الغامدي ترجمة وافية في كتابه : البيهقي وموقفه من الإلهيات انظر : ص/٣١-٣٥ .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ١/٢٣٧ .

(٣) انظر : الصواعق المرسله ٤/١٣٠٧ .

(٤) بينت ذلك في رسائلي منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل انظر : ١/٤٢٦-٤٣٧ .

والزندقة من أهل الحلول والاتحاد^(١)!

ولا يوصف الله تعالى بالصفات التي قد تكون كمالات في حق المخلوق ، كالقول بأن له وفرة أو جوعاً أو أنه يلد ونحو ذلك ، فإن هذه الصفات كمالاً في المخلوق ، نقصٌ في حق الله تعالى لما تضمنته من احتياج من يتصف بها ، فإن من له جوف يحتاج إلى طعام وشراب ونحو ذلك ، والله غني عن ذلك منزّه عنه^(٢) ، وكذلك لا يوصف بأن له وفرة أي : شعر كثيف^(٣) لأن من يتصف بذلك من الآدميين لحاجته إليه لكي يقيه من الحر والبرد ونحو ذلك ، والله تعالى غنيّ منزّه عن ذلك ولا يوصف تعالى بأن له ولدًا ، وإن كان كمالاً في حق الإنسان لحاجته إلى ذلك والله غني عن ذلك منزّه عنه عز وجل ، ولهذا كان من أسس مذهب أهل السنة في إثبات الصفات ، وصفه تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ كما تقدم^(٤) وقد تقدمت الإشارة إلى عدم جواز وصف الله تعالى بما يظن أنه كمال في الإنسان بقياس الأولى مادام لم يرد في الكتاب والسنة ، تقدم بيان ذلك عند ذكر استدلال أهل السنة بقياس الأولى في الإثبات والتنزيه^(٥)!

وقد قرر أهل السنة والجماعة أنّ من وصف الله بغير ما وصف به نفسه فقد ارتكب أعظم المحرمات لقوله على الله بلا علم ، وألحد في أسمائه وصفاته ، لأن من الإلحاد في أسماء الله وصفاته وصفه تعالى بما يتنزه عنه عز وجل من الصفات

(١) سيأتي ذكر بعض أدلة المشبهة بآيات المعية التي استدلوا بها لتقرير أن الله معهم في الأرض كما

يزعمون انظر ٥٦/٢ .

(٢) سيأتي بيان أن الله لا يوصف بأن له جوعاً لما يتضمنه من الاحتياج والنقص وأنه تعالى صمد

لاجوف له انظر : ٣٩/٢ - ٤٧ .

(٣) تقدم معنى ذلك انظر : ١ / ٢٦٢ .

(٤) انظر : ١ / ١٢٦ .

(٥) انظر : ١ / ١٣٧ .

الخاصة بالمخلوقين^(١)!

وإذا كان القول على الله تعالى كما ذكر الشيخ الحكمي في أحكام الشريعة من أعظم المحرمات ، إذ يقول الله في شأنه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِنْتِمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] إذا كان الأمر كذلك في أحكام الشريعة فكيف بالقول على الله تعالى بلا علم في ألوهيته وربوبيته ، وأسمائه وصفاته ، من تشبيه خلقه به ، أو تشبيهه بخلقه ووصفه بصفات النقص الخاصة بهم ؟^(٢)!!

فوصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه تقول على الله بلا علم ، وافتراء على الله بالكذب ، واتباع لخطوات الشيطان الرجيم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالشُّعْرِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٨ - ١٦٩] .

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن القول على الله بلا علم يتضمن الكذب عليه تعالى ، ونسبته إلى ما لا يليق به ، وتغيير دينه وتبديله ، ونفي ما أثبتته ، وإثبات ما نفاه ، وتحقيق ما أبطله ، وإبطال ما حققه ، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته

(١) انظر : بدائع الفوائد ١٥٣/٨-١٥٤ والقصيدة النونية بشرح الهراس ١٢٥/٢-١٢٦ وكتاب الصفات الإلهية للشيخ محمد ناصر الحازمي ص/٣٥-٣٦ ومعارج القبول للحكمي ١/١٢٨-١٢٩ وتوضيح الكافية الشافية للشيخ السعدي ص/٩٧ وتفسيره ١٢٢/٣ والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ص/٣٦١-٣٦٢ وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد صالح العثيمين ١/١١٩ و١٢٣-١٢٤ والقواعد المثلى له ص/٢٦ والشيخ ابن سعدي وجهوده في العقيدة للدكتور عبد الرزاق بن الشيخ عبدالحسن العباد ص/١١١-١١٢ .

(٢) انظر : معارج القبول ١/٣٦٣-٣٦٤ .

وأقواله وأفعاله ، فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه ، ولا أشد إثما ، وهو أصل الشرك والكفر ، وعليه أُسِّست البدع والضلالات ، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم !

ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها ، وقد أنكر الله تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله فقال : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ [النحل : ١١٦] فكيف بمن نسب إلى أوصافه سبحانه وتعالى ما لم يصف به نفسه ، أو نفى عنه ما وصف به نفسه ؟^(١)

قال الشيخ السعدي رحمه الله في معنى قوله تعالى ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ : « ... فمن وصفه بغير ما وصفه به رسوله ، أو نفى عنه ما أثبتته لنفسه أو أثبت له ما نفاه عن نفسه فقد قال على الله بلا علم »^(٢).

فَعَلِمَ مما تقدم موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في وصفهم الله تعالى بما لم يصف به نفسه من الصفات الخاصة بالخلقين ، وأنهم بهذا المذهب قد شبهوا الله تعالى بخلقه ، ووصفوه بما يتنزه عنه عز وجل بصفات النقص المناقضة لاتصافه تعالى بصفات كماله ، وقد ارتكبوا أعظم المحرمات في الدين بقولهم على الله بلا علم ، وألحدوا في أسمائه وصفاته ، تعالى الله وتقدس عن قولهم علوا كبيرا .



(١) انظر : مدارج السالكين ٣/٣٧٢-٣٧٣ .

(٢) تفسير السعدي ١/٢٠٠ .

المقصد الثالث

بيان موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات الله بذكر بعض أدلتهم في تنزيه الله تعالى عن مقالة التشبيه

ومن الأمور الدالة على موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات الله استدلالهم بالأدلة السمعية والعقلية الدالة على تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل وعن جميع صفات العيوب والنقائص الخاصة بالمخلوقين ، وبما أنه سيأتي ذكر النصوص التي يستدل بها أهل السنة لإبطال التشبيه الذي وصمهم به المعطلة على سبيل التفصيل^(١) فإنني سأكتفي هنا بذكر بعضها ، وأقولهم في ذلك على سبيل الإجمال ، مع ذكر أدلتهم العقلية في تنزيه الله تعالى عما وصفه به المشبهة من التشبيه والتمثيل !

فمن أدلتهم السمعية على تنزيه الله عن التشبيه والتمثيل قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فهذه الآية من أعظم الآيات على تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ، وإثبات صفات الكمال لله تعالى ، وهي - كما تقدم^(٢) - جمعت بين الإثبات والتنزيه الذي يتميز به منهج أهل السنة في صفات الله تعالى عن مذهب المشبهة والمعطلة ! وقد قرأ أهل السنة أن قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ردٌّ على المشبهة الممثلة ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ رد على المؤولة المعطلة^(٣) !

(١) في الباب الثالث انظر : ٤٠٥/٢ .

(٢) عند ذكر منهج أهل السنة في صفات الله على سبيل الإجمال انظر : ١٢١ / ١ .

(٣) انظر : منهاج السنة ٥٢٢/٢-٥٢٣-٥٢٥ والجواب الصحيح ١٤٠/٣ وكتاب الأسماء والصفات

ضمن مجموع الفتاوى ٥١٥/٦ والمنتقى من منهاج الاعتدال ص/١٠٣ وشرح العقيدة الطحاوية

ص/٢٣٧ و٢٢٧ .

فأهل السنة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله متفقون على أن الله تعالى : ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وأن طريقة سلف الأمة وأئمتها يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل على حد قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١).

ومن أدلتهم على تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل الذي وصفه به المثلة سورة الإخلاص ، فقد تضمنت تلك الصورة العظيمة كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله توحيد المعرفة والاعتقاد ، وما يجب لله تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه والصدمية المثبتة له تعالى جميع صفات الكمال التي لا يلحقه فيها نقص بوجه من الوجوه ونفي الولد والوالد الذي هو من لازم صمديته تعالى وغناه وأحديته ، ونفي الكفو المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل ، فتضمنت هذه الصورة إثبات كل كمال لله تعالى ، ونفي كل نقص عنه عز وجل .

ونفي إثبات شبيه أو مثيل له في كماله ، ونفي مطلق الشريك عنه ، وهذه الأصول هي : مجامع التوحيد الإعتقادي الذي يُباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك (٢)!

وذكر الإمام ابن رجب رحمه الله (٣) أن سورة الإخلاص أنزلها الله تعالى لنفي ما أضافه إليه المبطلون من تمثيل وتجسيم ، وإثبات أصل وفرع ، فدخل فيها ما يقوله من

(١) انظر : منهاج السنة النبوية ٢/٥٢٢-٥٢٣ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/

(٢) انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ١/٣١٦-٣١٧ وبدائع التفسير الجامع لتفسير ابن

قيم الجوزية جمع يُسرى السيد محمد ٥/٣٦٧-٣٦٨ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٤٢/١ .

يقوله في حق الله تعالى من المشركين وأهل الكتاب من إثبات كفو في شيء من الأشياء ، مثل من يجعل له بتشبيبه أو تجسيمه كفوًا له ، أو يجعل له بعبادة غيره كفوًا ، فلا كفو له تعالى في شيء من صفاته ، ولا في ربوبيته ، ولا في ألوهيته فتضمنت هذه السورة تنزيهه تعالى وتقديسه عن الأصول والفروع والنظراء والأمثال^(١) . وسيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل^(٢) .

ومن الأدلة التي يستدل بها أهل السنة لتنزيه الله تعالى عما وصفه به المشبهة من التشبيه والتمثيل قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٧٤] قال الإمام ابن كثير في تفسيرها : « أي : لا تجعلوا له أندادًا وأشباهاً وأمثالاً »^(٣) .

ففيها كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين النهي عن نوعي التمثيل ، فلا تجعلوا لله مثلاً فتقولوا : مثل الله كذا وكذا ، أو تقولوا : إن يد الله مثل كذا ، ووجه الله مثل كذا ، وذات الله مثل الذات الفلانية وما أشبه ذلك ، لأن الله تعالى يعلم وأنتم لا تعلمون ، وقد أحرركم بأنه لا مثيل له .

وفيها النهي عن تشبيه المخلوق بالخالق واتخاذ شريكا مع الله تعالى في العبادة^(٤) . والنصوص التي يستدل بها أهل السنة في تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل الدالة على موقفهم من مذهب المشبهة كثيرة جدًا ، وأكتفي هنا بما ذكرت لأنه سيأتي الكلام عليها في الفصل الثاني من الباب الثالث عند بيان براءة أهل السنة مما وصمهم به المعطلة من التشبيه والتجسيم !!

(١) انظر : تفسير سورة الإخلاص لابن رجب ص/١٠٠-١٠١ .

(٢) انظر : ٤٠٩/٢ - ٤١٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٩٩/٢ .

(٤) انظر كتابه : شرح العقيدة الواسطية ١/٣٦٨-٣٦٩ .

ذكر بعض أدلة أهل السنة العقلية في تنزيههم الله تعالى عن التشبيه
الدالة على موقفهم من مذهب المشبهة في صفات الله

وكما استدل أهل السنة لتنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ، وإبطال مذهب المشبهة بالأدلة السمعية ، استدلوا كذلك بالأدلة العقلية الموافقة لصحيح المنقول ، فإن العقل والسمع كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله متفقان على أن الله سبحانه لا كفوله ، ولا سمي له ، وليس كمثل شيء ، فلا يجوز أن تكون حقيقته تعالى كحقيقة شيء من المخلوقات ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقات ، فيعلم قطعاً أنه تعالى ليس من جنس المخلوقات لا الملائكة ولا السموات ولا الهواء ولا الكواكب ولا الماء ولا الأرض ولا الآدميين ولا أبدانهم ولأنفسهم ولا غير ذلك ، بل يُعلم أن حقيقته تعالى أبعد عن مماثلة شيء من الموجودات وأن مماثلته لشيء منها أبعد من مماثلة حقيقة شيء من المخلوقات لحقيقة مخلوق آخر^(١) !
ومن الأدلة العقلية على ذلك :

١ - إنه تعالى لو كان مماثلاً في ذاته وصفاته لذوات المخلوقين وصفاتهم لزم أن يجوز على كل منهما ما يجوز على الآخر ، ويجب له ما يجب له ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، وهذا ممتنع عقلاً لأنه يؤدي إلى التناقض ، وذلك بأن يكون كل من الخالق والمخلوق واجب القدم ، ليس بواجب القدم ، موجوداً بنفسه غنياً عما سواه ليس بغني عما سواه ، خالقاً ليس بخالق ومعلوم ببدائه العقول أن هذا يستحيل تصوره عقلاً ، فُعلم أنه تعالى ليس كمثل شيء في نفسه ووجوده وصفات كماله الثابتة لنفسه ووجوده ، وإذا انتفى عنه تعالى مماثلة غيره له في الوجود وصفات كمال الوجود كان هذا إثباتاً لكونه تعالى ليس كمثل شيء ، وأنه لم يكن له كفواً

(١) انظر : الرسالة التلمرية ص/٤٤-٤٥ وضمن مجموع الفتاوى ٨٧/٣ .

أحد ، وأنه لاسمِّي له^(١).

وبناءً على ما تقدم يُقال للمشبه : يلزم على قولك : إنَّ الله يشبه المخلوق أن تقول : إنه يجب لله ويجوز عليه ويستحيل عليه ، ما يجب ويجوز ويستحيل على المخلوق فيرجع قولك إلى أنه لا خالق ولا مخلوق ، إذ ما عهد في طباع بني آدم أن يكون المصنوع هو الصانع ، وإن منعت هذا فلا بُدَّ لك من تمييز بين المتشابهين ، وهو : أن أحدهما خالق والآخر مخلوق ، وعندئذٍ أوجبت لأحدهما صفة لم توجهها للآخر وقلت باستحالة اتصاف أحدهما بصفة الآخر !

فأما ما أوجبت فكون الله خالق وغير مخلوق ، وأما ما جعلته مستحيلًا فكون المخلوق خالقًا ، والخالق مخلوقًا ، وأما ما جوزته على العبد فإمكان العدم على المخلوق ، إذ كان معدومًا ، فمادام عليه في إبتدائه يجوز عليه في انتهائه^(٢).

٢ - ومن الأدلة العقلية التي يستدل بها أهل السنة على إبطال مذهب المشبهة في صفات الله ، وكذا الردُّ على من توهم التشبيه في صفات الله تعالى من المعطلة قولهم : إنَّ القول في الصفات كالقول في الذات ، فإنَّ الله تعالى ليس كمثل شيءٍ لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فإذا كانت له حقيقة لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الذوات^(٣).

(١) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ١/٦٠ و٦٢ ومنهاج السنة ٢/

١١٧-١١٨ و١٨٣-١٨٤ والرسالة التدمرية ص/٤٥ وضمن مجموع الفتاوى ٣/٨٧ وشرح

العقيدة الأصبهانية ص/١٢١ وتقريب التدمرية ص/١٠٧ .

(٢) انظر : القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف للدكتور : إبراهيم البريكان ص/

٣٩٣-٣٩٤ .

(٣) انظر : الرسالة التدمرية ص/١٥ وضمن مجموع الفتاوى ٣/٢٥ وشرح العقيدة الطحاوية ص/

٢١٣-٢١٤ والدرر السنية في الأجوبة النجدية لابن القاسم ١٢/٤٧ ومنهج ودراسات لآيات

الأسماء والصفات للشنقيطي ص/٢١ والقواعد المثلى للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص/٢٧ .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « فمن قال لأعقل علماً ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين . قيل له : فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين . ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته ، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثلته شيء إلا ما يناسب المخلوق ، فقد ضلَّ في عقله ودينه » (١).

وذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين أنه قد عُلم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات ، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تبايناً في الصفات ، لأنَّ صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر من صفات المخلوقين المتباينة في الذوات فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة ، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى (٢).

٣ - ومن الأدلة العقلية التي يستدل بها أهل السنة لتنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ، وإبطال مذهب المشبهة ذكرهم الفرق بين صفات الخالق والمخلوق ، فإنَّ من له أدنى مسكة من عقل وإيمان لا يخفى عليه هذا الأمر الجلي كوضوح الشمس في رابعة النهار .

وقد استنبط العلماء هذا النوع من الاستدلال من كتاب الله تعالى فإن الله عز وجل كثيراً ما يذكر في القرآن الكريم صفات النقص التي يتصف بها المخلوق بجانب صفات كماله عز وجل ، ليدل بذلك العقلاء على تنزيهه تعالى عن المماثلة وإبطال الشرك ، ووصفه بصفات الكمال واستحقاق العبادة له عز وجل دون ماسواه . ومن الآيات في ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩١] وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا

(١) انظر : الفتوى الحموية الكبرى ص/٦٦ وضمن مجموع الفتاوى ١١٤/٥ .

(٢) انظر : القواعد المثلى ص/٢٦-٢٧ .

تَذَكَّرُونَ ﴿ [النحل : ١٧] فَإِنَّ الْعُقُلَاءَ كُلَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الَّذِي يَخْلُقُ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ تَعَالَى ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ فَيَجِبُ حَيْثُ ذُكِرَ تَنْزِيهِ الْخَالِقِ تَعَالَى عَنِ الْمِثَالَةِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ عِزٌّ وَجَلٌّ .

ومن الأئمة الذين سلكوا هذا المنهج في الاستدلال على تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل وعن كل عيب ونقص الإمام ابن منده رحمه الله في كتابه التوحيد ، فقد عقد فصلا عنون له بقوله : « بيان آخر على الفرق بين سماع الخالق وسمع المخلوق » أورد تحته بعض النصوص الدالة على ما يدل على وصف الله تعالى بصفات الكمال ومنها صفة السمع ، وتنزيهه عن صفات النقص الخاصة بالمخلوق^(١) بين بها أن سمع المخلوق ليس كسمع الخالق ، لأن سمع المخلوق حادث ناقص لا يسمع إلا عن قرب وقد تصيبه آفة من صمم ونحوه فيتعطل عن السماع ، وسمع الخالق أزلي أبدي ، يسمع تعالى من قرب كما يسمع من بعد لا تختلط عليه الأصوات ، منزّه عن سمات الحدوث والنقص ليس له شبيه ولا مثيل في ذلك وفي جميع صفاته عز وجل .

وذكر الإمام ابن منده أيضا فصلا آخر عنون له بقوله : « ذكر الفرق بين رؤية الخالق الباقي والمخلوق العاجز القاني ... » ذكر فيه من النصوص الدالة على الفرق بين رؤية الخالق تعالى الدال على كماله عز وجل وتنزيهه عن النقص والعيوب ، وعن الشبيه والمثيل ورؤية المخلوق الدالة على اتصافه بصفات النقص والعيوب^(٢) ، وذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين بعض الأدلة العقلية التي فيها بيان الفرق بين الخالق والمخلوق ، لتنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ، والرد على المشبهة فقال : « أنا نجد التباين العظيم بين الخالق والمخلوق في صفاته وفي أفعاله ، في صفاته يسمع عز

(١) انظر : كتاب التوحيد لابن منده ٥٣/٣

(٢) انظر : المرجع نفسه ٧٣/٣ .

وجل كل صوت مهما خفي ومهما بُعد ، لو كان في قعر البحار لسمعه عز وجل .
 وأنزل الله قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] تقول عائشة رضي الله عنها : « الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، إني لفي الحجرة ، وإنه ليخفى عليّ بعض حديثها^(١) .^(٢) . والله تعالى سمعها من على عرشه ، وبينه وبينها ما لا يعلم مداه إلا الله عز وجل ولا يمكن أن يقول قائل : إن سمع الله مثل سمعنا^(٣) ! فإن الفرق بين الخالق والمخلوق لا يخفى على من له أدنى بصير ، فإن الرب تعالى كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله غنيّ بنفسه عن كل ما سواه ، ويمتنع أن يكون مفتقرا إلى غيره بوجه من الوجوه ، والملوك وسادة العبيد محتاجين إلى غيرهم حاجة ضرورية^(٤) .
 وكما دلّ العقل الصريح على نفي التماثل بين الخالق والمخلوق ، كذلك الفطرة السليمة دالة على ذلك ، فإنّ الإنسان كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين يعرف بدون أن يُلقن الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولولا هذه الفطرة ، ما ذهب يدعو الخالق^(٥) .
 فتبين مما تقدم موقف أهل السنة من مذهب المشبهة ، وأنهم يستدلون لإبطاله وتنزيه الله عنه بالأدلة السمعية والعقلية ، وكذا بدليل الفطرة ، وقد تقرر بذلك أنّ الله تعالى لا مثيل له ولاشبيهه في ذاته وصفاته وأفعاله ، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

(١) تقصد خولة بنت ثعلبة التي ظاهر عنها زوجها ، فاشتكته إلى رسول الله ﷺ فنزلت بشأنها آية

الظهار انظر : تفسير ابن كثير ٤/٣٤١-٣٤٤ .

(٢) رواه البخاري معلقا في كتاب التوحيد ١٣/٣٨٤ ووصله الإمام أحمد في المسند ٦/٤٦ وابن

ماجه بهذا اللفظ ١٨٨ ورواه بلفظ « تبارك » ح ٢٠٦٣ .

(٣) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١/١٠٤ .

(٤) انظر : كتاب توحيد الربوبية ضمن مجموع الفتاوى ١/٢١٦ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الواسطية ١/١٠٥ .

المقصد الرابع

نهى أهل السنة عن الأمور المفضية إلى التشبيه

ومن الأمور الدالة على موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات الله تعالى نهيمهم عن الأمور المفضية إلى التشبيه والتمثيل ، كالبحث عن كيفية ذات الله تعالى وصفاته والتفكر في ذات الله تعالى والسؤال عن ذلك بما يخالف الشرع واستعمال الأقيسة الفاسدة^(١) التي لا يجوز استعمالها في الأمور الإلهية ، لما تُفضي إليه من القول بالتشبيه والتعطيل وسيكون بيان هذه الأمور ونهي أهل السنة عنها الدال على موقفهم من مذهب المشبهة في صفات الله تعالى بما يلي :

أولاً : النهي عن البحث عن الكيفية في ذات الله تعالى وصفاته

كيفية ذات الله تعالى وصفاته عند أهل السنة من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل للخوض فيها لكونها لم ترد في الكتاب والسنة ، فكان البحث عنها لطلب معرفتها بدعة محرّم في الدين^(٢) .^(٣) ، ومفضٍ بصاحبه إلى التمثيل^(٤) ، لذا نهوا عنها أشدّ النهي ، وحذروا عنها أشدّ التحذير^(٥) .

وقد صانوا منهجهم في صفات الله عن التكييف المؤدي إلى التشبيه ، كما صانوه عن التحريف المفضي إلى التعطيل ، فلا يكادون يذكرون منهجهم في صفات الله

(١) سيأتي ذكر بعض الأقيسة الفاسدة التي استعمالها المشبهة ، عند ذكر بعض أدلتهم وشبهاتهم في التشبيه انظروا : ٢ / ٨٥ و ١١٧ وما بعدها .

(٢) انظر : الحجة في بيان الحججة ٢/٤٦٩-٤٧٠ .

(٣) سيأتي قول الإمام مالك رحمه الله عن كيفية الاستواء : « والسؤال عنه بدعة » .

(٤) انظر : الرسالة المدنية لابن تيمية ص/١٠ وضمن مجموع الفتاوى ٦/٣٥٥ والرد على الطوائف

الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٤٧٢-٤٧٣ .

(٥) ستأتي أقوالهم في ذلك قريباً .

إلا ويقولون : بلا تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل^(١). كل ذلك صيانة لمنهجهم عن ذلك ، وتميزا له عن منهج أهل التعطيل ، والتشبيه !
وقد قرروا أن كيفية ذات الله عز وجل وصفاته من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى^(٢)، والعقل كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله قد يعس من التعرف على كنه الصفة وكيفيةها ، فإنه لا يعلم كيف هو إلا الله عز وجل ، وهذا معنى قول السلف « بلا كيف » أي : بلا كيف يعقله البشر ، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته ؟
ولا يقدح ذلك في الإيمان بصفات الله ومعرفة معانيها ، فإن الكيفية وراء ذلك ، كما أننا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق اليوم الآخر ، ولا نعرف حقيقة كفيته ، مع القرب ما بين المخلوق والمخلوق ، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم^(٣)!

فكان الإيمان بصفات الله مع الابتعاد عن طلب كفيته من منهج الراسخين في العلم المتبعين لهدي الكتاب والسنة ، وطلبه من سبيل أهل الأهواء والبدع المتبعين

(١) انظر على سبيل المثال المراجع الآتية : عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٠٦/١ ومنهاج السنة ١١٠/٢-١١١ و الرسالة التدمرية ص/٤ وضمن مجموع الفتاوى ٤/٣-٤ ونقض المنطق ص/٤ و٦ وضمن مجموع الفتاوى ٤/٤ و٥ و الفتوى الحموية الكبرى ص/ ٢٤ و٣٥ وضمن مجموع الفتاوى ٤٠/٥ و٦٠ وكتاب توحيد الأسماء والصفات المرجع نفسه / ٥ / ٢٥٦ - ٢٥٧ والصواعق المرسله ١/٢٢٩-٢٣٠ و ٣/١٢٩ وكتاب الروح ص/ ٣٣٤ والبرهان في عقائد أهل الأديان ص/٩٥-٩٦ وقطف الثمر في عقيدة أهل الأثر ص/ ٢١ و٤٧-٣٨ وكتاب الصفات للشيخ محمد ناصر الحازمي ص/١٩-٢٠ وشرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١/٨٦ .

(٢) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧ / ٣٤٧ ومدارج السالكين ٣ / ٣٥٩ والعلو للإمام الذهبي ص/ ١٣٩ .

(٣) انظر : مدراج السالكين ٣/٣٥٩ .

للمتشابهات الزائعين عن هدي الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة .
وقد تعارف أهل السنة أن لا يقولوا في صفات الله كيف ، ولا في أفعاله لم (١)
وذلك إيمانا وتسليما منهم لما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله العليا
وأسمائه الحسنى وأفعاله الباهرة عز وجل .

ويمكن ذكر بعض أقوالهم الدالة على موقفهم من البحث عن كيفية ذات الله
تعالى وصفاته ، والنهي عن ذلك الدال على موقفهم من مذهب المشبهة المكيفة .
١ - من ذلك ما ذكره الإمام عبد العزيز بن الماجشون رحمه الله (٢) ت ١٦٤ هـ أن الله
تعالى فاقت عظمته الوصف والتقدير ، وكلت الألسن عن تفسير صفته
وانحسرت العقول دون معرفة قدره ، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو وكيف يعلم من
يموت ويلى قدر من لا يموت ولا يلى يُقال : كيف للمخلوق الذي لم يكن مرة ثم
كان ، أما الله تعالى الذي لا يحول ولا يزول وليس له مثيل ، فإنه لا يعلم كيف هو
إلا هو (٣) .

فبين رحمه الله أن الله لا يقال عنه كيف ، كما يُسأل عن المخلوق ، لأنه تعالى لا
يعلم أحدٌ كنه ذاته وصفاته ، وقد انحسرت العقول عن معرفة ذلك ، وأنه تعالى لا
مثيل لله ولا يعلم كيف هو إلا هو !

(١) انظر : كتاب شرح السنة للبرهاري ص/٤٤ والحجة في بيان المحجة ٢/٢٦٩-٢٧٠ ومدارج
السالكين ٣/٣٩٥ .

(٢) أبو عبد الله عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، الإمام الفقيه المحدث
الحافظ الثقة الورع ، توفي سنة ١٦٤ هـ انظر : وفيات الأعيان ٣/١٦٦ وتهذيب التهذيب ٦/
٣٤٤ .

(٣) ذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المطبوع » ١٦٦/٢ ودرء التعارض ٢/٣٦٦ ومواقفة صحيح
المعقول لصريح المعقول ١/٣٢٦ والفتوى الحموية ص/ ٢٥ وضمن مجموع الفتاوى ٥/
٤٢-٤٦ وذكره الإمام الذهبي في العلو ص/١٣٨-٣٨٦ وراجع المختصر ص/١٤٤-١٤٥ .

٢ - وجاء رجل إلى الإمام مالك رحمه الله ت ١٦٩ هـ فسأله عن كيفية استواء الله عز وجل على عرشه ، فغضب على مقالته ، وعلاه العرق ثم قال : « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، ما أراك إلا مبتدعاً فأمر بالرجل أن يخرج »^(١) ! فبين رحمه الله أن الخوض في طلب معرفة كيفية الصفات ومنها صفة الاستواء والسؤال عنها بكيف بدعة محرمة في الدين يجب النهي عنها ، وزجر وتأديب السائل عنها .

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن مقالة الإمام مالك عن عدم معرفة كيفية الصفات ومنها صفة الاستواء موافق لقول أئمة أهل السنة الذين قالوا : « أمروها كما جاءت بلا كيف »^(٢) فقولهم : « أمروها كما جاءت » ردّ على المعطلة ، وقولهم : « بلا كيف » ردّ على الممثلة^(٣) .

وذكر الإمام الذهبي^(٤) رحمه الله أن ما قاله الإمام مالك من أن كيفية الصفات

(١) رواه الإمام الدارمي في الرد على الجهمية ص/٣٣ واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/٣٩٨ والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٣٠٥-٣٠٦ وأورده شيخ الإسلام في الفتاوى الحموية ص/٢٤ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٤٠ وذكره الإمام الذهبي في العلو ص ، ١٣٨-١٣٩ وصحح إسناده وراجع المختصر ص/١٤١-١٤٢ .

(٢) تقدم عزوه انظر : ١٢٩/١ .

(٣) انظر : رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٣٢-٣٣ والرسالة التدمرية ص/٣١ وضمن مجموع الفتاوى ٣/٥٨ والفتاوى الحموية الكبرى ص/٢٤-٢٥ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٣٩ و٤١ وشرح حديث النزول ص/ ٣٢-٣٣ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٣٦٥ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الأصل ، الدمشقي ، الذهبي ، الإمام العلامة الحافظ المحدث المؤرخ الناقد ، من تصانيفه الكثيرة : « تاريخ الإسلام الكبير » و« ميزان الاعتدال في نقد الرجال » و« سير أعلام النبلاء » توفي سنة ٧٤٨ هـ انظر : شذرات الذهب ٦/١٥٣ ومعجم المؤلفين ٨/٢٨٩-٢٩٠ .

غير معقولة ومنها صفة الاستواء ، هو قول أهل السنة قاطبة فهم رحمهم الله لا يتعمقون ولا يخوضون فيما خاض فيه أهل البدع المعطلة والمشبهة نفياً وإثباتاً بل سكتوا عمالم يرد ، وذكروا أنه لو كان للكيفية تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون ، ولما وسعهم إقراره وإمراره ، بل قرروا أنهم يعلمون يقيناً أن الله جل جلاله لا مثيل له في صفاته^(١).

٣ - وقال الفضيل بن عياض^(٢) رحمه الله ت ١٨٧هـ : « ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف ، لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ فلا صفة أبلغ مما وصف الله عز وجل نفسه ، وكل هذا النزول والضحك ، وهذه المباهاة ، وهذا الإطلاح ، كما شاء أن ينزل ، وكما شاء أن يباهي ، وكما شاء أن يضحك ، وكما شاء أن يطلع ، وكما شاء أن يضحك ، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف^(٣).

فبين رحمه الله أن الله وصف نفسه بصفات الكمال فأبلغ في ذلك الصفة ، ولم يبين الكيفية ، وأن البحث عن ذلك يؤدي إلى وصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ، وبما يتنزه عنه من التمثيل والتشبيه ، والله تعالى لا مثيل له ولا شبيه ولا كفو ، بل هو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأهل السنة لا يتوهمون الكيفية في صفات الله تعالى ولذلك سلموا من الوقوع في التمثيل والتشبيه والتعطيل .

٤ - ومن ذلك أنه روي في مجلس يزيد بن هارون رحمه الله ت ٢٠٦هـ حديث

(١) انظر : كتابه العلوص ١٣٩ ومختصره ص/١٤١-١٤٢ .

(٢) أبو علي الفضيل بن عياض التميمي ، الإمام الزاهد المشهور ، أصله من خراسان ، وسكن مكة ، ثقة عابد ، توفي سنة ١٨٧هـ أو قبلها انظر : تقريب التهذيب ١٥/٢ .

(٣) ذكره شيخ الإسلام في درء تعارض العقل ٢٣/٢-٢٤ . عن كتاب السنة لأبي بكر بن الأثرم . وذكر أنه نقله عنه الخلال في كتاب السنة ، وقد بحث عنه في المطبوع فلم أجده .

جرير بن عبد الله البجلي^(١) « وفيه قول رسول الله ﷺ : « ... إنكم تنظرون إلى ربكم كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر ... »^(٢) فقال رجل في مجلس يزيد بن هارون يا أبا خالد ما معنى هذا الحديث ، فغضب وحرد^(٣) ، وقال : ما أشبهك بصبيغ^(٤) ، وما أحوجك إلى مثل ما فعل به! ويلك! من يدري كيف هذا؟! ومن يتجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث أو يتكلم فيه من تلقاء نفسه إلا من سفه نفسه ، فإنكم إن اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم وإن لم تفعلوا هلكتم^(٥) . والشاهد قوله : « ويلك! من يدري كيف هذا » ، حيث فهم رحمه الله أنه يسأل عن كيفية رؤية الله تعالى ، ولذا غضب ، وقرر أن ذلك من التشابهات التي يجب الإيمان بها ويؤدب الخائض فيها والسائل عنها ، وذلك لأن السؤال عن الكيفية مجاوزة عما جاء في الحديث ، من وجوب الإيمان برؤية الله تعالى من غير بحث وسؤال عن الكيفية المفضية إلى التشبيه أو الإنكار وليس هذا خاصا بالرؤية بل ذلك عام فيما يتعلق بالله تعالى ومن ذلك صفاته عز وجل !

- (١) أبو عمرو جرير بن عبد الله البجلي الصحابي المشهور ، بعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الخلفة فهدمها ، توفي سنة ٥١ هـ وقيل غير ذلك انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ١/٢٣٢ .
- (٢) حديث جرير بن عبد الله البجلي هذا أخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب ما أنكرت الجهمية ح ١٧٧ وأخرج البخاري حديثا بمعناه من حديث أبي هريرة في كتاب الأذان ٢ / ٤١ ح ٨٠٦ .
- (٣) حرد : أي : اشتد غضبه ، يقال : رجل حرد وحارد أي : غضبان . ويطلق على الرجل الذي إذا إغتاظ تحرش بالذي غاظه وهم به . انظر : لسان العرب ٣/٤٣٣ مادة « حرد » .
- (٤) صبيغ بن عسل هو الرجل الذي كان يسأل عن متشابه القرآن ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فبعث إليه ، وقد أعد له عراجين من النخل فضربه بها حتى شججه ، وخرج الدم منه ، ونهى الناس عن مجالسته . انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/١١٨-١١٩ .
- (٥) ذكره الإمام الصابوني في كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث المطبوع ضمن المرجع السابق ١/١١٨ و الإمام أبو القاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ٢/٤٦٩-٤٧٠ .

٥ - وذكر أبو أحمد الهروي ت ١٦٧هـ^(١) أنَّ أهل السنة ابتعدوا عن تكيف صفات الله تعالى ، وعن تفسير أهل التكيف والتشبيه ، بل تلقوها بحسن القبول تصديقًا ، ونزهوا الله عز وجل عن صفات المخلوقين ، وقرروا أنَّ الكيف عن صفات الله تعالى مرفوع^(٢) .

٦ - وقال الإمام ابن قتيبة^(٣) رحمه الله ت ٢٧٦هـ في معرض مناقشته المنكرين لرؤية الله تعالى الخائضين في البحث عن الكيفية : « فَإِنْ قَالُوا لَنَا : كَيْفَ ذَلِكَ الْمَنْظُورُ وَالْمَنْظُورُ إِلَيْهِ ، قُلْنَا : نَحْنُ لَا نَنْتَهِي فِي صِفَاتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَّا حَيْثُ انْتَهَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا نَدْفَعُ مَا صَحَّ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ فِي أَوْ هَامَنَا وَلَا يَسْتَقِيمُ عَلَيَّ نَظَرْنَا ، بَلْ نُوْثَمِنُ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَقُولَ فِيهِ بِكَيْفِيَّةٍ وَحْدًا »^(٤) .

وذكر رحمه الله أنَّ الله وضع عن عباده أن يفكروا فيه كيف كان ، وكيف قَدَّر وكيف خلق ، وأن البحث عن ذلك مستحيل ممتنع ، لأنه تكليف بما لا يقدر عليه العبد ، ولم يكن إدراك ذلك في وسعه ولا في تركيبه^(٥) !

(١) أبو أحمد بن أبي سلمة القرشي الهروي ، ذكر الإمام أبو القاسم التيمي أنه كان من أفاضل من كان بخراسان من العلماء والفقهاء ، انظر : المرجع السابق ٤٧٦/٢ ولم أجد ترجمته فيما وقفت عليه من كتب التراجم ، غير أن محقق كتاب الحججة في بيان الحججة محمد أب وريحيم ذكر أنَّ والده هو حماد بن سلمة القرشي ، ولم يترجم له ، وحماد بن سلمة توفي سنة ١٦٧هـ . انظر : الحججة في بيان الحججة ٤٦٧/٢ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٤٦٧/٢-٤٧٧ .

(٣) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الإمام العلامة الكاتب الأديب اللغوي . قال عنه الإمام الخطيب البغدادي : « كان ثقة دينا فاضلا » من مصنفاته : « تأويل مختلف الحديث » و« الشعر والشعراء » توفي سنة ٢٧٦هـ انظر : تاريخ بغداد ١٧٠/١٠ وسير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣ .

(٤) تأويل مختلف الحديث ص/ ١٨٨ .

(٥) انظر : الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص/ ٤٠ .

٧ - وذكر الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله ت ٣٣٠ هـ إجماع أهل السنة على الإيمان بصفات الله ، وعدم التعرض في ذلك بالتكليف ، وتقرير أن ترك التكليف في صفات الله تعالى لازم^(١).

٨ - وعقد الإمام ابن منده رحمه الله ت ٣٩٥ هـ في كتابه التوحيد^(٢) فصلا عنوان له بقوله : « ذكر بيان النهي عن تقدير كيفية صفات الله عز وجل ، والدليل على إثبات صفاته وأن الله وصف نفسه بالسمع والبصر واليمين بترك التشبيه والتمثيل » وأورد تحته النصوص الدالة على ما ذكر . فبين رحمه الله بصنيعه هذا أن تقدير كيفية صفات الله تعالى منهى عنه ، لأنه طريق إلى التشبيه والتمثيل ، وأن أهل السنة يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بترك التكليف والتشبيه والتمثيل !

٩ - وذكر الإمام أبو محمد الجويني^(٣) رحمه الله ت ٤٣٨ هـ والد إمام الحرمين^(٤) أن صفات الله تعالى معلومة من حيث الثبوت ، غير معقولة من حيث التكليف والتحديد ، فيكون المؤمن بها مبصرا من وجه ، أعمى من وجه ، مبصرا

(١) انظر : رسالته إلى أهل الثغر ص/ ١٣٣ .

(٢) انظر : ج ٢١/٣ .

(٣) أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني ، كان على طريقة الأشاعرة في علم الكلام ، ثم رجع عن ذلك إلى مذهب السلف وألف : « إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد وتزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية » توفي سنة ٤٣٧ هـ انظر ترجمته في : تبين كذب المفتري لابن عساكر ص/ ٢٥٧-٢٥٨ والأعلام ٤/ ١٤٦-١٤٧ .

(٤) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، المشهور بإمام الحرمين ، من كبار أئمة الأشاعرة ، وقد ندم في آخر عمره بسبب خوضه في الكلام المذموم ، ورجع إلى مذهب السلف ، من مصنفاته : « الشامل في أصول الدين » توفي سنة ٤٧٨ هـ انظر ترجمته في : وفيات الأعيان = ١٦٧/٣ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٧ وكتاب العلو للذهبي ص/ ٢٥٧-١٥٩ .

من حيث الإثبات والوجود ، أعمى من حيث التكيف والتحديد ، وبهذا يحصل له الجمع بين إثبات الصفات ، وبين نفي التحريف والتشبيه ، الذي هو مراد الرب تعالى من العباد^(١) .

١٠ - وذكر الإمام أبو عثمان الصابوني^(٢) رحمه الله ت ٤٩٩ هـ أن أصحاب الحديث أثبتوا لله تعالى ما أثبتته لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ وابتعدوا عن تحريف الجهمية المعطلة ، وتكليف المشبهة الممثلة ، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكليف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتتزيه ، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه^(٣) .

١١ - وذكر الإمام البغوي^(٤) رحمه الله ت ٥١٠ هـ أن الامتناع عن الخوض في صفات الله تعالى بالتكليف والتشبيه واجب ، وأن المهتدي من سلك في نصوص الصفات طريق التسليم ، وأن الخائض فيها زائغ ، والمنكر معطل والمكيف مشبه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٥) .

١٢ - وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ت ٧٢٨ هـ موقف أهل السنة من طلب معرفة كيفية صفات الله تعالى ، وأن ذلك بدعة عندهم ، وأنهم مجمعون على أن كيفية الصفات ليس بحاصل للعباد ، لأن العلم بكيفية الصفات فرع العلم

(١) انظر : رسالة أبي محمد الجويني في إثبات الاستواء والفوقية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية /١

١٨٢ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٦١/١ .

(٣) انظر كتابه : عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن المرجع السابق ١٠٦/١-١٠٧ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ١١٢/١ .

(٥) انظر كتابه : شرح السنة ٢٥٧/١٥-٢٥٨ .

بكيفية الموصوف ، فإذا كان الموصوف لا تُعلم كيفية امتنع أن تُعلم كيفية صفاته^(١) .

ووضح رحمه الله أن أهل السنة متفقون على نفي معرفة حقيقة الله وكيفية صفاته فنفوا المعرفة بالكيفية ، حيث قالوا : لا تجري ما هيته في مقال ، ولا تخطر كفيته بمثال ولا يحيط أحدٌ من المخلوقين على حقيقة ذاته .

وذكر أدلة عقلية لبيان عدم معرفة كيفية ذات الله تعالى وصفاته ، فذكر الجنة والروح ، والخضر مع موسى عليه السلام وغير ذلك من الأشياء التي ذكر لنا وصفها وهي أمور غيبية ، ولانعلم كفيته فخالقها من باب أولى ألا تعلم كفيته ، لعدم ورود النص بذلك فلا يجوز البحث فيه بأي حال من الأحوال ، لما يُفضي إليه من الوقوع في التمثيل المنتفي عن الله تعالى^(٢) .

فَعَلِمَ مما تقدم أن أهل السنة مجمعون على النهي عن التكيف في ذات الله تعالى وصفاته ، ويردون بذلك على المشبهة الذين خاضوا في كيفية الصفات ، وعلى المعطلة الذين خاضوا كذلك في كيفية الصفات ، فوقعوا في التشبيه ثم فروا منه إلى التعطيل^(٣) .

يردون بذلك على هاتين الطائفتين المبتدعتين ، وينزهون الله تعالى عن معرفة كفيته وتشبيهه بذلك في ذاته وصفاته ، المناقض لصفات الكمال الثابتة له تعالى أزلا وأبداً .

(١) انظر : الرسالة التدمرية ص/ ١٥ وضمن مجموع الفتاوى ٢٥/٣ ونقض المنطق ص/ ٦ وضمن مجموع الفتاوى ٦٧/٤ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٣٩٩ .

(٢) انظر : الرسالة التدمرية ص/ ١٦-١٨ وضمن مجموع الفتاوى ٣/ ٣٨-٣٤ والرسالة المدنية ص/ ٤٩ وضمن مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥٥ ونقض التأسيس « المطبوع » ٦٤/١ .

(٣) سيأتي بيان ذلك في الباب الرابع انظر : ٢٧٥/٣ .

ثانيا : النهي عن التفكير في ذات الله عز وجل

ومن الأمور المفضية إلى التشبيه والتي نهى عنها أهل السنة التفكير في ذات الله تعالى ، لأن ذاته عز وجل أعظم من أن يدخل فيها التفكير ، لأن التفكير والتقدير إنما يكون في الأمثال والمقاييس التي يكون فيها تشابه وهي المخلوقات ، وأما الخالق تعالى فليس له شبيه ولا نظير ولا مثيل وهو تعالى كما قال : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وكما قال : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] .

ويعتبر التفكير في ذات الله عز وجل من منافذ الشيطان التي يدخل منها إلى الإنسان فيوحي إليه بوساوسه الإبلسية قاصداً إغواءه وتشكيكه في توحيده لنقض إيمانه^(١) ! فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَعَنَهُ اللَّهُ كَمَا ذَكَرَ الْإِمَامُ عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ الْمَكِّيَّ^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَعْظَمَ مَا يُوسَّسُ فِي التَّوْحِيدِ بِالتَّشْكِيكِ ، وفي صفات الرب بالتمثيل والتشبيه أو بالبحود لها أو التعطيل^(٣) !!

ولذا نهى أهل السنة عن التفكير في ذات الله تعالى ، وأمروا بالتفكير في المخلوقات الدالة على عظمة الله عز وجل وتوحيده ، وقد عقد الإمام أبو القاسم اللالكائي^(٤) رحمه الله في كتابه « شرح أصول اعتقاد أهل السنة

(١) انظر : تعليقات الدكتور : رضا الله المباركفوري على كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني /١

. ٢٦٩-٢٧٠ .

(٢) أبو عبدالله عمرو بن عثمان بن كعب المكي الصوفي الزاهد ، العالم ، قال عنه الإمام الذهبي :

« كان عمرو هذا من نظراء الجنيد ، كبير القدر » توفي سنة ٢٩٧ هـ انظر : العلو الذهبي ص/

٢١٢ وكتابه العرش ٢/ ٢٧٢ والأعلام ٥/ ٨١-٨٢ .

(٣) ذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المطبوع » ٢/ ٢٧٥ والإمام الذهبي في العلو ٢/ ٢٧٥ وفي

كتابه العرش ٢/ ٢٧١ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٦٢/١ .

والجماعة»^(١) فضلا عنون له بقوله : « سياق ما زوي عن النبي ﷺ في النهي عن التفكير في ذات الله عز وجل » ذكر فيه بعض الآثار والأحاديث الواردة في النهي عن التفكير في ذات الله تعالى ، والآمرة بالتفكر في المخلوقات الدالة على عظمة الله تعالى وتوحيده ، وقد أعقبه بفصل آخر عنون له بقوله : « سياق ما زوي في تكفير المشبهة»^(٢) فكانه بصنيعه هذا يشير رحمه الله إلى أن التفكير في ذات الله من الأمور المفضية إلى التشبيه وفي بعض الآثار التي أو ردها في النهي عن التفكير في ذات الله فيها النهي عن التمثيل والتشبيه ، مما يدل على أن التفكير في ذات الله مفضٍ إلى التشبيه والتمثيل الذي يتنزه عنه الباري عز وجل !!

ومن الأحاديث التي يستدل بها أهل السنة على النهي عن التفكير في ذات الله المفضي إلى التشبيه ما رواه أبو هريرة « قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ، من خلق كذا ، حتى يقول : من خلق ربك ، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»^(٣).

وفي رواية : « فمن وجد من ذلك شيئاً ، فليقل : آمنت بالله»^(٤). وفي رواية « فإذا قالوا ذلك . فقولوا : ﴿ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ من الشيطان»^(٥).

ففي هذا الحديث يحذر النبي ﷺ من الشيطان الرجيم الذي يوسوس للإنسان

(١) انظر : ٥٢٤/٢ - ٥٢٧ كذلك عقد مثله الإمام أبو الشيخ الأصبهاني باباً في ذلك في كتابه العظمة ٢٧٠-٢٠٩.

(٢) انظر : شرح أصول الاعتقاد ٥٢٨/٢ .

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ٣٨٧/٦ ح ٣٢٧٦ ومسلم في كتاب الإيمان ١/١٢٠ ح ٢١٤ .

(٤) رواها مسلم في كتاب الإيمان ١/١١٩ ح ٢١٢ . عن أبي هريرة .

(٥) رواها أبو داود في كتاب السنة ٥/٩٢ ح ٤٧٢٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

بالتفكير في ذات الله عز وجل بغرض التشكيك في توحيد الله ، والوقوع في التشبيه والتعطيل ، وقد أرشد النبي ﷺ إلى ما يفعله العبد إذا وقع في ذلك ، فأمره أن يستعيذ من الشيطان الرجيم ، والنطق بالتوحيد والإيمان بالله تعالى ، وقراءة سورة الإخلاص التي تخلص قارئها كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله من الشرك العلمي المتمثل في التشبيه والتمثيل ووصف الله تعالى بما لا يليق به من صفات العيوب والنقائص (١).

فحق على كل مؤمن كما قال الإمام نعيم بن حماد رحمه الله : « أن يؤمن بجميع ما وصف به نفسه ، ويترك التفكير في الرب تبارك وتعالى ، ويتبع حديث النبي ﷺ أنه قال : « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق » (٢) . ثم قال نعيم رحمه الله - ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء من الأشياء » (٣) للدلالة على أن التفكير في ذات الله تعالى مفضٍ إلى التمثيل الذي ينتزه عنه الباري عز وجل !!

فيحرم التفكير في ذات الله تعالى ، وتمثيله بخلقه ، وعلى العقول أن تعقل ما وصف الله به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وتجتنب التمثيل في ذلك .

(١) انظر : زاد المعاد ٣١٦/١ .

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في كتابه العظمة مرفوعاً إلى ابن عباس « ٢١٦/١ والهروي في كتاب الأربعين في دلائل التوحيد ص/٩٠ ح ٣٨ و البيهقي في شعب الإيمان ١/١/٣٥ وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٥٧٢/١ ح ٢٩٧٥ ورقم/٢٩٧٦ عن ابن عمر ، ومثله عن ابن عباس رضي الله عنهما . وراجع : كتابه : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٢٩٧-٢٩٥ وتخريجه في : تعليقات الدكتور : رضا المباركفوري على كتاب العظمة لأبي الشيخ ١/٢١٨ رقم/٦ وتعليقات شихي الدكتور علي ناصر فقيهي على كتاب الأربعين للهروي ص/ ٩٠-٩١ رقم ١ .

(٣) ذكره اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/٢٧٥ رقم/٩٢٩ .

قال الربيع بن سليمان^(١) رحمه الله : « سألت الشافعي رحمه الله عن صفات الله تعالى فقال : حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه ، أو على لسان نبيه ﷺ »^(٢) !

وروى الإمام أبو الشيخ الأصبهاني^(٣) في كتابه العظمة من طريق سفيان الثوري^(٤) رحمه الله في قول الله تعالى : ﴿ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ [النجم : ٤٢] قال : « لا فكرة في الرب عز وجل »^(٥) أو قال إسحاق بن راهويه^(٦) رحمه الله : « لا يجوز الخوض في أمر الله كما يجوز الخوض في أمر المخلوقين لقوله تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ولا يجوز أن يتوهم على الله بصفاته وأفعاله بفهم ما يجوز التفكير في أمر المخلوقين »^(٧).

فبين رحمه الله عدم جواز التوهم على الله تعالى بصفاته ، فلا يُسأل عنها بكيف بل يجب الإيمان والتسليم ، ولا يجوز التفكير في ذات الله تعالى كما يجوز التفكير

(١) أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي ، مولاهم ، البصري ، صاحب الإمام الشافعي وناقل علمه . توفي سنة ٢٧٠هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٥٨٧/١٢ وشذرات الذهب ١٥٩/٢ .

(٢) ذكره الإمام بن قدامة في ذم التأويل ص/٣١ وشيخ الإسلام ابن تيمية في نقض المنطق ص/٥ وضمن مجموع الفتاوى ٦٠٥/٤ .

(٣) عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني ، من مصنفاته : « كتاب التاريخ على السنين » و « كتاب الثواب » توفي سنة ٣٦٩هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٢٧٦/٦ وتذكرة الحفاظ ٩٤٥/٣ ومعجم المؤلفين ١١٤/٦ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٤٦/١ .

(٥) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة ٢١٧/١-٢١٨-٢٢٢ .

(٦) تقدمت ترجمته انظر : ٧٩/١ .

(٧) ذكره شيخ الإسلام في كتاب الاستقامة ٧٨/١ .

في ذوات المخلوقين وصفاتهم وأفعالهم ، لأن الله تعالى لا يُقاس بخلقه ولا يُمثل بهم تعالى الله وتقدس علوا كبيرا ! وسئل سهل بن عبد الله التستري^(١) رحمه الله عن ذات الله تعالى فأجاب : « ذات الله موصوفة بالعلم ، غير مدركة بالإحاطة ولامرئية بالأبصار في دار الدنيا ، وهي موجودة بحقائق الإيمان ، من غير حد ولا إحاطة ولا حلول ، وتراه العيون في العقبى ظاهرا في ملكه وقدرته ، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته ، فالقلوب تعرفه ، والعقول لا تدركه ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية ... »^(٢).

فإجابته رحمه الله عن ذات الله تعالى كانت بإثبات ما يجب له من الصفات والنهي عن البحث في كيفية ذاته والتفكر فيها ، وقد استدل على ذلك بأن الله لا يرى في الدنيا ، ويرى في الآخرة لكن لا يحاط به رؤية ، فكيف تعرف كيفية ذاته فيتفكر فيها ، وإنما التفكير المأمور به شرعا في مخلوقاته عز وجل الدالة على عظمته وتوحيده !

وذكر الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله السبب الذي نُهي من أجله التفكير في ذات الله تعالى بقوله : « لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام ، ولا يشبهه الأنام »^(٣) ! والتفكر في الرب تعالى كما ذكر الإمام أبو الحسن البربهاري^(٤) رحمه الله بدعة

(١) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، أحد أئمة الصوفية وأعلامهم .

قال عنه الإمام الذهبي : « كان سهلا شيخ العارفين في زمانه » توفي سنة ٢٨٣ هـ انظر : كتاب العلو للذهبي ص/٢٠٠ والأعلام ١٤٣/٣ .

(٢) ذكره أبو القاسم القشيري في رسالته الموسومة بالرسالة القشيرية في علم التصوف ٥٨٥/٢ بتحقيق د/ عبد الحلیم محمود ، ومحمود بن الشريف . وذكره ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية ص/٢٤٠ .

(٣) العقيدة الطحاوية مع شرح ابن أبي العز ص/١١٩-١٢٠ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٣٧٧/١ .

لأنه يقدح الشك في القلب^(١). وما كان كذلك فيجتنبه المؤمنون ، ويتفكرون فيما أمر بالتفكر فيه من آيات الله تعالى ومخلوقاته الدالة على عظمته ، قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني^(٢) رحمه الله : « يعتبر المفكرون بآياته ولا يفكرون في ماهية ذاته »^(٣) ! وذكر العلامة أبو الفضل عباس السكسكي أن الله تعالى لم يندب عباده إلى التفكير في ذاته وصفاته ، بل ندبهم إلى التفكير في مخلوقاته بقوله : ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] وذلك ليستدل بوجود الصنعة على صانعها ، وأنه خلق مخلوقات ، ودبر تديرات بعزیز قدرته وبدیع حكمته لا يقدر عليها أحد غيره ، فالذي يجب على المكلف الإيمان بالله عز وجل ، والإقرار بوحدانيته ، وإجراء صفاته كما أنزل بها القرآن العظيم ووردت بها السنة من غير تكيف ولا تمثيل^(٤).

فعلى المؤمن كما ذكر الشيخ مرعي الكرمي^(٥) رحمه الله أن يرضى لنفسه ما رضىه الله له ، ويقف عند خبر الله تعالى مسلماً مصداقاً مجتنباً التنقيح والبحث والتفكر في ذات الله تعالى واستعمال الأقيسة الفاسدة الخاصة بالمخلوق المفضية إلى التمثيل ، فإن الله تعالى مخالف لجميع الحوادث ، ذاته لاتشبه الذوات ، وصفاته لاتشبه الصفات ، بل هو منفردٌ عن جميع المخلوقات ، ليس كمثل شيء لا في ذاته

(١) انظر كتابه : شرح السنة ص/٣٢ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ص/٤٦ .

(٣) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص/٦ .

(٤) انظر كتابه : البرهان في عقائد أهل الأديان ص/٩٤ .

(٥) زين العابدين مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي نسبة إلى « طور كرم » بفلسطين ، المقدسي ، الإمام العلامة الحنبلي له مصنفات كثيرة منها : « بهجة الناظرين في آيات المستدلين » و « الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية » توفي سنة ١٠٣٣ هـ انظر : الأعلام ٢٠٣/٧ وترجم له الشيخ شعيب الأرنؤوط في مقدمة كتابه أقاويل الثقات ترجمة واسعة ص/٢٩-٤٣ .

ولا في صفاته ولا في أفعاله^(١)!

فَعَلِمَ مَا تَقَدَّمَ أَنْ التَّفَكَّرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُيٌّ عَنْهُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ،
لَمَّا يُفْضَى إِلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ ، وَالشُّكِّ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ النَّاقِضِ لِلتَّوْحِيدِ
وَالإِيمَانِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ عِبَادَهُ بِالتَّفَكَّرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ
وَتَوْحِيدِهِ عَزَّ وَجَلَّ !

ثالثاً : النهي عن استعمال الأقيسة الفاسدة في الأمور الإلهية

ومن الأمور التي أدت بالمشبهة إلى القول بالتشبيه قياسهم صفات الله تعالى على
صفات المخلوق فمن قال منهم : « له يد كيدي وسمع كسمعي » ونحو هذه المقالة
الفاسدة فقد قاس الخالق تعالى على نفسه ، فكل من توهم التشبيه فقال به مثل
المشبهة أو وقع فيه ولم يلتزمه كالمعطلة إنما قاس الخالق على المخلوق ، لذا نهى أهل
السنة والجماعة عن استعمال الأقيسة الفاسدة في الله تعالى وصفاته ، لما تفضي إليه
من القول بالتشبيه ، وبينوا أن الله لا يُقاس بخلقه لأنه لا شبيه له ولا مثل ، ولا
يجوز استعمال الأقيسة الفاسدة في توحيد الله بل يجب تنزيهه الله عن أن يُقاس
بخلقه أو يُمثل بهم ، ويجب وصفه بصفات الكمال قال الإمام أبو يوسف
القاضي^(٢) رحمه الله : « ... أمرنا الله أن نوحده ، وليس التوحيد بالقياس ، لأنَّ
القياس يكون في شيء له شبه ومثل ، والله لا شبه له ولا مثل : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] ثم قال : وكيف يُدرك بالقياس ، وهو تعالى خالق

(١) انظر كتابه : أقاويل الثقات ص/١٣٤-١٣٥ .

(٢) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي صاحب الإمام أبي حنيفة رحمه الله ،
الفقيه الأصولي المجتهد المحدث ، قال عنه ابن أبي حاتم : « كان يميل إلى أهل الحديث كثيراً » من
مصنفاته : « كتاب الحجاج » توفي سنة ١٢٨هـ انظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/

الخلق بخلاف الخلق ، ليس كمثلته شيء تبارك وتعالى ... » (١).
 فبين رحمه الله أن الله تعالى أمر بتوحيده بأسمائه وصفاته ، وأنه لا يجوز استعمال
 القياس في ذلك ، لأن الله عز وجل لا يُقاس بخلقه ، والقياس إنما يكون في شأن
 المخلوق الذي له شبيه ومثيل ، أما الله جل جلاله لا شبيه له ولا مثيل فلا يُقاس بخلقه !
 وقد أخبر الرسول ﷺ أن الناس سيستفتون عن خالقهم ، حتى يقول أحدهم :
 « هذا الله خلق الخلق فمن خلقه » (٢).

وهذا السؤال كما ذكر الدكتور علي بن ناصر فقيهي - حفظه الله - : قياس
 بالعقل للخالق سبحانه على المخلوق ، والعقل قاصر لم يعرف إلا هذا العالم المخلوق
 المشاهد فأراد أن يقيس الخالق عليه !!

ولهذا قال رسول الله ﷺ في الحديث نفسه : « فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله
 ولينته » (٣) وفي رواية قال أبو هريرة رضي الله عنه : « فبينما أنا في المسجد ، إذ
 جاءني ناسٌ من الأعراب . فقالوا : يا أبا هريرة هذا الله فمن خلق الله ؟ قال :
 فأخذ حصّ بكفه فرماهم . ثم قال : قوموا ، قوموا ، صدق خليلي » (٤) فالعقل
 لا مجال له إلا التسليم ، والإيمان بالله تعالى كما أخبر عن نفسه (٥)!

ورد الإمام ابن عبد البر رحمه الله على نفاة الصفات الذين يقيسون الخالق على
 المخلوق بقولهم : « لو كان في مكان لأشبه المخلوقات لأن ما أحاطت به الأمكنة

(١) رواه الإمام أبو القاسم التيمي في كتابه الحجّة في بيان الحجّة ١١٣/١ .

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ٣٣٦/٦ ح ٣٢٧٦ ومسلم في كتاب الإيمان ١١٩/١ ح ٢١٢

عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) تقدم عزو هذا الحديث انظر : ٤٠١/١ .

(٤) روه مسلم في كتاب الإيمان ١٢١/١ ح ٢١٥ .

(٥) انظر : تعليقات الدكتور علي ناصر فقيهي على كتاب التوحيد لابن منده ١٨/٣ .

واحتوته مخلوق « فردٌ عليهم بأن هذا لا يلزم ولا معنى له ، لأنه عز وجل ليس كمثل شيء من خلقه ولا يقاس بشيء من بريته ، لا يدرك بقياس ، ولا يقاس بالناس ، لا إله إلا الله ، كان قبل كل شيء ثم خلق الأمكنة والسموات والأرض وما بينهما ، وهو الباقي بعد كل شيء ، وخالق كل شيء لاشريك له ، وقد قال المسلمون وكل ذي عقل أنه لا يعقل كائن إلا في مكان ، وما ليس في مكان فهو عدم ، وقد صحَّ في المعقول وثبت بالواضح من الدليل أنه تعالى كان في الأزل لا في مكان وليس بمعدوم ، فكيف يُقاس على شيء من خلقه ، أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(١)!

فبين رحمه الله أن قياس الخالق على المخلوق مفضٍ إلى التمثيل ، وأنَّ الله لا يُقاس بشيء من خلقه ، لأنه موصوف بصفات الكمال لاشبيه له ولا مثيل ! والقياس الذي لا يستعمل في حق الله تعالى عند أهل السنة هو القياس الفاسد المبتدع المفضي إلى التمثيل كقياس الشمول والتمثيل^(٢).

فالله عز وجل له المثل الأعلى فلا يجوز كما ذكر شيخ الإسلام - رحمه الله - أن يُقاس على غيره قياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع ، ولا يُقاس مع غيره قياس شمول تستوي أفراداه في حكمه ، فإنَّ الله ليس مثلاً لغيره ولا مُساوياً له ، بل مثل هذه الأقيسة هو ضرب الأمثال لله تعالى ، وهو من الشرك والعدل بالله ، وجعل الند له تعالى ، وجعل غيره كفواً له وسَمِيحاً^(٣)!!

(١) انظر : التمهيد لابن عبد البر ١٣٥/٧-١٣٦ وذكره الإمام ابن القيم في إجتماع الجيوش الإسلامية ص/ ٥٦ على أنه من قول أبي القاسم عبد الله بن خلف الأندلسي .

(٢) سيأتي ذكر أمثلة من استدلال المشبهة بذلك وموقف أهل السنة منه على سبيل التفصيل انظر : ١٢٩/٢ و ١٣٠ .

(٣) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ١/٣٢٧-٣٢٨ وراجع : كتاب الأسماء والصفات =

والله تعالى لا مثيل له ولاظهر فكيف يُقاس بخلقه ، بل هو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فلا يُستعمل في شأنه عند أهل السنة إلا قياس الأولى المستنبط من القرآن الكريم ، الذي هو المثل الأعلى مثل أن يُقال كما ذكر شيخ الإسلام : كل نقصٍ ينتزه عنه مخلوق من المخلوقات ، فالخالق أولى بالنتزه عنه ، وكل كمال مطلق ثبت لموجودٍ من الموجودات ، فالخالق تعالى أولى بثبوت الكمال المطلق الذي لانقص فيه بوجه من الوجوه ، لأنه تعالى واجب الوجود^(١) ، فوجوده أكمل من الوجود الممكن من كل وجه ، ولأنه تعالى مبدع الممكنات وخالقها فكل كمال لها فهو منه وهو معطيه ، والذي خلق الكمال وأبدعه وأعطاه أحق بأن يكون له الكمال^(٢) .^(٣)!

فَعَلِمَ مما تقدم أن الله تعالى لا يُقاس بخلقه ، ولاستعمل في حقه الأقيسة الفاسدة وقد نهى أهل السنة عن ذلك ، وبينوا أنه مفضٍ إلى التمثيل والتشبيه ، وأنه تعالى لا يُقاس بخلقه لأنه لاشبيه له ولامثيل ، فكيف يُقاس بهم !!؟



= ضمن مجموع الفتاوى ٢٠١/٥ والتفسير الكبير ٢٧٣/١-٢٧٤ ودرء تعارض العقل ١/ ٢٩ و٢٧٣-٢٧٤ والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ١٠٥/١ وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٢٩/١ .

(١) هذا من باب الإخبار ، وباب الإخبار عن الله تعالى أوسع ، بخلاف أسمائه تعالى وصفاته فإنها توقيفية انظر : بدائع الفوائد ١٤٧/١ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل ٣٦٢/٧ وكتاب مجمل اعتقاد السلف ضمن مجموع الفتاوى ٣/ ٢٩٧ .

(٣) تقدم بيان قياس الأولى وطريقة الاستدلال به عند ذكر منهج أهل السنة في صفات الله تعالى على سبيل الإجمال انظر : ١٣٧/١ - ١٤٣ .

المبحث الثاني

في ذكر مقالة المشبهة في الصفات الفعلية بذكر
أمثلة منها وموقف أهل السنة منها

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مقالة المشبهة في صفة الاستواء وموقف أهل
السنة منها

المطلب الثاني : مقالة المشبهة في صفة الكلام وموقف أهل السنة منها
المطلب الثالث : مقالة المشبهة في صفة النزول وموقف أهل
السنة منها

المطلب الرابع : مقالة المشبهة في صفة الإتيان والمجيء وموقف
أهل السنة منها

مدخل

ذكرت في المبحث السابق مذهب المشبهة في صفات الله تعالى على سبيل الإجمال ، وموقف أهل السنة من ذلك وفي هذا المبحث سأبين موقف المشبهة من صفات الأفعال بذكر بعض صفات الله الفعلية ، وبيان موقف أهل السنة من موقف المشبهة فيها على سبيل التفصيل . ويحسن قبل الشروع في ذلك أن أوضح أقسام صفات الله تعالى عند أهل السنة ليحصل للقارئ تصور بذلك .

تنقسم صفات الله تعالى عند أهل السنة من حيث الإثبات والنفي ، إلى ثبوتية وسلبية^(١) .

أما الصفات الثبوتية فهي : الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وهي كلها صفات كمال لانقص فيها بوجه من الوجوه ، كالحياة والعلم والقدرة والاستواء والوجه ونحوها .

وأما الصفات السلبية فهي : الصفات التي نفاها الله تعالى عن نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ، وكلها صفات نقص في حقه عز وجل ، كالموت والنوم والجهل والعجز واللغوب ونحوها ، فيجب نفيها عن الله تعالى مع إثبات كمال ضدها على الوجه الأكمل^(٢) .

وتنقسم الصفات الثبوتية إلى قسمين : ذاتية وفعلية^(٣) .

(١) انظر : الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ص/١٩٩-٢٠٣ وشرح العقيدة الواسطية

للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/٤٢١ والقواعد المثلى له ص/٣١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص/٣١ وشرح العقيدة الواسطية ١/١٤٢-١٤٣ .

(٣) انظر : الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة مع شرح القارئ ص/ ٢٥ وكتاب التفسير ضمن مجموع

الفتاوى ١٦/٣٨٩ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص/١٢٧ وتعليقات الشيخ الباطين على

لوامع الأنوار البهية للسفاري ١/١١٢ والكواشف الجليلة عن معاني الواسطية للشيخ =

فالذاتية هي : الصفات الملازمة لذات الله تعالى ، التي لا تنفك عنها أزلا وأبداً ، ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته ، وذلك كصفة العلم والقدرة والسمع والبصر والوجه واليدين والعظمة والجلال ونحوها^(١).

وأما الصفات الفعلية فهي كما قال شيخ الإسلام رحمه الله : « الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته »^(٢) إن شاء فعلها ، وإن لم يشأ لم يفعلها وذلك كصفة الاستواء والنزول والحيء والضحك والمحبة والرضى ونحوها^(٣).

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كصفة الكلام ، فإنها باعتبار أن الله لم يزل ولا يزال متكلماً فهي صفة ذاتية ، وباعتبار آحاد الكلام وأنه تعالى متى شاء أن يتكلم تكلم فهي صفة فعل^(٤).

وتنقسم صفات الله الفعلية من حيث اللزوم والتعدي كما ذكر شيخ الإسلام إلى قسمين : صفات فعلية قائمة به تعالى كالتكلم والنزول والاستواء والحيء ونحوها . وصفات فعلية متعدية بالخلق كالخلق والإحياء والإماتة ونحوها ، والله عز وجل

= عبدالعزيز السلطان ص/٤٢٩ والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان ص/٢٠٧-٢٠٨ وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص/٩٨-٩٩ والقواعد المثلى ص/٣٤ .

(١) انظر : كتاب التفسير ضمن مجموع الفتاوى ١٦/٣٨٩-٣٩٠ والكواشف الجليلة عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز السلطان ص/٤٢٩ وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص/٩٩ والقواعد المثلى ص/٣٤ والمفسرون بين الإثبات والتأويل للدكتور محمد عبد الرحمن المغراوي ١/١١٨ .

(٢) كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٢١٧ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ٦/٢١٧-٢١٨ وراجع : الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية ص/٤٣٠ وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص/٩٨ والقواعد المثلى ص/٣٤ والمفسرون بين الإثبات والتأويل في آيات الصفات للدكتور : المغراوي ١/١١٨-١١٩ .

(٤) انظر : كتاب التفسير ضمن مجموع الفتاوى ١٦/٣٨٩-٣٩٠ وشرح العقيدة الطحاوية ص/١٨٠ والقواعد المثلى ص/٣٤ .

وصف نفسه بالأفعال اللازمة والمتعدية على الوجه اللائق به تعالى^(١).
 إذا عُرف هذا فإنني سأذكر في هذا المبحث أمثلة من صفات الله الفعلية^(٢) القائمة
 بمشيئته تعالى وقدرته وذكر بعض مقالات المشبهة فيها مع مناقشتهم وبيان موقف
 أهل السنة في ذلك على سبيل التفصيل الدال على موقفهم من مقالة التشبيه
 وسيكون ذلك في مطالب :

- المطلب الأول : مقالة المشبهة في صفة الاستواء وموقف أهل السنة منها .
- المطلب الثاني : مقالة المشبهة في صفة الكلام وموقف أهل السنة منها .
- المطلب الثالث : مقالة المشبهة في صفة النزول وموقف أهل السنة منها .
- المطلب الرابع : مقالة المشبهة في صفة الإتيان والحجيء وموقف أهل السنة منها .

(١) انظر : درء تعارض العقل ٣/٢-٥ وكتاب التفسير ضمن مجموع الفتاوى ٣٩٠/١٦ .

(٢) ستأتي أمثلة أخرى من صفات الله الذاتية وبيان موقف المشبهة منها ، وموقف أهل السنة من ذلك

في المبحث الثاني انظر : ٤٨٩/١ .

المطلب الأول

مقالة المشبهة في صفة الاستواء وموقف أهل السنة منها

أثبت المشبهة صفة الاستواء لكنهم غلو في ذلك ، وخاضوا في كقيتها ، حتى وقعوا في التمثيل المذموم ، وهم في ذلك صنفان :

١ - صنف اعتبروا استواء الله تعالى على عرشه كاستواء المخلوق ، معتمدين في ذلك على اعتقادهم في الله عز وجل أنه جسم^(١) .

فادّعوا أنهم لا يفهمون من صفة الاستواء إلا كاستواء الأجسام على الأجسام^(٢) . وذكروا أنه تعالى إذا كان مستويًا على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير والقلك ، إذ لا يعلم الاستواء على زعمهم إلا هكذا^(٣) .

وهؤلاء الصنف من المشبهة هم الذين ذكر الأئمة كالإمام أحمد ، وإسحاق بن راهويه ، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله أنهم يقولون : استواء كاستواء^(٤) .

٢ - وخاض صنف آخر من المشبهة كالهشامية والجاريرية من الرافضة ، والكرامية في البحث عن تفاصيل كيفية الاستواء^(٥) ، فأثبتوا معنى باطلا متضمنًا التشبيه . ومن مقالاتهم الفاسدة في ذلك قول هشام بن الحكم : « إنَّ الله مماس للعرش ،

(١) سيأتي ذكر مقالاتهم في الله تعالى أنه جسم وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ٩/٢ .

(٢) انظر : ما ذكره شيخ الإسلام عن مذهب المشبهة في صفة الاستواء في كتابه : الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٣٥-٣٦ وكتاب الطلاق ضمن مجموع الفتاوى ٣٣/١٧٥ والرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٤٧٢-٤٧٣ .

(٣) انظر : ما ذكره شيخ الإسلام عن مذهب المشبهة في صفة الاستواء وابن أبي الحديد في ذلك : الحموية الكبرى ص/١٧ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٨ وراجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٢٩٦ .

(٤) كما تقدم ذكره عند التعريف بمقالة التشبيه انظر : ٨١/١ .

(٥) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في صفة الاستواء في كتاب : أصول الدين للبغدادي =

وَأَنَّ العرش قد حواه وحده»^(١) وقول بعض أصحابه : « إِنَّ الباري قد ملأ العرش وأنه مماس له »^(٢) وقول داود الجواربي : « إِنَّ الله مماس للعرش ملاقي له »^(٣) .
وقول ابن كرام : « إِنَّ الله مماس للعرش من الصفحة العليا »^(٤) وقوله : « له حد من الجانب الذي ينتهي إلى العرش ولانهاية له »^(٥) .

وقد غلا أتباعه في البحث عن تفاصيل كيفية الاستواء ، فزعم بعضهم أنه تعالى على بعض أجزاء العرش^(٦) ، وأدعى بعضهم أَنَّ العرش امتلاً به بحيث لا يزيد من جهة المماس ، ولا يفضل منه شيء على العرش^(٧) ، وزعم بعضهم أَنَّ لله حدًا من جهة السفلى ومنها يُلاقى العرش^(٨) ، وأبدل بعضهم لفظ المماسة بالملاقات . فقالوا :

= ص/٧٦-٧٧ والملل والنحل ١/١٠٨ والرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي ص/ ١٢٦-١٢٧ ونقض التأسيس « المطبوع » ١/٤٠٠ و ٤٤٦ وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الكرامية في الإلهيات ص/١٧٠-١٧٣ .

(١) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في صفة الاستواء في كتاب : مقالات الإسلاميين ١/ ٢٨٤ ونقض التأسيس « المطبوع » ١/٤٠٠ .

(٢) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في صفة الاستواء في كتاب : مقالات الإسلاميين ١/ ٢٨٤ والمرجع السابق ١/٤٠٠ .

(٣) انظر : التبصير في الدين ص/١١٢ .

(٤) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في صفة الاستواء في كتاب الفرق بين الفرق ص/١٩٨ والملل والنحل ١/١٠٨-١٠٩ .

(٥) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في صفة الاستواء في كتاب التبصير في الدين ص/١١٢ والبدء والتاريخ للمقدسي ٥/١٤١ .

(٦) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في صفة الاستواء في كتاب : الملل والنحل ١/١٠٩ .

(٧) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في صفة الاستواء في كتاب : الفرق بين الفرق للبغدادي ص/ ١٩٩ وأصول الدين له ص/٧٣ و١١٢ وتبصرة الأدلة للنسفي ١/١١٢ والملل والنحل ١/١٠٩ .

(٨) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في صفة الاستواء في كتاب : أصول الدين للبغدادي ص/١٧٣ .

إنَّ الله مُلاقٍ للعرش^(١). تعالى الله عن مقالاتهم علوا كبيرا !! .
وسبب إطلاق هؤلاء المشبهة على الله تعالى أنه مستوٍ بمحاسة أو ملاقات أو إحاطة
أو حد والخوض في تفاصيل ذلك سببه هو قولهم : إن الله جسم ، فلما أطلقوا على الله
تعالى هذا اللفظ المبتدع جرهم ذلك إلى إثبات ما رأوه لازما له من المحاسة
والملاقات ونحوها^(٢) من الألفاظ المجملة المبتدعة التي خاضوا بها في كيفية الاستواء ،
لأنهم قاسوا استواء الله على عرشه بعد أن جعلوه جسما على استواء المخلوق ،
فتوهموا أنه لا يكون جسما مستويا على جسم إلا بمحاسة وملاقات ، وأن يكون
مُحاطا به ، وهكذا شأن البدعة تجر إلى بدع أخرى مثلها ، أو أشد منها !!

موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة الاستواء

أما موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة الاستواء فقد أبطلوها وذلك بتنزيه الله
تعالى عما إدعاه المشبهة من مماثلة استواء الله تعالى لاستواء المخلوقين ، وإثباته كما
ورد على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، والنهي عن طلب كيفية الاستواء التي
خاض فيها المشبهة واعتبارها بدعة محرمة مفضية إلى التمثيل ، واعتبار ما أطلقه
المشبهة وضمّنوه التشبيه في صفة الاستواء من القول بأنه بمحاسة أو ملاقات أو
ياحاطة وحد ونحو ذلك من المقالات بدعة يجب اجتنابه ، وتنزيه الله عنه ، وتبيين
هذه المسائل الدالة على موقفهم من موقف المشبهة في صفة الاستواء بذكر مذهبهم
في ذلك وأقوالهم ، ومناقشتهم للألفاظ المجملة التي فسر بها المشبهة استواء الله
تعالى وتنزيهه الله عما تضمنته من التمثيل المذموم ، وسيكون بيان ذلك في وقفات :

(١) انظر : ما ذكر عن مذهب المشبهة في صفة الاستواء في كتاب : المرجع نفسه ص/

٧٣ و٧٦ و١١٢ والفرق بين الفرق ص/١٩٩ وتبصرة الأدلة ١/١٦٦ وموقف شيخ الإسلام ابن

تيمية من الكرامية في الإلهيات ص/١٧٠-١٧٢ .

(٢) انظر : درء التعارض ٦/٢٨٨-٢٨٩ .

الوقفه الأولى

مذهب أهل السنة في صفة الاستواء وذكر بعض أقوالهم في ذلك الدالة على موقفهم من موقف المشبهة من صفة الاستواء

اتفق أهل السنة والجماعة على إثبات علو الله تعالى واستوائه على عرشه كما ورد في الكتاب والسنة ، إثباتا بلا تكيف ولا تمثيل ، وتنزيها بلا تحريف ولا تعطيل على حدّ قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) .
فمذهبهم في صفة الاستواء كمذهبهم في الصفات الأخرى ، قائم على الإثبات مع تنزيه الله تعالى عن التشبيه الذي إدّعاه المثلة ، وعن التكيف المفضي إلى التمثيل الذي خاض فيه أهل التمثيل والتعطيل ، وعن التعطيل الذي اعتبره المعطلة تنزيها (٢) ، فمذهبهم في ذلك إثبات بلا تمثيل ولا تكيف ، وتنزيه بلا تعطيل ولا تحريف ، وقولهم في ذلك كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله هو القول الفاصل الوسط الحق (٣) المبطل لقول أهل الأهواء والبدع المثلة والمعطلة المنحرفين إلى الإفراط والتفريط (٤) !

(١) انظر مذهب أهل السنة في صفة الاستواء في : كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٥٥/١ وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١١٠/١ وشرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة لللالكائي ٣٨٧/٢-٤٠٢ وعقيدة الحافظ المقدسي ص ، ٤٠-٤١ والقاعدة المراكشية ضمن مجموع الفتاوى ٥ / ١٦٤-١٦٥ والصواعق المرسله لابن القيم ١٢٩٩/٤-١٣٠٠ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص/٣٠٩-٣٢٨ والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ص/٢٢٥-٢٢٨ والقواعد المثلى للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص/٦١ .

(٢) سيأتي بيان ذلك انظر : ٤٨٧/٢ .

(٣) سيأتي بيان وسطية أهل السنة في صفات الله تعالى الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم من وصمة التشبيه انظر : ٣٩٢/٢ .

(٤) انظر : الحموية الكبرى ص/١٧ وضمن مجموع الفتاوى ٢٨/٥ .

ومن أقوال أهل السنة الدالة على موقفهم من موقف المشبهة في صفة الاستواء المبني على البحث عن الكيفية قول الإمام ربيعة بن أبي عبد الرحمن^(١) رحمه الله عندما سأله رجل كيف استوى فقال : « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ المبين ، وعلينا التصديق »^(٢) . وقال الإمام مالك رحمه الله عندما سُئل عن كيفية الاستواء فقال : « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . . . »^(٣) ! قال الإمام الدارمي رحمه الله : « وصدق مالك لا يعقل منه كيف ، ولا يجهل منه استواء »^(٤) . فكلام الإمام مالك رحمه الله كما ذكر شيخ الإسلام صريح في إثبات الاستواء ، وأنه معلوم وأن له كيفية ، لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لانعلمها نحن ، ولهذا بدع الإمام مالك رحمه الله من سأله عن هذه الكيفية ، فإن السؤال إنما يكون عن أمر معلوم لنا ، ونحن لانعلم كيفية استوائه تعالى ، وليس كل ما كان معلوما وله كيفية تكون كفيته معلومة لنا^(٥) .

(١) أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن بن فروخ التميمي بالولاء المدني الإمام الحافظ الفقيه المجتهد المشهور بريعة الرأي ، شيخ الإمام مالك رحمه الله . توفي سنة ١٣٦ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٨٩/٦ وشذرات الذهب ١٥٩/٢ والأعلام ١٧/٣ .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٣٩٨ برقم/٦٦٥ والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٣٠٦ برقم/٨٦٨ وأورده شيخ الإسلام في الفتوى الحموية وذكر أن رواته كلهم أئمة ثقات ص/٢٤ وضمن مجموع الفتوى ٥/٤٠ والذهبي في كتابه العلو ص/١٢٩ وانظر : المختصر ص/١٢٢ برقم/١١١ وذكر الشيخ الألباني أنه صحيح .

(٣) تقدم عزوه انظر : ٣٩٣/١ .

(٤) الرد على الجهمية للإمام الدارمي ص/٣٣ .

(٥) انظر : القاعدة المراكشية ضمن مجموع الفتاوى ٥/١٨٠-١٨١ ومسألة صفات الله تعالى وعلوه

على خلقه بين النفي والإثبات ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ١/٢١٣ .

وما قرره الإمام مالك وقبله شيخه ربيعة من أن الاستواء معلوم ، وأن كفيته مجهولة غير معقولة هو قول أهل السنة قاطبة ، قدمشى عليه أهل العلم من بعده وجعلوه ميزانا في إثبات صفة الاستواء وغيرها من الصفات ، ودفعوا به قول أهل التمثيل والتعطيل^(١) ، الذين خاضوا في كيفية الصفات بعقولهم التي عارضوا بها وحي الله تعالى !

وسئل الإمام الشافعي رحمه الله عن صفات الله ومنها صفة الاستواء فقال : « ... وثبت لله هذه الصفات وينفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٢) . وسئل رحمه الله عن الاستواء أيضا فقال : « آمنت بلا تشبيه ، وصدقت بلا تمثيل ، واتهمت نفسي عن الإدراك ، وأمسكت عن الخوض فيه غاية الإدراك »^(٣) .

(١) انظر : الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ٢/٢٦٠-٢٦١ والتمهيد لابن عبد البر ٧/١٣٧-١٣٨ والفتاوى الحموية الكبرى لابن تيمية ص/٢٤-٢٥ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٤٠-٤١ والقاعدة المراكشية له ضمن مجموع الفتاوى ١٨٠ وشرح حديث النزول ص/٣٢ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٣٦٥ ودرء تعارض العقل والنقل له ٦/٢٦٥ وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٣/٤١٨ واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص/٢٧٩ والدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع عبدالرحمن بن القاسم ٣/٢٩٩ ومعارج القبول للحكمي ١/١٧٧ والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ص/٢٥٦ والقواعد المثلى للشيخ محمد صالح العثيمين ص/٣٦-٣٧ وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية للدكتور صالح العبود ١٥٤/١ .

(٢) ذكره الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٥٩ وابن قدامة في إثبات صفة العلم ص/٣١ .

(٣) ذكره الإمام مرعي الكرعي في أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ص/١٢١ والإمام السفيناني في لوامع الأنوار البهية ١/٢٠٠ والشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع في الكواكب الدرية لشرح الدرية المضية ص/٩٩ .

فبين رحمه الله مذهب السلف في صفات الله ومنها صفة الاستواء المبني على الإثبات والتنزيه ، ووضح موقفه من التكيف والتمثيل ، فذكر أنه الإيمان بصفة الاستواء كما وردت بلا تمثيل ولا تشبيه ، والإمساك عن الخوض في كيفية ذلك المفضي إلى التمثيل !

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن الاستواء فأجاب بقوله : « استوى كما ذكر لا كما يخطر للبشر »^(١)!

فبين رحمه الله أن استواء الله تعالى إنما يثبت كما ذكر الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا تمثيل ، لا كما يخطر للبشر من أهل الأهواء والبدع من التكيف والتمثيل ، فإن هذا منفي عن الله تعالى .

وذكر الإمام المزني^(٢) رحمه الله أن الله تعالى عالٍ على عرشه ، جلُّ عن المثل فلا عدل له ولا شبيه^(٣) .

وقال الإمام الدارمي رحمه الله في مقام ردِّه على بشر المريسي الذي توهم التشبيه من إثبات صفة الاستواء ، فردَّ عليه الدارمي بقوله : « ... أيها المريسي لا يقال لله : إنه على العرش كمخلوق على مخلوق ، ولكن ملك كريم ، خالق غير مخلوق على عرش عظيم مخلوق على رغم أنفك وأنت ملوم ، فمن لم يؤمن به أنه كذلك فقد كفر بما أنزل الله ، وجحد آيات الله ، وردَّ أخبار رسول الله ﷺ . . . »^(٤)!

فبين رحمه الله أن استواء الله على عرشه ليس كاستواء مخلوق على مخلوق ، بل

(١) ذكره الإمام مرعي الكرمي في أقاويل الثقات ص/١٢١ والإمام السفاريني في لوامع الأنوار البهية ٢٠٠/١ والشيخ ابن مانع في الكواكب الدرية ص/٩٩ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٣٧١/١ .

(٣) ذكره الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٥٩-٦٠ والإمام الذهبي في العلو ص/٢٠٠-٢٠١ وفي الأربعين في صفات رب العالمين ص/٦٥ .

(٤) ردُّ الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٧٧-٧٨ .

هو استواء خالق على مخلوق منزه عن التمثيل ، ومن لم يؤمن به كذلك فقد كفر ، لمخالفته الكتاب والسنة ، ولو صفه لاستواء الله تعالى باستواء المخلوق ، ومن شبه الله تعالى بخلقه أو جحد ما ثبت له تعالى من الصفات فقد كفر^(١) !
 فأهل السنة والجماعة كما ذكر الإمام أبو العباس بن سريج^(٢) رحمه الله يؤمنون بصفات الله تعالى كما وردت ، ولا يتأولونها بتأويل المعطلة المخالفين ، ولا يحملونها على تشبيه المشبهين^(٣) . بل ينزهون الله عز وجل عن تعطيل المعطلة ، وتكليف المشبهة !

وذكر الإمام معمر بن أحمد الأصبهاني^(٤) رحمه الله في رسالة له أو صلى بها إلى أصحابه بوصية من السنة وموعظة من الحكمة ، وإجماع أهل الحديث والأثر ومما فيها : إنَّ الله إستوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ، ولا تأويل ، والاستواء معقول ، والكيف مجهول ، وأنه تعالى بائن من خلقه ، والخلق منه بائون بلا حلول ولا مازجة^(٥) !

(١) وقد تقدمت مقالة نعيم بن حماد في ذلك انظر : ١١٠/١ .

(٢) أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج العلامة الفقيه الشافعي ، كان إليه المنتهى في زمانه في معرفة المذهب الشافعي أظهر السنة وأخفى البدعة ، وقال عنه الإمام الذهبي : « كان من عظماء الشافعيين وعظماء المسلمين » وكانت له مصنفات كثيرة حتى ذكر أبو الحسن الشريجي أن فهرست كتبه تشتمل على أربعمائة مصنف منها : « الودائع لمنصوص الشرائع » و : « والأقسام والخصال » . توفي سنة ٣٠٦ هـ انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٨٧/٢ والعلو للإمام الذهبي ص/٢٠٨ وكتابه العرش ٢/٢٧٥ والأعلام ١/١٨٥ .

(٣) ذكره الإمام ابن القيم في إجتماع الجيوش ص/٦٢ والإمام الذهبي في العلو ص/ وفي كتابه العرش ص/٢٧٥/٢ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ١٣٠/١ .

(٥) ذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى ص/٣٦ وضمن مجموع الفتاوى ٦١/٥ ودرء التعارض ٦/٢٥٦ والإمام ابن القيم في إجتماع الجيوش ص/١٠٨ والإمام الذهبي في =

وفي هذا ردُّ على الحلولية المشبهة القائلين بأنَّ الله معهم في الأرض بذاته ، وأنه حال فيهم^(١)!

وذكر الإمام أبو القاسم التيمي رحمه الله الفرق بين استواء الخالق والمخلوق لتنزيه الله تعالى عن التكيف والتشبيه ، والرد على المشبهة والمعظلة ، فمما ذكره في ذلك أنَّ الاستواء معلوم كونه مجهول كلفيته ، واستواء نوح على السفينة معلوم كلفيته لأنه صفة له وصفات المخلوقين معلوم كلفيتها ، واستواء الله على العرش غير معلوم كلفيته ، لأن المخلوق لا يعلم كيفية صفات الخالق لأنها غيب ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى ، ولأنَّ الخالق إذا لم تشبه ذاته ذات المخلوق لم تشبه صفاته صفات المخلوق فثبت أنَّ الاستواء معلوم والعلم بكلفيته معدوم ، فعلمه موكول إلى الله تعالى كما قال عز وجل : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٢) [آل عمران : ٦] . ويتلخص ما ذكره في أمرين :

الأمر الأول : إنَّ معنى استواء الله تعالى معلوم ، وكلفيته مجهولة لأنها غيب والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، فلا يجوز الخوض فيه ، لأنه مفضٍ إلى التشبيه والتمثيل !

الأمر الثاني : إنَّ استواء الله تعالى على عرشه لا يماثل استواء المخلوق ، كما أنَّ ذاته لا تماثل ذوات المخلوق ، ولأنَّ استواء المخلوق من صفاته الخاصة به ، المناسبة لعجزه وضعفه واحتياجه المعلوم كلفيته بالمشاهدة ، والله تعالى منزه عن الانصاف بما يخص المخلوق من الصفات ، لأنه لا مثيل له ولا نظير ولا تعديل .

= كتابه العرش ٢ / ٣٤٥ و العلو ص / ٢٣٤-٢٤٤ .

(١) تقدم ذكر بعض مقالاتهم في ذلك ، وسيأتي ذكر بعض أدلتهم في ذلك وموقف أهل السنة منها

انظر : ١ / ٢٨٦ - ٣٠١ و ٢ / ٥٦ و ٧٠ - ٧١ .

(٢) انظر كتابه : الحججة في بيان الحججة ٢ / ٢٥٨-٢٥٩ .

وسئل محمد بن جعفر^(١) رحمه الله عن قول الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] فقال : « مَنْ زعم أنَّ الله إستوى على العرش : استواء مخلوق على مخلوق فقد كفر ، ومن اعتقد أنَّ الله إستوى على العرش استواء خالق على مخلوق فهو مؤمن ، والذي يكفي في هذا أن يقول : إنَّ الله إستوى على العرش من غير تكييف »^(٢).

فبين رحمه الله أنَّ استواء الله على العرش منزه عن التكييف والتمثيل ، لأنه استواء خالق على مخلوق ، ومن اعتقد ذلك فهو مؤمن موحد ، ومن شبهه باستواء المخلوق فقد كفر ، لأنه مشبه ممثل والمشبه كافر !

وذكر الإمام أبو بكر محمد بن وهب المالكي^(٣) رحمه الله موقف أهل السنة المتبعين للحق من إثبات صفة الاستواء ، والوقوف عن تكييف وتمثيل المشبهة فمما ذكره في ذلك أنهم : لما رأوا أنَّ الله تعالى أخبر أنه مستوي على عرشه كما يليق بجلاله أقروا بذلك ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله إذ ليس كمثل شيء من الأشياء^(٤)!

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله دلالة الكتاب والسنة والعقل الصريح على تنزيه الله

(١) لم يذكر الإمام اللالكائي رحمه الله غير اسمه واسم أبيه ، فلم يتبين لي ، وقد بحثت عن ترجمته فلم أعثر عليها !

(٢) ذكره الإمام اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤٠٢/٢ رقم ٦٧٦ .

(٣) أبو بكر محمد بن وهب التجيبي الحصار المعروف بالقبري القرطبي ، من العلماء الزهاد الفضلاء ، قال عنه الإمام ابن القيم : « من المشهورين بالفقه والسنة » من مؤلفاته : « شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني » توفي سنة ٤٠٦ هـ انظر : ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/٣ ، ٦٧٤-٦٧٦ واجتماع الجيوش الإسلامية ص/٥٤ وبتحقيق الدكتور عواد المعتق ص/١٥٦ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص/٧١-٧٢ وبتحقيق الدكتور عواد المعتق ص/١٥٦ وذكره الإمام الذهبي في كتابه العلو ص/٢٦٤ .

تعالى عن المماثلة ، وأنه تعالى لا تماثله المخلوقات في شيء من الأشياء ، وأن الله تعالى غني عن كل شيء ، مباين للمخلوقات عالٍ عليها ، فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته غني عن العرش وعن كل ما سواه ، لا يفتقر إلى شيء من المخلوقات ، بل هو مع إستوائه يحمل العرش وحملة العرش بقدرته ، ولا يمثل استوائه « باستواء المخلوقين بل يثبت لله ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات ، ويُنفى عنه مماثلة المخلوقات ويُعلم أن الله ليس كمثله شيء : لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فمن قال بذلك فهو مصيب في اعتقاده ، موافق لسلف الأمة وأئمتها^(١) ، أهل العلم والإيمان .

والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين من نصوص الاستواء كما ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله منفي عن الله تعالى ، لأن الله تعال لا يشبهه شيء من خلقه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ بل الأمر كما قال نعيم بن حماد الخزازي : « من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ، ولا رسوله ﷺ تشبيهه » فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة ، والأخبار الصحيحة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى^(٢) .

وبين الشيخ حمد بن ناصر بن معمر^(٣) رحمه الله أن استواء الله على عرشه يثبت كما ورد في الكتاب والسنة ، من أنه عز وجل فوق سمواته مستوي على عرشه

(١) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٦٢-٢٦٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٢/٢٣٠ .

(٣) حمد بن ناصر بن معمر بن عثمان بن معمر الإمام العلامة الحبر المحقق المجتهد الحافظ الورع قانع المشبهين بقية السلف قدرة الخلف أخذ العلم عن الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله توفي سنة ١٢٢٥ هـ انظر : كتاب التراجم ضمن الدرر السنية ١٣/

استواء يليق به تعالى لا يعلم كقيته إلا هو عز وجل ، كما لا يعلم كيفية ذاته إلا هو ، ولا يشبه استواء الخلقين ، فإنه تعالى ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله^(١).

والمقصود أن أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الاستواء كما وردت في الكتاب والسنة وينزهون الله تعالى في ذلك عن مقالة المعطلة والمشبهة ، ويعتبرون من قال في ذلك بالتشبيه ، أو جحد صفات الله تعالى كافرًا ، وينهون عن طلب معرفة كيفية صفات الله تعالى ومنها صفة الاستواء لما يُفضي إليه من القول بالتشبيه والتعطيل ، وأقوالهم في ذلك طيبٌ وكثيرٌ جدا ، وإنما ذكرت منها ما يتبين به موقفهم من مقالة التشبيه في صفة الاستواء ، فإن ذلك لا يأتي إلا بذكر أقوالهم وما ذكروه رحمهم الله .

الوقف الثانية

موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في استواء الله إنه بماسة أو ملاقات أو حدٌ أو إحاطة

لفظ المماساة والملاقات والحد من الألفاظ الجملة التي لم ترد في الشرع إثباتا أو نفيًا فلم يُذكر في الكتاب والسنة أن استواء الله عز وجل بمماساة ، أو ملاقات ، أو حد ، أو إحاطة أو نحوها من الألفاظ التي خاض فيها أهل الأهواء من الممثلة والمعطلة إثباتا ونفيًا ، فضمنوها إما التمثيل كما فعل المشبهة ، أو التعطيل كما فعل المعطلة ، مما جعل بعض الأئمة رحمهم الله تعالى أن يثبتوا أو ينفوا بعضها ، ردًا على هؤلاء المبتدعة أولاً ، وإثباتا لاستواء الله عز وجل ثانياً ، ولم يجعلوا إثبات هذه الألفاظ أو نفيها تأصيلاً أو تقريراً لمذهب أهل السنة في الصفات وإنما كان منهم ذلك من باب الرد على هؤلاء المبتدعة ، ولم يخرجوا في ذلك وحاشاهم عن المعنى

(١) انظر : الدرر السنية ٢١٩/١٢ .

الحق الثابت في الكتاب والسنة ، كما سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل .
وقبل بيان أقوالهم في ذلك يستحسن ذكر موقفهم من الألفاظ المجملة على سبيل
الإجمال الدالة على تقرير مذهبهم في الصفات وتأصيله على ما ورد في الكتاب
والسنة إثباتا ونفيا ، وتمييزه عن مناهج المتكلمين ، ومجانبتهم لمقالات أهل الأهواء
والبدع .

فموقفهم العام من الألفاظ المجملة التي يطلقها أهل الكلام من المشبهة^(١) والمعطلة
الوقوف على النص ، فمالم يرد لفظه إثباتا ونفيا لا يثبتونه ولا ينقون بل يستفسرون
عن المعنى المراد فإن أراد من يطلق هذه الألفاظ معنى صحيحا موافقا للكتاب
والسنة قبل منه المعنى دون اللفظ ، وإن أراد معنى فاسدا مخالفا للكتاب والسنة رد
المعنى واللفظ معا^(٢)!

فطريقة أهل السنة في ذلك كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنهم يراعون المعاني
الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ، ويراعون الألفاظ الشرعية فيعبرون بها ما وجدوا
إلى ذلك سبيلا ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقا وباطلا نسبه إلى البدعة
وقالوا : إنما قابل بدعة ببدعة ، ورد باطلا بباطل^(٣) .

ولما طلب المعطلة من شيخ الإسلام رحمه الله أن ينفي الجهة والتحيز الذي أرادوا
به نفي استواء الله على عرشه قال لهم : « ... فليس في كلامي إثبات لهذا اللفظ

(١) سيأتي بيان أن المشبهة شاركوا المتكلمين في مصطلحاتهم وأقيستهم الكلامية انظر : ١١٥-٨٥ / ٢ .

(٢) لبيان موقف أهل السنة من الألفاظ المجملة على سبيل التفصيل انظر : الرسالة التدمرية ص /

٢٢ وضمن مجموع الفتاوى ٤١/٣-٤٢ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ١٢/١١٣-١١٤ ومنهاج

السنة ٢٩٨ - ٢٩٩ وكتاب القرآن كلام الله حقيقة ضمن مجموع الفتاوى ١٢/١١٣-١١٤ ومنهاج

السنة ٢٧/٢-٢٨ و٥٢٧ ونقض التأسيس « المطبوع » ١/١٦ والجواب الصحيح ٣/٨٤ ودرء تعارض

العقل ١/٢٤١-٢٤٢ و٥/٥٥٥ و٦/٢٤٩ والصواعق المرسله ٣/٩٣٤ والقواعد المثلى ص/٣٩-٤٠ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل ١/٢٥٤ .

لأنَّ إطلاق هذا اللفظ نفيًا وإثباتًا بدعة ، وأنا لا أقول : إلاما جاء به الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة ... »^(١).

إذا عُرف موقف أهل السنة من الألفاظ المجملة على سبيل العموم ، فسأين موقفهم من الألفاظ المجملة التي أطلقها المشبهة على استواء الله تعالى ، على سبيل التفصيل وسيكون ذلك على مقاصد .



(١) الردُّ على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٣٢٥/٦ .

المقصد الأول

موقف أهل السنة من لفظ المماسمة والملاقات

لم يكن أهل السنة قبل ظهور المبتدعة من المشبهة والحلولية والمعطلة وغيرهم وإطلاقهم في حق الله تعالى ألفاظا لم ترد في الكتاب والسنة ، يخوضون في ذلك إثباتا ونفيا ولكن لما أثبتت الأمة الإسلامية بهؤلاء المبتدعة خاضوا فيها لبيان الحق ، ودفع الباطل خوفا من أن ينخدع بهم الجهال والعوام ممن تنطلي عليهم شبهات أهل الأهواء الفاسدة ، فلم يقولوا : بأنه مستو بذاته ، إلا بعد أن قال الجهمية إن الاستواء مجاز وليس حقيقة فصرح أهل السنة بأنه تعالى مستو على عرشه بذاته ، للرد عليهم وأنه عز وجل مستو على عرشه على الحقيقة وليس على سبيل المجاز^(١)!

وهكذا في لفظ المماسمة ونحوها لم يكن لينفي منهم من نفى ذلك ، إلا بعد أن أثبتته المشبهة على سبيل التكيف والتمثيل ، والحلولية الذين قالوا إن الله بذاته في كل مكان ، فاقضى المقام نفى المماسمة للدلالة على أن الله مبين خلقه غير مجاس لهم . وقد رأيت من خلال تتبعي لأقوال أهل السنة في ذلك ، أنهم يقولون فيما يتعلق بمسألة العلو من غير مماسمة ويقصدون بذلك أنه مبين خلقه وليس مخالطا لهم وحالا فيهم كما يقول مشبهة الحلولية نقاة العلو .

وكذا فيما يتعلق بمسألة الاستواء ينفون لفظ المماسمة ويمنعون استعماله إن رأوا من يستعمله في استواء الله على عرشه ليكيف بذلك كما فعل المشبهة الكرامية والهشامية وغيرهم فيمنع أهل السنة استعماله وينفونه منعا للخوض في الكيفية المفضية إلى التمثيل .

(١) انظر : تعليقات الدكتور محمد باكرم باعبد الله على : كتاب الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي ص/١٢٧ .

وإذا رأوا المعطلة ينفون في مسألة الاستواء لفظ المماسة ليتوصلوا بذلك إلى نفي الاستواء ردُّ بعض أهل السنة عليهم بإثباته ، وهذا قليل جدا .

وبعض أهل السنة أختار التوقف في إثبات لفظ المماسة ونفيه حتى في مقام الرد على أهل البدع الذين أثبت منهم من أثبته للتكليف والتشبيه ، ونفى منهم من نفاه للتعطيل . ومن هنا يتبين موقف أهل السنة من لفظ المماسة في أربع مقامات ، ولكل مقام مقال ، لأن من الحكمة والعلم وضع الشيء في موضعه الموافق للكتاب والسنة .

المقام الأول : استعمال لفظ المماسة على سبيل النفي للرد على الحلولية المشبهة

ومن أقوال أهل السنة الذين نفوا المماسة في مقام الرد على الجهمية الحلولية المشبهة الذين نفوا علو الله تعالى وزعموا أن الله معهم وأنه في كل مكان ، من أقوال أهل السنة في الرد على هؤلاء بنفي المماسة قول الإمام أحمد رحمه الله : « إن الله عز وجل على عرشه فوق السماء السابعة ، يعلم ماتحت الأرض السفلى وأنه غير مماس لشيء من خلقه هو تبارك وتعالى بائن من خلقه وخلقه بائون منه »^(١) .

فنفي الإمام أحمد رحمه الله مماسة الله لشيء من خلقه في معرض رده على الجهمية الحلولية المشبهة وبين ذلك بعلو الله على خلقه ومبايئته لهم ، وأنه مستو على عرشه ردا على الحلولية المشبهة الذين ينفون علو الله على خلقه ومبايئته لهم ، واستواءه على عرشه ومن المتقرر أن من عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله عز وجل إثبات علو الله تعالى على خلقه وأنه بائن منهم وليس مماسا لهم^(٢) .

(١) رواه الإمام أبو بكر الخلال في كتاب السنة ونقله عنه الإمام ابن القيم في إجماع الجيوش ص/

٧٨ ولم أجده في كتاب السنة للخلال المطبوع . وانظر : الرسائل والمسائل المروية عن الإمام

أحمد في العقيدة جمع وتحقيق الدكتور : عبد الإله سليمان الأحمدي ١/٣٢٠ و٣٢٣ .

(٢) انظر : مقدمة الدكتور محمد بن خليفة التميمي على كتاب العرش للإمام الذهبي ١/٢٣٢ .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « فَإِنَّ الَّذِينَ نَقَلُوا إِجْمَاعَ السَّلَفِ أَوْ إِجْمَاعَ أَهْلِ السَّنَةِ أَوْ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ لَا يَحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا زَالَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ يَثْبُتُونَ الْمُبَايَنَةَ وَيُرَدُّونَ قَوْلَ الْجَهْمِيَّةِ بِنَفْيِهَا »^(١) .
ومن المعلوم أَنَّ الْمُبَايَنَةَ وَالْمَمَاسَةَ نَقِيضَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ ، وَأَهْلُ السَّنَةِ كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مَجْمَعُونَ عَلَى إِثْبَاتِ مُبَايَنَةِ اللَّهِ لَخَلْقِهِ وَأَنَّهُ تَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ كَمَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ^(٢) ؛ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ مَا تَمَّ مَوْجُودٌ إِلَّا الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ ، وَالْخَالِقُ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَلَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ^(٣) .

وهذا كما ذكر العلامة ابن مانع^(٤) صريح في عدم مماسة الباري لشيء من مخلوقاته إذ المباين غير مماس ، فالمباينة والمماسة نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان وقد حطأ العقلاء من يثبت شيئاً وينفي نظيره ، فالذي يعترف بالمباينة يلزمه عقلاً الاعتراف بعدم المماسة ، وإلا كابر المعقول وخالف المنقول^(٥) !

وقد صرح الإمام أحمد رحمه الله في رده على الجهمية الحلولية حيث قال : « فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله أنه مع خلقه ، قال : هو في كل شيء غير مماس لشيء ، ولا مباين منه ، فقلنا : إذا كان غير مباين أليس هو مماس قال : لا . قلنا : فكيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين ، فلم يحسن

(١) نقض التأسيس « المطبوع » ٥٣١/٢ .

(٢) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٥٣١/٢ .

(٣) انظر : الرسالة التدمرية ص/٢٢ وضمن مجموع الفتاوى ٤١/٣-٤٢ .

(٤) محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مانع التميمي ، العلامة الفقيه ، تولى

عدة مناصب في الإفتاء والقضاء في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله ، وتوفي سنة ١٣٨٥ هـ

انظر : الأعلام ٢٠٩/٦ .

(٥) انظر : إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب لابن مانع ص/١٠٣-١٠٤ .

الجواب . فقال : بلا كيف ، فخدع جهال الناس بهذه الكلمة وموّه عليهم ^(١) !
 فرغ الجهمي كما ذكر الإمام أحمد النقيضين بقوله : « غير مماس لشيء
 ولا مباين منه » وهذا محال لأنّ الذي يتصف بذلك غير موجود عند العقلاء .
 قال شيخ الإسلام رحمه الله معلقا على كلام الإمام أحمد : « وأحمد رحمه الله
 ذكر ما يعلم بضرورة العقل من أنه إذا كان فيه - تعالى - وليس بمباين فإنه لا بُدَّ أن
 يكون مماس له فإنه لا يعقل كون الشيء في الشيء إلا مماسًا له أو مباينًا له فإنه لما
 كان خطابه مع الجهمية - الذين يقولون : إنه في كل مكان ذكر أنه لا بُدَّ من المماسية
 أو المباينة على هذا التقدير ، وهو تقدير المحايشة ، فإن أولئك لم يكونوا ينكرون
 دخوله في العالم وإنما ينكرون خروجه ... » ^(٢) .

المقام الثاني : استعمالهم لفظ المماسية على سبيل النفي في مقام الرد على المشبهة
 من المعلوم أنّ من عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم في صفة الاستواء
 كما تقدم ^(٣) إثباتها كما وردت من غير تكيف ولا تشبيه ، وقد خالف المشبهة هذا
 المنهج وخاضوا في كيفية استواء الله تعالى المفضي إلى التشبيه فزعموا أنه مماس
 لعرشه بل فسر بعضهم هذه المماسية بعقولهم الفاسدة كما تقدم ^(٤) فردّ عليهم بعض
 الأئمة بمنع إثبات لفظ المماسية ونفيه تنزيها لله تعالى عن التكيف والتشبيه .
 ومن أقوالهم في ذلك :

ماقاله الإمام عبد الله بن خلف المقرئ ^(٥) رحمه الله بعد ذكره حديث النزول : « في

(١) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص/٥٢ .

(٢) نقض التأسيس « المطبوع » ٥٥٣/٢ .

(٣) انظر : ٤١٩/١ .

(٤) انظر : ٤١٦/١ - ٤١٧ .

(٥) لم أجد ترجمته بهذا الاسم ولعله كما ذكر الدكتور عواد المعتق أبو القاسم خلف بن قاسم بن =

هذا الحديث دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة ولا تكيف كما قال أهل العلم^(١).

فنفى رحمه الله المماسه ، وأثبت استواء الله على عرشه من غير تكيف ولا تمثيل ، وفي قوله : « بلا تكيف » عقب نفيه للمماسه إشارة منه إلى أن إثباتها حوض في الكيفية المنهي عنها شرعا وتضمن ما ذكره الرد على من يأتي بلفظ المماسه ليتوصل بذلك إلى تكيف الله تعالى في استوائه ، وتشبيهه باستواء المخلوق كما فعل المشبهة !

وأنكر الإمام أبو نصر السجزي^(٢) رحمه الله مقالة الكرامية إن الله مستوي على عرشه بمماسه ووصفها بالضلال ، وبين أن اعتقاد أهل الحق أن الله سبحانه فوق العرش بذاته من غير مماسة فقال في ذلك : « واعتقاد أهل الحق أن الله سبحانه فوق العرش بذاته من غير مماسة ، وأن الكرامية ومن تابعهم على قول المماسه ضلال »^(٣). ويقصد بقوله « من غير مماسة » بأنه تعالى بائن من خلقه مستوي على عرشه ، وقد تقدم قريبا أن هذه المقالة محل إجماع بين أهل السنة والجماعة .

ولا يقال في استوائه إنه بمماسه كما قالت الكرامية ، لأن هذا تكيف لاستواء الله تعالى المفضي إلى التشبيه وإنما يقال : إن الله مستوي على عرشه بائن عن خلقه كما يليق به تعالى !

= سهل بن الأسود الأزدي المعروف بابن الدباغ ، محدث أندلسي من أهل قرطبة ، قام برحلات واسعة إلى المشرق وجمع « مسند حديث مالك بن أنس » و « أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين » توفي سنة ٣٩٣ هـ انظر : الأعلام ٣١١/٢ وتعليقات الدكتور عواد المعتق على اجتماع الجيوش الإسلامية ص/١٥٧ رقم ٦ .

(١) ذكره الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٥٥ وبتحقيق الدكتور : عواد المعتق ص/

١٥٧ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٦٢/١ .

(٣) الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي ص/١٢٦-١٢٧ .

وبين الإمام سعد بن علي الزنجاني^(١) رحمه الله أنه ليس معنى استواء الله تعالى على عرشه بأنه مالك جميع الخلائق ومستول عليها ، ولا معناه أيضاً أنه مماس العرش أو اعتمد عليه فإن كل ذلك ممتنع في وصفه عز وجل ، ولكنه تعالى مستو بذاته على عرشه بلا كيف كما أخبر بذلك عن نفسه^(٢) .

وفي هذا إشارة منه رحمه الله إلى إبطال مقالة المعطلة إن معنى الاستواء « الاستيلاء »^(٣) وإبطال مقالة المشبهة « إنه مماس للعرش » لأن هذه المقالات مخالفة لخبر الله عن نفسه بأنه مستو على عرشه ، كما يليق بجلاله وعظمته .

وذكر الإمام أبو القاسم التيمي رحمه الله أيضاً أن الاستواء ليس معناه المماس بل هو عز وجل مستو على عرشه بلا كيف كما أخبر بذلك عن نفسه فقال في ذلك : « قال أهل السنة : خلق الله السموات والأرض على ما ورد به النص وكان عرشه على الماء مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض وليس معناه المماس ، بل هو مستو على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه »^(٤) .

فالاستواء عند أهل السنة ليس من معانيه المماس والملاقات كما يزعم المشبهة بل هو بمعنى : صعد ، وعلأ ، وارتفع ، واستقر^(٥) .

(١) أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني الشافعي الحافظ العابد ، جاور الحرم المكي وكانت له فيه منزلة كبيرة ، قال عنه الإمام الذهبي : « وكان من دعاة السنة وأعداء البدعة » توفي سنة ٤١٧ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٣٨٥-٣٨٩/١٨ وكتاب العلو ص/٢٥٩ .

(٢) ذكره الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٧٤ .

(٣) سيأتي تفسيرهم الاستواء بالاستيلاء وبيان أنهم بهذا التفسير قد شبهوا الله تعالى بخلقه انظر : ٢٨٠/٣ .

(٤) الحججة في بيان المحجة ١١٣/٢-١١٤ .

(٥) انظر : ٣٣٤/١ .

والمقصود : أنَّ من نفى المماسة من أهل السنة إنما أراد بذلك إثبات مباينة الله خلقه وأنه مستوي على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته ، وفي ذلك ردُّ على المشبهة الذين خاضوا في كيفية استواء الله عز وجل بعقولهم الفاسدة ، فرد عليهم الأئمة بإثبات استواء الله على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته ، ونفوا المماسة تنزيهاً لله تعالى عن التكيف والتشبيه وبيانا منهم - رحمهم الله - بأنَّ الله عز وجل مباين لخلقه مستوي على عرشه بلا تكيف ولا تمثيل .

ذكر العلامة ابن مانع رحمه الله أنَّ أهل السنة يقولون بائن من خلقه عالٍ عليهم مستوي على عرشه ، ومعناه غير مماس لها ، لأنَّ العرش من مخلوقاته ، فهو مستوي عليه غير مماس له وهل يقول مسلم : إنَّ العرش ليس من جملة خلقه ، وإنَّ الله ليس مباين له ، حاشا وكلا !!

فقول أهل السنة : « فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه » صريح في أنه تعالى منفصل عن مخلوقاته ، ليس مماساً لشيء منها ، ومن جملتها العرش^(١) !

فالسبب في نفي لفظ المماسة من الأئمة لمنع استعماله كما ذكر الدكتور محمد من خليفة التميمي - حفظه الله - لما فيه من التعمق في شأن الكيفية ، ومن عادة السلف أنهم في تقريرهم لصفة الاستواء ولسائر الصفات لا يتعمقون في شأن الكيفية ويكفون علم ذلك لله عز وجل^(٢) ! وقد تقدم بيان ذلك على وجه التفصيل^(٣) .

المقام الثالث : ومنهم من أثبت لفظ المماسة في مقام الرد على المعطلة النفاة

ولما نفى المعطلة لفظ المماسة وأرادوا بذلك التوصل إلى نفي صفة الاستواء ردُّ

(١) انظر كتابه : إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب ص/ ١٠٤-١٠٥ و١٠٧ .

(٢) انظر مقدمته على كتاب العرش للإمام الذهبي ١/ ٢٣٥ .

(٣) انظر : ١/ ٣٩٠ - ٣٩٩ .

عليهم بعض الأئمة بإثبات المماساة لإثبات صفة الاستواء وغيرها وهو قليل جدا .
ومن أقوال أهل السنة في إثبات لفظ المماساة للرد به على المعطلة الذين نفوه
لتعطيل الله عن صفة الاستواء وغيرها ما ذكره الإمام الدارمي رحمه الله في صدد
رده على بشر المريسي الذي نفى المماساة وضمن ذلك تعطيل صفة اليد وغيرها فردُّ
عليه الدارمي بقوله : « وولى - تعالى - خلق آدم بيده مسيسا ، لم يخلق ذا روح
بيده غيره ، فلذلك خصه به ، وفضله وشرف بذلك ذكره ، لولا ذلك ما كانت له
فضيلة في ذلك على شيء من خلقه إذ كلهم خلقهم بغير مسيس في دعواك^(١) !
فأثبت رحمه الله صفة اليد التي نفاها المريسي وذكر لفظ المماساة في مقام الرد
ليبين بها أن الله تولى خلق آدم بيده التي هي صفة من صفات ذاته عز وجل !
ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في معرض رده على الرازي الذين
نفى المماساة وضمن ذلك تعطيل الله زاعما أنه يرد بذلك على الكرامية^(٢) الذي
أثبتوا المماساة فرد عليه شيخ الإسلام بإثبات لفظ المماساة لإثبات صفة الاستواء ومما
ذكره رحمه الله في ذلك أن كون الله فوق العرش ثبت بالشرع المتواتر ، وإجماع
السلف ، مع دلالة العقل ضرورة ونظراً أنه تعالى خارج العالم .
فلا يخلو مع ذلك :

إما أن يلزم أن يكون ممامسا أو مبايتا ، أو لا يلزم .

فإن لزم أحدهما كان ذلك لازماً للحق ، ولازم الحق حق ، وليس في ممامسته
للعرش ونحوه محذور كما في ممامسته لكل مخلوق من النجاسات والشياطين وغير
ذلك ، فإن تنزيهه عن ذلك إنما أثبتناه لوجوب بُعْدِ هذه الأشياء عنه ، وكونها

(١) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٢٥-٢٦ .

(٢) انظر : الأربعين في أصول الدين للرازي ص/٣٥٠ ونقله شيخ الإسلام في درء التعارض /٦

ملعونة مطرودة ، لم تثبت لاستحالة المماسه عليه^(١) !
 فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أثبت الحق الذي دلت عليه النصوص مستعملا
 في ذلك إثبات لفظ المماسه الذي رد به المعطل الحق الذي هو إثبات صفة الاستواء
 كما وردت وقول المعطل يلزم من إثبات صفة الاستواء المماسه التي نفاها ونفى بها
 الصفة فإن هذا اللازم حق ، سواء قيل بأنه يلزم من إثباته أن يكون الله مماسا للعرش أو
 لا يلزم !!

وليس في ممامسته تعالى للعرش ونحوه محذور ، فإن استواءه على العرش ثابت
 شرعا وعقلا ، سواء لزم المماسه أو لم يلزم بخلاف ممامسته لكل مخلوق من
 النجاسات والشياطين ونحوها الذي يلزم من مقالة من ينفي الاستواء ، ويقول إنه
 في كل مكان كما يقول الحلوية المشبهة الجهمية فإن هذا باطل مردود لمناقضاته مباينة الله
 لخلقه واستوائه على عرشه ، ولأنه باطل فاسد ، ولازم الباطل باطل !!

فإثبات شيخ الإسلام للفظ المماسه ليس مقصودا لذاته ، بمعنى أن يكون من معاني
 الاستواء كما فعل المشبهة ، فحاشاه من ذلك فإنه من أعظم من ينزه الله تعالى عن
 مقالات المشبهة ، وإنما قال بذلك لأن خطابه كان مع المعطله الذين توصلوا بنفي
 المماسه على نفي الاستواء ، فرد عليهم بأن إثباته ليس محذورا كما في إثباته على
 ما يؤدى إلى المحذورات المنتعات كما يقول الحلوية المشبهة الذين يزعمون إنه في
 كل مكان بذاته ، فيلزم على مقالتهم هذه أن يكون الباري مماسا للنجاسات
 والمحذورات المنتعات ، ولهذا رد عليهم الأئمة - كما تقدم - بنفي المماسه لإثبات
 علو الله على خلقه ومباينته عنهم واستوائه على عرشه كما يليق بجلاله ، وشيخ
 الإسلام موافق لهم مقرر لكلامهم كما تقدم في تعليقه على قول الإمام أحمد

(١) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٥٥٦/٢ .

رحمه الله في ذلك !

وفي الحقيقة أن الكرامية مع خطئهم وانحرافهم في إثبات المماسه وخوضهم بذلك في التكييف أقرب من الرازي إلى الحق لإثباتهم صفة الاستواء ، ولولم يخوضوا في التكييف المذموم لأفلحوا !!

فرده على الكرامية كما ذكر شيخ الإسلام ليس منصبا على ذكرهم لفظ المماسه فقط ، بل كان منه إنكارا لإثباتهم صفة الاستواء^(١)، حتى ولولم يقولوا بالمماسه لأنكر عليهم كما فعل مع أهل السنة في كتابه « أساس التقديس » الذي ألفه للرد به على الكرامية وأهل السنة مثبتي الصفات !!

المقام الرابع : التوقف عن استعمال لفظ المماسه إثباتا ونفيا

ومن أهل السنة من أختار التوقف عن استعمال لفظ المماسه في حق الله تعالى نفيا وإثباتا ولو في مقام الرد على المبتدعة ، ومن قال بذلك الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ^(٢) رحمه الله في جوابه على بعض المعطله ، فقد ذكر أن لفظ المماسه لفظ مخترع مبتدع لم يقله أحد ممن يقتدى به ويتبع^(٣)، فإن أريد به

(١) انظر : درء التعارض ٢٨٨/٦ .

(٢) أبو عبد الله عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإمام العالم العامل سيد أهل الإسلام في زمانه المجاهد الناصح كان آية في الحفظ ، متوقد الذكاء ، رحل إلى مصر فمكث بها إحدى وثلاثين سنة ثم عاد إلى نجد وتفرغ للتدريس والتأليف ، وعين قاضيا في الإحساء ثم الرياض ، من مصنفاته : « مصباح الظلام في الرد على منتقسي شيخ الإسلام » و« منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس » توفي سنة ١٢٩٢ هـ . انظر : ترجمته في كتاب التراجم ضمن الدرر السنه ١٣ / ٤١٣-٤٢٦ وفي مقدمة كتابه عيون الرسائل والأجوبة على المسائل للدكتور : حسين بوا ص/٤٧-٩٢ رسالة دكتوراه .

(٣) يقصد بذلك والله أعلم ، لم يقله ابتداء ، وإلا فقد نفاه بعض الأئمة في مقام الرد على المبتدعة . كما تقدم قريبا .

نفي ما دلت عليه النصوص من الاستواء والعلو ، أو الارتفاع والفوقية فهو قول باطل ضالٌّ قائله ، مخالف للكتاب والسنة ، وإجماع سلف الأمة ، مكابر للعقول الصحيحة ، والنصوص الصريحة ، وإن لم يرد هذا المعنى بل أثبت العلو والفوقية والارتفاع الذي دلُّ عليه لفظ الاستواء ، فيقال فيه مبتدع ضال ، قال في الصفات قولاً مشتبهاً موهماً فهذا اللفظ لا يجوز نفيه ولا إثباته^(١) !!
ويستفاد مما ذكره رحمه الله ثلاثة أمور :

الأول : التوقف في إثبات لفظ المحاسة في حق الله تعالى إثباتاً ونفيًا ، وهذا موافق لموقف أهل السنة من الألفاظ المجملة التي لم ترد في الكتاب والسنة كما تقدم .
الثاني : الردُّ على المعطلة الذين ينفون المحاسة ليتوصلوا بذلك إلى نفي صفة الاستواء .
الثالث : الرد على المشبهة الذين يثبتون الاستواء ، ويخوضون في كيفيته فيطلقون على الله بأنه مماسٌ للعرش من الجانب الأسفل ونحو ذلك من المقالات الفاسدة كما تقدم^(٢) !!
وذكر الشيخ سليمان بن سحمان^(٣) رحمه الله في مقام رده على من يقول : « مذهب السلف الصالح : إنَّ الله مستوٍ على عرشه من غير مماسة » إنَّ قوله « من غير مماسة » قول على الله بلا علم ولا برهان ، إلا أنَّ يكون من قول من ينتسب إلى السلف من أهل الكلام المذموم الذين لا يعتد بقولهم ، ولا يعول عليهم في هذا الباب ، لأنَّ

(١) انظر كتابه : عيون الرسائل والأجوبة على المسائل ص/٣٤٢-٣٤٣ وذكره تلميذه الشيخ سليمان بن

سحمان في كتابه : تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المتدعة الوخيمة ص/٤٠٥ .

(٢) انظر : ص/٢٨١ .

(٣) سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان النجدي العلامة الورع قانع المبتدعين ، كاشف

شبهات المشبهين والمبطلين صاحب التصانيف المشهورة الثقة أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن

بن حسن ، وابنه عبد اللطيف والشيخ حمد بن عتيق وغيرهم من مصنفاته : « الصواعق المرسله

الشفائية على الشبه الداخضة الشامية » و « الجواب المنكي على الكنكي » توفي سنة ١٣٤٩ هـ .

انظر : كتاب التراجم ضمن الدرر السنه ١٣/٤٤٤-٤٥٢ و الأعلام ٤/٢٦٤ .

هذا اللفظ لم يرد في كتاب ولا سنة ولا قول صاحب ولا قول أحدٍ من الأئمة^(١)،
ومن زعم هذا فعليه الدليل .

ثم ذكر رحمه الله أن الدليل على بطلانه ما قاله الإمام عبد العزيز بن
الماجشون^(٢) رحمه الله وهو أحد الأئمة الأعلام ومن قوله في ذلك : « اعرف رحمك
الله غناك عن تكلف صفة مالم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف
منها ، إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم مالم يصف ؟ ...

وما أنكرته نفسك ، ولم تجد ذكره في كتاب ربك ، ولا في حديث عن نبيك
من ذكر صفة ربك فلا تكلفن علمه بعقلك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمت عنه
كما صمت الرب^(٣) عنه من نفسه ، فإن تكلفك معرفة مالم يصف من نفسه
كإنكارك ما وصف منها ، فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه
فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ... »^(٤).

والله سبحانه لم يصف نفسه في كتابه ، ولا وصفه رسوله ﷺ في سنته بأنه
استوى على العرش استواءً منزهاً عن المماساة والتمكن والحلول ، ولم يذكر أحدٌ من
أئمة السلف هذا القول المخترع المبتدع ، ولو كان هذا مذهب السلف لذكره أئمتهم

(١) لم يقل به أحد من السلف على أنه من مذهب السلف ، لكن نفاه بعض الأئمة في مقام الرد على
المبتدعة من الجهمية والمشبهة كما تقدم قريبا

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٣٩٢/١ .

(٣) يجوز ذلك على سبيل الإخبار ، والأولى أن يقال : كما سكت . كما ورد في الحديث : « وسكت
عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » جزء من حديث ذكره الإمام النووي في
الأربعين ، وقال : « حديث حسن » انظر : الأربعين النووية مع شرح الشيخ السندي ص/
٩٨ و صححه الحاكم في المستدرک ١١٥/٤ و صححه الإمام ابن كثير في تفسيره ١٠٩/٢ .

(٤) ذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى ص/ ٢٦- ٢٧ وضمن مجموع الفتاوى ٥/
٤٣ و ٤٥ و ذكر نحوه الإمام الذهبي في كتابه العلو ص/ ١٤٤-١٤٥ .

فَقَلِمَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مَذْهَبَ السَّلَفِ الصَّالِحِ^(١) !
والذي يظهر لي أَنَّ الأولى التوقف عن إطلاق لفظ المماسة في حق الله تعالى نفياً وإثباتاً ، كما قرر الشيخان العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، وتلميذه العلامة سليمان بن سحمان ، فيتوقف في إثباته ونفيه ولو في مقام الرد لموافقته لمنهج أهل السنة فيحتمل في حق الله تعالى من الألفاظ المجملة المبتدعة ، ففي ذلك الحكمة والسلامة فيجب الوقوف والانتهاز وعدم الخوض في ذلك إثباتاً ونفياً ، لأنَّ ذلك أمرٌ غيبي لم يرد به نصٌّ شرعيٌّ فوجب التوقف عنه ! وقد رجح العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - هذا المسلك ، فأشار إلى أَنَّ الأولى حذف عبارة « المماسة » فذكر أَنَّ بعض العلماء الذين قالوا : إِنَّ الله استوى على العرش بدون مماسة ، قد أخطؤوا !

ونحن نقول : ليس لك الحق أَنَّ تقول : بدون مماسة ، ولا أَنَّ تقول : بمماسة دع عنك هذا ! يسعك ماوسع الصحابة الذين هم أحرص منك على العلم ، وأشد منك تعظيماً لله عز وجل ، فكلمة بمماسة أو غير مماسة يجب أن تُلغى وتحذف^(٢) .
على أَنَّ الذي ينبغي أن يُعلم أنه ليس هناك تنازع في هذه المسألة أو غيرها من مسائل الاعتقاد بين السلف لأنه كما ذكرت سابقاً ، أَنَّ من نفى المماسة من السلف لم يذكر ذلك على أنه من مذهب السلف ، وإنما ذكره من باب الرد على المبتدعة الذين عارضوا بذلك وحي الله تعالى ، ونفوا صفاته ، أو شبهوها بصفات خلقه !!

(١) انظر : تنبيه ذوي الأبواب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوحيية لابن سحمان ص /

(٢) ذكره عنه الشيخ أبو محمد أشرف عبد المقصود في تعليقاته على الكواكب الدرية لابن مانع ص / ٩٦ . ولم يشر إلى مرجع له ، فلعله سمعه من الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في دروسه أو محاضراته وقد بحث عنه في كتب الشيخ فلم أجده !

فمن نفاه أراد به الرد على الجهمية الحلولية المشبهة الذين نفوا علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ، فأثبت السلف مباينة الله لخلقهم وعلوه عليهم ، وذكر بعض الأئمة « من غير ممانسة » للرد به على هؤلاء المبتدعة !

ومن نفى الممانسة من أهل السنة ومنع استعماله أراد بذلك الرد على المشبهة المكيفة الذين أثبتوه ووقعوا بذلك في التكيف ، فردّ عليهم بعض السلف بمنع استعماله ونفيه إثباتا منهم لصفة الاستواء كما يليق بجلال الله وعظمته ، وتنزيها لله تعالى عن التكيف والتمثيل ، لأنهم رحمهم الله لم يجعلوا الممانسة من معاني الاستواء كما فعل المشبهة وحاشاهم من ذلك ، بل قرروا أن معناه العلو والاستقرار والصعود والارتفاع على ما يليق به تعالى كما تقدم !

ومن أثبته من أهل السنة في مقام الرد - وذلك قليل - أراد به الرد على المعطلة الذين نفوه ليتوصلوا به إلى نفي الاستواء !

ومن اختار التوقف أخذ بمنهج أهل السنة العام في الألفاظ المجملة المبني على التوقف فيمالم يرد إثباته ونفيه في حق الله تعالى وهذا المنهج كما تقدم متفق عليه بين أهل السنة .

وبهذا يعلم أنه لا يوجد نزاع بين أهل السنة في هذه المسألة ولا في غيرها من مسائل الاعتقاد ، لأنهم قد قرروا أن مسائل الاعتقاد لا سيما ما يتعلق منها بذات الله وصفاته لا تثبت إلا بالوحي ، فإن منهجهم المتفق عليه بينهم التوقف فيما لم يرد إثباته ونفيه في حق الله عز وجل !

المقصد الثاني

موقف أهل السنة من إطلاق المشبهة على استواء الله
أنه بحد أو إحاطة

أولا : لفظ الحد

لفظ الحد من الألفاظ المجملة التي أدخل فيها أهل الأهواء والبدع معانٍ باطلة مخالفة للكتاب والسنة والعقل الصريح ، فأثبتته المشبهة وأرادوا به معرفة حد الله تعالى في استوائه ، وإدراك كيفيته فوقوا بذلك في التشبيه المذموم ، فقد ادعى هشام وأصحابه كما تقدم^(١) أن العرش قد حوى الله وحده ، وأنه - تعالى - قد ملأ العرش ، وأن له حدا واحدا من الجانب الذي ينتهي إلى العرش ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وأدرج المعطلة فيه معنى باطلا حيث اعتبروا اتصاف الله بصفة الاستواء يؤدي إلى أن يكون الله محدودا مشابها لاستواء المخلوق ، فتوهموا هذا المعنى الفاسد الذي اتفقوا فيه مع المشبهة ، ثم نفوا الحد خوفا من التشبيه المتوهم وفروا منه إلى التعطيل^(٢)!

ووفق الله أهل السنة للقول الحق في ذلك فأثبتوا صفة الاستواء على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته ، ونزهوا الله عن المعاني الفاسدة التي تصورها أهل التشبيه والتعطيل فردوا على المشبهة الذين زعموا معرفة حد الله تعالى ، والإحاطة

(١) انظر : ٤١٦/١ - ٤١٧ .

(٢) انظر ما ذكره الإمام الدارمي في ذلك عن بشر المريسي في كتابه : رد الإمام الدارمي على بشر

المريسي ص/٢٣-٢٤ وشرح العقيدة الطحاوية للغنيمي الحنفي الماتريدي ص/٧٣-٧٤ ومقالات

الكوثري ص/٣٧٨ .

بكيفية صفاته ومنها صفة الاستواء ، وردوا على المعطلة الجهمية الذين نفوا الاستواء بنفي الحد !

وقد تبين لي من خلال قراءتي في هذه المسألة أن موقف أهل السنة من لفظ الحد إثباتاً ونفياً يتلخص في مقامين ولكل مقام مقال ، ومن الحكمة والعلم وضع الشيء في موضعه المناسب له الموافق للكتاب والسنة وتوضيح ذلك كالآتي :

المقام الأول : استعملوه على سبيل النفي للرد على المشبهة المكيفة

لما خاض المشبهة في كيفية صفات الله ومنها صفة الاستواء ، وزعموا معرفتهم حد الله تعالى وحد صفاته ، وأن العرش قد حوى الله تعالى وحده - كما تقدم - رد عليهم بعض الأئمة بنفي الحد وأرادوا بذلك نفي الإحاطة بالله تعالى علماً وإدراكاً وأن كيفية الله تعالى وصفاته غير معروفة لا يعلمها إلا هو ، لأنه تعالى لا مثيل له ولا شبيهه ومن أقوالهم في ذلك ما زوي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : « والله عز وجل على عرشه ليس له حد ، والله أعلم بحده »^(١).

وفي رواية لحنبل بن إسحاق^(٢) رحمه الله : « نحن نؤمن أن الله تعالى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ، ولاصفة يبلغها واصف أو يحده أحد »^(٣).

وقال حنبل في موضع آخر عن الإمام أحمد أنه قال : « ليس كمثل شيء في ذاته كما

(١) ذكره ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ٢٩/١ وانظر : الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة جمع وتحقيق الدكتور : عبدالإله الأحمدى ٣٤٢/١ .

(٢) أبو علي حنبل بن إسحاق بن هلال الشيباني ، ابن عم الإمام أحمد رحمه الله وتلميذه ، كان عالماً في الفقه والحديث والتاريخ من مصنفاته : « كتاب الفتن » و « محنة الإمام أحمد » توفي سنة ٢٧٣هـ انظر : تاريخ بغداد ٢٨٦/٨-٢٨٧ وطبقات الحنابلة ٤٣/١-٤٥-١ والأعلام ٢/٢٨٦ .

(٣) ذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المطبوع » ٤٣٣/١-٤٣٤-١٦٣/٢ وراجع : الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ٣٤٢/١ .

وصف به نفسه قد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء ، فنعبد الله بصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا ما وصف به نفسه - إلى أن قال - وهو على العرش بلا حد كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ آسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الفرقان : ٥٩] كيف شاء ... ولا يحده أحدٌ ، تعالى الله عما تقول الجهمية والمشبهة .

قال حنبل : قلت له : والمشبهة ما يقولون ، قال : من قال : بصر كبصرى ، ويد كيدى وقدم كقدمي فقد شبه الله سبحانه بخلقه ، وهذا يحده ، وهذا كلام سوء وهذا محدود والكلام في هذا لا أحبه ^(١) .

فهذه الروايات كلها تدل على أن الإمام أحمد رحمه الله نفى المعاني الباطلة التي أدخلها المبتدعة المشبهة وغيرهم ، وقد بين رحمه الله أن الله تعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا تمثيل ولا تكيف ولا حد يبلغه وصف واصف أو تدرك كلفيته ، فإن حد الله تعالى وصفاته لا يعلمها العباد ، لأن ذلك أمر غيبي يجب الإيمان به كما ورد بدون خوض في كلفيته كما فعل المشبهة ! وقد صرح الإمام أحمد رحمه الله في الرواية الثانية بما يدل على ذلك ، فذكر المشبهة ، وبين أنهم يشبهون الله تعالى ويحدونه فيخوضون في كيفية صفات الله ويمثلونها بصفات المخلوقين ، وأن كلامهم في ذلك كلام سوء ممقوت ، لأن فيه وصفاً لله تعالى بما يتعالى ويتقدس عنه من التمثيل والتشبيه ، والبحث عن الكيفية المفضية إلى التشبيه !!

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله مقصود الإمام أحمد رحمه الله من نفيه « الحد » وأنه أراد بذلك أن العباد لا يحدون الله تعالى أو صفاته بحد ، ولا يقدررون ذلك

(١) روى الإمام أبو يعلى جزء منه في كتابه إبطال التأويلات ٤٣/١ و٤٥ وذكره شيخ الإسلام في درء التعارض ٣١/٢ - ٣٢ وفي نقض التأسيس « المطبوع » ٤٣١/١ - ٤٣٢ و١٦٥/٢ وذكره الإمام بن القيم في إجماع الجيوش الإسلامية ص/٨٣ .

بقدر ، ولا يبلغون إلى أن يصفوا ذلك ، وهذا لا ينافي ما تقدم من إثبات أنه تعالى في نفسه له حد يعلمه هو ولا يعلمه غيره ، أو أنه هو يصف نفسه وهكذا كلام سائر أئمة السلف يشبتون الحقائق وينفون علم العباد بكنهها^(١).

وقال رحمه الله في درء تعارض العقل والنقل^(٢): « ... وقوله^(٣) بلا حد ولاصفة يبلغها وصف واصفٌ ، أو يحده أحد » نفى به إحاطة علم الخلق به ، وأن يحده أو يصفوه على ما هو عليه إلا ما أخبر عن نفسه ، ليبين أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته ، كما قال الشافعي في خطبة الرسالة : « الحمد لله الذي هو كما وصف نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه^(٤) »^(٥).

فحد الله تعالى وحد صفاته لا يدركه أحدٌ ، ويحرم الخوض في ذلك بالعقل ولا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه .

قال الإمام الشافعي رحمه الله : « حرام على العقول أن تمثل الله تعالى ، وعلى الأهواء أن تحده ، ... وعلى الخواطر أن تحيط به ، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه ، أو على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام »^(٦).

وقال الإمام عبد العزيز بن الماجشون رحمه الله : « ... فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو وكيف يعلم من يموت ويلى قدر من لا يموت ولا يلى ، وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارفٌ ، أو يحد قدره واصفٌ ؟ الدليل على عجز

(١) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٤٣٣/١ .

(٢) ٣٣/٢ .

(٣) أي : قول الإمام أحمد رحمه الله .

(٤) جاءت عبارة « الحمد لله » في أول رسالة الإمام الشافعي ص/٧ وجاءت باقي العبارات في ص/٨ .

(٥) درء تعارض العقل ٣٣/٢ .

(٦) نقله عنه تلميذه الربيع بن سليمان كما في ذم التأويل لابن قدامة ص/٣١ ونقض المنطق لابن

تيمية ص/٥ وضمن مجموع الفتاوى ٦٠٥/٤ .

العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه»^(١) .
 ومن نفى الحد من الأئمة أيضا أراد به الغاية والنهاية التي تنتهي إليها صفات الله عز وجل ، وهذا ممتنع ، لأن الله تعالى لا يحد بغاية ، ويدل على ذلك قول الإمام أحمد رحمه الله : « سميع بصير بلا حد ولا تقدير »^(٢) .
 وقول الإمام الدارمي رحمه الله : « ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه »^(٣) .
 فالسلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله تعالى حداً ، وأنهم لا يحدون شيئاً من صفاته ومتفقون على تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ، ويدل على ذلك ما ذكره الإمام ابن عبد البر رحمه الله أن أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في الكتاب والسنة ، وحملها على الحقيقة لاعلى المجاز ، إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك ، ولا يحدون فيه تعالى صفة محصورة^(٤) !
 وقال الإمام أبو داود الطيالسي^(٥) رحمه الله : « كان سفيان الثوري^(٦) وشعبة^(٧) وحماد

(١) ذكره شيخ الإسلام في درء التعارض ٣٦/٢ .

(٢) ذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المطبوع » ٤٣١/١ .

(٣) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٢٣ .

(٤) التمهيد لابن عبد البر ١٤٥/٧ .

(٥) أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري الحافظ الكبير ، صاحب « المسند » قال عنه الإمام أبو حاتم : « أبو داود محدث صدوق ، كان كثير الأخطاء » وقال عنه الحافظ الخطيب البغدادي : « كان حافظاً مكثراً ثقة ثباتاً » توفي سنة ٢٠٣ هـ انظر : ميزان الاعتدال ٢/٢٠٣ وتقريب التهذيب ٣٨٤/١ .

(٦) سفيان الثوري وقد تقدمت ترجمته انظر : ٤٦/١ .

(٧) أبو بسطام شعبة بن الحجاج العتكي مولاهم ، ثقة حافظ متقن ، كان الثوري يقول عنه : « هو أمير المؤمنين في الحديث » كان عابداً ، ذاباً عن السنة . توفي سنة ١٦٠ هـ انظر : تقريب التهذيب ٤١٨/٢ .

ابن زيد^(١) وحماد بن سلمة^(٢) وشريك^(٣) وأبو عوانة^(٤) لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون يروون الحديث لا يقولون كيف ، وإذا شئوا أجابوا بالأثر^(٥) . قال أبو داود وهو قولنا ! وقال الإمام البيهقي^(٦) رحمه الله ، « وعلى هذا مضى أكابرنا »^(٧) .
 إلا أنه مع حكايته طريق السلف قد يُخالقهم أحيانا كما فعل في صفة الاستواء فإنه ردٌ بعد قوله السابق على من يثبت صفة الاستواء التي أطلق عليها الجهة ، ولاغرو فإنه مع إمامته في الحديث إلا أنه قد تأثر بالكلام المذموم الذي يُرى في منهجه في الصفات في كثير من الأحيان^(٨) !

- (١) أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدي البصري ، ثقة ثبت فقيه . قال عنه الإمام عبد الرحمن بن مهدي : « لم أرَ أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث من حماد بن زيد » توفي سنة ٢٧٩ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٤٥٦/٧-٤٦٤ وتقريب التهذيب ٢٣٨/١ وشذرات الذهب ٢٩٢/١ .
- (٢) أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري . قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة عابد ، أثبت الناس في ثابت - البنياني خاله - وتغير بآخر حفظه ، توفي في المسجد وهو يصلي سنة ١٦٧ هـ انظر : ميزان الاعتدال ٥٩٠-٥٩٨ وتقريب التهذيب ٢٣٨/١ .
- (٣) أبو عبد الله شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي الحافظ ، أحد الأئمة الأعلام . قال عنه الحافظ ابن حجر : « صدوق يخطئ كثيرا ، تغير بآخر حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ، وكان عادلا فاضلا عابدا ، شديدا على أهل البدع » توفي سنة ١٧٧ هـ انظر : ميزان الاعتدال ٢٧٠/٢ وتقريب التهذيب ٤١٧/١ .
- (٤) أبو عوانة وضاح بن عبد الله الشكري مولاهم البصري ، اشتهر بكنيته ، الإمام الحافظ الفقيه . توفي سنة ١٨٦ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٣٩/٨ وتقريب التهذيب ٢٨٢/٢-٢٨٣ .
- (٥) أخرجه الإمام البيهقي في الأسماء والصفات ٣٣٤/٢-٣٣٥ .
- (٦) تقدمت ترجمته انظر : ٣٧٨/١ .
- (٧) الأسماء والصفات للبيهقي ٣٣٥/٢ .
- (٨) ين شيخنا الدكتور أحمد بن عطية الغامدي حفظه الله ماوافق فيه الإمام البيهقي أهل السنة والجماعة وماوافق فيه الأشاعرة في صفات الله تعالى في كتابه القيم : « البيهقي وموقفه من الإلهيات » .

المقام الثاني : استعملوه على سبيل الإثبات للرد به على الجهمية الحلولية المشبهة

لما نفى الجهمية علو الله تعالى على خلقه وإستوائه على عرشه ، وزعموا أن الله في كل مكان بذاته ، وأنه غير مبين لخلقه ولا متميز عنهم رد عليهم بعض الأئمة بإثبات علو الله تعالى على خلقه ومباينته لهم ، وذكروا الحد ، وأرادوا به أن الله مبين لخلقه عال عليهم وأن له حدا لا يعلمه إلا الله عز وجل ومن أقوالهم في ذلك ما روي عن الإمام عبد الله بن المبارك^(١) رحمه الله فقد روى عنه الإمام ابن عبد البر أنه قال : « الرب تبارك وتعالى على السماء السابعة على العرش ، قيل له بحد ، قال : نعم هو على العرش بحد »^(٢).

وفي رواية أنه سئل بم نعرف ربنا ، قال : « بأنه على العرش ، بائن من خلقه . قيل : بحد ، قال بحد^(٣) . وفي رواية أنه قال : « نعرف ربنا عز وجل فوق سبع سموات على العرش بائن من خلقه بحد ، ولا نقول كما قالت هاهنا ، وأشار بيده إلى الأرض »^(٤).

ففي كلتا الروايتين أثبت الحد ، وفسره بأن الله تعالى فوق سبع سمواته على العرش بخلاف ما يقول الجهمية الحلولية ، إنه هاهنا في الأرض ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

قال شيخ الإسلام رحمه الله في مقام بيانه مقالة الإمام ابن المبارك : « بائن من

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٦١/١ .

(٢) انظر : التمهيد لابن عبد البر ١٤٢/٧ .

(٣) رواه الدرامي غي رده على المريسي ص/٢٤ .

(٤) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ١/١٧٥ رقم ٢١٦ والدارمي في رده على المريسي

ص/٢٤ وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية مختصرا في نقض التأسيس « المطبوع » ٤٢٨/١-٤٢٩

و دره تعارض العقل ٣٤/٢ وابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ص/٢٤٠ .

خلقه بحد » ولما كان الجهمية يقولون ما مضمونه : إن الخالق لا يتميز عن الخلق فيجحدون صفاته التي تميز بها ويجحدون قدره ... أو يجعلونه حالا في المخلوقات أو وجود المخلوقات . فبين ابن المبارك أن الرب - سبحانه وتعالى - على عرشه مُباين لخلقه منفصل وذكر الحد لأن الجهمية كانوا يقولون : ليس له حد ، ومالا حد له لايابن المخلوقات ولا يكون فوق العالم ، لأن ذلك مستلزم للحد ، فلما سألوا أمير المؤمنين^(١) في كل شيء عبد الله بن المبارك بماذا نعرفه ، قال : بأنه فوق سمواته على عرشه ، بائن من خلقه^(٢) ... !

وَرُوِيَ عن الإمام أحمد رحمه الله أنه سُئِلَ عن قول ابن المبارك : « ... في السماء السابعة على عرشه بحد ، فقال : هكذا على العرش استوى بحد . . »^(٣) وفي رواية : « .. هكذا هو عندنا »^(٤) !

وذكر الإمام الدارمي رحمه الله في مقام رده على بشر المريسي الذي نفى الحد وأراد به نفي الصفات ومنها صفة الاستواء .

فذكر الدارمي أن مقالته : « ليس لله حد ولا غاية » هو الأصل الذي بنى عليه جهم جميع ضلالاته ، واشتق منه إغلوطاته ، وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق إليها جهما أحد من العالمين !

ثم ردَّ عليه بأن الخلق كلهم علموا أنه ليس شيء يقع عليه اسم الشيء إلا وله

(١) يقصد أمير المؤمنين في أنواع العلوم الشرعية لاسيما في الحديث . ١

(٢) ذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المطبوع » ٤٤٣/١ و٤٤٢ .

(٣) أخرجه الخلال في كتاب السنة كما في نقض التأسيس « المطبوع » ٤٢٨/١ وقد بحث عنه في كتاب السنة للخلال المطبوع فلم أجده . ١

(٤) أخرجه الخلال في كتاب السنة كما في درء التعارض ٣٤/٢ . وقد بحث عنه في كتاب السنة

للخلال المطبوع فلم أجده . ١

حد^(١) وغاية وصفة ، وأن لاشيء ليس له حد ولاغاية ولاصفة ، وقولك : « لآحد له » يعني : لاشيء . ثم قال : « الله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره ، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحدّه غاية في نفسه ولكن تؤمن بالحد ونكل علم ذلك إلى الله ، والمكانة أيضا حد ، وهو على عرشه فوق سمواته فهذان حدان اثنان »^(٢) !
 فبين الإمام الدارمي بما ذكره أن الجهمية ينقون الحد ، وينقون بذلك الصفات ، وأن مقالاتهم : « لآحد له » تعني : لاشيء ، لأن من لاصفة له عدم !!
 وذكر للحد معنيين :

الأول : إنه على صفة يتبين بها عن غيره عز وجل ويتميز ، وكيفية ذلك لا يعلمها إلا الله تعالى .

والثاني : أنه تعالى على عرشه كما يليق بجلاله ، وليس كما يقول الجهمية : إنه في كل مكان ، بل حده بأنه على عرشه فوق سمواته !!
 فمن أثبت الحد من الأئمة أراد بذلك ما ذكره الإمام الدارمي رحمه الله من اتصاف الله تعالى بالصفات ، وتمييزه عن خلقه باستوائه على عرشه ، وعدم اختلاطه بهم وهذا المعنى يجب إثباته لله تعالى فإنه ليس وراء نقيه إلا نقي وجود الرب تعالى !! ويبين ذلك مقاله شيخ الإسلام رحمه الله موضحا مفهوم الحد بقوله : « وإنما الحد ما يميز به الشيء عن غيره من صفته وقدره »^(٣) .

وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله : « ومن المعلوم أن الحد يُقال : على ما ينفصل

(١) الحد في اللغة يطلق ويراد به : ما يميز به الشيء عن غيره من صفته وقدره ، كما هو معروف في لفظ الحد من الموجودات ، فيقال : حد الإنسان ، وحد كذا . أي : صفته المميزة له . وحد الأرض والبستان : جهاتها وجوانبها المميزة لها . انظر : معجم مقاييس اللغة ٤/٣-٤ ولسان العرب ٣/١٤٠ مادة « حد » .

(٢) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٢٣ .

(٣) نقض التأسيس « المطبوع » ٤٤٣/١ .

به الشيء ويتميز به عن غيره ، والله تعالى غير حال في خلقه ، ولا قائم بهم ، بل هو القيوم القائم بنفسه ، المقيم لما سواه ، فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً ، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته «^(١)؟! ولا تناقض بين أقوال السلف في إطلاق الحد نفيًا وإثباتًا ، فإن من نفاه أراد بذلك نفي علم العباد كيفية ذات الله تعالى وصفاته ، وأن يحيطوا به إدراكًا وعلمًا ، وأن يكيفوه كما فعل المشبهة ، ومن أثبته فقد أثبت ما يتميز به الرب تعالى عن المخلوق ، من اتصافه بالصفات ومبايئته لخلقه باستوائه على عرشه !!

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « وهذا المحفوظ عن السلف والأئمة من إثبات حد لله في نفسه قد بينوا مع ذلك أن العباد لا يحدونه ولا يُدركونه ، ولهذا لم يتناف كلامهم في ذلك كما يظنه بعض الناس ، فإنهم نقوا أن يحد أحد الله «^(٢)! وقد اعترض الإمام الخطابي^(٣) رحمه الله على من أثبت « الحد » من أهل السنة وشنع عليهم في ذلك معتبرًا أن مقالاتهم هذه بدعة لم ترد في الكتاب والسنة ومما ذكره : « ... أن قوما منهم زعموا أن لله حدًا ، وكان أعلا ما احتجوا به حكاية عن ابن المبارك ... فجعلوه أصلاً في هذا الباب ، وزادوا الحد في صفاته ، تعالى الله عن ذلك ، سبيل هؤلاء القوم عافانا الله وإياهم أن يعلموا أن صفات الله تعالى لا تؤخذ إلا من كتاب ، أو من قول رسول الله ﷺ دون قول أحد من الناس كائناً من كان ، علت درجته أو نزلت ، تقدم زمانه أو تأخر لأنها لا تدرك من طريق

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص/٢٤٠ .

(٢) نقض التأسيس « المطبوع » ١٦٣/٢ .

(٣) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي الشافعي الحافظ اللغوي . من مصنفاته : « معالم السنن » و « غريب الحديث » و « الغنية عن الكلام » توفي سنة ٣٨٨ هـ انظر :

سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧ وشذرات الذهب ٣٠٧/١٧

القياس والاجتهاد فيكون فيها لقائل مقال ، ولانناظر مجال ، ... وزعم بعضهم أنه جائز أن يُقال له تعالى : حد لا كالحُدود ، كما نقول : يد لا كالأيدي فيقال له : إنما أحوجنا إلى أن نقول يد لا كالأيدي لأن اليد قد جاء ذكرها في القرآن وفي السنة فلزم قبولها ولم يجوز ردها ، فأين ذكر الحد في الكتاب والسنة حتى نقول : حد لا كالحُدود كما نقول يد لا كالأيدي !؟

أرأيت إن قال جاهل : رأس لا كالرؤوس قياسا على قولنا : يد لا كالأيدي ، هل تكون له الحجة عليه إلا نظير ما ذكرناه في الحد من أنه لما جاء ذكر اليد وجب القول به ولما لم يجئ ذكر الرأس لم يجب القول به ^(١) !
وقد ردَّ عليه شيخ الإسلام رحمه الله بأن أهل الإثبات المنازعون للخطابي ^(٢) وذويه أي الأشاعرة يجيبون عن هذا بوجوه منها :

أ - إن هذا الكلام الذي ذكره إنما يتوجب لو قالوا : إنَّ له تعالى صفةً هي : « الحد » كما توهمه هنا الراد وهذا لم يقله أحدٌ ، ولا يقوله عاقلٌ فكلامه لاحقيقة له إذ ليس في الصفات التي يُوصف بها شيء من الموصوفات صفة معينة يُقال لها

(١) نقله شيخ الإسلام من الرسالة الناصحة فيما يعتقد من الصفات للخطابي انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٤٤٢/١ وقد بحثت عن رسالة الخطابي المذكورة فلم أجدها ، وذكرها الزميل الأخ المجذوب العلوي في رسالته الماجستير : الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة ص/٤٦ وذكر أن برهان الدين الداغستاني قد ذكرها في ترجمته للخطابي ، فلعلها مفقودة .

(٢) الإمام الخطابي رحمه الله رغم مكانته في علم الحديث وإمامته في ذلك ، ورغم حكايته في مصنفاته لأقوال السلف في الصفات ، إلا أنه تأثر بمنهج أهل الكلام المذموم ، فصار كلامه في الصفات أمشاجا بين إثبات ونفي ، ويذكر فيما ينفيه من الصفات في كثير من الأحيان ، العبارات الكلامية كالأعضاء والجوارح والجهة ونحوها ، وقد بين زميلي الأخ المجذوب العلوي حفظه الله ما وافق فيه الخطابي أهل السنة والجماعة ، وما وافق فيه الأشاعرة في صفات الله تعالى ، في رسالته القيمة : « الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة » .

« الحد » ا

وإنما الحد ما يتميز به الشيء عن غيره من صفته وقدره كما هو المعروف في لفظ الحد ، ولم يثبت أهل السنة بلفظ « الحد » صفة زائدة لله تعالى يُقال لها « الحد » ا والذي دعاهم إلى إطلاقه : الرد به على الجهمية الحلولية القائلين : إن الله في كل مكان ، فردوا عليهم به للدلالة على أن الرب سبحانه مستوٍ على عرشه بائن من خلقه (١) . (٢) ، وبينوا أن العباد لا يدركون حده تعالى ، ولا يحيطون به علما ، لأنه تعالى لا مثيل له ولا نظير في ذاته وصفاته وأفعاله .

ب - أما قول الإمام الخطابي : « سبيل هؤلاء أن يعلموا أن صفات الله لا تؤخذ إلا من كتاب أو سنة » فيقال له : لو وفيت أنت ومن اتبعته - أي : متكلمي الأشاعرة ا - باتباع هذه السبل (٣) ، لم تحوجنا نحن ولا أئمتنا إلى نفي بدعتكم ، بل أنتم تركتم موجب الكتاب والسنة في النفي والإثبات :

أما في النفي : فنفتيم عن الله تعالى أشياء لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولا إمام من أئمة المسلمين ، بل والعقل لا يقتضي في ذلك عند الاطلاق .

وقلتم : إن العقل نفاها فخالقتم الشريعة بالبدعة والمناقضة المعنوية ، وخالقتم العقول الصريحة وقلتم : ليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز ولا في جهة ، ولا يتميز منه تعالى شيء عن شيء وأنه لا حد له ولا غاية ، تريدون بذلك أنه يمتنع عليه أن يكون له حد وقدر ، ومعلوم أن الوصف بالنفي كالوصف بالإثبات (٤) ، فكيف

(١) سيأتي استدلال الحلولية المشبهة بنصوص المعية للدلالة على أن الله معهم وأنه في كل مكان وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ٥٦/٢ - ٦٩ .

(٢) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٤٢/١ - ٤٣ .

(٣) أي : طرق المتكلمين في الصفات المبنية على المصطلحات الفلسفية والأقيسة المنطقية ا ا

(٤) أي : من حيث مطالبة النافي بالدليل كمطالبة المجت بالدليل سواء بسواء ا

ساغ لكم هذا النفي بلا كتاب ولا سنة ، مع اتفاق السلف على ذم من ابتدع ذلك ،
وتسميتهم بإهم جهمية ، وذمهم لأهل هذا الكلام ؟!

وأما في الإثبات : فإنَّ الله تعالى وصف نفسه بصفات ووصفه رسوله ﷺ بصفات فكنتم أنتم الذين تزعمون أنكم من أهل السنة والحديث^(١) ، ومع هذا تحرفون نصوص الصفات ، فتعطلون الله تعالى عن صفات كماله أو تجعلونها لاتعلم إلا أمانى وهذا مما عاب الله تعالى به أهل الكتاب قبلنا^(٢) !!

فكيف سوغتم لأنفسكم هذه الزيادات في النفي وهذا التقصير في الإثبات على ما أوجب الكتاب والسنة ، وأنكرتم على أئمة الدين ردَّهم لبدعة ابتدعها الجهمية مضمونها إنكار وجود الرب تعالى وثبوت حقيقته بنفي الحد المتضمن نفي صفاته فأثبت الأئمة « الحد » ليبينوا ثبوت المعنى الذي نفاه أولئك المبتدعة ؟

فأين في الكتاب والسنة أنه يحرم ردُّ الباطل بعبارة مطابقة ، فإنَّ هذا اللفظ لم يثبت به من أثبته من أهل السنة صفة زائدة على الكتاب والسنة ، بل بينوا به ما عطله المبطلون من وجود الرب تعالى ومباينته لخالقه وثبوت حقيقته^(٣) !!

ج - إنَّ إطلاق الحد على استواء الله تعالى كما ذكر شيخ الإسلام قد دَلَّ الكتاب والسنة على المعنى الذي ذكروه واحتجوا له بما في القرآن مما يدل أن الله تعالى له حد يتميز به عن المخلوقات ، وأنَّ بينه وبين الخلق انفصالا ومباينة بحيث يصح معه أن يمرج إليه ، ويصعد إليه ، ويصح أن يجيء هو ويأتي وكل ذلك قد وردت به النصوص فتضمنت معنى ما ذكره أهل السنة من معنى الحد الذي أطلقوه ، وأرادوا

(١) الأشاعرة في مسائل الصفات ليسوا من أهل السنة كما تقدم انظر : ٤٦/١ - ٥٢ .

(٢) سيأتي ذكر نماذج من تحريفاتهم لنصوص الصفات التي توهموا فيها التشبيه انظر : ٥٨٢ / ٢ -

٥٨٣ و ٥٨٧ و ٥٩٧ و ٢٨٠ / ٣ و ٢٩٣ و ٣٠٨ و ٣١٨ .

(٣) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٤٤٣/١ - ٤٤٥ .

به إثبات الصفات ، وإثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه^(١) !
والذي ينبغي أن يُعلم أن من لم يثبت لفظ « الحد » من أهل السنة متفق مع من
أثبتته في معناه ، فصار المعنى متفق عليه بين أهل السنة جميعهم !
بخلاف من نفاه من أهل الكلام المذموم فإنهم أرادوا به نفي علو الله على خلقه
واستوائه على عرشه ، ولهذا ردُّ عليهم الأئمة الأعلام بإثباته وذكروا له معنى
صحيحاً موافقاً لإثبات صفة الاستواء الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع والقطرة
والعقل الصريح .

أما مقالة هشام بن الحكم : « إنَّ العرش قد حواه » فمقالة منكراً باطلة ينتزعه عنها
الباري عز وجل ، لتضمنها التشبيه المذموم المناقض لوصف الله تعالى بصفات
الكمال الثابتة لله عز وجل .

وبيان ذلك : إنَّ لفظ « حوى » في اللغة : معناه الاجتماع والضم والإحاطة^(٢) .
وإثبات هذا المعنى لاستواء الله تعالى تكييف مفضٍ إلى التمثيل ، والله عز وجل
أخبر أنه : « استوى » على العرش ، ولم يخبرنا كيف استوى !
أما تضمينها لتشبيه استواء الله عز وجل باستواء المخلوق فإن هؤلاء المبتدعة قد
قاسوا استواءه تعالى باستواء المخلوق الذي يُحيط به المُستوى عليه ، والله منزّه أن
يتصف بما يخص المخلوق من الصفات ، بل هو عز وجل مستوٍ على العرش كما
ذكر ليس له مثل ولاشبيه في ذلك !

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن من قال : إنَّ الله تعالى في مكان قد أحاط به
فقوله باطل ، فإنَّ الله تعالى منزّه عن الحاجة إلى الغير ، ومنزّه عن إحاطة الغير به^(٣) .

(١) انظر : المرجع السابق ٤٤٥/١ .

(٢) انظر : لسان العرب ٢٠٨/١٤ مادة « حوى » .

(٣) انظر : منهاج السنة ١٤٤/٢-١٤٥ .

والله عز وجل لا يجوز أن يُوصف بصفة تتضمن افتقاره إلى ما سواه ، فإنه سبحانه غني عن ما سواه ، وغيره فقير إليه عز وجل (١) .

وذكر الإمام ابن أبي العز رحمة الله أن الله تعالى لا يحيط به شيء من مخلوقاته ، بل هو محيط بكل شيء وفوق كل شيء ، والله تعالى لا يحويه ولا يحيط به شيء ، كما يكون لغيره من المخلوقات ، بل هو تعالى المحيط بكل شيء ، العال على كل شيء (٢) .

وذكر الشيخ عبدا للطف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله أن الله تعالى مستو على عرشه ، عالٍ فوق خلقه ، لا تحيط به المخلوقات ، ولا تحوى عليه الكائنات (٣) !

فلا يُمثل استواء الله عز وجل باستواء المخلوق ، ولا يجري فيه تكيف ولا قياس ، بل يثبت كما ورد على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته بلا تمثيل ولا تكيف :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .



(١) انظر : درء تعارض العقل ٢٤٩/٦ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/٢٤٣ .

(٣) انظر كتابه : عيون الرسائل والأجوبة على المسائل ص/٢٨٥-٢٨٦ .

المطلب الثاني

مقالة المشبهة في صفة الكلام وموقف أهل السنة منها

أثبت المشبهة صفة الكلام إلا أن طريقتهم في ذلك أمشاج منها ما هو حق موافق لمذهب أهل السنة في صفة الكلام ، ومنها ما هو باطل .
أما موافقتهم لأهل السنة فقد قالوا : إنه - تعالى - متكلم بمشيئته وقدرته ، وأن كلامه بحرف وصوت^(١) .

وأما طريقتهم التي أدت بهم إلى التشبيه فقد اعتبروا نوع كلام الله تعالى حادثا بعد أن لم يكن ، وصرحوا بامتناع التكلم على الله تعالى أزلا ، وأنه - تعالى - لم يكن في الأزل متكلماً إلا بمعنى القدرة على الكلام ، فصار الكلام على زعمهم ممكناً له بعد أن كان ممنوعاً عليه من غير حدوث سبب أو جب إمكان الكلام وقدرته عليه^(٢) !

(١) انظر : مذكره شيخ الإسلام عن مذهب المشبهة في صفة الكلام في كتابه : مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٣٦٣ والفرقان بين الحق والباطل له ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ١٥٤ والتفسير الكبير له ٦/ ٢٦٤-٢٦٥ .

(٢) انظر : مذكره الأئمة من مذهب المشبهة غي صفة الكلام في كتاب : غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص/ ٨٦ ومذهب السلف القويم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٣٦٣ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/ ٣٢٤ والمرجع نفسه ٦/ ٥٢٤-٥٢٥ وكتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٨/ ٢٣٣-٢٣٤ وكتاب القرآن كلام الله حقيقة ضمن مجموع الفتاوى ١٢ / ١٧٢-١٧٣ ومنهاج السنة ١/ ١٥٦ و٢/ ٣٦١ و٣/ ٣٥٨ ودرء التعارض ٢/ ٢٥٤-٢٥٥ وقاعدة نافعة في صفة الكلام لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٢/ ٧٥ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص/ ١٨٠ ومعارض القبول للحكمي ١/ ٣٧٨ وشرح نونية ابن القيم للهراس ١/ ١١٠ و١١٤ وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الكرامية في الإلهيات للدكتور : عبد القادر محمد عبد الله ص/ ٢٨١-٢٨٣ .

وذكر ابن بابويه القمي^(١) الرافضي فيما زعم أنه قاله أبو عبد الله جعفر الصادق^(٢) رحمه الله أنه سُئل عن صفة الكلام ، فقال : إن الكلام صفة محدثة ليست أزلية كان الله عز وجل وليس متكلماً^(٣)!

وتعلق المشبهة لتقرير مذهبهم في صفة الكلام بشبهة وهمية فلسفية وهي قولهم : إنه - تعالى - لو كان متكلماً في الأزل بكلام متعلق بمشيئته وقدرته : للزم وجود حوادث لا تنتهي في القدم ، وهذا ممتنع لأنه يؤدي إلى وجود حوادث لا أول لها^(٤) . وذكروا أن إثبات الكلام في الأزل يفضي إلى إثبات التسلسل^(٥) ، الذي يلزم من إثباته قدم أنواع المفعولات مع الله تعالى^(٦) ، وهذا يهدم أصلهم في إثبات وجود الله الذي استدلوا به على حدوث المخلوقات الدال على وجود الله^(٧)!

أما موقفهم من القرآن الكريم : فقد اعتبروا القرآن من قول الله لا من كلامه ، وهو

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٢٧٩/١ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٢٤٩/١ .

(٣) انظر : كتاب التوحيد لابن بابويه القمي ص/١٣٩ .

(٤) انظر : ما ذكره الأئمة من مذهب المشبهة غي صفة الكلام في كتاب : التفسير الكبير لابن تيمية

٢٦٤-٢٦٥ ومذهب السلف القويم له ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٣٧٩ وشفاء العليل

لابن القيم ص/٢٦٦ ومعارض القبول للحكمي ١/٣٧٨-٣٧٩ وابن تيمية السلفي للهراس ص/

١٢٠ وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الكرامية للدكتور : عبدالقادر محمد عبد الله ص/٢٨٤ .

(٥) سيأتي بيان مفهوم التسلسل وأنواعه وما يجوز ويمتنع منها في حق الله تعالى انظر ٢ /

١٠٨ - ١١٣ .

(٦) انظر : ما ذكره شيخ الإسلام عن مذهب المشبهة غي صفة الكلام في كتابه : مسألة الحروف التي

أنزلها الله على آدم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٣٧١ والتفسير الكبير ٦/

٢٦٤-٢٦٥ وكتاب القرآن كلام الله حقيقة ضمن مجموع الفتاوى ١٢/

٤٤-٤٥ و١٤١-١٤٢ وابن تيمية السلفي للهراس ص/١٢٠ .

(٧) والذي هو دليل الأعراض وحدث الأجسام وسيأتي بيانه وموقف أهل السنة منه انظر : ٨٥/٢ .

حادث لا مُحدث و فرقوا بين كلام الله وقوله ، فاعتبروا كلام الله قديم ، مع امتناع تكلمه تعالى أزلا ، وقوله حادثا وليس بمحدث ، وله حروف وأصوات^(١) .
 وذكر التفتازاني^(٢) تفريقهم بين الكلام والقول بقوله : « ذهبوا إلى أن المنتظم من الحروف المسموعة مع حدوثه قائم بذات الله تعالى ، وأنه قول الله تعالى لا كلامه ، وإنما كلامه قدرته على التكلم وهو قديم^(٣) ، وقوله حادث لا مُحدث ، و فرقوا بينهما بأن كل ماله ابتداء إن كان قائما بالذات فهو حادث بالقدرة غير مُحدث وإن كان مابينا فهو مُحدث بقوله كن لا بالقدرة^(٤) !
 وبين شيخ الإسلام أن الذي حملهم على أن يقولوا القرآن حادثا لا مُحدثا هو : أن الحادث عندهم يحدث بقدرته تعالى ومشيئته كالفعل ، وأما المحدث فيفتقر إلى إحداث فيلزم أن يقوم بذاته إحداث غير المحدث ، وذلك الإحداث يفتقر إلى إحداث ، فيلزم التسلسل على زعمهم^(٥) .

- (١) انظر : مذكره الأئمة عن مذهب المشبهة غي صفة الكلام في كتاب : التبصير في الدين للأسفراييني ص/١١٤ و١٢١ وقاعدة نافعة في صفة الكلام لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٧٥/٢ والتفسير الكبير له ٣٧٤/٦ والفرقان بين الحق والباطل له ضمن مجموع الفتاوى ١٥٤/١٣ و١٥٧ وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الكرامية ص/٢٨٧ .
- (٢) مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني ، متكلم على طريقة الماتريدية ، وعالم في النحو من مصنفاته : « شرح العقائد النسفية » و « شرح المقاصد في علم الكلام » توفي سنة ٧٩١ هـ انظر : شذرات الذهب ٣١٩/١ ومعجم المؤلفين ٢٢٨/١٢ .
- (٣) بمعنى : أنه لم يكن متكلما في الأزل إلا بمعنى القدرة على الكلام ، ثم حدث له الكلام بأن تكلم بعد أن لم يكن كذلك ، فوجود الكلام في الأزل عندهم ممتنع كما ذكر شيخ الإسلام انظر : مجموع الفتاوى ١٧٢/١٢ .
- (٤) شرح المقاصد للتفتازاني ١٤٥/٤ .
- (٥) انظر : مذكره شيخ الإسلام عن مذهب المشبهة في صفة الكلام في متابه : التفسير الكبير/٦ و٣٧٤ وضمن مجموع الفتاوى ٣٨٢/١٦ - ٣٨٤ .

وقال هشام بن الحكم : « إن القرآن لا خالق ولا مخلوق ، لأنه صفة والصفة لا تُوصف »^(١).

موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة الكلام

أما موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة الكلام وما أدرجوه من التشبيه في ذلك فإن أهل السنة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله قد أنكروه^(٢) ونزهوا الله عما تضمنه من النقص والتمثيل بصفة المخلوقين التي لم تكن فكانت^(٣) .
ومن الأمور الدالة على ذلك ما ذكره في مذهبهم في صفة الكلام أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء أزلاً وأبداً ، وأن الكلام صفة له تعالى قائمة بذاته يتكلم بمشيئته وقدرته ، فهو تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً إذا شاء ، وأنه عز وجل يتكلم بحرف وصوت ولاتشبه أصوات المخلوقين وحروفهم لأن الله تعالى ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فكلامه تعالى لا يشبه كلام المخلوقين ولا معانيه تشبه معانيه ، ولا حروفه تشبه حروفه ، ولا صوت الرب يشبه صوت العبد فمن شبه الله بخلقه فقد أُلحد في أسمائه وآياته ، ومن جحد ما وصف به الرب نفسه فقد أُلحد في أسمائه وآياته^(٤).

فقد بينوا بهذا أن الله تعالى متصف بصفة الكلام أزلاً وأبداً ، ولا يجوز القول بأنه

(١) ذكره الإمام أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين ١١٤/١ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل ٢٥٤/٢ .

(٣) ذكر الإمام ابن منده أن من أثبت لله صفة لم تكن فكانت ، فقد دخل في حكم التشبيه بصفة المخلوق التي لم تكن فكانت انظر كتابه : التوحيد ٧/٣ .

(٤) انظر : كتاب القرآن كلام الله ضمن مجموع الفتاوى ٣٧/١٢ و٢٤٣-٢٤٤ وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص/١٩ والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ السلطان ص/٣٧١ و٤٠٠ والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ص/٢٦١ .

لم يكن متكلمًا كما زعم المشبهة ، بل الله تعالى متصف بالكلام أزلا ، كما هو متصف به أبدًا ، وأنه يتكلم متى شاء وكيف شاء ، وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين ، ومن قال بمقالة التشبيه في ذلك فقد أخطأ في أسمائه وصفاته .

ومن أقوالهم الدالة على إنكارهم على من قال بحدوث كلام الله تعالى بعد أن لم يكن ، وتنزيههم الله تعالى عما تضمنته هذه المقالة من وصف الله تعالى بالنقص والتشبيه ، ما زوي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال : « إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء ولا نقول إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام »^(١).

وقال رحمه الله : « لم يزل الله متكلمًا يأمر بما يشاء ويحكم بما يشاء ، وليس له عدل ولا مثل ، كيف شاء وأين شاء »^(٢).

فقوله رحمه الله : « لم يزل متكلمًا » كما ذكر شيخ الإسلام إنكار على الكرامية وغيرهم الذين قالوا : إن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلمًا أصلا ، وأنه يمتنع أن يُقال في حقه : « مازال متكلمًا » فأنكر الإمام أحمد وغيره من الأئمة هذه المقالة^(٣) ، وأثبتوا أن الله متكلم أزلا وأبدا كيف شاء لا عدل له ولا مثل .

وقال الإمام أحمد رحمه الله في معرض رده على الجهمية القائلين بخلق القرآن : « ... ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلاما ، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه ، وتعالى الله عن هذه الصفة ، بل نقول : إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء ... »^(٤).

(١) الرد على الزنادقة والجهمية ص/٤٦ .

(٢) الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة جمع وتحقيق الدكتور/ عبد الإله الأحمدى

٢٨٨/١ .

(٣) انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٣٧/٢-٣٨ .

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية ص/٤٦ .

فكلامه وإن كان ردًا على الجهمية ، إلا أنه يشمل المشبهة أيضا لأنهم يشتركون مع الجهمية في مقالاتهم : « إن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم ، ثم حدث له الكلام بعد أن لم يكن كذلك »^(١)، ومن قال : بهذا كما بين الإمام أحمد رحمه الله فقد شبه الله تعالى بخلقه ، الذين لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلاما وهذا كفر ، وأهل السنة يتبرؤون من هذا وينزهون الله عن هذه المقالة لما تضمنته من تشبيه وكفر ، ويثبتون أن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا إذ اشاء أزالا وأبدا لا مثيل له ولا عدل ولا شبهة في ذلك .

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن كلام الإمام أحمد تضمن الإنكار على الجهمية والكرامية ، والكلاية ، أما إنكاره على الجهمية فإنهم يقولون : إن الله كان في وقت من الأوقات لا يتكلم ، ثم خلق الكلام . وهذا الكلام قد جمع بين الكفر والتشبيه حيث سلب قائله عن الله تعالى صفة الكلام ، التي هي من أعظم صفات الكمال وضمنه التشبيه بكلام المخلوق الذي حدث له الكلام بعد أن لم يكن ! وتضمن الرد على الكرامية ونحوهم^(٢) الذين يقولون : كان لا يتكلم حتى حدث له الكلام ! وفي قوله : « إن الله متكلم إذا شاء » ردٌ على قول من لا يجعل الكلام متعلقا بالمشيئة ، كقول الكلائية^(٣) ، ومن وافقهم^(٤) !

وقوله : « ولا نقول : إنه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاما » فيه تنزيه لله سبحانه وتعالى عن سلب صفات الكمال في وقت من الأوقات ، بل الله تعالى موصوف

(١) سيأتي بيان وجه مشاركتهم في ذلك انظر : ٨٥/٢ و ٩٩ - ١٠٢ .

(٢) كالهشامية الرافضة المشبهة كما تقدم انظر : ٢٥٧ / ١ - ٢٦١ .

(٣) تقدم التعريف بهم انظر : ٣٠٥/١ .

(٤) من الأشاعرة والماتريدية انظر : أصول الدين للبغدادي ص/ ١٠٨ والغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي ص/ ٩٨ والإرشاد للجويني ص/ ١٠٥ وغاية المرام في علم الكلام للآمدي ص/ ٨٨ وشرح العقائد النسفية للفتازاني ص/ ٨٩ وشرح العقيدة الطحاوية للغنيمي الحنفي ص/ ٦٨ .

بصفهه الكمال ، ومنها أن يكون له تعالى لم يزل متهكلما إذا شاء^(١) .
 فكلام الله تعالى عند أهل السنة أرلبي أبلبي . قال الإمام ابن منده رحمه الله : « إن الله عز وجل لم يزل متهكلما وأن موسى سمع كلامه »^(٢) وقال الإمام السجزي : « ... فقال أهل الحق : هو غير مخلوق لأنه صفة من صفهه ذاته وهو المتهكلم به على الحقيقة وهو - تعالى - موصوف بالكلام فيما لا يزال »^(٣) يعني : أرلا ، لا كما يقول المشبهه والجهمية المعطلة حدث له الكلام بعد أن لم يكن متهكلما به ا
 وعقد الإمام أبو القاسم التيمي في كتابه : « الحجة في بيان المحجة » بابا عنون له بقوله : « باب : الدليل من الكتاب والأثر على أن الله تعالى لم يزل متهكلما أمرا ناهيا بما شاء لمن يشاء من خلقه موصوفا بذلك »^(٤) .

ومن الأدلة التي استدل بها على ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] فأعلمنا في كتابه أنه يخلق الخلق بكلامه ، وأنه يُكوّن كل مُكوّن من خلقه بقوله : « كن » قبل وجود المخلوق ، لأنه تعالى لم يزل متهكلما موصوفا بذلك قبل أن يُوجد المخلوق^(٥) . وليس كما يقول الجهمية والمشبهه إن كلامه حادث لا يُوصف به في الأزل ، وأنه تكلم بعد أن لم يكن كذلك ! تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

وذكر رحمه الله أن العلماء قالوا : « إذا كان أول الخلق القلم ، فالكلام قبل القلم ، وإنما جرى القلم بكلام الله الذي قبل الخلق »^(٦) .

(١) انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٣٧/٢ .

(٢) التوحيد لابن منده ١٤٢/٣ .

(٣) الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي ص/١٠٥ .

(٤) الحجة في بيان المحجة ٢١١/١

(٥) انظر : المرجع نفسه ٢١١/١ و٢٢١ .

(٦) المرجع نفسه ٢٢٨/١ .

وإذا كان الله تعالى رباً قبل أن يخلق المر بوب ، فكذلك متكلم في الأزل قبل أن يُوجد المخلوق ، ولم يكن في وقت من الأوقات معطلا عن الكلام ، ثم حدث له الكلام بعد أن لم يكن كما يقول المشبهة والجهمية المعطلة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

قال الإمام المقدسي^(١) رحمه الله : « ومن مذهب أهل الحق أن الله لم يزل متكلماً بكلام مسموع مفهوم »^(٢).

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن السلف والأئمة يقولون : إن الله يتكلم بمشيئته وقدرته ، وأن كلام الله تعالى قديم النوع بمعنى أنه لم يزل متكلماً إذا شاء فإن الكلام صفة كمال ، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون متكلماً بمشيئته وقدرته ، ومن لا يزال متكلماً بمشيئته أكمل ممن يكون الكلام ممكناً له بعد أن يكون ممتنعاً^(٣)!

وأنهم ينكرون مقالة المشبهة إن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلماً ، ويقولون : إن هذه المقالة وصف له تعالى بالكمال بعد النقص ، وأنه تعالى اتصف بصفة كمال بها بعد نقصه^(٤).

وهذا ممتنع في حق الله تعالى لأنه عز وجل متصف بصفات الكمال أزلاً وأبداً منزّه عن الاتصاف بصفات النقص لا مثيل له ولا شبيهه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ومن يتصف بصفات الكمال كما كر شيخ الإسلام أكمل ممن حدثت له بعد أن لم يكن متصفاً بها ، لو كان حدوثها ممكناً ، فكيف إذا كان ممتنعاً ١٢

(١) تقدمت ترجمته انظر : ١٢٥/١ .

(٢) عقيدة الحافظ المقدسي ص/ ٦١ .

(٣) انظر : كتاب القرآن كلام الله ضمن مجموع الفتاوى ٣٧٢/١٢ .

(٤) انظر : مذهب السلف القويم في تحقيق كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ١/١

فثبت أنَّ الرب لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال ، منعوتا بنعوت الجلال ، ومن أجلها صفة الكلام^(١) .

ومن قال : إنَّ الله لم يكن متكلمًا ثم تكلم أو نحو ذلك فقد وصف الله تعالى بالنقص^(٢) . ومن قال : لم يزل الله متكلمًا إذا شاء كما قاله أهل السنة وجماهير أهل الحديث فقد وصف ربه بصفة الكمال أزلا وأبدا .

فَمَنْعُ المشبهة أنَّ يكون الله لم يزل متكلمًا قول مبتدع لم يأت به كتاب ولا سنة ولا قاله أحد من سلف الأمة وأئمتها ، ولادل عليه العقل ، بل العقل يدل على نقيضه ، وذلك لأن الرب إذا قيل : لم يزل متكلمًا إذا شاء ، أو لم يكن فاعلا لما يشاء لم يكن دوام كونه متكلمًا بمشيئته وقدرته ، ودوام كونه فاعلا ممتنعًا عقلا ، بل هذا هو الواجب عقلا ! لأن الكلام صفة كمال ، وضده صفة نقص ، والرب تعالى متصف بصفات الكمال منزه عن ضده ، فوجب ثبوت كونه متكلمًا ، وأنَّ ذلك لم يزل ولا يزال ، لأن المتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام لازما له بدون قدرته ومشيئته^(٣) ، والذي لم يزل متكلمًا إذا شاء أكمل ممن صار الكلام يمكنه بعد أن لم يكن الكلام ممكنا له ، وحينئذ فكلامه تعالى قديم النوع مع أنه يتكلم بمشيئته وقدرته^(٤) .

أما شبهتهم في صفة الكلام « لو كان متكلمًا في الأزل لأدى إلى وجود حوادث لا

(١) انظر : المرجع نفسه ١٧٩/٣-١٨٠ وكتاب القرآن كلام الله ضمن مجموع الفتاوى ١٥٨/١٢ .

(٢) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٣٢٥/٦ .

(٣) كما فعل الأشاعرة والماتريدية وقد سبق الإشارة إلى ذلك مع الإحالة إلى مراجعهم قريبا نظر :

ص/٣١٤ .

(٤) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٣٢٥/٦-٣٢٦ وكتاب القرآن كلام الله

حقيقة ضمن مجموع الفتاوى ١٥٨/١٢ و١٨٤ وراجع : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من

الكرامية ص/٣٠٢ .

أول لها « فشبهة باطله منشؤها الكلام المذموم الذي إتبعوا فيه المعتزلة ، وسيأتي تفنيدها ونقدها ، وبيان موقف أهل السنة منها ، عند ذكر شبهاتهم العقلية التي استدلوا بها لتقرير مذهبهم في صفة الكلام ، وأدت بهم إلى القول بمقالة التشبيه في ذلك (١) ، إذا عرف بطلان مقالتهم في صفة الكلام ، فإن مقالتهم في القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى مبنية - كما تقدم - على الفرق بين قول الله تعالى وكلامه ، وعلى القول بأنه حادث لامحدث ، وهذا التفريق باطل عند أهل السنة وذلك : أولاً : لأنّ تفريقهم بين القول والكلام باطل من أساسه ، وذلك لأنّ القول في اللغة من النطق وهو الكلام على الترتيب (٢) .

فلامعنى لاعتبارهم القرآن من قول الله لامن كلامه ، وهما عبارتان لمعنى واحد ، وقد عقد الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه الأسماء والصفات (٣) باباً عنون له بقوله : « باب : ما جاء في إثبات صفة القول وهو والكلام عبارتان عن معنى واحد » وقد أورد فيه بعض الآيات والأحاديث الدالة على ذلك ، ومنها قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [السجدة : ١٣] .
والقول المعنى في الآية ما ورد في الآية نفسها وهو قوله تعالى الذي هو كلامه : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ وهذا لايشك فيه مسلم أنه من القرآن الكريم الذي هو كلامه عز وجل .

ومما يدل على أنّ القول والكلام معناهما واحد ما رواه الإمام البيهقي رحمه الله عن ابن عباس أنه قال : كان رسول الله إذا تهجد من الليل قال : « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيّم السموات والأرض ومن

(١) انظر : ٩٩/٢ - ١١٢ .

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة ٤٢/٥ ولسان العرب ٥٧٢/١ مادة « قَوْل » .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي ٤٨١/١ .

فيهِنَّ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ... »^(١).

والشاهد قوله : « وَقَوْلُكَ حَقٌّ » أي : ما قلت وتكلمت به حق وصدق .
 وما يدل على أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ *
 وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ [الطارق : ١٣ - ١٤] قال الشيخ السعدي رحمه الله : « ... » إنه «
 أي : القرآن « لقول فضل » ، أي : حق وصدق بين واضح ، « وما هو بالهزل »
 أي : جِدُّ ليس بالهزل ، وهو : القول الذي يفصل بين الطوائف والمقالات
 وتفصل به الخصومات »^(٢).

وكما سمي الله القرآن قولاً له عز وجل فقد سماه كلامه فقال : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ
 الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] فهذه الآية من
 أعظم الآيات التي يستدل بها أهل السنة والجماعة لتقرير أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي فِي
 الْمَصْحَفِ كَلَامُ تَعَالَى^(٣).

وَرُوِيَ عَنْ سَفِيَانَ بْنِ عَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ عَمْرُو بْنَ دِينَارٍ^(٤) يَقُولُ : « أَدْرَكْتُ
 مَشَايخَنَا وَالنَّاسَ مِنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ : « الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ »^(٥) .
 فقولهم : « منه بدأ » أي : هو لتكلم به ، فمنه بدأ لامن بعض مخلوقاته كما
 يقول الجهمية ، وقولهم : « وإليه يعود » أي : أنه يرفع من الصدور والمصاحف فلا

(١) رواه الإمام البيهقي في الأسماء والصفات ١/٤٤٤ ح ٤٨١ وص/٤٨١ ح ٤١١ وذكر محققه الشيخ
 عبد الله الحاشدي أنه صحيح ورجاله كلهم ثقات .

(٢) تفسير السعدي ٦٠٩/٧ .

(٣) انظر : درء التعارض ٢/٤٠-٤١ وكتاب القرآن كلام الله حقيقة ضمن مجموع الفتاوى ١٢/
 ٩٨-٩٩ وشرح العقيدة الطحاوية ص/١٩٤ .

(٤) أبو محمد عمرو بن دينار المكي الأثري الجمحي مولاهم ، ثقة ثبت ، توفي سنة ١٢٦ هـ انظر :
 سير أعلام النبلاء ٥/٣٠٠ وتقريب التهذيب ٦٩/٢ .

(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١/٢٣٤ رقم ٣٨١ .

يبقى في الصدور منه آية ، ولا في المصاحف ، كما ورد ذلك في عدة آثار^(١) ومنها حديث حذيفة ابن اليماني رضي الله عنه^(٢) .
وقال الإمام الطحاوي رحمه الله : « وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزله على رسوله وحياً »^(٣) .

فَعَلِمَ مما تقدم بطلان تفريق المشبهة بين قول الله وكلامه ، واعتبارهم القرآن من قول الله لا من كلامه قول باطل ، بل القرآن هو من قول الله ، فهو من كلامه عز وجل .
وأما اعتبارهم القرآن حادثاً لا مُخَدَّثَ فمن البدع التي وقعوا فيها بسبب حوضهم في الكلام المذموم ، وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله أن الذي دعاهم إلى هذه المقالة أن الحادث عندهم ما يحدث بقدرته ومشيئته كالفعل ، بخلاف المُخَدَّثَ فإنه يفتقر إلى إحداثٍ فيلزم أن يقوم بذاته إحداث غير المحدث ، وذلك الإحداث إلى إحداث فيلزم التسلسل !

ومقاتلهم هذه باطلة عند أهل السنة ، فإن أئمة الحديث والسنة كما ذكر شيخ الإسلام يُسمون ما يتكلم الله به سواء كان قرآناً أو غيره مُخَدَّثاً كما قال تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّخَدَّثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] وعن عبد الله بن مسعود « عن النبي ﷺ قال : « إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة »^(٤) .

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/ ١٩٥ .

(٢) انظر : سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٤٤ ح ٤٠٤٩ .

(٣) العقيدة الطحاوية مع شرح ابن أبي العز ص/ ١٧٩ .

(٤) رواه البخاري في كتاب التوحيد معلقاً ، باب قول الله تعالى : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾

﴿ وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾

٥٠٥/١٣ ووصله الإمام أحمد في مسنده في كتاب السهو ١/ ٣٧٧ وأبو داود في كتاب الصلاة

١/ ٥٦٩ ح ٩٢٨ وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/ ٣٨٤ ح ١٨٩٢ .

والذي أحدثه تعالى هو النهي عن التكلم في الصلاة .
وقال الإمام البخاري رحمه الله بعد إيراده الآية السابقة : « وأنَّ حدثه لا يشبه
حدث المخلوقين لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) . (٢)
وأما قولهم : « إنَّ المحدث يفتقر إلى إحداث ، وذلك الإحداث إلى إحداث إلى
آخره !! فَإِنَّ هذا التسلسل غير ممتنع عند أهل السنة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله
فإنه التسلسل في الآثار ، مثل كونه متكلمًا بكلام بعد كلام ، وكلمات الله تعالى
لانهائية لها ، وأنَّ الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ، فَإِنَّ هذا قول أئمة أهل السنة
وهو الحق الذي يدل عليه النقل والعقل !

والكلام صفة كمال ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ، كما أنَّ من يخلق أكمل ممن لا
يخلق ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٧] والله
تعالى : مازال متصفاً بصفات الكمال ممنوعاً بنعوت الإكرام والجلال ، وأنَّ الخلق
ونحوه من الأفعال التي ليست خلقاً مثل تكلمه بالقرآن وغيره ومثل النزول والإتيان
ونحو ذلك فهذه إنما تكون بقدرته ومشيئته وبأفعال أخرى تقوم بذاته ليس خلقاً .
وبهذا يجيب البخاري وغيره من أئمة السنة للكرامية إذا قالوا : « المحدث لا يبدؤ له
من إحداث » فيقولون : « نعم » وذلك الإحداث فعل ليس بخلق ، والتسلسل
نلتزمه ، وإنما التسلسل الممتنع هو : وجود المتسلسلات في آن واحد ، كوجود خالق
للمخلوق ، أو للمخلوق خلق في آن واحد وهذا ممتنع من وجوه ومنها :
١ - أن فيه وجوداً مالا يتناهى في آخر واحد ، وهذا ممتنع مطلقاً (٣) .

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٥٠٥/١٣ .

(٢) انظر : التفسير الكبير لابن تيمية ٣٧٤/٦ وضمن مجموع الفتاوى ٣٨٥-٣٨٣/١٦ .

(٣) ستأتي الأدلة على بطلانه ، وموقف أهل السنة من التسلسل بأنواعه على سبيل التفصيل عند ذكر

شبهات المشبهة العقلية التي استدلوا بها لتقرير مقالاتهم في التشبيه انظر : ١٠٩/٢ - ١١٦ .

٢ - أن ما ذُكر يكون « مُحدّثاً » لا « ممكناً » وليس فيها موجودٌ بنفسه ينقطع به التسلسل ، وإذا كان كذلك فهو أولى بالامتناع !
 بخلاف ما إذا قيل : كان قبل هذا الكلام كلام ، وقبل هذا الفعل فعل فهذا جائز عند أكثر العقلاء أئمة السنة وغيرهم ، فإذا قيل « هذا الكلام مُحدّث أحدثه في نفسه » كان هذا معقولاً ، وهو مثل قولنا : « تكلم به » وهو معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف : ٣] أي : تكلمنا به عربياً ، وأنزلناه عربياً^(١) .
 فَعَلِمَ مما تقدم بطلان نفي المشبهة أن يكون القرآن مُحدّثاً ، كما عُلِمَ بطلان شبهتهم التي بنوا عليها مقالاتهم هذه ، وأن التسلسل في الآثار ليس ممتنعاً بل هو الحق الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة ، وسيأتي مزيد بيان لذلك عند ذكر أدلة المشبهة وشبهاتهم العقلية في تقرير مقالاتهم في التشبيه وموقف أهل السنة منها^(٢) .
 أما مقالة هشام بن الحكم إنَّ القرآن لا خالق ولا مخلوق ، فإنَّ مقالته : « لا مخلوق » متفق عليها بين أهل السنة ، فإنهم يقولون : « القرآن كلام الله غير مخلوق »^(٣) وذلك ردّاً على الجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن^(٤) ، ولم أجد من قال منهم « لا خالق » كما قال هشام .
 غير ما زوي عن جعفر الصادق رحمه الله أنه سُئل عن القرآن الكريم أخالق أم

(١) انظر : التفسير الكبير ٣٧٤/٦-٣٧٦ وضمن مجموع الفتاوى ٣٨٥/١٦-٣٨٦ ودرء التعارض ٢/٣٠١-٣٠٠ .

(٢) انظر : ١٠٩/٢ .

(٣) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/١٠٧ ومنهاج السنة ٣٦٣/٢ وعقيدة الحافظ المقدسي ص/٦٦ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص/١٨٠ و١٨٤-١٨٩ .

(٤) انظر مذهبهم في ذلك : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص/٥٢٨ والحيط بالتكليف له ص/٣٣١-٣٣٣ .

مخلوق ، فقال : ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله^(١) .
وفي رواية للإمام البيهقي : أقول فيه ما يقول أبي وجدي ليس بخالق ولا مخلوق
ولكنه كلام الله^(٢) . لكن هذا الأثر كما ذكر الشيخ عبد الله بن محمد الحاشدي
ضعيف^(٣) . ويكفي في ذلك قول أهل السنة السابق : « القرآن كلام الله غير
مخلوق » لأنه صفة من صفاته ، وصفاته تعالى غير مخلوقة !
فَعَلِمَ مما تقدم بطلان مذهب المشبهة في صفة الكلام ، وأن مقالاتهم في ذلك قد
تضمنت تشبيه الله بخلقه ، كما علم بطلان شبهاتهم في ذلك ، وأنها مبنية على
التخرص والكلام المذموم الذي شاركوا فيه المعطلة ، وأن كلام الله تعالى لا يشبه
ولا يماثل كلام المخلوق ، فهو تعالى المتكلم بكلامه اللائق بجلاله أزلا وأبدا ، وأنه لا
مثيل له في ذلك ولا عدل ولا نظير ، : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .



(١) ذكره الإمام الدارمي في رده على بشر المريسي ص/ ١١٦ .
(٢) انظر كتابه : الأسماء والصفات ٦٠٤/١ رقم/ ٥٣٩ .
(٢) انظر تعليقات الحاشدي على المرجع نفسه ٦٠٤/١ .

المطلب الثالث

مقالة المشبهة في صفة النزول وموقف أهل السنة منها

أثبت المشبهة صفة النزول إلا أنهم غلوا في ذلك حتى جعلوا نزوله تعالى من جنس نزول المخلوقين^(١) وذلك لأنهم خاضوا في كيفيته ، وقاسوه بنزول المخلوقين ، حيث تصوروا أنه ليس له - تعالى - نزول إلا من جنس نزول المخلوقين المقتضي تفرغ مكانٍ وشغل آخر^(٢) !

وزعم حلوية المشبهة أن الله ينزل إلى الأرض فيصافح الركبان ويُعانق المشاة^(٣) ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . واستدلوا على مقالتهم هذه بنصوص المعية ، وبآثار موضوعة مكذوبة على الرسول ﷺ^(٤) !

لكن الكرامية لاتقول بمثل هذه المقالات الفاسدة كما ذكر ابن الهيثم الكرامي^(٥) ، فلا يُطلقون على الله ما أطلقه المشبهة من المصافحة والمعانقة ونحو ذلك ، بل يُطلقون ما أطلقه القرآن فقط من غير تكييف ولا تشبيه^(٦) !

وكلام ابن الهيثم ليس على إطلاقه فإنهم وإن لم يقولوا بمثل هذه المقالات التي يقول بها غلاة المشبهة ، إلا أنهم خاضوا كما تقدم في كيفية بعض الصفات ، ومنها

(١) انظر : ما ذكره شيخ الإسلام عنهم في كتابه التفسير ضمن مجموع الفتاوى ٣٩٥/١٦ .

(٢) انظر : ما ذكره شيخ الإسلام عنهم في كتابه شرح حديث النزول لابن تيمية ص/ ٥٤ وضمن مجموع الفتاوى ٣٩٥/٥ .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ١٨٧/١ والملل والنحل ١٠٥/١ والوصية الكبرى لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢٨٧-٢٨٦/١ .

(٤) سيأتي بيان ذلك عند ذكر شبهات المشبهة الثقيلة وبيان موقف أهل السنة منها انظر : ٥٦ / ٢ - ٥٧ و ٧٠ - ٧١ .

(٥) تقدم التعريف به وبطائفته ومقالاتهم في التشبيه انظر : ٣٠٢ / ١ .

(٦) انظر : الملل والنحل ١١٢/١ .

صفة الاستواء^(١)، فلم يكتفوا بما أطلقه القرآن في ذلك ، كما أنهم جعلوا بعض صفات الله تعالى ومنها صفة الكلام حادثة بعد أن لم تكن كما تقدم^(٢)، فشبها كلام الله في ذلك بكلام الآدميين ، كما أنهم أطلقوا على الله تعالى أنه جسم كما سيأتي^(٣)!

موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة النزول

أما موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة النزول فقد نزهوا الله تعالى عن تمثيل نزوله بنزول المخلوقين ، وأنكروا الخوض في كفيته المفضية إلى التمثيل ، ويتبين ذلك بذكر مذهبهم في صفة النزول المبني على الإثبات والتنزيه ، وذكر بعض أقوالهم الدالة على تنزيه الله تعالى عن التشبيه ، وإنكارهم الخوض في كفيته وبيان ذلك :

إنهم اتفقوا على إثبات صفة النزول كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله تعالى وعظمته ، من غير تكيف ولا تمثيل ، ولا تحريف ولا تعطيل ، فآمنوا وصدقوا بما أخبر به النبي ﷺ عن ربه بأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فاستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له^(٤) .^(٥)

قال الإمام الصابوني رحمه الله في بيان موقف أهل السنة من صفة النزول

(١) انظر : ١ / ٣٥٤ و ٤١٦ - ٤١٧ .

(٢) انظر : ١ / ٤٥٩ - ٤٦٠ و ٤٦٤ .

(٣) انظر : ٢ / ٩ - ١٠ .

(٤) رواه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١/٢١١ ح ١٦٨ .

(٥) انظر مذهب أهل السنة في صفة النزول في : عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن

مجموعة الرسائل المنيرة ١/١١٢ و ١١٦ والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ٢ /

١٢٣ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللالكائي ٢/٤٣٦ وشرح حديث النزول =

وموقفهم من مقالات أهل التشبيه والتعطيل في ذلك : « ... فلما صح خبر النزول عن الرسول ﷺ أَقْرَبَهُ أَهْلُ السَّنَةِ وَقَبِلُوا الْخَيْرَ ، وَأَثْبَتُوا النَّزُولَ عَلَى مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ يَعْتَقِدُوا تَشْبِيهًا لَهُ بِنَزُولِ خَلْقِهِ ، وَعَلِمُوا وَتَحَقَّقُوا وَعَتَقَدُوا أَنَّ صِفَاتَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا تَشْبَهُ صِفَاتَ الْخَلْقِ ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ لَا تَشْبَهُ ذَوَاتَ الْخَلْقِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمَشْبَهَةُ وَالْمَعْطَلَةُ عَلَواً كَبِيراً وَلِعَنَهُمْ لَعْنًا كَثِيراً »^(١).

فبين رحمه الله فيما ذكره :

١ - إنَّ أهل السنة يشترطون لإثبات صفة من صفات الله تعالى صحة الخبر عن رسول الله ﷺ فإذا صح عندهم الخبر أقروا به وقبلوه^(٢) ، وأثبتوا الصفة التي وردت فيه كما يليق بجلال الله وعظمته .

٢ - مذهب أهل السنة في صفة النزول كغيرها من الصفات مبني على الإثبات والتزويه ، يثبتون صفة النزول ، وينزهون الله تعالى عن تشبيه نزوله بنزول المخلوقين .

٣ - بين موقفه من المشبهة والمعطلة الذي هو موقف أهل السنة والجماعة وهو : تنزيه الله تعالى في صفة النزول وجميع صفات الله تعالى عن مقالة المشبهة والمعطلة ! وروى عبد الرحمن بن منده^(٣) عن حرب^(٤) بن إسماعيل الكرماني أنه حكى مذهب أهل السنة في صفة النزول بقوله : « هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب

= لابن تيمية ص / ٧٥ و ٧٥ و ٥٢ و بتحقيق الدكتور : محمد بن عبد الرحمن الخميس ص /

٦٩ و ٧٢ و ١٩٠ و ١٩٤ و ضمن مجموع الفتاوى ٥ / ٣٩١ و ٣٩٣ و ٣٢٢ و ٣٢٥ .

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١ / ١١٧ .

(٢) سيأتي منهج أهل السنة في أحاديث الصفات انظر : ٤٦٧ / ٢ .

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق الأصبهاني ، قال عنه الإمام الذهبي : « الحافظ العالم الحديث

» من تصانيفه : « الرد على الجهمية » توفي سنة ٤٧٠ هـ انظر : تذكرة الحفاظ ٣ / ١٦٥ و سير

أعلام النبلاء ١٨ / ٣٤٩ .

(٤) حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني قال عنه الإمام الذهبي : « النقيب الحافظ =

الحديث والأثر المعروفين بها ، و هو مذهب أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ،
والحميدي^(١) وغيرهم كان قولهم : إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف
شاء وكما شاء : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٢) .

فذكر رحمه الله أنهم يثبتون نزول الباري إلى السماء الدنيا كما ورد في الحديث ،
وينزهون الله تعالى في ذلك عن التكيف والتمثيل !

وقد أنكر أهل السنة الخوض في كيفية صفة النزول ، لما يُفضي إليه من القول
بالتشبيه ، ونزهوا الله تعالى عن ذلك ، فمن أقوالهم في ذلك قول الإمام أبي حنيفة
رحمه الله عندما سُئل عن نزول الله الوارد في الحديث فقال : « ينزل بلا كيف »^(٣) .

وقال حماد بن زيد^(٤) رحمه الله : « ينزل نزولا يليق بالربوبية بلا كيف ، من غير
أن يكون نزوله مثل نزول الخلق ، بلا تشبيه ولا تعطيل ، سبحانه عما يقول المعطلة
لصفاته والمشبهة بها ، علوا كبيرا »^(٥) .

= صاحب الإمام أحمد بن حنبل « توفي سنة ٢٨٠ هـ انظر : تذكرة الحفاظ ٦١٣/٢ وطبقات
الحنابلة ١٤٥/١ وسير أعلام النبلاء ٥٠٨/٢ .

(١) أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الحميدي المكي ، قال عنه الحافظ بن حجر : « ثقة
حافظ فقيه أجل أصحاب ابن عيينة » وقال عنه الحاكم : « كان البخاري إذا وجد الحديث عند
الحميدي لا يعدوه إلى غيره » توفي سنة ٢١٩ هـ انظر : تقريب التهذيب ٤٩٢/١ .

(٢) ذكره شيخ الإسلام في شرح حديث النزول ص/١٩٤ وضمن مجموع الفتاوى ٣٩٣/٥ وفي
درء تعارض العقل مُطولا ٢٢٢/٢-٢٣ وعزاه إلى كتاب مسائل حرب بن إسماعيل الكرماني ،
وقال : « هو كتاب كبير صنفه على طريق الموطأ ونحوه من المصنفات ، ذكر فيه الآثار عن النبي
ﷺ والصحابة والمسائل التي نقلها عن أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرها » .

(٣) ذكره الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المثيرة ١/
١١٥ وابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية ص/٢٤٥ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٤٤٩/١ .

(٥) ذكره الألوسي في جلاء العينين ص/٣٥٢ وذكر قريبا منه الصابوني في عقيدة السلف =

فذكر رحمه الله أن نزول الله تعالى نزول خالق يليق به عز وجل منزه في ذلك عن التكيف والتشبيه والتعطيل ، ونزه الله تعالى عن مقالة المعطلة المحرفة المؤولة ، وعن مقالة المشبهة الممثلة المكيفة ، تعالى الله عن مقالة الطائفتين علوا كبيرا ! وذكر إسحاق بن راهويه رحمه الله أنه لا يجوز لأحد أن يتوهم على الخالق بصفاته وأفعاله توهم ما يجوز التفكير والنظر في أمر المخلوقين ، وذلك لأن الله تعالى موصوفٌ بالنزول كل ليلة إذا مضى ثلثاها إلى سماء الدنيا كما يشاء ، ولا يُسأل كيف نزوله لأنه الخالق يصنع كيف يشاء^(١).

ولما سأله الأمير عبد الله بن طاهر^(٢) يا أبا يعقوب : هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا ، كيف ينزل ، قال : أعز الله الأمير ، لا يقال لأمر الرب كيف ، إنما ينزل بلا كيف^(٣) ! فأنكر سؤال الأمير عن كيفية نزول الله تعالى ، لكن بأسلوب رفيع « أعز الله الأمير » ثم بين له أنه لا يُسأل عما يتعلق بالله تعالى بكيف ، إنما ينزل بلا كيف ! وذكر الإمام ابن قتيبة رحمه الله جملة من صفات الله تعالى ومنها صفة النزول ، ثم بين أن ذلك إنما يثبت كما ورد من غير أن نقول في ذلك بكيفية ، أو أن نقيس

= وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١١٥/١ .

(١) ذكره شيخ الإسلام في شرح حديث النزول ص/١٩٤-١٩٥ وضمن مجموع الفتاوى ٣٩٣/٥ .

(٢) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزازي الأمير ، قال عنه شيخ الإسلام : « ... عبد الله ابن طاهر من خيار من ولي بخراسان » وقال عنه الإمام الذهبي : « الأمير العادل حاكم خراسان ، وما وراء النهر كان ملكا مطاعا مهيبا جوادا » توفي سنة ٢٣٠هـ انظر : شرح حديث النزول ص/١٥٣ وضمن مجموع الفتاوى ٣٧٧/٥ وترجمته في سير أعلام النبلاء ٦٨٤/١٠ .

(٣) ذكره الإمام الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/١١٢

و١١٢ وشرح حديث النزول ص/١٩١ وضمن مجموع الفتاوى ١٩٨/٥ وعزاه

للسابوني .

على ما جاء مالم يأت ، ونرجوا أن نكون في ذلك القول والاعتقاد على سبيل النجاة غداً إن شاء الله^(١) . وإن قيل لنا كيف النزول منه جلّ وعزّ ، قلنا : لانحتم على النزول منه بشيء ، ولكننا نبين كيف النزول منا ، وما تحتمله اللغة من هذا اللفظ ، والله تعالى أعلم بما أراد^(٢) .

فبين رحمه الله أنه يجب إثبات صفة النزول كما وردت ، مع الابتعاد عن قياس ذلك بنزول المخلوق ، أو البحث عن كفيته ، لأن ذلك أمرٌ غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى بخلاف نزول المخلوق فإن كفيته معلومة لأنه من الأمور المشاهدة .

وبين الإمام ابن خزيمة رحمه الله أن أهل السنة مصدقون بنزول الرب عز وجل غير متكلفين القول في ذلك ، أو بالحوض في الكيفية لأن النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا ، بل أعلمنا بنزول الباري عز وجل ، فنشهد بذلك شهادة مقربٍ بلسانه ، مصدقٍ بقلبه ، مستيقين بنزول الرب عز وجل ، من غير أن نصف الكيفية^(٣) .

فأهل السنة كما ذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله لا يبحثون عن الكيفية بل يفزعون منها ، فيثبتون النزول ولا يكيفون ، لأن الكيفية لاتصلح إلا فيما يُحاط به عيائناً ، وقد جلّ الله وتعالى عن ذلك ، وما غاب عن العيون فلا يصفه ذو العقول إلا بخبر ولا يخبر في صفات الله إلا ما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ ، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير ، فإنه تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٤) .

(١) انظر : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبّهة لابن قتيبة ص/٤١ .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص/٢٤١ .

(٣) انظر كتابه : التوحيد ١/٢٨٩-٢٩٠ وذكره الإمام الصابوني باختلاف يسير في كتابه : عقيدة

السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرة ١/١١٦ .

(٤) انظر كتابه : التمهيد ٧/١٤٤-١٤٥ .

وقد ردَّ شيخ الإسلام رحمه الله على من يتصور أنَّ نزول الباري تعالى يلزم منه تفرغ مكان وشغل آخر كما يتوهم من يتصور التشبيه من المثلة والمعطلة ! ردُّ على ذلك بأنَّ الله تعالى إذا وصفه رسوله ﷺ بأنه ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة لم يلزم من ذلك أنَّ يكون نزوله من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يُقال : يستلزم تفرغ مكان وشغل آخر !

فإنَّ الروح وصعودها لا يستلزم ذلك فكيف برب العالمين ، فلا يجوز نفي ما أثبتته الله ورسوله من الأسماء والصفات ولا يجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات فإذا كان ماثبث لما لانشاهده من المخلوقات من الأسماء والصفات ليس مماثلا لما نشاهده منها فكيف برب العالمين الذي هو أبعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق ؟ وكل مخلوق فهو أشبه بالمخلوق الذي لا يُماثله من الخالق بالمخلوق ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا^(١) !

وما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله يدحض ما ادَّعاه الدكتور أحمد عبد الستار نصار من أنَّ ابن تيمية كما زعم يثبت صفة النزول بمعنى الهبوط من محل والحلول بمحل آخر^(٢) !

فهذا الذي يرمي به شيخ الإسلام رحمه الله إنما هو حسب فهمه للصفات ، ومنها صفة النزول ، فهو وأضرابه المتكلمون لا يفهمون صفات الله تعالى إلا على ما عهدوه من صفات المخلوقين ثم يرمون بما فهموه من أثبت الصفات ، ويتقولون عليه ما لم يقله ، دون أنَّ يكلفوا أنفسهم الرجوع إلى كتبه بصدق وأمانة ، وحسن قصد وفهم^(٣) !

(١) انظر : تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٣٥٠/١٧ .

(٢) انظر كتابه : المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام ٦٨٩/١ .

(٣) ستأتي مقالاتهم في نيز أهل السنة بالتشبيه وبراهينهم من ذلك في الباب الثالث انظر : ١٣٩/٢ .

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الله تعالى منزّه عن أن يكون نزوله كنزول المخلوقين ، وحركاتهم وزوالهم مطلقا ، لا نزول الآدميين ولاغيرهم .
ثم بين الفرق بين نزول المخلوقين والخالق عز وجل ، للدلالة على عظمة الله تعالى وتنزيهه عن المماثلة ومما قاله في ذلك : « ... فال مخلوق إذا نزل من علوٍ إلى سفلى زال وصفه بالعلو ، وتبدل إلى وصفه بالسفول ، وصار غيره أعلى منه ، والرب تعالى لا يكون شيء أعلى منه قط بل هو العلي الأعلى ، ولايزال هو العلي الأعلى ، مع أنه يقرب إلى عباده ، ويدنومنهم وينزل إلى حيث شاء ، ويأتي كما يشاء ، وهو في ذلك العلي الأعلى ، الكبير المتعال ، عليّ في دنوه قريب في علوه فهذا وإن لم يتصف به غيره فلعمجز المخلوق أن يجمع بين هذا وهذا ، كما يعجز أن يكون هو الأول والآخر والظاهر والباطن ... »^(١)

فيجب إثبات نزول الباري تعالى كما ورد ، ونفي المثل والسمي والكفئ في ذلك وبهذا كما ذكر شيخ الإسلام يحتج الإمام البخاري وغيره من أئمة أهل السنة على نفي المثل ، فيقولون : ينزل نزولا ليس كمثلته شيء ، نزل نزولا لايمثله نزول المخلوقين ، نزولا يختص به ، كما أنه في سائر ما وصف به نفسه ليس كمثلته شيء في ذلك ، وهو منزّه عن أن يكون نزوله كنزول المخلوقين وحركاتهم وانتقالهم وزوالهم مطلقا لا نزول الآدميين ولاغيرهم^(٢).

فَعُلِمَ مما تقدم بطلان مقالة المشبهة في صفة النزول ، كما عُلِمَ موقف أهل السنة منها ، وأنهم يثبتون صفة النزول كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله وعظمتهم وينزهون الله جل جلاله عن أن يكون نزوله كنزول المخلوقين ، لأن الله تعالى ليس كمثلته شيء في نزوله وفي جميع صفاته وأفعاله ، كما يتعدون عن البحث عن

(١) التفسير الكبير لابن تيمية ٤٠٨/٦-٤٠٩ وضمن مجموع الفتاوى ٤٢٤/١٦ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٤٢٤/١٦ والتفسير الكبير ٤٠٧/٦-٤٠٨ .

كيفية نزول الرب تعالى وعن جميع صفاته ، وينهون عن ذلك أشد النهي لما يُفضي إليه من التمثيل المذموم ، فنزول الرب تعالى لاتعلم كيفيته ، ولا يشبه نزول المخلوقين ، ولا يدخل في قياس ولانتظير ولاتكليف ، لأنه تعالى لا يُقاس بخلق ، ولا مثيل له ولانتظير ، بل هو عز وجل أحد فرد صمد لا كفو له ولاشبيه ولانتظير : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ !



المطلب الرابع

مقالة المشبهة في صفة الإتيان والمجيء وموقف أهل السنة من ذلك

أثبت المشبهة صفة المجيء والإتيان إلا أنهم غلوا في ذلك حتى جعلوا إتيانه تعالى من جنس إتيان المخلوقين^(١).

لكن الكرامية كما ذكر ابن الهيثم الكرامي يثبتون أنه تعالى يجيء يوم القيامة لمحاسبة العباد ، ولا يعتقدون في ذلك معنى فاسداً ، بل يثبتون ذلك من غير تكييف ولا تشبيه^(٢)!

وأورد شيخ الإسلام رحمه الله قول أبي الحسن الطبري^(٣) المعروف بالكيا الهراس : « واعلم أن المشبهة أيضا يقولون : إن الحوادث تقوم به وإن لم يصرحوا بذلك فهم والكرامية ... على حد سواء يجوزون على الله الحيئة والذهاب والنزول والصعود والانتقال فيقولون : هذه الأشياء لم تكن فكانت وهذا هو الحادث »^(٤) .
ويقصد بالمشبهة هنا أهل السنة والحديث المثبتين للصفات^(٥) . ولم يقل أهل السنة الذين أطلق عليهم المشبهة أن صفات الله تعالى حادثة النوع ، لم تكن فكانت كما

(١) انظر : المرجع نفسه ٣٨٦/٦ وضمن مجموع الفتاوى ٣٩٨/١٦ .

(٢) انظر : الملل والنحل ١١٢/١ .

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بالكيا الهراس شيخ الشافعية في زمانه ، ببغداد ، تفقه على إمام الحرمين ، وكان من كبار أئمة الأشاعرة . توفي سنة ٥٠٤ هـ انظر : طبقات الشافعية ٧/٢٣١-٢٣٤ وتبين كذب المفتري ص/٢٨٨-٢٩١ والأعلام ٤/٣٨٩ .

(٤) انظر : درء التعارض ٨/٩٥ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ٩٧/٨ وراجع : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الكرامية في الإلهيات ص/

زعم ، بل هذا مذهب الكرامية في بعض الصفات ، ومذهب غيرهم من المشبهة^(١)!

موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة الإتيان والحيء

أما موقف أهل السنة من موقف المشبهة في صفة الإتيان والحيء ، فقد أثبتوا لله تعالى إتيانه ومجيئه على الوجه اللائق بجلاله وعظمته ، ونزهوا الله تعالى في ذلك عن تمثيل المشبهة ، وتحريف المعطلة ، فبينوا أن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما ذكر في كتابه بقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] على الوجه اللائق به تعالى من غير تكليف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ، على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٢).

ومن أقوالهم الدالة على ذلك قول حماد بن أبي حنيفة^(٣) رحمه الله للمعطلة القائلين إن إثبات صفة الحيء خوض في الكيفية : « ... إنالم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته ، ولكننا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه »^(٤).

لأن الإتيان بصفات الله ومنها صفة الحيء واجب ، والعلم بالكيفية منتفٍ لأنه مجهول ، ولأنه من الأمور الغيبية التي استأثر الله بالعلم بها .
وذكر الإمام الدارمي رحمه الله في صدد رده على بشر المريسي الذي أنكر صفة

(١) كما تقدم انظر : ٣٥٤/١ و ٤٦٠ و ٤٦٣ .

(٢) انظر مذهب أهل السنة في صفة الحيء في : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/ ٢١-٢٢ والتفسير الكبير لابن تيمية ٣٨٦/٦ وضمن مجموع الفتاوى ٣٩٨/١٦ ومعارج القبول ١/ ٣٣ والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ص/ ٢٥٧-٢٦١ وشرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص/ ٥٢ .

(٣) حماد بن أبي حنيفة العماني بن ثابت الكوفي ، قال عنه الإمام الذهبي : « ضعفه ابن عدي وغيره من قبل حفظه » توفي سنة ١٧٦ هـ انظر : ميزان الاعتدال ١/ ٥٩٠ وسير أعلام النبلاء ٤٠٣/٦ .

(٤) ذكره الإمام الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرة ١/ ١١٨ عن محمد بن الحسن الشيباني عن حماد بن أبي حنيفة .

الجبنيء وإدعى أن الجبنيء والانتقال من مكان إلى مكان صفة مخلوق . فرد عليه الإمام الدارمي إن إدعاءك هذا خوض في الكيفية ، ونحن لانكيف مجيئه وإتيانه أكثر مما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان نبيه ﷺ (١) .

وسئل الإمام أبو العباس بن سريج (٢) رحمه الله عن صفات الله تعالى فمما ذكره في ذلك صفة الاتيان والجبنيء وأن اعتقاد أهل السنة في ذلك قبولها فلا يتأولونها بتأويل المعطلة المخالفين ، ولا يحملونها على تشبيه المشبهين (٣) .

وذكر الإمام أبو عمر الطلمنكي (٤) رحمه الله إجماع أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى يأتي يوم القيامة والملائكة صفا صفا لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء (٥) . فالجبنيء من الله تعالى كما بين عمرو بن عثمان المكي (٦) رحمه الله صفة له تعالى لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه ، لأنه فعل الرب تعالى ، فالعقل عاجز ، والنفس منقطعة عن إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود ، فلا تذهب إلى أحد الجانبين ، لا معطلا ، ولا مشبها ، وأرض لله ما رضيه لنفسه ، وقف عند خبره مسلما مستسلما مصدقا (٧) .

فأهل السنة والجماعة كما ذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله يقولون : يجيئ بلا

(١) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/١٤٨-١٤٩ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٤٢٣/١ .

(٣) ذكره الإمام الذهبي في كتابه : الأربعين في صفات رب العالمين ص/٩٠ والعلو ص/٢٠٨ .

(٤) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدالله المعافري الأندلسي الطلمنكي الإمام المقرئ المحدث المفسر .

توفي سنة ٤٢٩ هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٥٥٦/١٧ وطبقات المفسرين للداوودي ٧٧/١ .

(٥) ذكره شيخ الإسلام في شرح حديث النزول ص/١٨٨ وضمن مجموع الفتاوى ٥٧٧/٥-٥٧٨ .

(٦) تقدمت ترجمته انظر : ٤٠٠/١ .

(٧) ذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى ص/٣٧ وضمن مجموع الفتاوى ٦٤/٥ نقلا عن

كتاب : التعرف بأحوال العباد لعمرو بن عثمان المكي ، وقد بحث عنه فلم أجده ا

كيف ولا يقولون كيف يجيء لأنه تعالى ليس كشيء من خلقه ، تعالى عن الأشباه ولا شريك له^(١).

لأن الله تعالى كما ذكر الشيخ أبو بكر الإسماعيلي^(٢) لم يبين الكيفية ، ولو شاء سبحانه أن يبين كيفية ذلك فعل ، فانتهينا إلى حكمه ، وكفنا عن الذي يتشابه^(٣) .
فصفات الله كما ذكر رحمه الله من المحكمات التي يجب الإيمان بها ، وكيفياتها من المتشابهات التي يجب الكف عنها ، لأن الخوض فيها بدعة مفضية إلى التمثيل المذموم !
وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن إتيان الرب تعالى ومجيئه ونزوله ليس مثل إتيان المخلوق ومجيئه ونزوله ، وهذا أمر ضروري متفق عليه بين علماء السنة ، ومن له عقل وذلك لأن الصفات والأفعال تتبع الذات المتصفة الفاعلة ، فإذا كانت ذاته تعالى مباينة لسائر الذوات ليست مثلها لزم ضرورة أن تكون صفاته مباينة لسائر الصفات ليست مثلها ، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفة كل موصوف إلى ذاته ، ولا ريب أنه تعالى العلي الأعلى العظيم ، فهو أعلى من كل شيء ، وأعظم من كل شيء ، فلا يكون نزوله وإتيانه بحيث تكون المخلوقات تحيط به ، أو تكون أعظم منه وأكبر هذا ممتنع^(٤) . فثبت لله عز وجل الإتيان والمجيء ، ويُنفى عنه المثل والسُمي والكفو والند^(٥) .

(١) انظر : التمهيد ١٥٣/٧ .

(٢) أبو بكر أحمد بن إسماعيل الجرجاني ، الإمام الحافظ الحجة الفقيه ، توفي سنة ٣٧١هـ انظر : تذكرة الحافظ ٩٤٧/٣ وسير أعلام النبلاء ٢٩٢/١٦ .

(٣) ذكره الإمام الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرة ١/ ١١٢ نقلا عن رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان . وقد بحثت عنها فلم أجدها .
كما لم أجد ما ذكره الإسماعيلي في كتابه المطبوع بعنوان : « اعتقاد أئمة الحديث » .

(٤) انظر : كتاب التفسير لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٤٢٢/١٦ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ٤٢٤/١٦ .

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أنَّ مجيء الرب وإتيانه لا يشبه إتيان المخلوق ومجيئه كما أن سمعه وبصره وعلمه وحياته كذلك لأن الله تعالى ليس كمثله شيء ، وأنَّ أصحاب الأوهام الباطلة ، والعقول الفاسدة هي التي تفهم من مجيء الرب وإتيانه كما يفهم من مجيء المخلوق وإتيانه ، والله تعالى لا مثل له ولا شبيهه في مجيئه وإتيانه وجميع صفاته^(١).

وبين الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - أنَّ أهل السنة والجماعة يثبتون صفة المجيء وأنَّ الله يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام كما جاء في الآية ، وأنَّ الله عز وجل ذكر ذلك عن نفسه وهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق حديثاً ، غير أنهم إذا سئلوا عن كيفية هذا المجيء أجابوا بأنهم لا يعلمون الكيفية ، لأنَّ الله أخبر عن نفسه أنه يجيء ، ولم يخبرنا كيف يجيء ، ولأنَّ الكيفية لا تُعلم إلا بالمشاهدة ، أو بمشاهدة النظير ، أو الخبر الصادق عنها وكل ذلك لا يوجد في صفات الله تعالى ، ولأنه إذا جهلت كيفية الصفات ، فالذات موجودة ، ولكن كقيمتها مجهولة غير معلومة ، فنؤمن بأن الله يأتي حقيقة على كيفية تليق به مجهولة لنا^(٢)! فَعَلِمَ مما تقدم : أن موقف أهل السنة من موقف المشبهة في صفة المجيء والإتيان مبني على إثبات ذلك ، مع تنزيه الله عن تمثيل المشبهة ، وبيان أن مجيئه وإتيانه ليس مثل مجيء المخلوق وإتيانه ، وأن كقيمته مجهولة لايجوز الخوض فيها ، لأنها تفضي إلى التشبيه المذموم !



(١) انظر : مختصر الصواعق المرسله ٤٦٢/٢ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد صالح العثيمين ٢٧٩/١-٢٨٠ .

المبحث الثالث

مقالات المشبهة في الصفات الذاتية بذكر أمثلة منها
وموقف أهل السنة من ذلك

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مقالة المشبهة في صفة العلم وموقف أهل السنة منها

المطلب الثاني : مقالة المشبهة في صفة الإرادة وموقف أهل السنة

منها

المطلب الثالث : مقالة المشبهة في صفة اليدين وموقف أهل السنة

منها

المطلب الرابع : مقالة المشبهة في صفة السمع والبصر وموقف

أهل السنة منها

المطلب الأول

مقالة المشبهة في صفة العلم وموقف أهل السنة منها

أثبت المشبهة صفة العلم إلا أنهم انحرفوا في طريقة إثباتها ، حيث أنكروا علم الله الأزلي ، وزعموا أن الله تعالى علم الأشياء بعد أن لم يكن عالماً بها^(١) .

وهذه المقالة تتضمن تشبيه علم الله عز وجل بعلم المخلوق الحادث الذي وُجد بعد أن لم يكن ، لأن من زعم أن الله متصف بصفة محدثة لم تكن فكانت فقد دخل في حكم التشبيه بالصفات التي هي محدثة في المخلوق موجودة فيهم بعد أن لم تكن^(٢) !

وقد اتفق الرافضة على تشبيه علم الله تعالى بعلم المخلوق ، ووصف الله بالبداء^(٣) فما من رافضي على ظهر الأرض كما ذكر الجاحظ^(٤) إلا وهو يزعم أن ربه مثله ، وأن البداوات تعرض له ، وأنه لا يعلم الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه^(٥) !

وذكر شيخ الإسلام أن كثيراً من شيوخ الرافضة يصفون الله بالنقائص فيقولون : يجوز البداء عليه ، وأنه يحكم بالشيء ثم يتبين له ما لم يكن علمه فينتقض حكمه لما ظهر من خطئه ، وكذلك هشام بن الحكم ووزارة بن أعين^(٦) وأمثالهما يقولون : إنه - تعالى - يعلم ما لم يكن عالماً به ، ومعلوم أن هذا من أعظم النقائص في حق

(١) انظر : ما ذكره الأئمة عن مقالة المشبهة في صفة العلم في كتاب : مقالات الإسلاميين / ١
 /١١١-١١٣ و٢٨٣ والفرق بين الفرق ص/ ٣٧-٣٨ و٧٦-٧٧ و٢٢٨ والمثل والنحل / ١
 ١٧٣ و١٨٥-١٨٦ وتبصرة الأدلة / ١٥٨/١ ومنهاج السنة / ١ و٧٢/٢ و٣٩٤ وموافقة صحيح
 المنقول لصريح المعقول / ١-٥٨-٥٩ .

(٢) انظر : التوحيد لابن منده / ٧-٨ والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي / ٩٢-٩٣ .

(٣) تقدم التعريف بالبداء ، وسيأتي نقده وتنزيه الله عنه انظر : ص/ ١٥٣-١٥٤ و٨٠٠ و٨٠٣ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ١٧٩/١ .

(٥) تقدم ذكره انظر : ٢٣٧/١ - ٢٣٨ .

(٦) تقدم التعريف بهما وبطائفتهم انظر : ٢٥٥/١ .

الرب ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا^(١) . ومن الشبه التي ذكرها هشام بن الحكم في تقرير مذهبه في صفة العلم : أنه - تعالى - لو كان لم يزل عالما بالمعلومات أزلا ، لكانت المعلومات أزلية ، والمعلومات ليست موجودة أزلا ، ولا يصح علم إلا بمعلوم موجود ، وتعلق العلم بالمعدوم مستحيل^(٢) .

والملاحظ أن كل من قال بالتشبيه في صفة العلم من المشبهة هم الراضية ، وقد خالفهم في ذلك الكرامية فلم يقولوا بمقاتلهم ، بل أثبتوا علم الله الأزلي ، وأنه صفة لله تعالى قائمة بذاته .

فقد ذكر الشهرستاني أن ابن الهيثم الكرامي قال : « الباري تعالى عالم في الأزل بما سيكون على الوجه الذي يكون ، وشاء لتنفيذ علمه في معلوماته ، فلا ينقلب علمه جهلا »^(٣) .

وذكر شيخ الإسلام أن الكرامية تقول : بأزلية علم الله تعالى ، لأن حدوثه عندهم يستلزم النقص لعدم تعلق العلم ، بخلاف الإرادة والكلام فإنه لا عموم لهما^(٤) . حيث قالوا : العلم والقدرة عام في كل معلوم ومقدور ، فإنه - تعالى - بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، والإرادة والكلام ليسا عامين في كل مراد ومقول ، بل لا يقول تعالى إلا الصدق ، ولا يأمر إلا بالخير ، ولا يريد إلا ما وجد ، ولا يريد إرادة محبة إلا بما أمر ، فهذا مما احتجوا به على حدوث كونه مريدا متكلما^(٥) دون

(١) انظر : منهاج السنة ٢/٣٩٤-٣٩٥ .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين ١/١١٢-١١٣ والفرق بين الفرق ص/٣٧-٣٨ .

(٣) انظر : الملل والنحل ١/١١٢-١١٣ .

(٤) انظر : درء تعارض العقل ٢/٢٠٣ .

(٥) تقدم بيان مقالة الكرامية في صفة الكلام وموقف أهل السنة منها ، وسيأتي بيان مقاتلهم في صفة

الإرادة وموقف أهل السنة منها انظر : ١/٤٥٩ - ٤٦٠ و ٤٦٣ و ٥١٠ - ٥١١ .

كونه عالما قادرا^(١)!

وعلى هذا فلا يقبل قول أبي المعالي الجويني^(٢) في الكرامية الذين ألزمهم القول بحدوث علم الله تعالى قائلا : « وما يلزمهم به تجويز قيام علوم حادثة في ذاته »^(٣) لأنَّ هذا إلزام لهم بشيء لم يلتزموه ، بل قد صرحوا كما تقدم بأولية علم الله تعالى !

موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة العلم

أما موقف أهل السنة من مقالة المشبهة ومقالاتهم في صفة العلم فإنهم قد أبطلوا ذلك ، وبينوا مخالفتهم للكتاب والسنة والإجماع ، ومناقضتهم لعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر التي هي أحد أركان الإيمان بالله تعالى ، وقد أنكروا على المشبهة ، وبينوا حكم الله فيهم ، ونزهوا الله تعالى عن مقالاتهم .

وتتضح هذه الأمور بمواقف :

الوقف الأولى : بيان أهل السنة والجماعة بطلان مقالة المشبهة : إنَّ الله لا يعلم

الأشياء إلا بعد وجودها ووقوعها .

ووضحوا أنَّ الله تعالى يعلم بعلمه الأزلي وما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وأن علمه تعالى من صفاته الذاتية التي لا تنفك عنه عز وجل أزلا وأبدا ، وأنَّ الله تعالى علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم ، وعلم أرزاقهم وأجالهم وأحوالهم وأعمالهم ، ومن هو شقي منهم وسعيد ، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار ، علم دق ذلك وجليله ، كثيره وقليله ، ظاهره وباطنه ، سره وعلانيته ، مبدأه

(١) انظر : درء التعارض ٤/٢١٧ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ١/٣٩٧ .

(٣) الإرشاد للجويني ص/٦٣ .

ومنتهاه ، كل ذلك بعلمه تعالى الذي هو صفته الثابتة له أزلا وأبدا ليس له مثل في ذلك ولا نظير . فمن أنكر علم الله الأزلي وجعله حادثا بعد أن لم يكن فقد خالف إجماع أهل السنة المبني على أدلة الكتاب والسنة^(١) .

الوقف الثانية : وقد بين سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان مخالفة مقالة

المشبهة في صفة العلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ

١ - أما مخالفتها لكتاب الله تعالى ، فإن من ينفي علم الله السابق للأشياء كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله جاهل بالقرآن الكريم ، فإن القرآن قد أخبر بأنه تعالى يعلم ما كان وما سيكون في غير موضع ، بل أبلغ من ذلك أنه قدر مقادير الخلائق كلها ، وكتب ذلك قبل أن يخلقها ، فعلم عز وجل ما سيخلق قبل أن يخلقه بعلمه المتقدم على وجوده ، ثم لما خلقه علمه كائنا من كان ، مع علمه الذي تقدم أنه سيكون وهذا هو الكمال ، وبذلك جاء القرآن في غير موضع .

فذكر الله تعالى علمه بما سيكون بعد أن يكون في بضعة عشر موضعا من القرآن مع إخباره في مواضع كثيرة من ذلك أنه يعلم ما كان قبل أن يكون ، وقد أخبر الله في القرآن من المستقبلات التي تكون بعد ما شاء الله ، فهو سبحانه يعلم ما كان وما لم يكن لو كان كيف يكون ، ومن الآيات الدالة على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾^(٢) [الأنعام : ٢٨] . فأخبر تعالى عن علمه

(١) انظر مذهب أهل السنة في صفة العلم في : شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/٢

٤٠٣ والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ١٣/٢ وكتاب القدر لابن تيمية ضمن مجموع

الفتاوى ٤٤٩/٨-٤٥٠ وكتاب توحيد الربوبية له ضمن مجموع الفتاوى ٢١١/٢ والرد على

المنطقيين له ص/٤٦٥-٤٦٦ ولوامع الأنوار البهية للسفاري ٣٤٨/١ ومعارج القبول للحكيمي ٣/

٩٢٠ وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص/١٤٠ وللشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٩٣/٢ .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين ص/٤٦٥-٤٦٦ .

بحال هؤلاء الكفار الذين سيدخلون النار ويعذبهم فيها يوم القيامة ، وأنهم سيطلبون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا تخلصا من النار ، ولورجعوا إلى الدنيا كما طلبوا لعادوا إلى الكفر وإنهم لكاذبون^(١).

فالمسلمون يعلمون أن الله تعالى عالم بالأشياء قبل كونها بعلمه الأزلي الذي هو من لوازم نفسه المقدسة لم يستفد علمه بها منها : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] فقد دلت هذه الآية كما بين شيخ الإسلام رحمه الله على وجوب علمه بالأشياء أزلا وأبدا من وجوه :

أحدها : أنه خالق لها ، والخلق هو الإبداع بتقدير ، وذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل كونها .

الثاني : أن ذلك مستلزم للإرادة ، والمشيئة والإرادة مستلزمة لتصوير المراد به وهذا مستلزم للشيء قبل وجوده .

الثالث : أنها صادرة عنه تعالى ، وهو سببها التام ، والعلم بأصل الأمر وسببه يُوجب العلم بالفرع المُسبب ، فعلمه بنفسه مستلزم العلم بكل ما يصدر عنه .

الرابع : أنه تعالى في نفسه لطيف يُدرك الدقيق ، خبير يدرك الخفي ، وهذا هو مقتضى العلم بالأشياء ، ثم إذا رأى عز وجل الأشياء بعد وجودها ، وسمع كلام عباده ونحو ذلك فإتما يُدرك ما أبدع وما خلق ، وما هو مفتقر إليه ، ومحتاج من جميع وجوهه إليه تعالى ، لم يحتج في علمه وإدراكه إلى غيره ألبتة ، فلا يجوز القول بأن علمه بالأشياء استفادة من نفس الأشياء الثابتة^(٢)!

ومن الآيات الدالة على علم الله بالأشياء قبل وجودها وحصولها قول الله

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٣٢/٢-١٣٣ .

(٢) انظر : كتاب توحيد الربوية ضمن مجموع الفتاوى ٢١١/٢ .

تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] فهذه الآية من أظهر الآيات على علم الله تعالى بالأشياء قبل وقوعها^(١).

رؤي عن مجاهد رحمه الله أنه قال : « علم من إبليس المعصية وخلقه لها ، وعلم من آدم المعصية وخلقه لها »^(٢) ورؤي عن قتادة رحمه الله أنه قال : « كان في علمه أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسول وقوم صالحون وساكنو الجنة »^(٣). وقال حنبل^(٤) رحمه الله : « قلت لأبي عبد الله : آدم عليه السلام خلقه الله عز وجل للأرض ، وعلم ما هو كائن منه قبل أن يكون ، قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] - قال - هذا قبل أن يخلق آدم قد علم الله ما هو كائن منه قبل أن يكون . وسمعت أبا عبد الله يقول : « علم الله عز وجل أن آدم سيأكل من الشجرة التي نهاه عنها قبل أن يخلقه »^(٥).

ومن الآيات الدالة على بطلان مقالة المشبهة في صفة العلم قول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية : ٢٣] قال ابن عباس « أضله الله في سابق علمه »^(٦) وقال ابن جرير الطبري رحمه الله : « ... خذله الله عن محجة الطريق وسبيل الرشاد في سابق علمه ، على علم منه أنه لا يهتدى ، ولو جاءته كل آية »^(٧).

(١) انظر : شفاء العليل ص/٥٥٥ وتفسير ابن كثير ٧٥/١ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٢٥٠/١ .

(٣) رواه الطبري انظر : المرجع نفسه ٢٥٠/١ .

(٤) حنبل بن إسحاق وقد تقدمت ترجمته انظر : ص/٣٠١ .

(٥) رواه الخلال في كتاب السنة ٣/٥٣٠ رقم/٨٦٦ .

(٦) رواه الطبري في تفسيره ٢٦٢/١١ .

(٧) المرجع نفسه ٢٦٢/١١ .

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن الإضلال السابق الذي ضلَّ به عن قبوله أولاً والاهتداء هو : إضلال ناشئ عن علم الله السابق في عبده بأنه لا يصلح للهدى ولا يليق به ، وأنَّ محله غير قابل له فالله أعلم حيث يضع هداه وتوفيقه كما هو أعلم حيث يجعل رسالته ، كما أنه ليس كل محل أهلاً لتحمل الرسالة عنه وأدائها إلى الخلق فليس كل محل أهلاً لقبولها والتصديق بها^(١)!

وقد أخبر الله عز وجل عن وقائع كثيرة قبل وقوعها ومنها وقعة فارس والروم^(٢) وكيف أنَّ الروم سيغلبون فارس في بضع سنين بعد أن غلبوهم ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، فقال الله عز وجل في ذلك : ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الروم : ١ - ٥] .

وأخبر الله تعالى ورسوله ﷺ بالوقائع الجزئية الماضية والآتية والحاضرة في زمن الوحي بأخبار كثيرة في التنزيل ، ومن يطلع عليها لا يشك فيها أصلاً ، ويؤمن بعلم الله الأزلي للأشياء وبشموله لكل شيء ، وأنه تعالى علم الأشياء قبل وجودها ، وأنه يعلم ما كان وما لم يكن لو كان كيف يكون^(٣)!

٢ - وكما استدل أهل السنة بالآيات القرآنية على تقرير علم الله السابق للأشياء وبطلان مقالة من ينكر ذلك ، فقد استدلوا كذلك بأحاديث رسول الله ﷺ المبينة والمفسرة لكتاب الله تعالى .

(١) انظر : شفاء العليل ص/ ٥٨-٥٩ .

(٢) انظر : قصة وقعة فارس والروم في تفسير ابن كثير ٣/ ٤٣٢-٤٣٦ .

(٣) انظر : مختصر التحفة الاثني عشرية لشاه عبد العزيز الدهلوي اختصار : الشيخ محمود شكري

الألوسي ص/ ٨١-٨٢ .

فقد عقد الإمام البخاري رحمه الله بابًا عنون له بقوله : « باب : الله أعلم بما كانوا عاملين »^(١) وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : « اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ »^(٢) .
ومعنى هذا الحديث كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أنه تعالى أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا^(٣) . فالحديث دال على علم الله الأزلي السابق للأشياء قبل وجودها .
وعن عمران بن حصين^(٤) قال : قيل يا رسول الله أَعْلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، قَالَ : نَعَمْ . قيل : فمِمَّ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ ، قَالَ : « كُلُّ مَيْسِرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ »^(٥) وفي رواية : « اَعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسِرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ »^(٦) فدل ذلك على علم الله بالأشياء قبل وقوعها !

الوقف الثالث : أنكر أهل السنة على من أنكر علم الله تعالى بعد أن لم يكن

واعتبروا هذه المقالة إنكاراً لأحد مراتب الإيمان بقدر الله تعالى^(٧) الذي يعتبر

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٥٠٢/١١

(٢) رواه البخاري في كتاب القدر ، ٥٠٢/١١ ح ٦٥٩٧ .

(٣) انظر : شفاء العليل ص/٣٠ .

(٤) أبو نجيد عمران بن حصين بن غنيد الله بن خلف ، صاحب رسول الله ﷺ ، تولى القضاء بالبصرة . وكان الحسن البصري رحمه الله يحلف ويقول : « ما قدم البصرة خير لهم من عمران بن حصين » توفي سنة ٥٥٢ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٥٠٨/٢ - ٥٠٩ .

(٥) رواه البخاري في كتاب القدر ٤٩٩/١١ - ٤٥٠ ح ٦٥٩٦ ومسلم في كتاب القدر ٤/٢٠٤٠ - ٢٦٤٩ .

(٦) رواه مسلم في كتاب القدر ٤/٢٠٤٠ - ٢٦٤٧ .

(٧) مراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع وهي : الإيمان بعلم الله الأزلي للأشياء ، وكتابته لها في اللوح المحفوظ ، ومشيئته لها « ، وخلقته تعالى الأعمال ، وتكويته وإيجاده للأشياء . انظر : شفاء العليل ص/٧٣ - ١١٦ .

الإيمان به أحد أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان بها^(١) . وأفتوا بكفر من قال : إن علم الله حادث بعد أن لم يكن ، وحكموا بقتله إن لم يتب !
 وبيان ذلك أن إثبات علم الله للأشياء قبل كونها كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم ، واتفق عليه الصحابة ، ومن تبعهم من الأمة ، وخالفتهم مجوس الأمة من القدرية الذين أنكروا علم الله الأزلي وكتابته السابقة وزعموا أنه أمر ونهي ، والله لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه ، بل الأمر أنف .
 أي : مستأنف ، فلما بلغ الصحابة قولهم تبرؤوا منهم ، وأنكروا مقاتلتهم ، كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه لمن سأله عنهم : « ... إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أنني بريء منهم ، وأنهم بُراءٌ مني ... »^(٢) .

فالمشبهة في مقاتلتهم في علم الله تعالى متبعون للقدرية الذين أنكروا علم الله الأزلي^(٣) وموافقون لجهم بن صفوان في القول بحدوث علم الله كما ذكر الإمام ابن حزم أن جهم بن صفوان ، وهشام بن الحكم ، ومحمد بن عبد الله الجيلي^(٤) وأصحابهم الذين قالوا : إن علم الله حادث مخلوق ، سمعنا ذلك ممن

(١) أركان الإيمان الستة وهي : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره من عند الله عزوجل ، وهي الواردة في الحديث الذي رواه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والذي فيه سؤالات جبريل « عن الإسلام والإيمان والإحسان . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ١/٣٦-٣٨ ح ١ .

(٢) شفاء العليل ص/٥٥ .

(٣) ذكر شيخ الإسلام طوائف القدرية ومقاتلتهم ، وإنكارهم لعلم الله السابق للأشياء انظر : كتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٨/٢٥٦-٢٦١ و٤٥٠ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة ، متصوف متفلسف أندلسي ، من دعاة الإسماعلية ، قال الحميدي : « له طرق في البلاغة ، وتدقيق في غوامض إشارات الصوفية ، وتأليف في المعاني ، ونسبت إليه مقالات نعوذ بالله منها » وكان يحرف القرآن بتأويلاته ، وأنهم بالزندقة . مات سنة ٣١٩ هـ انظر : تذكرة الحفاظ ٢/٣٣ وشذرات الذهب ٢/٢٩١ والأعلام ٦/٢٢٣ .

جالسناهم منهم ، وناظرناهم عليه^(١)!

وذكر شيخ الإسلام أنَّ الناس قد حكوا عن هشام بن الحكم وجهم بن صفوان أنهما يقولان : بحدوث علم الله ، وهذا رأس المعطلة ، وذاك رأس الشيعة ، لكن جهما يقول بحدوث العلم في غير ذاته تعالى ، وهشاما يقول بحدوثه في ذاته^(٢)! وقد أنكر سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان على القائلين بحدوث علم الله تعالى بعد أن لم يكن إنكارا شديداً ، وكفروهم ، وأفتوا بقتلهم إن لم يتوبوا ، ومن أقوالهم في ذلك ما زوي عن الإمام أحمد رحمه الله : « إذا جحد العلم . فقال : إنَّ الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون استتيب ، فإنَّ تاب وإلا قُتل »^(٣).

وسئل رحمه الله عن قال بالقدر هل يكون كافرا ، فقال : « إذا جحد العلم فقال : الله جل وعز لم يكن عالما حتى خلق علما فعلم ، فجحد علم الله عز وجل فهو كافر ... »^(٤)

وذكر الإمام عبد العزيز الكنتاني^(٥) رحمه الله أنَّ من زعم أنَّ علم الله حادث مخلوق ، وأدخله في الأشياء المخلوقات فقد شبه الله بخلقه الذين أخرجوا من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا ، ومن قال بذلك فقد كفر وخُلِّ دمه^(٦).

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الأئمة كمالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل

(١) انظر : الفصل ٢/٢٩٣-٢٩٤ .

(٢) انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٥٨/٢ .

(٣) رواه الخلال في كتاب السنة ٣/٣٢٢ رقم ٨٧٢ .

(٤) رواه الخلال في كتاب السنة ٣/٢٩٩ رقم ٨٦٢ .

(٥) أبو الحسن عبد العزيز الكنتاني المكي الإمام العلامة ، جرت له مناظرة مع بشر المريسي المعتزلي بين يدي الخليفة المأمون فقطعه وانتصر عليه ، وهو صاحب كتاب : « الحيدة » توفي سنة ٢١٨ هـ

انظر : تاريخ بغداد ١٠/٤٤٩ وشذرات الذهب ٢/٩٥ .

(٦) انظر كتابه : الحيدة ص/٤٦ .

وغيرهم يقولون : إنَّ المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون^(١)

الوقفه الرابعة : وأهل السنة والجماعة ينزهون الله تعالى عن مقالة المشبهة في

صفة العلم وغيرها .

ويقرون أنَّ الله تعالى ليس له مثل ولاشبيه في ذلك ، وهو أعظم وأجل من أن يتصف بصفة لم يكن متصفاً بها ، لأنَّ ذلك وصف له تعالى بالنقص ، والله تعالى منزّه عن النقائص متصف بصفات الكمال التي لا مثل ولا نظير له فيها .

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله : « وصفاته كلها في الأزل بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لا كقدرتنا »^(٢) .

وذكر الإمام عبد العزيز الكنتاني رحمه الله أنَّ من قال بحدوث علم الله بعد أن لم يكن فقد شبهه بخلقه ، ووصفه بالجهل ، لأنَّ كل من تقدم وجوده علمه فقد دخل في حكم الجهل فيما بين وجوده إلى حدوثه ، وهذه صفة المخلوقين ، والله عز وجل أعظم وأجل من أن يُوصف بذلك ، أو يُنسب إليه ذلك^(٣) !

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ من يصف الله بأنه يعلم ما لم يكن عالماً به فقد وصفه بأعظم النقائص ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(٤) . والرب تعالى منزّه عن كل نقص وموصوف بالكمال الذي لا نقص فيه ، وهو منزّه في صفات الكمال أن يُماثل شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين ، فليس له كفواً أحد في شيء من صفاته لا في علمه ولا في قدرته ولا في كلامه ، فليس علمه مثل علم المخلوقين ، ولا قدرته مثل قدرتهم ، ولا كلامه مثل كلامهم ، لأنه تعالى ليس كمثله شيء لا

(١) انظر : كتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٤٥٠/٨ .

(٢) الفقه الأكبر لأبي حنيفة مع شرح ملا القاري ص/٣١-٣٢ .

(٣) انظر كتابه : الحيدة ص/٤٦ .

(٤) انظر : منهاج السنة ٢/٣٩٤-٣٩٥ .

في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله^(١).

وذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عند شرحه لقول شيخ الإسلام في صفة العلم « الذي هو موصوف به أزلا وأبدا » ذكر أن في كون الله تعالى موصوفا بالعلم أزلا نفيًا للجهل ، وفي كونه موصوفا به أبدًا نفيًا للنسيان ، ولهذا كان علم الله عز وجل غير مسبوق بجهل ، ولا ملحق بنسيان ، كما قال موسى عليه السلام لفرعون كما حكى الله عنه : ﴿ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [طه : ٥٢] بخلاف علم المخلوق المسبوق بالجهل ، والملحق بالنسيان^(٢).

الوقفه الخامسة : أما شبهة هشام بن الحكم السابقة في إنكاره علم الله الأزلي

لو كان لم يزل عالما بالمعلومات لكانت المعلومات أزلية ، والمعلومات ليست موجودة أزلا ، فإن هذه الشبهة باطلة ، لأنها أو لا معارضة للنصوص المثبتة لعلم الله تعالى الأزلي للأشياء قبل وجودها ، وما كان معارضا للنصوص فهو باطل فاسد ! فلاربط كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله بين العلم والمعلوم ، فإن الله تعالى كان عالما بالمعلوم قبل وجوده ولا تلازم بينهما^(٣).

وثانيا : إنها شبهة مبنية على قياس الخالق على المخلوق ، فإنه لما رأى المخلوق لا يعلم الشيء إلا بعد وجوده وحصوله قاس عليه علم الخالق فشبهه بعلم المخلوق والله تعالى لا يُقاس بخلقه لأنه « لا نظير له ولا شبيهه ولا مثيل ، فكيف يُقاس بهم !؟ بل هو تعالى الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وقد

(١) انظر : كتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٤٣١/٨ ومذهب السلف القويم في تحقيق مسألة

كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٤٤٠/٣ .

(٢) انظر كتابه : شرح العقيدة الواسطية ٩٥/٢ .

(٣) انظر : الرد على المنطقيين ص/٤٦٦-٤٦٧ .

تقدم أقوال الأئمة في تنزيه الله تعالى وصفاته عن القياس بالخلق^(١)، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

فَعَلِمَ مَا تَقْدِمُ بَطْلَانِ مَقَالَةِ الْمَشْبُوهَةِ فِي صِفَةِ الْعِلْمِ وَمَوْقِفِ أَهْلِ السَّنَةِ مِنْهَا ، وَأَنَّهُ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بِعِلْمِهِ الْأَزْلِيِّ الَّذِي هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ الثَّابِتَةِ لَهُ تَعَالَى أَزْلاً وَأَبْداً ، فَهُوَ تَعَالَى عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَالِمَ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ ، وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ !

والله تعالى منزّه عن أن يكون علمه حادثاً بعد أن لم يكن ، لأنّ هذا ووصف له بعلم الخلق ، وهو تعالى لا مثيل له ولا شبيهه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ !



(١) انظر : ٤٠٦/١ - ٤١٠ .

المطلب الثاني

مقالة المشبهة في صفة الإرادة وموقف أهل السنة منها

أثبت المشبهة صفة الإرادة إلا أنهم انحرفوا في طريقة إثباتها إلى التشبيه المذموم فأثبتوا ما ينتزه عنه الباري عز وجل ، وقالوا فيها مقالات فاسدة مناقضة لصفات الكمال ، وذكر بعضهم في ذلك كلاما مجملا مبتدعا .

فمن المشبهة من جعل إرادة الله تعالى حادثة اتصف الله بها بعد أن لم يكن موصوفاً بها كما فعل الزرارية من الرافضة الذين زعموا أن الله لم يكن في الأزل مريداً حتى أحدث لنفسه ذلك فصار مريداً^(١) ومن الذين قالوا بالتشبيه في صفة الإرادة المعتزلة الذين نفوا مشيئة الله تعالى وإرادته الكونية ، وشبهوه بالخلق حيث زعموا كما حكى عنهم الإمام أبو القاسم التيمي رحمه الله إن الله لا يشاء المعاصي لعباده ثم يُعاقبهم عليها ، لأنَّ الحكيم العاقل من المخلوقين لا يجوز هذا ، ولأنَّ هذا داخل في باب الظلم ، لأنَّ كل مخلوق أتى مثل هذا يُسَمَّى ظلماً ، فقاسوا أمر الله على أمر المخلوق وشبهوا الله بالمخلوق^(٢)!

وزعم معتزلة البصرة أن الله يريد مرادته بإرادة حادثة ، ثم تطاولوا فادَّعوا أنَّ إرادته تعالى من جنس إرادة المخلوقين ، ثم فضلوا إرادة المخلوق على إرادة الله فزعموا أنَّ إرادة الله حادثة لا في محل ، ولا يصح إرادة المخلوق إلا في محل^(٣)! قال القاضي عبد الجبار^(٤): « قال شيخنا أبو علي الجبائي^(٥) ، وأبو

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص/٧٦ وخطط المقرئ ٢٩٦/٣ .

(٢) انظر: الحججة في بيان الحججة ١/٣٢٤-٣٢٥ .

(٣) انظر: الفرق بين الفرق ص/١٨١ والملل والنحل ١/٥١١ ومعالم أصول الدين للرازي ص/٥٨ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر: ٣١٨/١ .

(٥) أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان =

هاشم^(١)، ومن تبعهما : إنه - تعالى - يريد في الحقيقة ، وأنه يحصل مریدًا بعد أن لم يكن إذا فعل الإرادة ، وأنه يريد إرادة مُحدثة^(٢) .

وذكر أن الله - تعالى - عند المعتزلة يريد إرادة مُحدثة موجودة لا في محل^(٣) .
وذكر الإمام أبو الحسن الأشعري اختلاف الروافض في إرادة الله تعالى إلى أربع فرق ، سأذكر ثلاث مقالات من مقالاتهم^(٤) مختصرة :

١ - منهم من زعم أن إرادة الله حركة وهي معنى لاهي الله ولاهي غيره ، وأنها صفة لله ليست غيره ، وزعموا أن الله إذا أراد شيئًا تحرك فكان ما أراد . وهؤلاء هم أصحاب هشام بن الحكم ، وهشام الجواليقي .

٢ - وفرقة منهم^(٥) يقولون ما قال به الهشامان^(٦) إلا أنهم خالفوهما فزعموا أنها غير الله بها يتحرك .

٣ - والفرقة الثالثة منهم هم القائلون أن إرادة الله ليست حركة . ثم اختلفوا فيها ،

= رضي الله عنه الجبائي نسبة إلى مجي من قرى البصرة ، من أئمة المعتزلة ، ورئيس علماء الكلام في عصره ، وإليه تنسب طائفة الجبائية من المعتزلة . مات سنة ٣٠٣ هـ انظر : وفيات الأعيان ٤ / ٢٦٧ وسير أعلام النبلاء ٢ / ١٨٩ ولسان الميزان ٥ / ٢٧١ والأعلام ٦ / ٢٥٦ .

(١) أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي ، من أئمة المعتزلة في البصرة في عصره ، ورئيس فرقة البهشية من المعتزلة . مات سنة ٣٢١ هـ وإليه تنسب فرقة البهشية من المعتزلة انظر : وفيات الأعيان ٣ / ١٨٣ وسير أعلام النبلاء ٥ / ٦٣ والملل والنحل ١ / ٧٨ ومعجم المؤلفين ١٠ / ٢٦٩ والأعلام ٤ / ٧ .

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ٦ / ٣ .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص / ٤٤٠ .

(٤) لأن المقالة الرابعة ترجع إلى المقالات الثلاثة ١

(٥) كأبي مالك الحضرمي ، وعلي بن ميثم ، ومن تابعهما . انظر : مقالات الإسلاميين ١ / ١١٥ .

(٦) ابن الحكم والجواليقي .

فمنهم من أثبتها غير المراد ، فزعموا أنها : مخلوقة لله لا بإرادة ، ومنهم من زعم أن إرادة الله لتكوين الشيء هو الشيء ، ولأفعال العباد هي أمرهم بالفعل ، وأبوا أن يكون الله تعالى أراد المعاصي من العباد فكانت (١)!

وقد أرجع شيخ الإسلام رحمه الله هذه المقالات إلى أصلها فبين أن القول الأول هو قول البصريين من المعتزلة ، والثاني قول البغداديين منهم ، والثالث قول متأخري الشيعة الذين اتبعوا المعتزلة (٢)!

ويعتقد جميع الرافضة الإمامية أن إرادة الله تعالى حادثة ، وأنها ليست عامة لجميع الكائنات ، وأن كثيراً من الموجودات تُوجد بلا إرادة الله كالشروع والمعاصي والفسوق والكفر ونحوها (٣). وهذه عقيدة المعتزلة كما تقدم الإشارة إليها !

أما الكرامية فلم يقولوا بالتشبيه في صفة الإرادة بل قالوا كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله بإرادة واحدة قديمة (٤) كما يقول الأشعرية وغيرهم (٥) لكن خالفوهم بقولهم : تحدث عند تجدد الأفعال إرادات في ذاته تعالى بتلك المشيئة القديمة (٦)!

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ١/١١٥-١١٦ وراجع منهاج السنة ٢/٢٤٠-٢٤١ ودرء التعارض ٢/٣٣٢-٣٣١ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٢/٢٤٢ .

(٣) انظر : مختصر التحفة الإمامية الاثني عشرية ص/٨٣ .

(٤) لكنهم كما سيأتي قد وصفوا الإرادة القديمة بصفات مجانية للصواب ناقشهم فيها شيخ الإسلام انظر : ١/٥١٠-٥١٢ .

(٥) انظر : الإرشاد للجويني ص/٧٩-٨٠ و ملح الأدلة له ص/٩٥ وأصول الدين لعبد القاهر البغدادي ص/١٠٢ والتمهيد في أصول الدين لأبي المعين النسفي ص/٣٦ والاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص/٦٦ وشرح العقائد النسفية للفتنازاني ص/٥١ وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص/٦٥-٦٦ وشرح العقيدة الطحاوية لعبد الغني الغنيمي الحنفي ص/٥٣ .

(٦) انظر : تفسير سورة العلق لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ١٦/٣٠٢ .

فهم كما ذكر شيخ الإسلام أقرب إلى الحق من حيث أثبتوا إرادات الأفعال ولكن يلزمهم على قولهم هذا إثبات حوادث بلا سبب حادث ، وتخصيصات بلا مخصص^(١).

فتحصل من مقالات طوائف المشبهة في صفة الإرادة - ماعدا الكرامية - ومن قالوا فيها بالتشبيه من المعتزلة ما يلي :

أ - القول بحدوث نوع الإرادة ، وأن الله صار مريدا بعد أن لم يكن كذلك وبذلك قالت : طوائف من الرافضة وغيرهم ، وكذا المعتزلة والإمامية الاثني عشرية !
ب - إن إرادته تعالى من جنس إرادة المخلوقين ، وأنها حادثة لا في محل ، وبهذا قال معتزلة البصرة !

ج - إن إرادته تعالى ليست شاملة لجميع الأشياء ، وأنه لا يريد الكفر والمعاصي والشور ، وبه قال المعتزلة والإمامية !

د - إن إرادته حركة ، وأنه إذا أراد شيئاً تحرك فكان ما أراد ، وأنها لا هي غيره ، ولا هي إياه ، وبه قال الهشامية ، ومن وافقهم من المعتزلة !
وستكون مناقشتهم وبيان موقف أهل السنة من مقالاتهم في صفة الإرادة في هذه الأمور الأربعة المذكورة في مواقف :

الوقف الأولى : أما مقالاتهم إن الله لم يكن مريدا حتى أحدث لنفسه ذلك

فصار مريدا

فإنها باطلة عند أهل السنة يجب تنزيه الله عنها ، ولا يجوز وصف الرب بذلك ، لأنه تعالى موصوف بصفات الكمال أزلا وأبداً وفقدتها في وقت من الأوقات نقص في حقه تعالى ، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده^(٢).

(١) انظر : المرجع نفسه ٣٠٢/١٦ وراجع : موقف شيخ الإسلام من الكرامية ص/ ٢٦٦ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/ ١٢٧-١٢٨ ومعارج القبول ١٤٠/١-١٤١ .

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن هذه المقالة^(١) أبطلها السلف وقالوا : بأن ما يقوم به من نوع الكلام والإرادة والفعل إما أن يكون صفة كمال أو صفة نقص فإن كان كمالاً يزل ناقصاً حتى تجدد له ذلك الكمال ، وإن كان ناقصاً فقد نقص بعد الكمال !

وهذه الحجة لا تبطل قيام نوع الإرادة والكلام شيئاً بعد شيء ، فإن ذلك إنما يتضمن حدوث أفراد الإرادة والكلام لاحدوث النوع ، والنوع مازال قديماً ومازال متصفاً بالكلام والإرادة وذلك صفة كمال ، فلم يزل متصفاً بالكلام ولا يزال ، بخلاف ما إذا قيل : صار مريداً ومتكلماً بعد أن لم يكن كذلك ! وأن النوع لو كان حادثاً بذاته بعد أن لم يكن لزم كماله بعد نقصه أو نقصه بعد كماله ، والله تعالى لا يقوم بذاته نوع من أنواع الصفات الحادثة فلا تحدث له إرادة بعد أن لم تكن ، بل لم يزل عز وجل مريداً ، وإن حدثت له تعالى فإنما يحدث أفرادها ، أي : إرادة هذا النوع الحادث المعين^(٢) . فإن الله تعالى متصف بها أزلاً ! والله تعالى إنما أراد الأمور السابقة بعد أن أراد قبله ما يقتضي إرادته ، فكان حصول الإرادة اللاحقة بالإرادة المستقبلية^(٣) . فهو سبحانه وتعالى لم يزل موصوفاً بإرادته أزلاً وأبداً ، مريداً في الأزل لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت وفق إرادته السابقة من غير تقدم ولا تأخر فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الفعال لما يُريد ، لا راداً لما أراد ، ولا معقب لما حكم^(٤) .

(١) مقالة من يقول بحدوث نوع صفة الكلام والإرادة . ١

(٢) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٣٢٥-٣٢٨ .

(٣) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن المرجع نفسه ٦/٣٢٥ .

(٤) انظر : كتاب الحديث لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ١٨/١٣٢ وشفاء العليل ص/

٨٠ و٨٣ وشرح الفقه الأكبر للا علي القاري ص/١٩ ومعارج القبول للحكمي ٣/٩٤٠ .

والقرآن والسنة مملوءان بتكذيب من يقول : إنَّ الله لم يكن مريداً في الأزَل ثم حدثت له الإرادة فصار مريداً بعد أن لم يكن كذلك ، ومن الأدلة الناقضة لهذه المقالة الفاسدة قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٧] وقوله تعالى : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ﴾ [الكهف : ٨٢] وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ يَقُومُ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ﴾ [الرعد : ١١] .
ومن الأحاديث الدالة على إرادة الله الأزلية للأشياء قبل كونه قول النبي ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »^(١) وقوله ﷺ : « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن »^(٢) وقوله ﷺ : « إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها ، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر ، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره »^(٣) .
والنصوص الدالة على إرادة الله الأزلية قبل كونها كثيرة جداً^(٤) ، فمن أنكر إرادة الله

- (١) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الزكاة ٧١٨/٢ و٧١٩ و٧١٩ ح ١٠٣٧ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .
- (٢) جزء من حديث رواه أبو داود في كتاب الأدب ٣١٥/٥ - ٣١٦ ح ٥٠٧٥ عن بعض بنات النبي ﷺ وروى أثره مثله في كتاب السنة ١٨/٥ - ٢٠ ح ٤٦١٢ عن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ورواه البغوي في شرح السنة ١١٤/٥ ح ١٣٢٧ وذكره النووي في كتاب الأذكار ٢٣٦/١ صحيحه وضعفه وذكر الشيخ سليم الهلالي أنه ضعيف ، لأنَّ في إسناده راويين مجهولين وهما : عبد الحميد مولى بني هاشم وأمه انظر : المرجع السابق الهامش ٢١٨ . لكن معناه صحيح .
- (٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل ١٧٩١/٤ - ١٧٩٢ ح ٢٢٨٨ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .
- (٤) انظر لذلك المراجع الآتية : كتاب الحديث لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ١٣٢/١٨ وكتاب القدر له ضمن مجموع الفتاوى ١٨٨/٨ و١٩٧ و١٩٨ وشفاء العليل لابن القيم ص/ ٨٧-٨٨ ومختصر التحفة الاثنى عشرية لشاه عبدالعزيز الدهلوي اختصار محمود شكري الألويسي ص/ ٨٣-٨٤ ومعارج القبول للحكيمي ٤٩٠/٣ .

الأزلية للأشياء وزعم أن الله لم يكن مريدا حتى صار كذلك لم يؤمن بقدر الله تعالى^(١)، لأن من الإيمان به عز وجل أن يؤمن بإرادة الله الأزلية ومشيئته الكونية للأشياء قبل كونها فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن !

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن الكرامية ذكروا للإرادة الأزلية صفات باطلة يُعلم بصريح العقل أن الإرادة لا تكون هكذا :

الأولى : قولهم إنها تكون ولا مراد لها بل لا يزال كذلك ، ثم حدث مرادها من غير تحول لها .

وقد بين شيخ الإسلام بطلان هذه المقالة بقوله : « وهذا معلوم الفساد ببديهة العقل ، فإن الفاعل إذا أراد أن يفعل فالمتقدم كان عزما على الفعل ، وقصدا له في الزمن المستقبل لم يكن إرادة للفعل في الحال ، بل إذا فعل فلا بُدَّ من إرادة الفعل في الحال ، ولهذا يُقال : الماضي عزمٌ ، والمقارن قصدٌ ، فوجود الفعل بمجرد عزمٍ من غير أن يتجدد قصد من الفاعل ممتنع ، فكان حصول المخلوقات بهذه الإرادة ممتنعا لو قُدِّرَ إمكان حدوث الحوادث بلا سبب^(٢) ، فكيف وذلك أيضا ممتنع في نفسه فصار الامتناع من جهة الإرادة ، ومن جهة - أنها - تعينت بما هو ممتنع في نفسه^(٣) !

الثاني قولهم : إن الإرادة ترجح مثلا على مثل . وهذه المقالة كما ذكر شيخ الإسلام مكايرة للعقل بل لا تكون الإرادة إلا لما ترجح وجوده على عدمه عند الفاعل إما لعلمه بأنه أفضل ، أو لكون محبته له أقوى ، وهو : إنما يترجح في العلم لكون عاقبته أفضل فلا يفعل أحد شيئا بإرادته إلا لكونه يحب المراد ، أو يحب ما

(١) تقدم ذكر مراتب الإيمان بالقدر انظر : ١ / ٤٩٨ .

(٢) الكرامية كما ذكر شيخ الإسلام يقولون بذلك انظر : كتاب التفسير ضمن مجموع الفتاوى

. ٤٥٧/١٦

(٣) المرجع نفسه ٤٥٩/١٦ .

يؤول إليه المراد ، بحيث يكون ذلك المراد أحبَّ إليه من عدمه ، لا يكون وجوده وعدمه عنده سواء^(١).

والله سبحانه وتعالى يخلق بمشيئته وباختياره ، وأنه يختار الأحسن ، وأن إرادته تُرجح الراجح الأحسن ، وهذه حقيقة الإرادة ، ولا تُثقل إرادةً ترجح مثلاً على مثل ولو قُدِّر وجود مثل هذه الإرادة فتلك أكمل وأفضل ، والخلق متصفون بها ، ويمتنع أن يكون المخلوق أكمل من الخالق ، والمحدث الممكن أكمل من الخالق القديم فوجب أن يكون ما توصف به إرادته تعالى أكمل مما تُوصف به إرادة غيره ، ويجب أن يريد بها ما هو الأو لى والأحسن والأفضل^(٢).

الثالث : وقالوا إنَّ الإرادة الجازمة يتخلف عنها مرادها مع القدرة . وهذه المقالة أيضاً كما ذكر شيخ الإسلام باطلة بل متى حصلت القدرة التامة ، والإرادة الجازمة وجب وجود المقدور وحيث لا يجب : فإنما هو لنقص القدرة ، أو لعدم الإرادة التامة والرب تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن !

وهو عز وجل قد أخبر في كتابه أنه لو شاء لفعل أموراً لم يفعلها ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] وقال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا آفَئْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] فبين « أنه لو شاء ذلك لكان قادراً عليه ، لكنه لا يفعله لأنه لم يشأه ، إذ كان عدم مشيئته أرجح في الحكمة مع كونه قادراً عليه لو شاءه^(٣) ! فهؤلاء المتبدعة بسبب انحرافهم عن منهج السلف في صفة الإرادة وغيرها انحروا من بدع إلى بدع ، فمن وصفهم بعض صفات الله تعالى بأنها حادثة بعد أن لم

(١) انظر : المرجع نفسه ٤٥٨/١٦-٤٥٩ .

(٢) انظر : جامع الرسائل والمسائل لابن تيمية المجموعة الأولى ص/١٤١ .

(٣) انظر : كتاب التفسير لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٤٥٩/١٦ .

تكن كصفة الكلام والعلم - كما تقدم - قالوا بتخلف المراد عن الإرادة ، وقالوا بحدوث الخلق بلا سبب يوجب حدوثه وبترجيح أمر بلا سبب يوجب ترجيحه ونحو ذلك من المقالات الفاسدة التي اضطروا إلى القول بها عندما صدموا بالنصوص الدالة على صفات الله الأزلية ، ولو اتبعوا منهج أهل السنة في ذلك لاستراحوا من هذا العنت والخوض في أمورٍ يمتنع تصورها بالعقل الصريح ، ولهدوا إلى الحق الذي تطمئن إليه القلوب ، لكنهم اتبعوا الكلام المذموم ، فحرموا الوصول إلى الحق ، وانجروا من بدع إلى بدع ، يُحار ذوالعقل السليم عن تصورها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وتعالى الله عن مقالاتهم الفاسدة علوا كبيرا .

الوقفه الثانية : أما مقالة المعتزلة إن إرادة الله تعالى من جنس إرادة المخلوقين

وإنها حادثة لا في محل فباطلة عند أهل السنة والجماعة

لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله ، وإرادته عز وجل ليست من جنس إرادة المخلوقين ، إذ لو كانت كذلك لاتصف تعالى بصفات النقص الخاصة بالمخلوقين ، والله تعالى منزه عن ذلك موصوف بصفات الكمال التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه ، وهو تعالى منزه في صفاته أن يُمائل شيء منها صفات المخلوقين ، فليس له كفو أحد في شيء من صفاته لا في علمه ولا في قدرته ولا في إرادته ولا في خلقه ولا في غير ذلك من صفاته التي وصف بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ، لا مثيل له في ذلك ولا شبيهه^(١) ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

ومن يتصور الفرق بين إرادة الله وإرادة المخلوق الناقص يتبين له مدى كذب هؤلاء المبتدعة ، وإرادة الله أزلية شاملة لجميع الكائنات : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ

(١) انظر : كتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٤١٣/٨ .

يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ [يس : ٨٢] وإرادة المخلوق حادثة موجودة بعد أن لم تكن ناقصة ، ليس له من أمره شيء إلا ما أراد الله له ، تابعة لمشيئة الله تعالى ، فلا يستطيع إرادة أمرٍ إلا إذا أقره الله على ذلك ، لأنه وإن كانت له مشيئة فمشيئته وإرادته تابعة لإرادة الله تعالى ومشيئته كما قال تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكويد : ٢٨ - ٢٩] (١) .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : « فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه ، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء الله ، فيقال : لرسول الله ﷺ : « ما شاء الله ثم شئت ، ولا يُقال ما شاء الله وشئت » (٢) . (٣) !

فإذا كان الأمر كذلك فكيف تكون إرادة الله تعالى كما يقول هؤلاء المبتدعة من جنس إرادة المخلوق ، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف : ٥] بل هو عز وجل لا مثيل له لا في ذاته ولا في جميع صفاته وأفعاله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

أما مقالاتهم : إن إرادة الله حادثة لا في محل فهذه من أفسد أنواع المقالات التي لا يتصورها من له أدنى مسكة من عقل وإيمان ، وقد قالوا بها فرارا من التشبيه الذي وقعوا فيه ، وهو أنهم لما جعلوا إرادة الله حادثة كإرادة المخلوق شعروا بهذا التشبيه الفظيع ففروا منه إلى التعطيل ، وهو جعلهم إرادة الله تحدث لا في محل

(١) انظر : معارج القبول ٣/٩٤٠-٩٤١ .

(٢) ورد حديث بمعناه عن حذيفة « عن النبي ﷺ قال : « لاتقولوا ماشاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ماشاء الله ثم شاء فلان » . رواه أبو داود في كتاب الأدب ٥/٢٥٩ ح ٤٩٨٠ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/٢١٤ ح ١٣٧ وروى بلفظ قريب منه النسائي عن قتيلة رضي الله عنها ٤/١٠٤ ح ٣٧٨٢ باسناد حسن كما ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ٨/٧٩ .

(٣) شفاء العليل ص/٨٤ .

وهذا اعتقاد فاسد وتَقْوُلُ بالمحال الذي يصعب تصوره عند ذوي العقول الصحيحة والفطر السليمة ، فإن كل إرادة لا بُدَّ لها من مرید ومقاتلهم هذه تنقض ما زعموه من أن إرادة الله من جنس إرادة المخلوق ، فإذا كانت كذلك فلماذا لا تكون كما ذكر أبو منصور البغدادي مثلها في محل ١١٢ ؛ لأنَّ الشيعين إذا كانا متماثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ، ويستحيل عليه ما يستحيل على الآخر^(١) !

ولو كانت إرادة الله حادثة لا في محل لكانت كما ذكر الرازي^(٢) إرادة المخلوق أكمل منها ، لأنها حادثة لكنها فيه ، ولأنَّ سائر الأحياء يقبلون أن يكونوا مریدين والله على زعم المعتزلة غير قابل لذلك^(٣) !

فالمعتزلة كما ذكر شيخ الإسلام يصفون الله بما يخلقه في العالم ، إذ ليس عندهم صفة قائمة به تعالى ، ولا فعل قائم به يسمونه به ، فيصفون الله تعالى بما يخلقه في العالم مثل قولهم هو : متكلم بكلام يخلقه في غيره^(٤) ، ومرید بإرادة لا في محل قد طافوا على أبواب المذاهب ، وفازوا بأخس المطالب فإنهم التزموا عرض يحدث لا في محل ، وحادثا يحدث بلا إرادة^(٥) . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

الوقفه الثالثة : أما مقالة المعتزلة ومن تبعهم من الرافضة^(٦) إنَّ إرادة الله تعالى

ليست شاملة لجميع الأشياء ، وإنَّ الكفر والمعاصي والشور خارجة عن ذلك فباطلة

وذلك لأنَّ جميع الأشياء لا تخرج عن إرادة الله تعالى سواء كان ذلك خيرا أو

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص/ ٢٢٨-٢٢٩ .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) انظر كتابه : معالم أصول الدين ص/ ٥٨-٥٩ .

(٤) تقدمت الإشارة إلى مذهب المعتزلة في صفة الكلام انظر : ٤٦٤/١ وسيأتي بيانه ٢ / ٤٠١ .

(٥) انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١/ ٢٤٦-٢٤٧ .

(٦) متأخرو الرافضة كما تقدم على مذهب المعتزلة في الصفات انظر : ص/ ١٥٠ و ١٧٣-١٧٤ .

شرا ، إيماناً أو كفرةً ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فمن أراد الله له الإيمان وفقه لذلك وهداه ، ومن أراد ضلاله وكفره منعه من الهداية ، مهما حرص على ذلك فإنه والعياذ بالله لن يُوفق ولو حرص على ذلك أشد الحرص !

ومن الأدلة الدالة على تكذيب مقالة هؤلاء المبتدعة قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٤١] . وقال تعالى حكاية لقول نوح عليه السلام لقومه : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود : ٣٤] وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَا يصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] وقال عز وجل لخليله محمد ﷺ مخبراً له عن مآل المنافقين الذي أراده بهم : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٨٥] وقال عز وجل : ﴿ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٣٩] فهذه الآيات تدل على إرادة الله تعالى الكونية للكفر والمعاصي ، كما يريد الإيمان والطاعات إرادة شرعية دينية ، فالكفر والمعاصي مبغوضة لله تعالى مكروهة له نهى عنها ورتب العقاب على مرتكبيها ، لكن أرادها وقدرها ، والإيمان والطاعات محبوبة لله تعالى وأمر بها ورتب الثواب على فعلها !

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله سبب ضلال هؤلاء المبتدعة الذين أخرجوا الكفر والمعاصي عن إرادة الله تعالى وهو : جعلهم الرضى والمحبة بمعنى الإرادة ، ثم قالوا : والكفر والفسوق والمعاصي لا يحبها ولا يرضاهما بالنص وإجماع الفقهاء ، فلا يُريدها ولا يشاؤها ، فجعلوا أفعال العباد كالكفر والفسوق والعصيان ليست مقدورة

له عز وجل ، وهي خارجة عن مشيئته وخلقه وبهذا أنكروا عموم مشيئة الله تعالى وعموم خلقه وقدرته ، وظنوا أنه لا معنى إلا أمره ، فما شاءه فقد أمره ، وما لم يشأ لم يأمره ، فلزمهم أن يقولوا : إنه قد شاء مالا يكون ، ويكون مالا يشاء ، وأنكروا أن يكون الله تعالى خالقا لأفعال العباد ، أو قادرا عليها^(١) . وما يقع في الوجود من الكفر والمعاصي والفسوق فإن الله يغيض ذلك ويسخطه ويكرهه وينهى عنه ، وهو سبحانه قد قدره وقضاه وشاءه بإرادته الكونية ، وإن لم يرده إرادة دينية شرعية^(٢) . وإن شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه ليس في السموات والأرض من حركة ولا سكون ولا عمل إلا بمشيئته جل وعلا ، ولا يكون في ملكه ما لا يريد ! وإن الذي عليه أهل السنة والجماعة أن إرادة الله تعالى للأشياء نوعان :

إرادة كونية قدرية كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] وقول النبي ﷺ : « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن »^(٣) فجميع الكائنات داخلة في هذه الإرادة والمشيئة لا يخرج عنها خير ولا شر ، ولا عرف ولا نكر ، وهذه الإرادة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعي ، ولا تستلزم المحبة ، وإنما هي إرادة قضاء وتقدير شاملة لجميع الكائنات ، محيطة بجميع الحوادث . وإرادة دينية شرعية وهي بمعنى المحبة والرضى كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾^(٤) [البقرة : ١٨٥] .

(١) انظر : منهاج السنة ٣/١٨١-١٨٢ وكتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٨/

١٨٨ و٣٥٠ والإحتجاج بالقدر ص/٦٦-٦٧ .

(٢) انظر : كتاب الحديث ضمن مجموع الفتاوى ١٨/١٣٢ .

(٣) تقدم عزوه قريبا .

(٤) انظر : كتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٨/١٨٨-١٩٠ و١٩٧ و٤٧٦ وكتاب الحديث ضمن

مجموع الفتاوى ١٨/١٣٢ ومنهاج السنة ٣/١٦-١٧ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص/

١١٦ وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص/٤٦-٤٧ .

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله الأقسام التي تتعلق بها الإرادتان التي من فهمها سلم من مقالة أهل القدر والإعتزال الذين نفوا عموم إرادة الله للأشياء وهي كما ذكر: أحدها : ما تعلقت به الإرادتان ، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة فإنَّ الله أرادته إرادة دين وشرع ، فأمر به وأحبه ورضيه ، وأرادته إرادة كونية فوقه ولولاذلك لما كان .

والثاني : ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط ، وهو : ما أمر الله به من الأعمال الصالحة فعصى ذلك الكفار والفجار ، فهذا مراد شرعا ، وهو تعالى يحبه ويرضاه وقع أو لم يقع .

والثالث : ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط ، وهو ما قدره الله وشاءه من الحوادث التي لم يأمر الله بها ولم يرضها ولم يحبها كالمعاصي فإنه لا يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها إذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولكنها مرادة لله تعالى كونا ولولا ذلك لما وقعت فإنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

والرابع : ما لم تتعلق به الإرادتان وذلك مما لم يقع ولم يكن من أنواع المباحات والمعاصي^(١) . فهؤلاء المبتدعة كما هم مشبهون لإرادة الله بإرادة المخلوق بجعلها حادثة بعد أن لم تكن ، وزعمهم أنها من جنس إرادة المخلوق ، وأنها غير شاملة للأشياء فإنهم أيضا مشبهة في الأفعال وهذا قول باطل ، كما أن تمثيل الخالق بالمخلوق ، والمخلوق بالخالق في الصفات باطل .

فهم كما ذكر شيخ الإسلام يشبهون الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق في الأفعال ، وقد شاركوا المجوس^(٢) في تشبيه أفعال الله تعالى بأفعال الواحد من الآدميين ووضعوا له بالقياس على أنفسهم فأوجبوا على الله وحرموا عليه من جنس

(١) انظر : كتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ١٨٨/٨-١٨٩ .

(٢) تقدم التعريف بهم انظر : ٢١٩/١ .

ما يجب عليهم ويحرم عليهم^(١)!

وهذا وصف له « بالنقائص ، وتمثيل له بالخلق ، والله تعالى موصوف بصفات الكمال التي لانقص فيها ، منزه في ذلك عن الشبيه والمثيل ، وكما أن تمثيل الخالق بالخلق ، والخلق بالخالق في الصفات باطل ، فكذلك تمثيل الخالق بالخلق والخلق بالخالق في الأفعال باطل يجب تنزيه الله عنه ، ومذهب السلف في ذلك إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل ، وأن أفعال الله تعالى لا تُتمثل بأفعال المخلوقين فإن المخلوقين عبده يظلمون ويأتون الفواحش^(٢)! والله تعالى منزه عن ذلك ، لأنه لا مثيل له ولا نظير ، ولا سمي ولا كفو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .
الوقفة الرابعة : أما مقالة الهشامية إن إرادته تعالى حركة ، وهل هي الله أو غيره فإن هذه مقالة مجملة مبتدعة ، ولم أجد من تكلم في الصفات الذاتية كصفة الإرادة وغيرها بأنها حركة غير هؤلاء المبتدعة ، ومن تكلم في ذلك فإتما كان منه في الصفات الفعلية كصفة النزول والإتيان ، وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله نزاع الناس في ذلك فذكر :

أ- إن المعطلة ينفون الحركة مطلقا وبكل معنى ، ويضمنونه نفي الصفات الفعلية ، وأول من عُرف عنهم ذلك الجهمية والمعتزلة ، ثم انتقل عنهم إلى الكلاية والأشعرية وغيرهم .
ب - وأثبت المشبهة كالهشامية والكرامية وغيرهم من طوائف أهل الكلام لفظ الحركة^(٣) .

(١) انظر : كتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى المرجع السابق ٤٣١/٨ وجامع الرسائل والمسائل ١/ ١٢٨-١٢٩ .

(٢) انظر : كتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٤٣١/٨-٤٣٢ .

(٣) انظر : شرح حديث النزول ص/٤٥٥-٤٥٧ وضمن مجموع الفتاوى ٥٧٥/٥-٥٧٦ وكتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٢٣/٨-٢٤ .

أما موقف أهل السنة من ذلك فإن من أهل السنة من يُثبت لفظ الحركة ومنهم الإمام الدارمي فقد ذكر رحمه الله أن لفظ الحركة من لوازم الحياة ، وكل حي يتحرك ونصره على أنه قول أهل السنة والحديث^(١).

وذكر حرب بن إسماعيل الكرماني^(٢) أنه قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، والحميدي^(٣) ، وسعيد بن منصور^(٤) ، وغيرهم^(٥) . وطائفة أخرى من أئمة السنة كنعيم بن حماد ، والبخاري ، وابن خزيمة ، وابن عبد البر^(٦) ، وغيرهم يثبتون المعنى الذي يشتهه هؤلاء ، ويسمون ذلك فعلا ونحوه ومن هؤلاء من يمتنع عن إطلاق لفظ الحركة لكونه غير مأثور^(٧).

وقد رجح شيخ الإسلام أن المأثور عن الإمام أحمد إنكار ذلك ولم يثبت عنه لفظ الحركة ، وإن أثبت أنواعا قد يُدرجها المثبت في جنس الحركة فإنه سمع شخصا يروي حديث النزول ، ويقول : ينزل بلا حركة ولا انتقال ، ولا بغير حال . فأنكر أحمد ذلك وقال : قل كما قال رسول الله ﷺ فهو كان أغير على ربه منك^(٨) ! أما العقيدة التي ذكرها حرب بن إسماعيل الكرماني والتي فيها تصريح الإمام أحمد بإثبات الحركة - كما تقدم - فقد قال عنها شيخ الإسلام : « ليست هذه

(١) انظر كتابه : الرد على المريسي ص/٥٤-٥٥ وراجع : درء التعارض ٧/٢ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٤٧٦/١ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٤٧٧/١ .

(٤) أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني ، نزيل مكة . قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة مصنف » توفي سنة ٢٢٧هـ انظر : تقريب التهذيب ١/٣٦٥ .

(٥) انظر : درء التعارض ٧/٢ وشرح حديث النزول ص/٤٥٧ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٥٧٧ .

(٦) تقدمت ترجمة نعيم بن حماد وابن خزيمة وابن عبد البر انظر : ١١٠/١ و ١١١ و ١٢٥ .

(٧) انظر : درء التعارض ٨/٢ .

(٨) انظر : الإستقامة لابن تيمية ١/٧٢-٧٣ .

العقيدة ثابتة عن الإمام أحمد بألفاظها ، فإنني تأملت لها ثلاثة أسانيد مظلمة برجال مجاهيل ، والألفاظ هي ألفاظ حرب بن إسماعيل لا ألفاظ الإمام أحمد ... »^(١) .
ولعل الأحسن في هذه المسألة وغيرها فيما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته مراعاة ألفاظ النصوص كما ذكر شيخ الإسلام فيثبت ما أثبتته الله ورسوله باللفظ الذي أثبتته ، ويُنفى مانفاه الله ورسوله كما نفاه ، وهو : أن يثبت النزول والإتيان والحجىء ويُنفى المثل والسمي والكفو والند^(٢) . ولذا قال كثير من أئمة الحديث والسنة المعنى صحيح لكن لا يُطلق لفظ الحركة لعدم مجيء الأثر به^(٣) .

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا : لا نقول يتحرك وينتقل ، ولا ننفي ذلك فهم أسعد بالصواب والاتباع ، فإنهم نطقوا بما نطق به النص ، وسكتوا عما سكت النص عنه وتظهر صحة هذه الطريقة ظهوراً تاماً فيما إذا كانت الألفاظ التي سكت النص عنها مجملة محتملة لمعنيين صحيح وفساد كلفظ الحركة والانتقال والجسم ونحوها من الألفاظ التي تحتها حق وباطل ، فهذه لا تقبل مطلقاً ولا ترد مطلقاً ، فإن الله سبحانه لم يثبت هذه المسميات ولم ينقها فمن أثبتها مطلقاً فقد أخطأ ومن نفاه مطلقاً فقد أخطأ فإن معانيها منقسمة إلى ما يمتنع إثباته لله تعالى وما يجب إثباته له عز وجل .

فإن الحركة قد يُراد بها ما يُراد من انتقال الجسم والعرض من مكان إلى مكان آخر يُحتاج إليه فهذا يمتنع إثباته للرب تعالى .

فمن نفى الحركة وأراد ماهو من خصائص المخلوقين فقد أصاب في المعنى ، ولكن أخطأ في ظنه أن ذلك لازم ما أثبتته الله لنفسه ، ولا يجوز نفي الصفات بإدعاء

(١) المرجع نفسه ٧٣/١ .

(٢) انظر : كتاب التفسير لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٤٢٣/١٦-٤٢٤ .

(٣) انظر : شرح حديث النزول ص/٤٥٧ وضمن مجموع الفتاوى ٥٧٧/٥ ودرء التعارض ٩/٢ .

مايلزمها من اللوازم ! ويراد بالحركة حركة الفاعل من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلا ، فهذا المعنى حق في نفسه لا يُعقل كون الفاعل فاعلا إلا به ، فنفيه عن الفاعل نفي لحقيقة الفعل وتعطيل له .

وقد يُراد بالحركة ما هو أعم من ذلك ، وهو : فعل يقوم بذات الفاعل يتعلق بالمكان الذي قُصد له ، أراد إيقاع الفعل بنفسه فيه ، وقد دل القرآن والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة ، وينزل لفصل القضاء بين عباده ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة وينزل عشية عرفة وينزل كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر^(١)، وهذه أفعال يفعلها سبحانه وتعالى بنفسه في هذه الأمكنة ، فلا يجوز نفيها بنفي الحركة والنقلة المختصة بالخلقين ، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة فما كان من لوازم أفعاله تعالى لم يجز نفيه عنه ، وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباته له ، وحركة الحي من لوازم ذاته ، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالحركة والشعور ، فكل حي متحرك بالإرادة وله شعور ، فنفي الحركة عنه كنفي الشعور وذلك يستلزم نفي الحياة^(٢)!

على أن الذي ينبغي أن يُعلم أن الذين صرحوا بإثبات الحركة من أهل السنة لم يثبتوه ابتداءً كما فعل المشبهة ، وإنما ذكروا ذلك في معرض الرد على المعطلة الذين نفوا الحركة وضمنوه نفي الصفات الفعلية ، ومما يدل على ذلك صنيع الإمام الدارمي رحمه الله فإنه لما نفى بشر الميرسي « الحركة » وقصد به نفي صفة النزول والإتيان ، ردَّ عليه الإمام الدارمي بإثبات الحركة إثباتا للصفات ، وذكر أن الحركة من لوازم الحياة^(٣)!

(١) تقدم عزو حديث النزول انظر : ٤٧٥/١ .

(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسله ٤٨٥/٢-٤٨٦ .

(٣) انظر : رد الإمام الدرامي على بشر الميرسي ص/٥٤-٥٥ .

ولذا كان من أثبتته من أهل السنة كما ذكر شيخ الإسلام يجعلون نفيه من أقوال الجهمية نفاة الصفات الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبديعهم^(١)، لأنهم هم الذين نفوه وضمنوه نفي الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته !

وتقرير العقيدة وتأصيلها لا يكون عند أهل السنة إلا بما ورد في الكتاب والسنة وقد اتفقوا على هذه القاعدة^(٢)، واتفقوا على نفي الماثلة في ذلك ، وأن الذي يجب القطع به كما ذكر شيخ الإسلام أن الله ليس كمثل شيء في جميع ما يصف به نفسه فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الأشياء فهو مخطئ قطعاً كمن قال : إنه ينزل فيتحرك وينتقل كما ينزل الإنسان من السطح إلى أسفل الدار^(٣) ! فإن الله تعالى لا مثيل له ولا شبيهه ، فلا يثبت له شيء من خصائص المخلوقين ، بل يجب وصفه عز وجل بصفات الكمال ، وتنزيهه عن جميع صفات النقص ، والمثل والكفر ، لأنه تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

أما مقالة الهشامية إنَّ صفة الإرادة لاهي الله ولاهي غيره ، وقول بعض المعتزلة هي غير الله ، فإنَّ هذه المقالات من الكلام المتبدع المذموم الذي خاض فيه أهل الباطل إثباتاً ونفياً !

وموقف أهل السنة من ذلك إنهم لا يطلقون على صفات الله تعالى أنها هو ، أو هي غيره ، بل يقولون : إنها صفات الله تعالى متصف بها كما يليق بجلاله وعظمته ، ويستفصلون عن من أطلق عليها أنها هو أو غير الله ، وذلك حتى لا ينقوا الحق الثابت لله تعالى ، أو يثبتوا الباطل الذي وقع فيه أهل البدع والأهواء^(٤).

(١) انظر : شرح حديث النزول ص/٤٤٥ وضمن مجموع الفتاوى ٥٦٦/٥ .

(٢) كما تقدم انظر : ١٢١/١ - ١٢٢ و ٣٧٨ .

(٣) انظر : شرح حديث النزول ص/٤٥٩ وضمن مجموع الفتاوى ٥٧٨/٥ .

(٤) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/١٥٩-١٦٢ ودرء التعارض ١/٢٨١ .

ولفظ الغير من الألفاظ المجملة لأنه يُراد به المغاير للشيء ، ويراد به ما ليس هو إياه ففي إطلاقه إيهام لمعانٍ فاسدةٍ يجب تنزيه الله عنها^(١)، فإن أُريد به أن هناك ذاتا مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها فهذا غير صحيح ! وإن أُريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معانيها غير ما يفهم من معنى الصفة الأخرى فهذا حق ، ولكن ليس في خارج الذهن ذاتٌ مجردة عن الصفات ، بل الذات موصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لاتنفصل عنها ، ولا توجد ذاتٌ غير موصوفة بالصفات ، فإن هذا محال .

ومن قال : إن الصفة لآعين الموصوف ولاغيره ، فإن قصد به : أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة بل غيرها ، وليست غير الموصوف ، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد فهذا المعنى صحيح . وتوضيحه مثل أن يُقال : « أعوذ بعزة الله » فقد عاذ بصفةٍ من صفات الله تعالى ، ولم يعذ بغير الله تعالى^(٢) . فَعَلِمَ مما تقدم : بطلان مقالات أهل الأهواء في صفة الإرادة ، وموقف أهل السنة من ذلك ، وأنها صفة أزلية ثابتة لله تعالى أزلا وأبدا ، وليس كما يقول المشبهة والمعتزلة إنها حادثة بعد أن لم تكن ، كما عُلِمَ شمول إرادة الله تعالى لجميع الأشياء وبطلان مقالة من يخرج عن إرادة الله تعالى الكفر والمعاصي ، وبطلان شبهتهم في ذلك ، كما عُلِمَ بطلان من يصف إرادة الله تعالى بأنها حركة ، أو أنها هي الله أو هي غيره ، تعالى الله عن مقالات المشبهة والمعطلة علوا كبيرا !



(١) انظر : الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى ٩٧/٦ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/١٢٩-١٣٠ .

المطلب الثالث

مقالة المشبهة في صفة اليدين وموقف أهل السنة منها

أثبت المشبهة صفة اليدين لكنهم غلوا في ذلك فقالوا بمقالة فاسدة يجب تنزيه الله عنها حيث زعموا أن يد الله عز وجل كأيديهم .

وقد حكى الأئمة مقالاتهم في ذلك :

فذكر الإمام أحمد رحمه الله أن المشبهة تقول : يد كيدي ومن قال بذلك فقد شبه الله بخلقه^(١).

وذكر الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله مقالة المجسمة^(٢)، وأنهم يقولون : له - تعالى - يدان يذهبون إلى الجوارح والأعضاء^(٣).

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن مقالة المشبهة الذين يقولون : يد كيدي ، وقدم كقدمي ، وبصر كبصري مقالة معروفة أنكرها الأئمة^(٤) وذمها ونسبها إلى مثل داود الجوزي ، وأمثاله^(٥)!

(١) رواه أبو يعلى في إبطال التأويلات ٤٣/١ و٤٥ وذكروه ابن البنا الحنبلي في المختار في أصول السنة ص/٨١ وشيخ الإسلام في درء التعارض ٣٢/٢ ونقض التأسيس « المطبوع » ٤٧٣/١ و« المخطوط » ٢٦٩/٣ .

(٢) هم الذين وصفوا الله بأنه جسم انظر : إبطال التاويلات ٤٣/١ ، وستأتي مقالاتهم في ذلك وموقف أهل السنة منها انظر : ٩/٢ - ١١ .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ١/ ٢٩٠ وذكر بعدها مقالة أهل الحديث وإنكارهم على المجسمة .

(٤) كالإمام أحمد ، ويزيد بن هارون ، وإسحاق بن راهويه ، كما سيأتي ذكر بعض مقالاتهم في إبطال التشبيه الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه ، وبراءتهم من وصمة التشبيه انظر : ص/ ٦٧٠-٦٥٧ .

(٥) انظر : درء تعارض العقل ١٤٥/٤ .

موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة اليدين

أما موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة اليدين فإنهم نزهوا الله تعالى عن مقالاتهم في ذلك ، بإثبات صفة اليدين لله تعالى كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، وتنزيهه الله تعالى في ذلك عن التكيف والتمثيل^(١) . وأنكروا مقالة المشبهة في ذلك وذموا ، ونزهوا الله عنها ، ومن أقوالهم في ذلك قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله : « ولكن يده صفته بلا كيف »^(٢) وذكر عند قوله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] أن يده تعالى ليست كأيدي خلقه ، وهو تعالى خالق الأيدي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٣) .

فبين رحمه الله أن لله تعالى يداً هي صفة له عز وجل تُثبت له بلا كيف ، والله تعالى خالق الأيدي وليست يده كأيدي خلقه لأنه تعالى لاشبيه له ولا تمثيل !

وذكر الإمام أحمد رحمه الله مقالة المشبهة واعتبرها مقالة سوء ، ونزه الله عنها فمما ذكره في ذلك أن من قال : « يد كيدي » فقد شبه الله بخلقه ، والله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وأن هذا الكلام كلام سوء والكلام في هذا لا أحبه^(٤) !

(١) انظر مذهب أهل السنة في صفة اليدين في : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٥٩-٦٠ والتوحيد لابن خزيمة ١٧٦/١ وشرح أصول الاعتقاد ٤١٣/٢ وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٠٦/١-١٠٧ ووقف الثمر في عقيدة أهل الأثر لمحمد صديق حسن خان ص/٦٦ .

(٢) الفقه الأكبر لأبي حنيفة مع شرح ملاعلي القاري ص/٣٧ .

(٣) الفقه الأبسط لأبي حنيفة ص/٥٦ .

(٤) رواه الإمام أبو يعلى في إبطال التأويلات ٤٣/١ و٤٥ وذكره ابن البنا الحنبلي في المختار في أصول السنة ص/٨١ وشيخ الإسلام في درء التعارض ٣١/٢-٣٢ وفي نقض التأسيس « المطبوع » ١/٤٣١-٤٣٢ والإمام ابن القيم في إجماع الجيوش الإسلامية ص/٨٣ .

لأن فيه وصف الله عز وجل بما يتزده عنه من التشبيه والتمثيل .
 وذكر الإمام ابن قتيبة رحمه الله أن أهل السنة ينزهون الله عز وجل عن مقالة
 المشبهة في صفة اليد وغيرها من الصفات فقال في ذلك : « .. ولا نقول أصبح
 كأصابعنا ، ولا يد كأيدينا ، ولا قبضة كقبضاتنا ، لأن كل شيء منه عز وجل
 لا يشبه شيئاً منا » (١) .

وسئل الإمام ابن سريج رحمه الله عن صفات الله تعالى فقال : « حرام على
 العقول أن تمثل الله سبحانه وتعالى ، وعلى الظنون أن تعمق ، وعلى النفوس أن
 تفكر ، وعلى الأفكار أن تحيط ، وعلى الألباب أن تصف الله إلا ما وصف به نفسه
 في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ... » !

ثم ذكر أن جميع أهل السنة يؤمنون بنصوص الصفات كما وردت ومنها صفة
 « اليدين » ولا يتأولونها بتأويل المخالفين (٢) ، ولا يحملونها على تشبيه المشبهين (٣) !
 وذكر الإمام ابن خزيمة رحمه الله الفرق بين صفات الخالق والمخلوق لتنزيه الله عن
 التشبيه الذي يتوهمه المشبهة والمعطلة ، ويان عظمة الله تعالى ، وإثبات أن يديه عز
 وجل ليست كأيدي المخلوقين ، ومما ذكره في ذلك أن يدي الله تعالى قديمتان لم
 يزل ولا يزال متصفا بهما ، وأيدي المخلوقين مخلوقة محدثة غير قديمة فانية غير
 باقية ، بالية تصير رميمًا ثم ينشئه الله خلقاً آخر : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٤)
 [المؤمنون : ١٤] .

(١) تأويل مختلف الحديث ص/ ١٩٠ .

(٢) يقصد المعطلة كالجهمية والمعتزلة وغيرهم !

(٣) ذكره الإمام الذهبي في العلو ص/ ٢٠٨ وفي الأربعين في صفات رب العالمين ص/ ٩٠-٩١ والإمام

ابن القيم في اجتماع الجيوش مطولا ص/ ٦٢-٦٤ .

(٤) انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/ ١٩٥ .

وإذا كان الأمر كذلك ، فمن له أدنى مسكة من عقل وإيمان لا يشبه يد الخالق بيد المخلوق ، ولا يتقول على الله بأنَّ يده كيد خالقه ! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ! وقال الإمام الخطابي رحمه الله : « ... ولسنا نقول : إنَّ معنى اليد القوة والنعمة^(١) . ولا نشبهها بالأيدي ... ونقول : إن القول إنما وجب القول بإثبات الصفات لأنَّ التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها ، لأنَّ الله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٢) .

وفيما ذكره رحمه الله رد منه على المعطلة الذين يُؤولون صفة اليد إلى معنى القوة والنعمة ، وعلى المشبهة الذين يشبهون يد الله تعالى بأيدي المخلوقين ، وتقرير منه لمذهب أهل السنة في صفات الله ومنها صفة اليد ، المبني على إثبات الصفات وتنزيه الله في ذلك عن التشبيه والتمثيل .

وذكر الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله أنَّ أهل السنة والحديث يثبتون لله عز وجل ما أثبتته لنفسه في كتابه ، وعلى لسان نبيه ﷺ ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه ، وقد أعاد الله أهل السنة من التحريف والتكيف ، وَمَنْ عَلَيْهِم بالتعريف والتفهم حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه ، واتبعوا قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فلا يحملون صفة اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة الجهمية أهلكتهم الله ولا يكيفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله .

بل ينتهون في ذلك وفي جميع صفات الله تعالى إلى ما قاله الله تعالى ، وقاله

(١) كما قال المعطلة كما سيأتي انظر : ٥٨٧/٢ و ٥٩٨ .

(٢) نقله شيخ الإسلام عن كتاب الغنية عن الكلام وأهله في الفتوى الحموية ص/٣٤-٣٥ وضمن

مجموع الفتاوى ٥/٥٨-٥٩ وذكر بعضه في كتابه الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/

٣٥٥ وذكره الإمام الذهبي في كتابه الأربعين في صفات رب العالمين ص/٩٣-٩٤ .

رسوله ﷺ من غير زيادة على ذلك ولانقصان ، ولاتكليف ولاتشبيه ، ولاتحريف ولا تبديل ولا تغيير^(١).

وبين الإمام الذهبي رحمه الله أن إثبات الصفات كما وردت ليس تشبيها وإنما التشبيه الذي يجب تنزيه الله عنه مثل مقالة المشبهة « يد كأيدنا » ويجب القول بأن يد الله لا تشبه الأيدي كما أن ذاته لا تشبه الذوات ، وهذا هو الإثبات مع التنزيه الذي عليه أهل السنة والجماعة ولا فرق في ذلك بين جميع الصفات^(٢).

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن دعوى المعطلة أن إثبات الصفات ومنها صفة اليد تشبيه زعم كاذب باطل ، وذلك أن كل صفة بحسب ما تضاف إليه ، فإذا قيل يد الله كان ذلك حقيقة ، وأثبتت على ما يليق بجلال الله وعظمته ، فدعوى التشبيه فيها حيثئذ زعم كاذب ، وأما إذا أضيفت إلى المخلوق فخاصة به لا يتصف الله بها . وحيثئذ فمن يشبه يد الله بيد المخلوق ، أو يتوهم ذلك فقد كذب ووهمه باطل ! وكيف يكون التشبيه بين يد الله ويد المخلوق ، وليس في المخلوقات يد تمسك السموات وتطويها ، ويد تقبض الأرضين السبع ، ولو كان في المخلوقات يد هذا شأنها لكان لمن يتوهم التشبيه فيها عذر^(٣)!

ولكن أني للمخلوق الضعيف أن يفعل شيئا من ذلك ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

فعلم مما تقدم بطلان مقالة المشبهة في صفة اليد ، وموقف أهل السنة من ذلك وأن مقالات المشبهة في ذلك ماهي إلا تحرصات وظن وكذب ، وقول على الله بلا علم ، وخوض في الكيفية المفضية إلى التمثيل ، بل هي عند سلف الأمة وأئمتها

(١) انظر كتابه : عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٠٦/١-١٠٧ .

(٢) انظر كتابه : الأربعين في صفات رب العالمين ص/١٠٤ .

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسله ٤٠٩/٢ .

أهل العلم والإيمان مقالة سوء يجب تنزيه الله عنها ، وإثبات صفة اليدين كما وردت بلا تكييف ولا تمثيل على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .



المطلب الرابع

مقالة المشبهة في صفة السمع والبصر وموقف أهل السنة منها

أثبت المشبهة صفة السمع والبصر لكنهم قالوا في ذلك مقالات فاسدة أدت بهم إلى تشبيه سمع الله وبصره بسمع المخلوق وبصره .
فمن المشبهة من غلا في إثباتهما وزعم كما حكى الأئمة^(١) مقالتهم : إنَّ لله بصراً كبصري ، وسمعا كسمعي^(٢) !
وزعمت الزرارية من الرافضة أنَّ الله لم يزل غير سميع ولا بصير حتى خلق ذلك لنفسه^(٣) ! أما الكرامية فقد اختلفوا في طريقة إثبات صفة السمع والبصر :
فمنهم من أثبتهما صفتين أزلتين ثابتتين لله تعالى ، ومنهم من جعل إثباتهما يتعلق بقدرة الله ، فذكر أنَّ سمع الله وبصره قدرته على التسمع والتبصر^(٤) .
وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنهم يثبتون التسمع والتبصر اللذان يحدثان عند حدوث المسموع والمبصر ، وذلك نظير الحادث ، والإرادة الحادثة عندهم هو التسمع الحادث ، والتبصر الحادث .
فإنهم يقولون : إنه عند وجود المسموعات والمرئيات يتجدد ما يُسمونه التسمع

(١) كالإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهما .

(٢) انظر : ما ذكره الأئمة عن المشبهة في صفة السمع والبصر ونقدوه في : المختار في أصول السنة لابن البنا الحنبلي ص/٤٧١ ودرء التعارض ١٤٥/٤٠٣٢/٢ ونقض التأسيس « المطبوع » ١/٤٧٦ و٥٨٨ واجتماع الجيوش الإسلامية ص/٢٤٣-٢٤٤ .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ١١٠-١١١ والفرق بين الفرق ص/٧٦ ومختصر التحفة الإمامية الإثني عشرية ص/٨٠ .

(٤) انظر : الملل والنحل ١/١١١ .

والتبصر ، والسمع والبصر عندهم بمنزلة القائلية والمريدية^(١) !
 أما موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة السمع والبصر ، فقد نزهوا الله تعالى عن أن يُمائل سمعه وبصره سمع المخلوق وبصره^(٢) .
 واستدلوا على ذلك بالأدلة الدالة على تنزيه الله تعالى عن المماثلة ، كما استدلوا بالأدلة التي فيها الفرق بين صفات الخالق والمخلوق ومنها صفة السمع والبصر للدلالة على عظمة الله تعالى ، وتنزيهه عن الشبيه والمثيل ، كما بينوا أن من قال باتصاف الله تعالى بالسمع والبصر بعد أن لم يكن كذلك فقد وصف الله بالنقص الذي يجب تنزيه البارئ عنه عز وجل ، وسيكون بيان هذه المسائل وغيرها مما يتعلق بمقالات المشبهة في صفة السمع والبصر على مواقف :

الوقف الأولى : أدلة أهل السنة في تنزيه الله تعالى عن مقالة المشبهة في صفة

السمع والبصر

من الأدلة التي يستدل بها أهل السنة لتنزيه الله تعالى عن مقالة أهل التشبيه والتمثيل في صفة السمع والبصر قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ردُّ على الممثلة الذين يشبهون صفات الله تعالى ، ومنها صفة السمع والبصر بصفات المخلوق الناقص . وقوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ردُّ على المعطلة النفاة^(٣) قال الإمام أحمد رحمه الله : « ليس

(١) انظر : درء التعارض ٩٩/٤ .

(٢) انظر : مذهب أهل السنة في صفة السمع والبصر في كتاب : ردُّ الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٤٥ وكتاب التوحيد لابن منده ٤٣/٣ و٥٣ والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ١٧٦/١-١٨١ وشرح أصول الاعتقاد لللالكائي ٤٠٧/٢-٤١١ والأربعين في صفات رب العالمين للذهبي ص/١٦٥-١٦٦ ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص/٦٤ .

(٣) انظر : منهاج السنة النبوية ٥٢٢/٢-٥٢٣ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى =

كمثله شيء في ذاته كما وصف به نفسه ، قد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه فحد لنفسه صفة ليس يشبهه - فيها - شيء ، فنعبد الله بصفات غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف بها نفسه ... فهو سميع بصير بلا حد^(١) ولا تقدير ، ولا يبلغ الواصفون صفته ... تعالى عما تقول الجهمية والمشبهة !

قال حنبل : فقلت له : والمشبهة ما يقولون ، قال : من قال بصر كبصرى ، ويد كيدي وقدم كقدمي فقد شبه الله بخلقه ، وهذا يحده ، وهذا كلام سوء ، وهذا محدود ، والكلام في هذا لا أحبه^(٢) .

فبين رحمه الله أن الله تعالى موصوف بما وصف به نفسه من صفات الكمال ومنها صفة السمع والبصر التي لا مثيل له ولاشبيه في ذلك ، وأن مقالة المشبهة في صفات الله تعالى ومنها صفة السمع والبصر واليد والقدم مقالة سوء ممقوتة ، لا يجوز الخوض فيها ، لأنها وصف لله تعالى بما يتزوه ويتقدس عنه من التمثيل والتشبيه والله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

وقال الإمام الدارمي رحمه الله في صدد رده على المريسي الذي نفى صفة السمع مدعياً أن إثباتها يقتضي التشبيه فرداً عليه الدارمي رحمه الله : « أولم تسمع أيها المريسي قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وكما أنه ليس كمثله شيء

= ٥١٦-٥١٥/٦ وشرح العقيدة الطحاوية ص/٩٩ والتحف في مذاهب السلف ضمن الرسائل السلفية للشوكاني ص/١٠ وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/١١٣-١١٤ .

(١) تقدم بيان أن من نفى « الحد » من السلف إنما أراد به نفى علمه بالكيفية ، وتزويه الله تعالى عن

التمثيل انظر : ٤٤٥/١ - ٤٤٩ .

(٢) تقدم ذكره وعزوه انظر : ٨٠/١ .

فليس كسمعه سمع ولا كبصره بصر ، ولا هما عند الخلق قياس ولا مثال ولا شبيه ، فكيف تقيسهما أنت بشبه ما تعرفه بنفسك وقد عبته على غيرك ... » (١) . (٢) !
 فبين رحمه الله سبب القول بالتشبيه في صفات الله تعالى وهو : قياس الخالق على المخلوق ، والله تعالى لا يُقاس على خلقه لأنه لا شبيه له ولا مثيل ، ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله ، فليس كسمعه سمع ولا كبصره بصر : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ . وذكر رحمه الله أن المريسي يتهم أهل السنة بالتشبيه وقياس الخالق على المخلوق ، والحال أنه واقع فيهما !
 وبين الإمام الشوكاني رحمه الله أن قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ يُستفاد منه نفي المائلة في كل شيء ، فيُدفع بها في وجه المجسمة ، وأن وصفه تعالى بالسمع والبصر عقب وصفه بأنه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ يتقرر بها الإثبات لا على وجه المائلة والمشابهة للمخلوقات (٣) .

وذكر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله أن الاشتراك بين الخالق والمخلوق في صفة السمع والبصر وغيرها من الصفات في اللفظ والمعنى العام لا يقتضى المائلة لأن الله تعالى وصف نفسه بالسمع والبصر في غير آية من كتابه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] ووصف بعض الحوادث بذلك فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢] فنحن لا نشك أن ما في القرآن حق ، فله عز وجل سمع وبصر حقيقيان لا ثقان

(١) يعني : أن المريسي يصم أهل السنة بالتشبيه وهو واقع في ذلك ، يقيس الله تعالى بالمخلوق ويشبهه بخلقه وسيأتي ذكر مقالات المعطلة في نيز أهل السنة بالتشبيه وبراءتهم من ذلك انظر : ص/٤٦٣ .

(٢) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٤٥ .

(٣) انظر كتابه : التحف في مذهب السلف ضمن الرسائل السلفية له ص/١٠ .

وَيُستفاد من الحديث إثبات صفة السمع وتنزيه الله في ذلك عما يعترى سمع المخلوق من الصمم الخاص بالمخلوق .

كما يُستفاد من قوله ﷺ « ولا غائبا » كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين إثبات صفة البصر . فقوله ﷺ : « إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا » أي : لا تدعون أصم لا يسمع ، ولا غائبا لا يرى ، إنما تدعون سميعا يسمع ذكركم ، وبصيرا يرى أفعالكم ، ففيه نفي كون الله أصم أو غائبا ، لكمال سمعه وبصره وعلمه وقربه^(١) .

ومن الأحاديث التي يستدل بها أهل السنة لإثبات صفة البصر ، وتنزيه الله في ذلك عما يعترى المخلوق من العور المنافي لصفة الكمال الخاصة بالله تعالى ، وإثبات صفة العين ونفي النقائص عنها ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، قال : ذُكر الدجال عند النبي ﷺ فقال : « إنَّ الله لا يخفى عليكم ، إنَّ الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه ، وإنَّ المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية »^(٢) . قال الإمام الدارمي رحمه الله : « وفي تأويل قول رسول الله ﷺ : « إنَّ الله ليس بأعور » بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور »^(٣) .

وقوله ﷺ : « إنَّ الله لا يخفى عليكم » أي : يعرفه المؤمنون بصفاته التي لا يتطرق إليها نقص بحال من الأحوال ، فلا يخفى عليهم ، فهو عز وجل منزه عن العور الذي يصيب المخلوق ، وأنَّ الدجال أعور العين اليمنى ، والله منزه عن ذلك ، فلا تنطلي دعوى الدجال الألوهية على من يعرف صفته ، ويعرف الله تعالى بصفات كماله وتنزيهه عن النقائص ومنها العور !!

(١) انظر : شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين ٢/٥٤-٥٥ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٣/٤٠١ ح٧٤٠٧ و٧٤٠٨ ومسلم في كتاب الإيمان ١/

١٥٦ ح٢٧٧ .

(٣) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٤٨ .

وفي إشارته « إلى عينه دليل على تحقيق الصفة^(١) ، وأنَّ الله تعالى متصف بصفة العين كما يليق به عز وجل .

ومن الأدلة التي يستدل بها أهل السنة لبيان عظمة الله تعالى ووصفه بصفات الكمال ومنها صفة السمع والبصر ، وتنزيهه الله في ذلك عن صفات النقص والمماثلة النصوص التي فيها ذكر ما يدل على الفرق بين صفات الخالق والمخلوق فقد عقد الإمام ابن منده رحمه الله فصلا عنوان له بقوله : « ذكر ما يدل على الفرق بين سماع الخالق وسمع المخلوق المحدث »^(٢).

وقد أورد فيه من الأحاديث الدالة على اتصاف الله تعالى بصفة السمع اللائقة بجلاله وعظمته عز وجل ، وسمع المخلوق المحدث الناقص المناسب لحاله وعجزه وضعفه .

ومن الأحاديث التي استدل بها على ذلك ماروته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة^(٣) إلى رسول الله ﷺ تكلمه في جانب البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ... ﴾^(٤) [المجادلة : ١] .

واستدل به أيضا الإمام أبو القاسم التيمي لإثبات صفة السمع ، والفرق بين سمع الله تعالى وسمع المخلوق لبيان عظمة الله عز وجل ، وتنزيهه عن صفات النقص التي

(١) سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل عند ذكر منهج أهل السنة في أحاديث الصفات والرد على

من إدعى فيها التشبيه انظر : ٥٥٠/٢ - ٥٦٣ .

(٢) انظر : كتاب التوحيد لابن منده ٥١/٣ - ٥٤ .

(٣) هي : خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن حجر . انظر : تفسير ابن كثير ٣٤١/٤ .

(٤) رواه البخاري تعليقا في كتاب التوحيد ٣٨٤/١٣ وابن ماجه في المقدمة ٦٧/١ ح ١٨٨ ورواه

الحاكم في المستدرک ٥٢٣/٢ وصححه ، ووافقه الذهبي . ورواه ابن منده في كتاب التوحيد ٣/

٥١٤٣ وقال : « هذا حديث مجمع على صحته رواه جماعة عن الأعمش » .

تعتري سمع المخلوق^(١) . ومن الأحاديث التي يستدل بها أهل السنة أيضا لبيان الفرق بين سمع الخالق والمخلوق لبيان عظمة الله تعالى ، واتصافه بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص والمثيل مارواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي ، أو ثقفيان وقرشي ، كثير شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع مانقول ، فقال الآخر : يسمع إذا جهرنا ، ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾^(٢) . [فصلت : ٢٢] .

الوقف الثانية : أما مقالة مشبهة الراضية الزرارية إن الله لم يزل غير سميع ولا

بصير حتى خلق ذلك لنفسه فصار سميعا بصيرا .

فإن هذه المقالة باطلة يجب تنزيه الله عنها ، لأن فيها وصفا لسمع الله وبصره بسمع المخلوق وبصره ، ومن زعم أن صفة من صفات الله عز وجل مُحدثة مخلوقة لم تكن فكانت فقد دخل في حكم التشبيه بالصفات التي هي مُحدثة في المخلوق مخلوقة فيه زائلة بفنائها غير باقية^(٤) .

والله تعالى منزه عن أن يتصف بشيء من خصائص المخلوقين ، لأنه عز وجل لا مثيل له ولا شبيهه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ لا سمي له ولا كفو : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ، . سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وقد قرر أهل السنة أن صفة السمع والبصر من صفات الله الذاتية التي لا تنفك

(١) انظر كتابه : الحججة في بيان الحججة ١٧٧/١ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير ٤٢٤/٨ ح ٤٨١٦ وابن منده في كتاب التوحيد ٥٣/٣ و ٥٤٠ .

(٣) انظر : الحججة في بيان الحججة ٩١-٩٢ .

(٤) انظر : كتاب التوحيد لابن منده ٧/٣ والحججة في بيان الحججة لأبي القاسم التيمي ٩١-٩٢ .

عنه تعالى بوجه من الوجوه^(١)، فهو عز وجل متصف بهما أزلا وأبداً ، لم يزل ولا يزال سميعاً بصيراً ، ولا يجوز أن يُعتقد أن الله تعالى وُصف بهما بعد أن لم يكن كذلك ، لأنَّ اتصافه بهما أزلا كمال ، وفقدتهما في حقه نقص ، ولا يجوز أن يكون الله عز وجل قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده^(٢).

قال الإمام المزني رحمه الله : « وصفاته كلمات غير مخلوقات ، دائمات أزليات ، ليست مُحدثات فتبيد ، ولا كان ربنا ناقصاً فزيد ، جلت صفاته عن شبه المخلوقين ... »^(٣).

ومخالفة مقالة المشبهة لكتاب الله أظهر فإنَّ الله تعالى ذكر في كتابه أن من أسمائه السميع البصير وهما متضمنان لصفة السمع والبصر أزلا قال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] وقال تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

وقد جمع الله عز وجل في آية من كتابه أن له صفة السمع أزلا ، وهو يسمع عند وجود المسموع فقال تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كُفْرًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] .

فقوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ ﴾ دليل على أنه تعالى يسمع متى شاء وكيف شاء أزلا وأبداً .

ولا يجوز أن يُقال إنَّ اتصافه بالسمع أزلي فقط كما يقول الأشاعرة^(٤)، بل الله

(١) انظر : الأربعين في صفات رب العالمين للإمام الذهبي ص/١٦٥-١٦٦ وشرح العقيدة الواسطية

للهراس ص/٤٤٤-٤٥٠ ومنهج الإمام الشوكاني في العقيدة للدكتور عبدالله نومسوك ٤١١/١ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/١٢٧-١٢٦ .

(٣) ذكره الإمام الذهبي في كتابه العلو ص/١٨٥ .

(٤) انظر مذهب الأشاعرة في صفة السمع والبصر في : الإنصاف للباقلاني ص/٣٨ والغنية =

تعالى متصف به أزلا وأبدا ، ولا يمكن أن يتصور كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن الله عز وجل قد سمع تلك المرأة^(١) وسمع محاورتهما قبل أن يخلقهما ومن قال بذلك فقد كابر العقل السليم والفطرة المستقيمة^(٢)!

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ دليل على ثبوت صفة السمع والبصر لله تعالى أزلا وأبدا ، وأنهما من صفات ذاته الملازمة له التي لا تنفك عنه عز وجل .

ذكر الإمام الذهبي رحمه الله أن الله تعالى لا مثل له بوجه من الوجوه ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، وخاب وخسر ، والله عز وجل موصوف بما وصف به نفسه على ألسنة رسله عليهم السلام . قال تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : ٤٦] وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] وقال : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء : ١٤٨] إلى غير ذلك من الآيات التي تثبت لله السمع والبصر في الأزل قبل إيجاد الأشياء والتي تدحض المشبه^(٣) ، إذ لا مسموع ولا مرئي والله متصف بذلك ، وهو تعالى كما هو اليوم بل كان في الأزل مالك يوم الدين ، ولما يوجد بَعْدُ يوم الدين ، فهو تعالى منعت بهذه الصفات متصف بها في الأزل والأبد ، فله الصفات العلى والأسماء الحسنى على الدوام^(٤) .

= في أصول الدين للمتولي الشافعي ص/٨٥-٨٦ وأصول الدين للبغدادي ص/٩٦-٩٧ والإرشاد للجويني ص/٩١ وللع الأدلة له ص/٩٧ والملل والنحل للشهرستاني ١/٩٥ وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص/٦٤-٦٦ وحاشية أم البراهين للدسوقي ص/١٠٩ واليقينيات الكونية للدكتور البوطي ص ، ١٢٩ .

- (١) أي المجادلة حولة بنت ثعلبة التي نزلت في شأنها آية المجادلة وقد تقدم عزو قصتها انظر : ١/٥٢٦ .
- (٢) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٢٢٧-٢٢٨ .
- (٣) الذي يقول إتصف الله بالسمع والبصر بعد أن لم يكن متصفا بهما !
- (٤) انظر كتابه : الأربعين في صفات رب العالمين ص/١٦٥-١٦٦ .

الوقف الثالث : أما مقالة الكرامية في صفة السمع والبصر فإنَّ فيها ما هو موافق

لمذهب السلف

فمن جعل صفة السمع والبصر أزلتين ثابتين لله تعالى من الكرامية فقد وافق أهل السنة في بعض ما عندهم في ذلك من الصواب^(١)، ولو قالوا مع هذا : إنَّ الله يسمع ويبصر بمشيئته وقدرته ، كما له تعالى صفة السمع والبصر أزلا لكانت موافقتهم لأهل السنة أتم وأكمل !

ولعل الشهرستاني الذي ذكر عنهم ذلك^(٢) قد حكى عنهم ما هو موافق لمذهب الأشاعرة في صفة السمع والبصر ، من كونهما صفتين أزلتين ثابتين لله تعالى ولا تتجددا^(٣) . ولذا ذكر الشهرستاني قولاً آخر لهم وهو أنَّ سمعه وبصره قدرته على التسمع والتبصر كما تقدم^(٤) . ومعنى ذلك : أنَّ من الكرامية مَنْ يقول بحدوث صفة السمع والبصر ، وأنَّ الله يسمع ويبصر بقدرته ومشيئته ، وهذا ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله كما تقدم^(٥) ، وهو موافق لمذهبهم العام في صفات الله تعالى كصفة الكلام ، حيث يجعلونها حادثة متعلقة بمشيئة الله وقدرته بعد أن لم تكن كما تقدم^(٦) !

فقولهم في صفة السمع والبصر ، والذي هو الأقرب إلى مذهبهم هو ما ذكره شيخ الإسلام من جعلهم صفتي السمع والبصر يتجددان بتجدد المسموع والمبصَّر

(١) انظر : ٥٣٠/١ .

(٢) انظر : ما نقله عنهم الشهرستاني وقد تقدم قريبا في ٥٣٠/١ .

(٣) وقد تقدم الإحالة إلى مراجع الأشاعرة لبيان مذهبهم في صفة السمع والبصر انظر : ص/٣٦٨ .

(٤) انظر : ٥٣٠/١ .

(٥) انظر : ٥٣٠/١ .

(٦) انظر : ٣٥٤/١ و ٤٦٠ - ٤٦٣ .

فالله تعالى يسمع المسموعات ، ويصير المرئيات عند وجودها ، وهو ما عبروا عنه :
 بالتسمع والتبصر اللذان يحدثان عند حدوث المسموع والبُصر وهذا حق ، فإن الله
 تعالى يسمع المسموعات ويصير المرئيات عند وجودها ، ويدل على ذلك ما ذكره
 شيخ الإسلام رحمه الله عند قول الله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي
 زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١]
 فأخبر تعالى أنه سمع محاورتهما حين كانت تجادل وتشتكي إلى الله عز وجل .
 وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : ٤٦] فالله تعالى يسمع
 ويصير الأقوال والأعمال بعد أن وجدت ، أما قبل وجودها فلا تُسمع ولا تُبصر !
 والعقل الصريح يدل على ذلك ، فإن المعدوم لا يرى ولا يسمع بصريح العقل
 واتفاق العقلاء^(١) .

وليس معنى هذا إن الله لم يكن موصوفاً بكونه سميعاً بصيراً في الأزل ، كما
 يزعم المشبهة ، بل الله تعالى له صفة السمع والبصر ، متصف بهما أزلاً وأبداً فالله
 عز وجل كما أنه يسمع ويصير ، فهو عز وجل سميع بصير : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ !



(١) انظر : رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل له المجموعة
 الثانية ص/١٦-١٧ .

فهرس الموضوعات للجزء الأول

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
١٢	أهمية الموضوع وأسباب اختياره
١٦	خطة الرسالة
٢٦	بعض الضوابط المنهجية التي سرت عليها في كتابة البحث
٣٢	كلمة الشكر والتقدير
٣٥	التمهيد وفيه ثلاثة مباحث
٣٧	المبحث الأول : التعريف بأهل السنة وبيان بعض ألقابهم
٣٩	معنى السنة في اللغة والاصطلاح
	بيان إطلاق بعض أئمة السلف المتقدمين السنة فيما يخص مسائل الاعتقاد
٤٥	التعريف بأهل السنة
٤٦	الأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة في معناه الخاص
٥٣	نشأة التسمية بأهل السنة
٥٥	بيان بعض أسماء أهل السنة وألقابهم
٧٣	المبحث الثاني : التعريف بالتشبيه وبيان الألفاظ المرادفة له في المعنى
٧٥	التعريف بالتشبيه في اللغة ، وبيان الفرق بينه وبين التمثيل
٧٩	مفهوم التشبيه عند أهل السنة
٨٣	الفرق بين التشبيه والتجسيم
٨٦	مفهوم التشبيه عند المتكلمين ونقده
	بيان أن من أسباب انحراف أهل الكلام في مسائل الصفات انحرافهم في
٨٨	مفهوم التشبيه
٨٩	نقد مفهوم التشبيه عند المتكلمين
٩٧	بيان الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى
١٠٨	بيان سبب استعمال لفظ التشبيه في عنوان رسالتي بدلا من لفظ التمثيل

- ١١٥ . المبحث الثالث : منهج أهل السنة في صفات الله على سبيل الإجمال .
- ١١٧ التعريف بالمنهج في اللغة والاصطلاح
- ١٢١ منهج أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات على سبيل الإجمال
- ١٢٦ الأسس التي ينبنى عليها منهج أهل السنة في أسماء الله تعالى وصفاته
- ١٢٨ ذكر بعض القواعد التي استنبطها أهل السنة من وحي الله لتقرير منهجهم في الصفات
- ١٢٨ القاعدة الأولى : الجمع بين الإثبات والتنزيه في توحيد الصفات
- ١٢٨ بيان دلالة قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ على هذه القاعدة
- ١٢٨ ذكر بعض أقوال أهل السنة على هذه القاعدة الدالة على جمعهم بين الإثبات والتنزيه
- ١٢٩ القاعدة الثانية : الإثبات المفصل والنفي المجمل المتضمن لإثبات صفات الكمال لله تعالى
- ١٣٣ بيان دلالة القرآن الكريم على هذه القاعدة
- ١٣٧ القاعدة الثالثة : قاعدة الكمال
- ١٣٧ توضيح هذه القاعدة بقياس الأولى الشرعي العقلي
- ١٣٨ دلالة السمع والعقل والفطرة على ثبوت الكمال لله تعالى
- ١٤١ بيان طريقة استدلال أهل السنة بقياس الأولى لإثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن العيوب والنقائص والشبيه والمثيل
- ١٤٣ مسألة توضيحية حول قاعدة الكمال
- ١٤٤ مسألة حول أنواع صفات الكمال وعدمها على قاعدة الكمال
- الباب الأول : مقالة التشبيه أنواعها نشأتها أسبابها**
- ١٤٧ مصدرها وفيه ثلاثة فصول
- ١٤٩ الفصل الأول : التعريف بمقالة التشبيه وبيان أنواعها
- ١٥٣ التعريف بالمقالة ، وبيان أن منها ما هو حسن ممدوح ومنها سيئ مذموم
- ١٥٣ بيان أن مقالة التشبيه قد تطلق على الاعتقاد والفعل كإطلاقها على القول

- توضيح ذلك بالأمثلة ١٥٥
- التعريف بمقالة التشبيه ١٥٨
- التعريف بالتكييف والفرق بينه وبين التمثيل ١٥٩
- بيان أنواع مقالة التشبيه ١٦٣
- دفع توهم عماد ذكره الإمام ابن القيم من عدم وجود طائفة جعلت الله تعالى
مثلا لشيء من مخلوقاته ١٦٦
- الفصل الثاني : نشأة مقالة التشبيه في الإسلام وبيان أسبابها وجذورها
المبحث الأول : نشأة مقالة التشبيه في الإسلام ١٦٩
- بيان أن بظهور بدعة التشيع المذموم في الملة الإسلامية ظهرت مقالة التشبيه
عن الرافضة وأولهم قولاً بها هم السئية ١٧١
- أول من صرح بمقالة تشبيه الخالق بالمخلوق هم طائفة البيانية الرافضة وليس
هشام بن الحكم كما يقول البعض ١٧٤
- المبحث الثاني : ذكر بعض أسباب ظهور مقالة التشبيه في الإسلام ١٧٨
- إعراض المشبهة عن الكتاب والسنة واتباعهم لأهوائهم ١٨١
- غلو المشبهة في أشخاص من البشر وتشبيهمهم بالمخلوق ١٨٣
- رد بدعة التعطيل بزيادة في الإثبات إلى حد التشبيه ١٨٦
- دخول بعض ضلّال أهل الديانات القديمة في الإسلام بقصد إفساد عقيدة
المسلمين ١٨٩
- ترجمة الكتب الفلسفية في عهد الخليفة المأمون وتأثر متكلمي المشبهة بها
المبحث الثالث : مصدر مقالة التشبيه في الإسلام وجذورها التاريخية التي
استقى منها المشبهة مقالاتهم في التشبيه ١٩١
- مقالة التشبيه عند اليهود ، وذكر أمثلة من تشبيهم الخالق بالمخلوق ١٩٣
- ذكر أمثلة من تشبيه المخلوق بالخالق عند اليهود ٢٠١
- مقالة التشبيه عند النصارى ، وذكر أمثلة من تشبيهم المخلوق بالخالق ٢٠٧
- ذكر أمثلة من تشبيه الخالق بالمخلوق عند النصارى ٢٠٩
- الديانات المجوسية إحدى الروافد التي استقى منها المشبهة مقالاتهم في

٢١٩	التشبيه
٢١٩	التعريف بأشهر الديانات الجوسية ، وذكر بعض مقالاتهم في التشبيه
٢١٩	الزردشتية ومقاتلهم في التشبيه
٢٢١	المائوية ومقاتلهم في التشبيه
٢٢٢	المزدكية ومقاتلهم في التشبيه
٢٢٤	التيارات الفلسفية إحدى مصادر مقالة التشبيه عند طوائف المشبهة
٢٢٥	ذكر أمثلة من مقالات التشبيه عند الفلاسفة
٢٢٩	الفصل الثالث : التعريف بطوائف المشبهة وفيه ثلاثة مباحث
٢٣١	المبحث الأول : التعريف بطوائف المشبهة من الشيعة
٢٣٣	بيان أن الرافضة من أعظم طوائف المشبهة قولاً بمقالة التشبيه
٢٣٥	التعريف بطوائف مشبهة الشيعة القدامى ومقاتلهم في التشبيه
٢٣٥	السبئية ومقاتلهم في التشبيه وموقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب منهم
٢٣٦	المختارية ومقاتلهم في التشبيه وموقف خالد بن عبد الله القسري منهم
٢٤٠	البيانية ومقاتلهم في التشبيه وموقف خالد بن عبد الله القسري منهم
٢٤٤	المغيرية ومقاتلهم في التشبيه وموقف يوسف بن عمر الثقفي منهم
٢٤٧	المنصورية ومقاتلهم في التشبيه وموقف يوسف بن عمر الثقفي منهم
٢٤٩	الخطابية ومقاتلهم في التشبيه وموقف عيسى بن موسى منهم
٢٥١	الجناحية ومقاتلهم في التشبيه وموقف أبي مسلم الخراساني منهم
٢٥٣	اليونسية ومقاتلهم في التشبيه
٢٥٤	الجواربية ومقاتلهم في التشبيه
٢٥٥	الزرارية ومقاتلهم في التشبيه
٢٥٦	الشيطنانية ومقاتلهم في التشبيه
٢٦١	الهشامية الحكمية ومقاتلهم في التشبيه
٢٦١	الهشامية الجواليقية ومقاتلهم في التشبيه
٢٦٤	الشيعة المتأخرون وبيان جمعهم بين مقالة التشبيه والتعطيل
	ذكر أمثلة من مقالاتهم في التشبيه من مصنفاتهم المعتمدة عند الرافضة

- ٢٦٦ كالكافي وبحار الأنوار
- ٢٧٧ موقف أئمة أهل البيت من الروايات التشبيهية المنسوبة إليهم ، وبيان براءتهم منها من كتب الرافضة أنفسهم الدالة على كذبهم وتناقضهم
- ٢٨١ المبحث الثاني : التعريف بطوائف المشبهة من غير الشيعة
- ٢٨٣ التعريف بالصوفية الغلاة وقولهم بمقالة التشبيه
- ٢٨٤ بيان تضمن القول بالحلول والاتحاد لمقالة التشبيه وأثر ذلك في مقالات الصوفية بالتشبيه
- ٢٨٦ ذكر نماذج من أئمة الصوفية القدامى ومقالاتهم في التشبيه
- ٢٨٦ أبويزيد البسطامي ومقالاته في التشبيه
- ٢٨٨ الحسين بن منصور الحلاج ومقالاته في التشبيه
- ٢٩٠ أبو حامد الغزالي وتقريره لمقالات الحلول والاتحاد وندمه في آخر عمره
- ٢٩٣ ابن الفارض ومقالاته في التشبيه
- ٢٩٥ ابن عربي ومقالاته في التشبيه
- ٢٩٨ عبدالكريم الجيلي ومقالاته في التشبيه
- ٣٠٢ التعريف بطائفة الكرامية ومقالاتهم في التجسيم والتشبيه
- ٣٠٤ بيان أن طائفة الكرامية كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية من طوائف المجسمة بيان أن طائفة الكرامية أقرب إلى أهل السنة في الإثبات من طوائف المعطلة غير أنهم غلو في ذلك حتى قالوا بالتشبيه في بعض الصفات
- ٣٠٦ التعريف ببعض طوائف الكرامية
- ٣٠٥ بيان تأثر الكرامية بالمصطلحات الكلامية وأثر ذلك في قولهم إن الله جسم ، وقولهم بحدوث بعض صفات الله بعد أن لم تكن ، وقولهم بالتكليف في صفة الاستواء
- ٣٠٧ المعتزلة القدرية وبيان أنهم مشبهة في الأفعال معطلة في الصفات
- ٣١٥ بيان أن نقيهم للقدر متضمن تشبيه علم الله تعالى بعلم المخلوق
- ٣١٦ بيان تشبيههم إرادة الله بإرادة البشر
- ٣١٧ التعريف بطائفة الشيبانية من الخوارج ومقاتلهم في التشبيه
- ٣١٨

- ٣٢١ المبحث الثالث : تحقيق القول فيمن عدوا من طوائف المشبهة
- ٣٢٢ تحقيق القول في عدّ مقاتل وطائفته من طوائف أهل التشبيه
- ٣٢٣ ذكربعض مقالات من اتهم مقاتل بالتشبيه
- ٣٢٦ توقف شيخ الإسلام ابن تيمية في نسبة القول إلى مقاتل بالتشبيه
- ٣٢٧ تبرئة بعض العلماء مقاتل بن سليمان من القول بالتشبيه
- ٣٣٠ ذكرالقول الراجح في شأن الحكم على مقاتل بالتشبيه ، وبيان براءته من ذلك
بيان براءة مقاتل بن سليمان من مقالة التشبيه ، وذكر بعض الأمور الدالة على
ذلك
- ٣٣١ ذلك
- ٣٣٣ ذكر أمثلة من كتبه الدالة على براءته من مقالة التشبيه
- ٣٤١ تحقيق القول فيمن يُقال عنهم مشبهة الحشوية
- ٣٤٢ مفهوم مشبهة الحشوية عند المتكلمين ونقده
- دفع توهم حول ما ذكره شيخ الإسلام من أن طائفة من جهال أهل الحديث
غلوأ في الإثبات إلى حد التشبيه
- ٣٤٣ بيان العلامة السكسكي أن مشبهة الحشوية طائفة مبتدعة مشبهة كانوا في
زمانه وليس مايعنيهم أهل الكلام المذموم
- ٣٤٤ **الباب الثاني : مذهب المشبهة في صفات الله ، وبيان
مقالتهم إن الله جسم وذكر أدلتهم وشبهاتهم ،
وموقف أهل السنة من ذلك**
- ٣٤٧ **الفصل الأول : مذهب المشبهة في صفات الله ، وذكربعض مقالاتهم في
صفات الذات والأفعال ، وموقف أهل السنة منها**
- ٣٤٩ **المبحث الأول : مذهب المشبهة في صفات الله على سبيل الإجمال وموقف
أهل السنة من ذلك**
- ٣٥١ اعتباربعض المشبهة صفات الله تعالى من جنس صفات خلقه ، وادعاؤهم أن
الله محال أن يُخاطبهم إلا بما يعقلون ولايعقلون إلا التشبيه
- ٣٥٣ اعتبار بعض المشبهة بعض صفات الله تعالى حادثة النوع وبيان تضمن ذلك
لمقالة التشبيه
- ٣٥٤ لمقالة التشبيه

- ٣٥٥ ابتداء بعض المشبهة صفات لله تعالى خاصة بالخلقين وقولهم بذلك بالتشبيه
- ٣٥٧ موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات الله على سبيل الإجمال
- ٣٥٧ بيان أن من أهم مقاصد أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات بعد إثباته تنزيههم لله في ذلك عن التشبيه والتمثيل
- ٣٥٨ بيان أهل السنة الأصل الذي انحرف به المشبهة إلى القول بالتشبيه ونقده
- ٣٥٩ بيان أئمة أهل السنة أن الاشتراك في اللفظ والمعنى العام لا يقتضي التشبيه
- ٣٥٩ وذكر بعض أقوالهم في ذلك
- ٣٦٠ بيان أهل السنة الفارق المميز بين صفات الخالق والخلق الذي ضلَّ به أهل التعطيل والتمثيل
- ٣٦٢ بيان أن من أثبت القدر المشترك بين صفات الخالق والخلق على وجه يُماثل الخلق فقد وقع في التشبيه ، ومن نفاه فقد وقع في التعطيل
- ٣٦٢ بيان أن أهل السنة يثبتون القدر المشترك بين صفات الخالق والخلق لاعلى وجه المماثلة ولذلك سلموا من مقالة التشبيه والتعطيل
- ٣٦٢ أدلة أهل السنة في تقريرهم أن الاتفاق في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والخلق لا يقتضي المماثلة
- ٣٦٣ موقف أهل السنة من مقالة المشبهة إنَّ الله خاطب العباد بما يعقلون ولا يعقلون من صفات الله إلا التشبيه
- ٣٦٨ بيانهم أن الله خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى على ما جاءت به الرسل عليهم السلام من الإثبات والتنزيه ، والكنه والحقيقة لا يعلمه إلا الله
- ٣٦٨ خطاب الله تعالى لعباده بصفاته يعلم معناه ، لكن كلفته مجهولة ، والصفة بحسب الموصوف
- ٣٧٠ موقف أهل السنة من مقالة المشبهة بحدوث جنس بعض الصفات
- ٣٧١ اعتبار أهل السنة أن هذه المقالة متضمنة للتشبيه يجب تنزيه الله عنها وذكر بعض مقالاتهم في الرد على من يقول بذلك ، وبيانهم اتصاف الله بصفات الكمال أزلا وأبدا
- موقف أهل السنة من وصف بعض المشبهة الله تعالى بالصفات الخاصة

- ٣٧٦ بالمخلوقين
- الطريقة المستقيمة عند أهل السنة مبنية على تنزيه الله عن كل نقص مضاد
- ٣٧٦ لكماله ، وتنزيهه في صفاته عن التمثيل
- ذكر بعض أقوال أهل السنة في نهيهم عن وصف الله تعالى بما لم يصف به
- ٣٧٧ نفسه
- بيان أهل السنة أن وصف الله تعالى بغير ما وصف به نفسه قول على الله عز
- ٣٧٩ وجل بلا علم ، وإلحاد في أسمائه وصفاته
- بيان موقف أهل السنة من مذهب المشبهة في صفات الله بذكر بعض أدلتهم
- ٣٨٢ السمعية والعقلية في تنزيه الله تعالى عن مقالة التشبيه
- ذكر بعض أدلة أهل السنة السمعية في تنزيه الله تعالى عن مقالة التشبيه
- ٣٨٣ ذكر بعض أدلة أهل السنة العقلية في تنزيه الله تعالى عن مقالة التشبيه
- ٣٨٥ نهي أهل السنة عن الأمور المفضية إلى التشبيه
- ٣٩٠ نهي أهل السنة عن البحث عن كيفية ذات الله عز وجل وصفاته المفضي إلى
- ٣٩٠ التشبيه وذكر بعض أقوالهم في ذلك
- نهي أهل السنة عن التفكير في ذات الله تعالى المفضي إلى التشبيه وذكر بعض
- ٤٠٠ أقوالهم في ذلك
- نهي أهل السنة عن استعمال الأقيسة الفاسدة المفضي إلى التشبيه وذكر بعض
- ٤٠٦ أقوالهم في ذلك
- ٤١١ المبحث الثاني : مقالات المشبهة في الصفات الفعلية وموقف أهل السنة منها
- ٤١١ مفهوم الصفات الفعلية والذاتية عند أهل السنة
- ٤١٦ مقالة المشبهة في صفة الإستواء وموقف أهل السنة منها
- ٤١٦ خوض المشبهة في كيفية صفة الإستواء وبيان وقوعهم بذلك في التشبيه
- ٤١٨ موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة الإستواء
- مذهب أهل السنة في صفة الإستواء وذكر بعض أقوالهم في ذلك الدالة على
- ٤١٩ موقفهم من مقالة المشبهة في صفة الإستواء
- بيان أهل السنة أن طلب كيفية الصفات ومنها صفة الاستواء مفضٍ إلى

- ٤٢٠ التشبيه ، وإبطالهم لمقالات المشبهة في ذلك وذكر بعض مقالاتهم في ذلك
موقف أهل السنة من إطلاق المشبهة على استواء الله تعالى أنه بمماسة أوحد أو
- ٤٢٧ إحاطة
- ٤٣١ بيان أن موقف أهل السنة من لفظ المماسة يتبين في أربع مقامات
- المقام الأول : استعمالهم لفظ المماسة على سبيل النفي في مسألة العلو للرد به
على الجهمية الحلولية المشبهة وذكر بعض مقالاتهم في ذلك وتوضيحها .
- ٤٣١ المقام الثاني : استعمالهم لفظ المماسة على سبيل النفي في مسألة الاستواء للرد
على المشبهة المكيفة كالكرامية والهشامية ، ذكر بعض أقوالهم في ذلك
وتوضيحها
- ٤٣٣ المقام الثالث : من أهل السنة من أثبت لفظ المماسة في مقام الرد على المعطلة
الذين نفوه وعطلوا به صفة الإستواء وغيرها ، ذكر بعض أقوال أهل السنة في
ذلك وبيانها
- ٤٣٦ المقام الرابع : التوقف عن استعمال لفظ المماسة في حق الله تعالى إثباتا ونفيا
ذكر بعض من أختار هذا الموقف من أهل السنة وبيان أنه الأولى والأفضل
٤٣٩ بيان أنه لا خلاف ولا تنازع بين أقوال أهل السنة في مسألة المماسة إثباتا ونفيا
وتوقفا
- ٤٤٠ معنى لفظ الحد ، وبيان إدراج المعطلة والمشبهة فيه معانٍ باطللة يجب تنزيه الله عنها
٤٤٤ بيان أن موقف أهل السنة من لفظ الحد يتضح في مقامين
- ٤٤٤ المقام الأول : بيان أنهم استعملوه على سبيل النفي للرد به على المشبهة
المكيفة وذكر بعض أقوالهم في ذلك
- ٤٤٥ المقام الثاني : بيان أنهم استعملوه على سبيل الإثبات للرد به على الجهمية
المعطلة وذكر بعض أقوالهم في ذلك
- ٤٥٠ اعتراض الإمام الخطابي على من أثبت الحد من أهل السنة ، وإدعائه أن ذلك
بدعة ، والرد عليه من وجوه
- ٤٥٣ بطلان مقالة المشبهة إن العرش قد حوى الله تعالى ، وتنزيه الله عن ذلك
٤٥٧ مقالة المشبهة في صفة الكلام وموقف أهل السنة منها
- ٤٥٧

- مذهب المشبهة في صفة الكلام مبني على اعتبار كلام الله تعالى حادث بعد
 ٤٥٩ أن لم يكن كذلك ، وموقف أهل السنة من ذلك
 ذكر بعض أقوال أهل السنة في ردهم على مقالة المشبهة في صفة الكلام
 ٤٦٣ وتنزيه الله عن ذلك
 شبهة المشبهة في صفة الكلام مبنية على قولهم بامتناع حوادث لا أول لها
 وموقف أهل السنة من ذلك ٤٦٠ و ٤٦٨
 إعتبار المشبهة القرآن من قول الله لا من كلامه ، وبيان فساد هذا التفريق
 بالأدلة السمعية ٤٦٠ و ٤٦٨
 مقالة المشبهة إن القرآن حادث لامحدث وشبهتهم في ذلك وموقف أهل
 السنة من ذلك ٤٧٠
 بطلان شبهة المشبهة المحدث يفتقر إلى إحداث وهذا يؤدي إلى التسلسل الدال
 على حدوث نوع صفة الكلام كما يزعمون ٤٧١
 مناقشة قول هشام بن الحكم إن القرآن لاخالق ولا مخلوق ٤٧٢
 مقالة المشبهة في صفة النزول وبيان أن منهم من جعل نزول الله تعالى من
 جنس نزول المخلوقين ٤٧٤
 زعم حلولية المشبهة أن الله ينزل إلى الأرض ووصفهم الله تعالى بما يخص
 المخلوق الناقص من الصفات ٤٧٤
 موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة النزول وتنزيه الله تعالى عن
 التشبيه وذكر بعض مقالاتهم في ذلك ٤٧٥
 مقالة المشبهة في صفة الهجيء والإتيان ، وبيان أن منهم من جعل إتيانه من
 جنس إتيان المخلوقين ٤٨٣
 موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة الهجيء وذكر بعض مقالاتهم في تنزيه
 الله عن ذلك ٤٨٤
 المبحث الثالث : مقالات المشبهة في الصفات الذاتية وموقف أهل السنة منها
 مقالة المشبهة في صفة العلم ، وزعمهم أن الله تعالى علم الأشياء بعد أن لم
 يكن عالما بها ، وبيان تضمن هذه المقالة للتشبيه ٤٩١

- إنكار أهل السنة مقالة المشبهة في صفة العلم ، ويانهم أن علم الله من صفاته الذاتية الملازمة له أزلا وأبدا ٤٩٤ و ٤٩٨
- ييانهم مخالفة مقالة المشبهة في صفة العلم للكتاب والسنة والإجماع . . . ٤٩٤
- بيان مناقضة مقالة المشبهة في صفة العلم لعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر . ٤٩٨
- بيان الأئمة حكم من جعل علم الله تعالى حادثا بعد أن لم يكن وتنزيه الله عن ذلك ٥٠٠
- شبهة هشام بن الحكم في إنكاره علم الله الأزلي ونقدها ٥٠٢
- مقالة المشبهة في صفة الإرادة وموقف أهل السنة منها ٥٠٤
- زعم المشبهة أن الله تعالى صار مريدا بإرادة بعد أن لم يكن كذلك . . . ٥٠٤
- إنكار أهل السنة مقالة المشبهة في صفة الإرادة ، وييانهم أن إرادة الله من صفاته الذاتية الملازمة له أزلا وأبدا ٥٠٧
- إبطالهم مقالة المشبهة في صفة الإرادة بأدلة القرآن والسنة الدالة على اتصاف الله بصفة الإرادة أزلا وأبدا ٥٠٩
- المعتزلة القدرية شبهوا إرادة الله بإرادة المخلوق ، وبطلان مقالتهم في ذلك ذكر بعض الصفات التي وصف بها الكرامية صفة الإرادة وبيان بطلانها . ٥١٢
- ذكر بعض النصوص الدالة على بطلان مقالة المعتزلة في صفة الإرادة . . . ٥١٣
- بيان شيخ الإسلام ابن تيمية سبب ضلال المعتزلة في إخراج الكفر والمعاصي عن إرادة الله ٥١٧
- موقف أهل السنة من مقالة الهشامية إن إرادة الله تعالى بحركة ٥١٩
- مقالة المشبهة في صفة اليدين وموقف أهل السنة منها ٥٢٤
- زعم بعض المشبهة أن يد الله عز وجل كأيديهم ٥٢٤
- إنكار أهل السنة مقالة المشبهة في صفة اليدين وتنزيههم الله عن ذلك وذكر بعض مقالاتهم في ذلك ٥٢٥
- مقالة المشبهة في صفة السمع والبصر وموقف أهل السنة منها ٥٣٠
- زعم بعض المشبهة إن لله بصرا وسمعا كأبصارهم وأسماعهم وتنزيه أهل السنة الله عن ذلك ، وذكر بعض أدلتهم في ذلك ٥٣١ و ٥٣٠

- زعم الزرارية من الرافضة أنَّ الله تعالى لم يزل غير سميع ولا بصير حتى خلق
 لنفسه ذلك ، وتنزيه أهل السنة الله عز وجل عن ذلك ٥٣٠ و ٥٣٧
 موقف أهل السنة من مقالة المشبهة في صفة السمع والبصر ٥٣٧
 بيان مناقضة مقالة الزرارية في صفة السمع والبصر للقرآن والسنة ٥٣٨
 ذكر بعض أدلة أهل السنة في إبطال مقالات المشبهة في صفة السمع
 والبصر ٥٣٨
 نقد مقالة الكرامية في صفة السمع والبصر ٥٤٠
 فهرس الموضوعات للمجلد الأول ٥٤٣

